بهجة الناظرين وآيات المستدلين

تصنيف

الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي

المتوفى ١٠٣٠ هـ سنة

تحقيق

حامد التميمي



دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : بهجة الناظرين
وآيات المستدلين

Title : BAHJAT AN-NĀẒIRĪN
WA 'ĀYĀT AL-MUSTADILLĪN

التصنيف : عقيدة وتفسير

Classification: Dogma and Exegesis of Qur'an

المؤلف : الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت 1030هـ)

Author : Al-Sheikh Mar'i ben Yousuf Al-Karmi AL-Hanbali (D.1030H.)

المحقق : حامد التميمي

Editor : Hamed At-Tamimi

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت

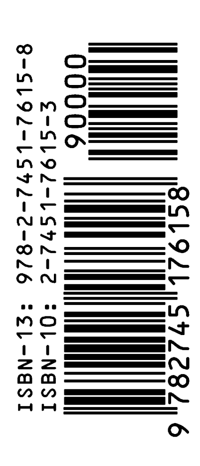
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	624	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2015 A.D - 1436 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنـــان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، ونبينا وإمامنا، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد. بعد أن انتهيت من تحقيق كتاب "بهجة الناظرين وآيات المستدلين"، لمرعي بن يوسف الحنبلي، رحمه الله رحمة واسعة، وشرعت في بناء مقدمة تكون عنوانا، ومدخلا للكتاب، فما رأيت أفضل من الحديث عن الإسلام والإيمان، وعلاقتهما ببعضهما، حيث إني وجدت في الكتاب أنه يتحدث عن الجنة والنار ويوم القيامة والحساب،.... وكلها عناوين لأمور تلزم الإيمان بها والتصديق دون الرؤية، وقد لخصت فيها العبارة، وأوجزت فيها الإشارة، ونسأل الله القبول، فإنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تعريف الإسلام والإيمان

تَعريفُ الإسلامِ:

لغةً: الاستسلامُ والانقيادُ، يُقالُ فلانٌ مُسلمٌ أي: مُستَسلمٌ لأمرِ الله[1].

اصطلاحاً: هو الاستسلامُ لله لا لِغَيرِهِ، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ، وهو حَقيقةُ لا إله إلا الله[2].

تعريف الإيمانِ:

لُغةً: هوَ مَصدرُ آمنَ، يؤمِنُ، إيماناً، فَهو مؤمِنٌ، واتَّفق أهلُ العلمِ مِن اللُّغويين

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة سلم: ٢٩٣/١٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ٢٣٩/٥.

وَغيرِهِم: أنَّ الإيمانَ مَعناهُ التَّصديقُ، قَال الله تَعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤][(١)].

وَنَقَلَ الإمامُ مُحمَّد بن نَصر المروزيّ، عن طائفةٍ مِن أهلِ السُّنةِ: والإيمانُ في اللغةِ: هوَ التصديقُ،وَمَعنى التَّصديق: هُوَ المعرفةُ باللهِ، والاعترافُ لَهُ بالربوبيةِ بِوَعدهِ، ووعيدهِ، وَوَاجِبِ حَقِّهِ، وَتحقيقِ مَا صَدَّقَ بِهِ مِن القَولِ والعَمَلِ.وأمَّا الشيخُ الألبانيُّ: فإنهُ لَم يَخرُج في تَعريفِهِ للإيمانِ لُغةً عَن تَعريفِ السَّلف، بَل تَبِعَ السَّلَفَ على هذا التَّعريفِ، فَقَالَ: إنَّ الإيمانَ لغةً بمعنى التصديق، وهذا ما تَدُلُّ عَلَيهِ لُغَةُ القُرآنِ.

اصطلاحاً: هُوَ قَولُ اللِّسانِ، وَعَمَلُ الجوارحِ، وَتَصديقُ القَلبِ، وَقَد اختَلفت عِباراتُ السَّلفِ في تَفسيرِ الإيمانِ وَتَباينتْ، وَلكنَّها جَميعاً تَرجِعُ إلى مَعنىً واحدٍ أو مَعانٍ مُتَقاربةٍ:

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: وأجمعَ السَّلفُ أنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَملٌ، يَزيدُ وَيَنقصُ، وَمَعنى ذلكَ أنَّهُ قَولُ القَلبِ وَعَملُ القَلبِ، ثمَّ قَولُ اللِّسانِ وَعَملُ الجوارحِ، فأمَّا قَولُ القَلبِ فَهوَ التَّصديقُ الجازِمُ بالله، وملائكتِهِ، وَكتُبِهِ، وَرُسلِهِ، واليومِ الآخرِ، وَيَدخُلُ فِيهِ الإيمانُ بِكُلِّ ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

وَقَالَ اللالَكائِيُّ: أخبرنا مُحمَّد بن رزقِ الله، قالَ: أخبَرَنا أحمد بن حمدان، قالَ: حدَّثنا أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم، قالَ: أرسَلَ رجُلٌ مِن أهلِ خُراسانَ إلى أبي ثورٍ إبراهيمِ بن خالدٍ، بِكِتابٍ يَسألُ عن الإيمانِ: ما هُوَ؟ وَيَزيدُ وينقُصُ؟ وَقَولٌ؛ أو قَولٌ وَعَملٌ؟ أو: وَقَولٌ وَتَصديقٌ وَعَملٌ؟

فأجابهُ: إنَّه التَّصديقُ بالقلبِ، والإقرارُ باللسانِ، وَعَمَلُ الجَوارِحِ.

وَقَال الإمامُ الآجريُّ: الذي عَلَيهِ عُلماءُ المسلمينَ: أنَّ الإيمانَ وَاجِبٌ على جَميعِ الخَلقِ، وَهوَ تَصديقٌ بالقَلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وَعَمَلٌ بالجوارِحِ.

وَهذا الذي ذَكرتُه مِن تَعريفِ الإيمانِ، هو مَذهب عامَّةِ السَّلف؛ ومِنهُم على

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة أمن: ٢٣/١٣.

سَبيلِ التَّمثيلِ لا الحصرِ: الأئمةُ: مالك، والشافعيّ، وأحمد، وكذا مجاهد، وطاوس، والحسن البصري، وعطاء، وعبيدِ الله بن عمر، ومَعمر بنِ راشد، والأوزاعيِّ، وسفيانَ الثوري، وعبدِ الله بن المبارك، والنخعيّ، وسفيان بن عيينة، وإسحاقَ بن راهويه، وأهل المدينةِ، وأهل الظاهرِ، وَعامَّة عُلماءِ السنةِ. قَالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: إنَّ من قَالَ من السَّلفِ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، أرادَ قَولَ القَلبِ واللسانِ، وَعَملَ القَلبِ والجوارحِ، وَمَن أرادَ الاعتقادَ رأى أنَّ لَفظَ القولِ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا القولُ الظَّاهرُ، أو خَافَ ذلكَ فَزَادَ الاعتقادَ بالقلبِ، وَمَن قَالَ: قَولٌ وعَملٌ ونيَّةٌ، قَال: القَولُ يتناولُ الاعتقادَ وَقَولَ اللِّسانِ، وأمَّا العَمَلُ فَقَد لا يُفهمُ مِنه النيَّة فزادَ ذلكَ، وَمَن زادَ اتِّباع السُّنة فلأنَّ ذلكَ كلَّهُ لا يَكونُ مَحبوباً لله إلا باتِّباعِ السُّنةِ، وأولئك لم يُريدوا كلَّ قَولٍ وَعَملٍ، إنما أرادوا مَا كَانَ مَشروعاً مِن الأقوالِ والأعمالِ، وَلكن كَانَ مَقصُودُهم الردُّ على المرجِئَةِ الذين جَعَلوهُ قَولاً فَقَط، فَقالوا: بَل هُوَ قَولٌ وعَمَلٌ، والذينَ جَعَلوهُ أربعةَ أقسامٍ فَسَّروا مُرادَهُم كما سُئِلَ سهلُ بن عبد الله التستريّ عنِ الإيمانِ ما هوَ؟ فقالَ: قَولٌ وَعَمَلٌ وَنيَّةٌ وَسُنَّةٌ، لأنَّ الإيمانَ إذا كانَ قَولاً بِلا عَمَلٍ فَهوَ كُفرٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً بِلا نيَّةٍ فَهوَ نِفاقٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً وَنيةً بِلا سُنَّةٍ فَهُوَ بِدعَةٌ.

ثانياً: الفَرْقُ بين الإسلامِ والإيمانِ:

الَّذي عَليهِ جمهورُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ: هُوَ أنَّ مُسمَّى الإسلامِ غَيرُ مُسمَّى الإيمانِ، ويَظهرُ ذلك جليَّاً في حَديثِ جِبريلَ الذي رَواه الإمام مُسلم، عن عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، لَا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتى جَلَسَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ، وقال: يا محمد أَخْبِرْنِي عن الْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إليه سَبِيلًا". قال: صَدَقْتَ، قال فَأَخْبِرْنِي عن الْإِيمَانِ قال: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قال: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ

يَرَاكَ" ثُمَّ قال لي: "يا عُمَرُ أَتَدْرِي من السَّائِلُ؟" قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال: "فإنَّه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ". فقد فرَّق النبيُّ صلى الله عليه وسلم بينَ الإسلامِ والإيمانِ، والتَّفريقُ يدلُّ على المغايَرةِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية: قد فرَّق النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حَديثِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ، بَين مُسمَّى الإسلامِ، وَمُسمَّى الإيمانِ، وَمُسمَّى الإحسانِ، بَل جَعَلَ النبيُّ الدِّينَ ثلاثَ درجاتٍ: أعلاها الإحسانُ، وأوسَطها الإيمانُ، وَيَليه الإسلامُ، فَكُلُّ مُحسِنٍ مُؤمنٌ، وَكُلُّ مُؤمنٍ مُسلمٌ، وَلَيسَ كُلُّ مُؤمنٍ مُحسِنا، ولا كلُّ مُسلِمٍ مُؤمنا.

وَيَرَونَ كَذلك أنَّهما يَختَلفانِ بِحسَبِ الانفرادِ والاقترانِ؛ فَعِندَ ذِكرِهما جَميعاً يُفسَّر الإسلامُ بأعمَالِ الجَوارحِ، وَعِندَ الانفرادِ يَكُونُ كُلًّا مِنهُما شامِلاً للآخر، مِثل قَولِهِ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، وهذا يَشمَلُ الإسلامَ والإيمان.

وَلا أدلَّ على التفريقِ بَينَهُما مِن قَولِهِ تَعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

وَقَد أورَدَ الإمامُ الطَّبَريُّ في تَفسِيرِ هذه الآيةِ أقوالاً كَثيرةً مَرفُوعةً وَمَوقُوفةً تَدُلُّ بِمُجمَلِها أنَّ مُسمَّى الإسلامِ غَيرُ مسمَّى الإيمانِ، واختارَ هذا القَولَ وَرَجَّحَهُ رَحِمَهُ الله.

قالَ الحافِظُ ابن كثير رحمه الله في الآيةِ المتقدِّمةِ:

وَقَد استُفيدَ مِن هذهِ الآيةِ الكريمةِ أنَّ الإيمانَ أخَصُّ من الإسلامِ، كَما هُو مَذهَبُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، وَيَدلُّ عَليهِ حَديثُ جِبريلَ عَليهِ الصلاةُ والسَّلامُ حِينَ

سَأَلَ عن الإسلامِ، ثُمَّ عن الإيمانِ، ثُمَّ عن الإحسانِ، فترقَّى مِن الأعمِّ إلى الأخصِّ ثُمَّ للأخصِّ.

وَقَد استَدَلَّ شَيخُ الإسلامِ ابن تيمية رحمه الله على المُغايَرَةِ بَينَهُما بآيَةِ الحُجُراتِ المُتَقدِّمةِ، ثُمَّ أورَدَ قَولَه تَعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]، فقالَ رحمه الله مُبيِّنا أَنَّهُما تتَّفِقانِ ولا تَختَلِفانِ: وَقَد ظَنَّ طائفةٌ من الناسِ أنَّ هذه الآية تَقتَضي أنَّ مُسمَّى الإيمانِ والإسلامِ واحدٌ، وَعارضوا بَين الآيتينِ وَلَيسَ كذلكَ، بل هذِهِ الآيةُ توافِقُ الآيةَ الأولى لأنَّ الله أخبَرَ أنَّه أخرجَ مَن كانَ فِيها مُؤمِناً، وأنَّه لم يَجِد إلا أهلَ بَيتٍ مِن المسلمين، وَذَلك لأنَّ امرأةَ لُوطٍ كَانَت في أهلِ البيتِ الموجودِينَ وَلَم تكُن مِن المُخرَجِينَ الَّذينَ نَجَوا، بَل كانت مِن الغابرينَ الباقِينَ في العذابِ، وَكَانت في الظَّاهِرِ مَعَ زوجِها على دِينِه وفي الباطِنِ مَعَ قَومِها على دِينِهم.

وقال في موضِعٍ آخَرَ:

والردُّ إلى اللهِ ورسولِهِ في مَسألةِ الإسلامِ والإيمانِ يُوجِبُ أنَّ كُلّاً من الاسمَينِ، وإن كَانَ مُسمَّاهُ واجباً لا يَستحِقُّ أحدٌ الجنةَ إلا بأن يَكونَ مُؤمناً مُسلِماً، فالحقُّ في ذلك ما بَيَّنَهُ النبيُّ في حَديثِ جبريلَ، فَجَعلَ الدِّينَ وأهلَهُ ثلاثَ طَبَقاتٍ: أوّلُها الإسلامُ، وأوسَطُها الإيمانُ، وأعلاها الإحسانُ، وَمَن وَصَلَ إلى العُليا فَقَد وَصَل إلى التي تَليها، فالمُحسِنُ مُؤمنٌ، والمؤمنُ مُسلمٌ، وأمَّا المُسلمُ فلا يَجِبُ أن يَكُونَ مُؤمِناً.

ثُمَّ إنَّ هُناك دَليلاً مِن السُّنة على المُغايَرةِ بينَ الإسلامِ والإيمانِ؛ وَهُو حَديثُ سَعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَسْمًا فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِ فُلاناً فإنه مُؤْمِنٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أو مُسْلِمٌ؟" أَقُولُهَا ثَلاثاً وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلاثاً "أو مُسْلِمٌ" ثُمَّ قال: "إني لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إليَّ مِنه مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ الله في النَّارِ".

وَقَد استَدَلَّ بهذا الحديثِ على المُغايَرَةِ جمعٌ من أهلِ العِلمِ مِنهُم: ابنُ جرير الطبريّ، وشيخُ الإسلامِ ابن تيمية، والحافظُ ابن كثير، وغيرهم.

ثالثا: رأي الشيخ الألبانيّ في هذهِ المسألةِ:

وأما الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله فإنَّه يرى التَّفريقَ بينَهُما؛ فَقَد أورَدَ قولَ النبي صلى

الله عليه وسلم: "أسلَمَ النَّاسُ وآمنَ عَمرو بنُ العاصِ". أخرجه الترمذي، وقال: غريب، وحسنه الألباني.

وقالَ عَقِبَهُ: وفي الحَديثِ أيضاً إشارةٌ إلى أنَّ مُسمَّى الإسلامِ غَيرُ الإيمانِ، وَقَد اختَلَفَ العُلماءُ في ذلك اختلافاً كَثيراً؛ والحقُّ ما ذَهَبَ إليهِ جُمهورُ السَّلفِ من التَّفريقِ بَينَهُما، لدلالة الكِتابِ والسُّنةِ على ذلكَ، فَقَالَ تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، وَحديثُ جبريلَ في التفريقِ بينَ الإسلامِ والإيمانِ مَعروفٌ مَشهورٌ.

أصول الإيمان

قال العلامة ابن باز رحمه الله: فإن الإيمان هو الدين كله، وهو الإسلام، وهو الهدى، وهو البر والتقوى، وهو ما بعث الله به الرسول عليه الصلاة والسلام، من العلم النافع، والعمل الصالح، كله يسمى إيمانا، هذه أصول ديننا الستة أوضحها الكتاب العزيز في مواضع، وأوضحها رسول الله الأمين في الأحاديث، فمما ورد في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]. فبين سبحانه هنا خمسة من أصول الإيمان: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين. هذه خمسة أصول عليها مدار الدين ظاهره وباطنه، وقال جل وعلا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥].

فبين سبحانه وتعالى هنا أربعة أصول في قوله ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ﴾، ولم يذكر اليوم الآخر، ولكنه ذكره في الآية السابقة، وهذه سنة الله في كتابه، ينوع سبحانه الأخبار عنه عز وجل وعن أسمائه وصفاته، وعن أصول هذا الدين، وعن شؤون يوم القيامة، والجنة والنار، وعن الرسل، وأممهم، حتى يجد القارئ في كل موضع من كتاب الله ما يزداد به إيمانه وعلمه، وحتى يطلب المزيد من العلم في كل موضع من كتاب الله عز وجل، وفي كل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقد أوضح سبحانه في هذه الآية الأخيرة أن الكفر بهذه الأصول ضلال بعيد عن الهدى، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والخلاصة أن الله سبحانه ورسوله نفى الإيمان عن بعض من ترك واجبات الإيمان، وأثبت له الإسلام، فهذه الأصول الستة هي أصول الدين كله، هي أصول إسلامنا وديننا كله، فمن أتى بها مع الأعمال الظاهرة صار مسلما مؤمنا، ومن لم يأت بها فلا إسلام له ولا إيمان له، كالمنافقين؛ فإنهم لما أظهروا الإسلام، وادعوا الإيمان وصلّوا مع الناس، وحجوا مع الناس، إلى غير ذلك، ولكنهم في الباطن ليسوا مع المسلمين بل هم في جانب والمسلمون في جانب؛ لأنهم مكذبون لله ورسوله، منكرون لما جاءت به الرسل في الباطن، متظاهرون بالإسلام لحظوظهم العاجلة، ولمقاصد معروفة، فلهذا صاروا كفارا ضلالا، بل صاروا أكفر وأشر ممن أعلن كفره، ولهذا صاروا في الدرك الأسفل من النار، وما ذاك إلا لأن خطرهم أعظم؛ لأن المسلم يظن أنهم إخوته وأنهم على دينه، وربما أفشى إليهم بعض الأسرار فضروا المسلمين وخانوهم، فصار كفرهم أشد وضررهم أعظم، وهكذا من ادعى الإيمان بهذه الأصول ثم لم يؤد شرائع الإسلام الظاهرة، فلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أو لم يصل، أو لم يصم أو لم يزك، أو لم يحج، أو غير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة التي أوجبها الله عليه، فإن ذلك دليل على عدم إيمانه أو على ضعف إيمانه، فقد ينتفي الإيمان بالكلية كما تنتفي الشهادتين إجماعاً، وقد لا ينتفي أصله ولكن ينتفي تمامه وكماله لعدم آدائه ذلك الواجب المعين كالصوم والحج مع الإستطاعة، والزكاة ونحو ذلك من الأمور عند جمهور أهل العلم، فإن تركها فسق وضلال ولكن ليس ردة عن الإسلام عند أكثرهم.

فالإيمان بما ذكر أمر لا بد منه، ومن لم يؤمن بذلك فإنه كافر بالله عز وجل وإن أظهر إسلاما وإيمانا، ولكنه بكفره بواحد من الأصول الستة، أو كفره بشيء آخر مما علم من الدين أنه من دين الله بالأدلة المعروفة فإنه يكون كافرا بالله، ولا ينفعه بعد ذلك ما أقر به؛ فإن هذا الدين لا بد أن يقبل كله، ولا بد أن يحصل به الإيمان كله،

فإذا آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو كافر حقا، وبهذا يعلم المؤمن عظم شأن هذه الأصول، وأنها أصول عظيمة لا بد منها، فيدخل في الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته، أو أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته كله داخل في الإيمان بالله؛ فيدخل في ذلك الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق الرزاق وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ندعو الله أن يجعلنا من المؤمنين، وأن يميتنا على التوحيد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه:

هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد، الكرمي المقدسي الأزهري المصري الحنبلي.

أما الكرمي فنسبة إلى طول كرم، المدينة المعروفة في فلسطين، ولد ونشأ فيها.

والمقدسي نسبة إلى بيت المقدس حيث درس فيها وتتلمذ على بعض علمائها.

والأزهري نسبة إلى الأزهر الشريف، منارة العلم والعلماء، حيث درس فيه، ودرَّس ونبغ، وفاق أقرانه. والمصري نسبة إلى مصر حيث سكنها وتوفي فيها.

والحنبلي نسبة إلى مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، الذي انتسب إليه الشيخ مرعي، وفيه يقول الشيخ مرعي:

لئن قلّد الناس الأئمة إنني ... لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغب

أقلد فتواه وأعشق قوله ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

ولادته ونشأته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ مرعي في طول كرم كما سبق، ولكن سنة ولادته غير معروفة، ونشأ فيها وتلقى علومه الأولى فيها، ولما اشتد عوده رحل إلى بيت المقدس ليأخذ عن علمائه، فأقام مدة من الزمن لم يذكر المترجمون له مدتها. ثم رحل الشيخ مرعي إلى مصر حيث الجامع الأزهر، الجامعة الكبرى للعلوم الشرعية في ذلك العصر والأوان، وسكن مصر وبقي فيها حتى وفاته رحمه الله تعالى.

وفي الأزهر استكمل الشيخ مرعي دراسته وأخذ عن عدد من العلماء والمشايخ ثم تصدر للإقراء والتدريس والتأليف، وتولى المشيخة بجامع السلطان حسن في القاهرة.

شيوخه:

تلقى الشيخ مرعي العلم عن عدد كبير من العلماء والمشايخ في بلده طول كرم، والقدس الشريف، والقاهرة ومن هؤلاء:

١. الشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد المرداوي القاهري، فقيه الحنابلة وشيخهم في عصره، كان جبلاً من جبال العلم، بحراً من بحور الإتقان، أخذ العلم عن التقي محمد الفتوحي، والشيخ عبد الله الشنشوري الفرضي، وأخذ عنه جماعة من الأفاضل منهم الشيخ مرعي، والشيخ منصور البهوتي، وعثمان الفتوحي وغيرهم، توفي بمصر سنة ١٠٢٦ هـ.

٢. الإمام العلامة، المفسر المحدث الواعظ، محمد بن حجازي بن محمد بن عبد الله الأكراوي الشافعي القلقشندي، المعروف بمحمد حجازي، ولد في ذي القعدة سنة ٩٥٧ هـ، ونشأ بمصر، وحفظ القرآن، وحفظ متوناً في النحو والفقه وغيرها من العلوم، خاتمة العلماء كان من الأكابر الراسخين في العلم أخذ العلم عن كثير من المشائخ حتى قيل إن شيوخه بلغوا ثلاثمئة شيخ. من تصانيفه: فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير، الاستعلام عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، إتحاف السائل بما لفاطمة من الفضائل، القول المقبول في كفارة دين المقتول، سواء الصراط في أشراط الساعة، القول المشروح في النفس والروح، وغيرها، توفي بالقاهرة في ربيع الأول سنة ١٠٣٥ هـ.

٣. الشيخ الإمام البارع الفرضي، يحيى بن موسى بن أحمد بن موسى بن سالم ابن عيسى الحجاوي المقدسي الدمشقي الصالحي القاهري، ولد ونشأ بدمشق، وأخذ الحديث عن والده شرف الدين موسى الحجاوي، ثم رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها، كالتقي الفتوحي وغيره، وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ مرعي ومحمد ابن النقيب والقاضي محمود الدمشقي ومنصور البهوتي، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد واستفاد ولم يزل ركناً للعلم حتى توفي بالقاهرة.

٤. العالم المحقق، أحمد بن محمد بن علي الغنيمي، الأنصاري المصري الحنفي الخزرجي، شهاب الدين، فقيه مصر، درس التفسير بجامع ابن طولون بالقاهرة خاتمة المحققين ومن أجل الشيوخ في علم المنقول والمعقول، وكان

شافعي المذهب، ثم درس المذهب الحنفي وتحول إليه. وقد انتفع به عدد كبير من طلبة العلم منهم الشيخ مرعي. من مؤلفاته: ابتهاج الصدور، بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين، إرشاد الطلاب إلى لفظ لباب الأعراب، وله حاشية في التفسير، توفي في رجب سنة ١٠٤٤ هـ.

تلاميذه:

كان الإمام مرعي الكرمي من العلماء العاملين فدرس وأفتى وصنف في شتى أنواع العلوم والمعارف، وعالم هذا دأبه لا بد أن يتخرج على يديه تلاميذ فضلاء ينشرون عنه هذا العلم النافع، ولكن المتتبع لمصادر ترجمته يجد أنها أغفلت هذا الجانب، ولم تذكر لنا إلا القليل منهم، وهم على النحو التالي:

١. الشيخ الإمام محمد بن موسى بن محمد الجمَّازي الحسيني المالكي، كان أحد أئمة العلم والفضل، فقيهاً، أديباً، شاعراً، أخذ العلم عن الشيخ مرعي وغيره من مشايخ عصره. من مؤلفاته: التحفة الوفية لشرح المقدمة الأندلسية في العروض، أرجوزة سماها الحجة في الكلام، وله نظم وشعر، توفي بمصر سنة ١٠٦٥ هـ.

٢. العالم العلامة، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن إبراهيم بن عمر ابن محمد، البعلي الحنبلي الأزهري الدمشقي، المعروف بابن (فقيه فِصَّه) ولد في بعلبك سنة ١٠٠٥ هـ، ورحل إلى مصر سنة ١٠٢٩ هـ، وتعلم في الأزهر، أخذ العلم عن الشهاب أحمد المفلحي، والشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، ومنصور البهوتي وغيرهم.

من مؤلفاته:

العين والأثر في عقائد أهل الأثر، فيض الرزاق في تهذيب الأخلاق، شرح الجامع الصحيح للبخاري، رياض أهل الجنة في آثار أهل السنة، مات بدمشق في ذي الحجة سنة ١٠١٧ هـ.

٣. الشيخ الفاضل، أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر ابن يوسف بن أحمد، الكرمي المقدسي، أبو العباس، شهاب الدين، ولد بطول كرم سنة ١٠٠٠ هـ، وقرأ بها القرآن ثم رحل إلى القاهرة، وأخذ الفقه عن عمه الشيخ

مرعي الحنبلي، والعلامة منصور البهوتي، وأخذ النحو عن محمد الحموي، كان من المشتغلين بالعلوم الدينية، قانعاً باليسير من الرزق، قليل الكلام، حسن السيرة، توفي بالقاهرة ليلة الجمعة ١٤ صفر سنة ١٠٩١ هـ ودفن قرب عمه مرعي، رحمهما الله.

عقيدته ومذهبه الفقهي:

كان الشيخ مرعي على عقيدة أهل السنة والجماعة، كما يعتقدها السلف الصالح رضوان الله عليهم، كما يدل على ذلك كلامه في كتابه أقاويل الصفات حيث قال في مقدمته: ... ومن السلامة للمرء في دينه اقتفاء طريقة السلف الذين أُمِرَ أن يقتدي بهم من جاء بعدهم من الخلف.

فمذهب السلف أسلم ودع ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم، فإنه من زخرف الأقاويل وتحسين الأباطيل، فإن أولئك قد شاهدوا الرسول والتنزيل وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل... وأما مذهبه الفقهي فهو حنبلي، وقد سبق شعره في ذكر انتسابه لمذهب أحمد ابن حنبل.

العلوم التي برع فيها ومؤلفاته:

إن إلقاء نظرة فاحصة على مؤلفات الشيخ مرعي المطبوعة، وتفحص عناوين مؤلفاته التي ما زالت مخطوطة يؤكد لنا أن الشيخ مرعي برع في مختلف العلوم الشرعية في الفقه، والتفسير، والحديث، والعقائد، وغيرها، وكذا في علوم العربية كالنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والشعر، وعلوم السيرة والتاريخ والسلوك وغيرها. أما مؤلفاته فهي كثيرة بلغت حوالي الثمانين تأليفاً ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة.قال المحبي: وكان منهمكاً على العلوم انهماكاً كلياً فقطع زمانه بالإفتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف فسارت بتآليفه الركبان، ومع كثرة أضداده وأعدائه ما أمكن أن يطعن فيها أحد ولا أن ينظر بعين الإزراء إليها.

أولاً: مؤلفاته المطبوعة:

١. إحكام الأساس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّل بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾. حققه الدكتور حسين الدراويش.

٢. إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان. حققه الشيخ مشهور حسن سلمان.

٣. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات. حققه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٤. بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات.

٥. تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن. حققه الشيخ مشهور حسن سلمان.

٦. تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف. حققه الشيخ مشهور حسن سلمان.

٧. تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان. حققه الدكتور سليمان الخزي.

٨. تحقيق الرجحان في صوم يوم الشك من رمضان. حققه الدكتور عبد الكريم العمري.

٩. دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على المعاصي بالقدر. حققه أسعد الطيب المغربي.

١٠. دليل الطالب لنيل المطالب فقه حنبلي. حققه عبد الله البارودي.

١١. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية. حققه الدكتور نجم عبد الرحمن خلف.

١٢. غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى - فقه حنبلي -.

١٣. الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة. حققه الدكتور محمد الصباغ.

١٤. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن. حققه سامي عطا حسن

١٥. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية. حققه الدكتور نجم عبد الرحمن خلف.

١٦. اللفظ الموطأ في بيان الصلاة الوسطى. حققه الدكتور عبد العزيز الأحمدي.

١٧. مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب. حققه الدكتور نجم عبد الرحمن خلف.

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة:

١. إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

٢. إخلاص الوداد في صدق الميعاد.

٣. الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء والصوفية.

٤. إرشاد ذوي الأفهام لنزول عيسى عليه الإسلام.

٥. إرشاد من كان قصده لا إله إلا الله وحده.

٦. أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح.

٧. أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة.

٨. الأسئلة في مسائل مشكلة.

٩. إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين.

١٠. البرهان في تفسير القرآن.

١١. بشرى ذوي الإحسان لمن يقضي حوائج الإخوان.

١٢. بشرى من استبصر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

١٣. تحسين الطرق والوجوه في قوله عليه السلام: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

١٤. تحقيق الظنون في أخبار الطاعون.

١٥. تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي عليه الصلاة والسلام الولاية أو النبوة أو الرسالة.

١٦. تسكين الأشواق بأخبار العشاق.

١٧. تشويق الأنام إلى حجّ بيت الله الحرام.

١٨. تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفا.

١٩. تنبيه الماهر على غير ما هو المتبادر من الأحاديث الواردة في الصفات.

٢٠. تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين.

٢١. تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام.
٢٢. توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان.
٢٣. توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين.
٢٤. جامع الدعاء وورد الأولياء ومناجاة الأصفياء.
٢٥. الحجج البينة في إبطال اليمين مع البينة.
٢٦. الحكم الملكية والكلم الأزهرية.
٢٧. دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام.
٢٨. دليل الطالبين لكلام النحويين.
٢٩. رسالة في السماع.
٣٠. رسالة فيما وقع في كلام الصوفيين من ألفاظ موهمة للتكفير.
٣١. رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس.
٣٢. روض العارفين وتسليك المريدين.
٣٣. الروض النضر في الكلام على الخضر.
٣٤. رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار.
٣٥. السراج المنير في استعمال الذهب والحرير.
٣٦. سلوان المصاب بفرقة الأحباب.
٣٧. سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة.
٣٨. شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور.
٣٩. غذاء الأرواح في المحادثة والمزاح.
٤٠. فتح المنان في تفسير آية الامتنان.
٤١. فرائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر.
٤٢. فم الوكاء في كلام سفيان من ألفاظ المهملات في التكفير.
٤٤. قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود.
٤٥. قلائد العقيان في فضائل آل عثمان.
٤٦. قلائد العقيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].
٤٧. القول البديع في علم البديع.

٤٨. القول المعروف في فضائل المعروف.

٤٩. الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥].

٥٠. لطائف المعارف.

٥١ ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون.

٥٢. محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام.

٥٣. المختصر في علم الصرف.

٥٤. مرآة الفكر في المهدي المنتظر.

٥٥. المسائل اللطيفة في فسخ الحج والعمرة الشريفة.

٥٦. المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة.

٥٧. مقدمة الخائض في علم الفرائض.

٥٨. منية المحبين وبغية العاشقين.

٥٩. نزهة المتفكر.

٦٠. نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين.

٦١. نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين.

٦٢. نزهة نفوس الأخيار ومطلع مشارق الأنوار.

٦٣. النادرة الغريبة والواقعة العجيبة.

٦٤- بهجة الناظرين وآيات المستدلين. وهو عنوان بحثنا اليوم.

٦٥. وله ديوان شعر.

ثناء العلماء عليه:

كان الشيخ مرعي محل ثناء العلماء ومدحهم له لخصاله الطيبة وصفاته الكريمة ومنزلته العلمية الكبيرة فقد أثنى عليه كل من ترجم له فمن ذلك ما يلي:

١. قال محمد أمين المحبي: ... أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، كان إماماً محدثاً فقيهاً ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة....

٢. وقال محمد جميل الشطي:... شيخ الإسلام أوحد العلماء الأعلام فريد

عصره وزمانه ووحيد دهره وأوانه صاحب التآليف العديدة والتحريرات المفيدة العلامة بالتحقيق والفهامة بالتدقيق شرفت به البلاد المقدسة، وقال: كان فرداً من أفراد العالم علماً وفضلاً واطلاعاً ... الخ كلامه.

٣. وقال الشيخ محمد الغزي: شيخ مشايخ الإسلام، أوحد العلماء المحققين الأعلام، واحد عصره، وأوانه، ووحيد دهره وزمانه، صاحب التآليف العديدة، والفوائد الفريدة، والتحريرات المفيدة، فهو العلامة بالتحقيق، والفهامة عند التدقيق والتنميق ...

وقد أطال في الثناء عليه ومدحه إلى أن قال:

قلت مادحاً لهذا الهمام:

يا له إمام همام حاز كل العوارف   حوى السبق في كل المعارف

٤. وقال ابن حميد: العالم العلامة البحر الفهامة المدقق المحقق المفسر المحدث الفقيه الأصولي النحوي أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر.

٥. وقال عثمان النجدي: كانت له اليد الطولى في معرفة الفقه وغيره.

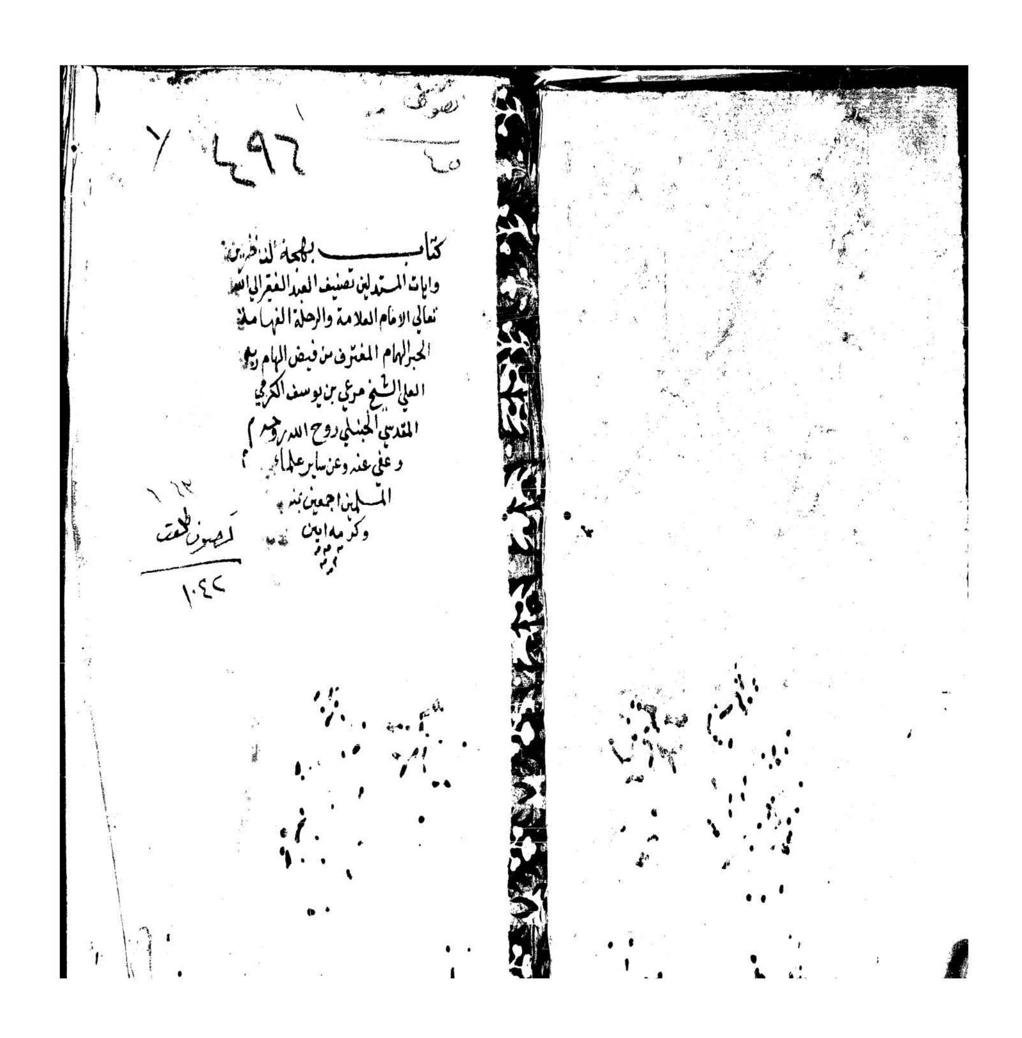
٦. وقال ابن بدران: أحد أكابر علماء هذا المذهب بمصر.

٧. وقال عمر رضا كحالة: محدث فقيه مؤرخ أديب، أحد أكابر علماء الحنابلة.

٨. وقال خير الدين الزركلي: مؤرخ أديب من كبار الفقهاء.

٩. وقال د. بكر أبو زيد: العلامة الفقيه، من مجتهدي المذهب المتأخرين.

نماذج من صور المخطوط



لوحة رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيي لنا من امرنا رشدا نحمد من شرح
صدورنا ونور قلوبنا للنظر في عجايب الملكوت ونوحد من توحد
في ملكه فاوجد العالم وجعل اوله ايجادا نور سيد بني ادم وخلق
الموت والحياة ولا يلحقه العدم والموت ونمجد من خلق اللوح والقلم
ونقدس من اوجد العرش والكرسي وغيرهما من العدم ونتوكل
علي الحي الذي لا يموت ونشهد بالربوبية لخالق الارض والسماء
ومسخر السحاب ليحمل الما ومرسل الرياح لواقح للمزن والشجر والنبات
والقوت ونشهد بالرسالة لسيد العالمين واشرف المرسلين
المخبر لنا بما غاب عنا من حشر ونشر وجنة ونار اخبار كشف
ويقين وثبوت صلي الله عليه وعلي اله واصحابه اولي البصيرة
والحقيقة والشريعة الذين حازوا اجل الاوصاف واشرف النعوت
وسلم تسليما وبعد احقر الوري واذل الفقري مرعي ابن يوسف
المقدسي الحنبلي اعلم ان من اجل العلوم في القدر والشان واعظمها
في السر والبرهان علم النظر والاستدلال والتفكر في قدرة الكبير
المتعال فالنظر في مصنوعات الصانع يستدل عليه والنظر في
عجايب الملكوت يرشد اليه فالناظر يطلع علي الاسرار الالهية
والبدايع الربانية ويحصل له زيادة الكشف واليقين والمعارف
الجمة والخبر المبين ويرتقي من عالم الادراك الي عالم الانوار ولا يصير
مقلدا في معرفة الواحد القهار والمقلد قد اختلف في صحة ايمانه

وتكلم

وتكلم اهل الكلام في حاله وشانه وقد صنفت الايمة في عجايب
الملكوت كتبا جمة وابدعوا فيها الغرايب ارشادا للامة وقد وقفت
منها علي ما يسر بالوقوف عليه مولاي المعين وتاملت معانيها فاذا
هي بدور وسراير للناظرين الا ان منها ما هو الموجز المخل والمطلب
الممل لم يف بالمقصود ولم يستوعب المطلوب المحمود ومنها ما فيه المقبول
والمردود ولم يجروا فيها غالبا علي سنن المحدثين ويتمسكون بنقول
المورخين واقوال الواضعين فلما رايت ذلك ووقفت علي ما هنالك
دعاني داعي المشية والالهام الي جمع مولف فريد في هذا المقام متكلما
فيه علي العالم العلوي والسفلي من لدن مبتداه الي اخر منتهاه وماذا
يصير له اولي واحري ليكون بالقبول اولي واحري جانحا في ذلك
الي نقول المفسرين واقوال المحدثين وسنة سيد المرسلين ومجانبا
غالبا لاقوال المورخين ونقول الواضعين وقد نقل ما في هذا المولف
الفريد والجمع الحسن المفيد من زها خمسماية مولف او تزيد باعتبار
موادا اصوله وقد اجتهدت في تحرير نقوله وبيان طريق تسهيله
وايضاح ابوابه وفصوله فاصبح كاسمه بهجة للناظرين وايات
المستدلين فهاك كتابا لم يسمح الزمان بمثله ولم ينسج ناسج
علي منواله وشكله وذو كونه مولفا موضح المسايل محررا لدلايل
سهل العبارات بين الاشارات عباراته فايقة والفاظه رايقة جمع
الفرايد من الكتب الصحيحة فاوعي وابدع الغرايب وترك الاقوال
المرجوحة فصار من اكثر كتب هذا الفن نفعا ولعمري انه لجدير
بان يرسم بما العيون ومداد الذهب وان يرقم في صحايف الورق

هذا الفن * ...

فضلا عن الورق باحسن خط من كتب فانه جنة فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وروضة يكل عن وصفها الشفاه والالسن وليس
الخبر كالعيان وستقر به بعد التامل العينان فما كل من صنف اجاد
ولا كل من قال وفي بالمراد والفضل مواهب والناس في الفنون مراتب
والخلايق يتفاوتون في الفضايل وقد يظفر الاواخر بما ترك الاوايل
وكم لله على خلقه من لطف وجود وكل ذي نعمة محسود والحسود
لا يسود وهذا والفقير معترف بقصر الباع معترف من بحر غيره
للانتفاع مقر بقصور عبارته وجماه وسماعك بالمعيدي خير من
ان تراه وهذا المولف في الحقيقة لا بد ان يقع لاحد رجلين اما
عالم محب منصف فيدعو لي بالحسنى ويدفع بالتي هي احسن بما هو من
صنفته واما جاهل مبغض متعسف فلا اعتبار بموافقته ولا
بمخالفته وانما الاعتبار بموافقة المحب المنصف لا بالمبغض المتعسف
اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبان علي لئامها
وسميته بهجة الناظرين وايات المستدلين جعله الله
خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه بجنات النعيم وصب
عليه قبول القبول فانه اكرم مسئول واعز مامول وقد جعلته
عشرة ابواب ليكون اسهل لطريق الصواب وعلى الله اعتمادي
وركوني واليه فوضت امري في حركتي وسكوني ثم تبين نقل ما في
هذا الكتاب من كتاب الله الذي جمع علم الاولين والاخرين
ومن تفسير الثعلبي وتفسير الزمخشري وتفسير الامام فخر الدين الرازي
وتفسير مكي وتفسير ابن عطية وتفسير الكواشي ومن البخاري ومسلم
والترمذي

والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وابن منده وابن
منصور وابن جرير وابن المبارك وابن راهويه وابن عساكر
وابن المنذر وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم والبزار
والدارقطني ومسند احمد والطيالسي وابن ابي شيبة وابن
ابي حاتم وابن ابي الدنيا والموطا وابو داود وابو يعلى وابو
الشيخ وابو نعيم ونعيم بن حماد والديلمي وهناد والاصبهاني
والخطابي والخطيب والاحيا للغزالي والدرة الفاخرة له ومن
كتب التواريخ كمسالك البكري وبهجة النفس والجمعزية وخريدة
العجايب ومن الهيبة السنية للحافظ السيوطي وشرح الصدور
له والبدور السافرة له ومن شرح البخاري للحافظ بن حجر والروح
لابن القيم وبحر الكلام للنسفي وشرح العقايد للسعد ومن تذكرة
القرطبي ومن كنز الاسرار ولواقح الافكار وهو اجل كتب هذا
الفن الى غير ذلك من التصانيف المفيدة والرسايل العديدة فصار
مجتمعا في هذا المولف ما هو متفرق في كتب كثيرة غيره والله
اسال ان لا ينساني من بره وخيره انه على ما يشا قدير وبالاجابة
جدير لطيفة قد احببت ان اذكر في صدر هذا الكتاب
ما يسر ذوي الفضايل والالباب ممن بلغ في الرتبة لان يحسد وبما
يرتدع به الحسود ويكمد روى القاسم بن اصبغ وابو بكر بن
ابي شيبة باسنادهما عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم
الحسد والبغضا البغضا هي الحالقة لا اقول انها تحلق الشعر

ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا
حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك افشوا السلام بينكم ورواه
ايضا الترمذي واحمد وهو حديث صحيح وفي الحديث ان الغل والحسد
ياكلان الحسنات كما تاكل النار الحطب وعن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا
عباد الله اخوانا وفي الحديث ان لنعم الله اعداء قيل من اعداء
نعم الله يا رسول الله قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله وعن انه قال لابنه يا بني اياك والحسد فانه
يبين فيك قبل ان يبين في حاسدك وقال بعض الحكما اياكم والحسد
فان الحسد اول ذنب عصي الله به في السما واول ذنب عصي الله به
في الارض يشير الى ابليس وقابيل وروي عن الاحنف بن قيس
قال لا راحة لحسود ولا وفا لبخيل ولا صدق لملوك ولا مروة لكذوب
ولا سودد لسيئ الخلق وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شي
من الدنيا فان كان من اهل الجنة فكيف احسده وهو صاير الى الجنة
وان كان من اهل النار فكيف احسده وهو صاير الى النار
وقال الحسن البصري يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان الذي
اعطاه الله عز وجل لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان
كان غير ذلك فلا ينبغي لك ان تحسد من مصيره الى النار وقال
بعضهم ليس شي اضر من الحسد يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل ان
يصل الى المحسود غم لا ينقطع ومصيبة لا يوجر عليها ومذمة لا يحمد بها
ويسخط عليه الرب ويغلق عنه ابواب التوفيق وقد ورد في ذم

الحاسد

الحاسد اثار كثيرة واخبار شهيرة ولقد احسن بعض الفضلا حيث قال

الا قل لمن كان لي حاسدا ... اتدري على من اسات الادب
اسات على الله في فعله ... لانك لم ترض لي ما وهب
فجازاك منه بان زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

واعلم ان من اشد الناس تحاسدا العلما لا سيما في زماننا هذا
ابتلاهم الله بذلك نعوذ بالله من ذلك روى ابن السكن باسناده
عن ابن عباس قال استمعوا علم العلما ولا تصدقوا بعضهم على بعض
فوالذي نفسي بيده لهم اشد تغايرا من التيوس في زروبها وروى
مقاتل وابن حبان وعطا الخراساني عن سعيد بن المسيب عن ابن
عباس قال خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقها بعضهم
على بعض فانهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة وعن مالك
ابن دينار قال يوخذ بقول القرا والعلما في كل الاقوال الا قول
بعضهم في بعض فلهم اشد تحاسدا من التيوس من تنصب لها الشاة
الضارف فيقتلها هذا من هنا وهذا من هنا وعن ابن وهب
انه قال لا تجوز شهادة القرا بعضهم على بعض يعني العلما لانهم اشد
تحاسدا وتباغضا وعن مالك ابن دينار قال اني اجيز شهادة
القرا على جميع الخلق ولا اجيز شهادة بعضهم على بعض وكذلك قال
سفيان الثوري وروى سحنون عن ابن وهب عن عبد العزيز بن
ابي حازم قال سمعت ابي يقول العلما كانوا يقولون فيما مضى
من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه كان ذلك يوم غنيمة
واذا لقي من هو مثله ذاكره واذا لقي من هو دونه لم يزه عليه

من ايام ربك عظم فذكر شرفه وفضله واسمه في الاخرة ولان الله
اذا صير اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وليس ثم ليل
ولا نهار قد علم الله مقدار تلك الساعات فاذا كان يوم الجمعة
في وقت الجمعة التي يخرج اهل الجمعة الى جمعتهم فنادى مناد
يا اهل الجمعة اخرجوا الى دار المزيد فيخرجون في كثبان المسك
قال حذيفة والله لهو اشد بياضا من دقيقكم هذا فتخرج غلمان
الانبيا بمنابر من نور وتخرج غلمان المومنين بكراسي من ياقوت
فاذا قعدوا واخذ القوم مجالسهم بعث الله عليهم ريحا تدعى
المثيرة فتثير عليهم المسك الابيض فتدخله في ثيابهم وتخرجه
من جيوبهم فيقول الله اين عبادي الذين اطاعوني بالغيب
وصدقوا رسلي فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة
انا قد رضينا فارض عنا ويرجع اليهم في قوله لهم يا اهل الجنة لو لم
ارض عنكم ما اسكنتكم جنتي فهذا اليوم المزيد فاسلوني فيجتمعون
على كلمة واحدة ارنا وجهك ننظر اليه فيكشف الله الحجب ويتجلى
لهم فيغشاهم من نوره فلولا ان الله قضى ان لا يموتوا لاحترقوا
ثم يقال لهم ارجعوا الى منازلكم فيرجعون وقد خفوا على ازواجهم
وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فلا يزال النور يتمكن حتى يرجعوا
الى منازلهم فيقول لهم ازواجهم لقد خرجتم من عندنا بصورة
ورجعتم الينا بغيرها فيقولون تجلى لنا ربنا فنظرنا الى ما خفينا
به عليكم قال فهم يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها في كل سبعة
ايام واخرج ابن ماجه وابن ابي الدنيا والدارقطني والاجري

عن جابر

عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم
اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب جل وعلا قد اشرف
عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قول الله
سلام قولا من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون
الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره
وبركته عليهم في ديارهم اشرافه سبحانه واطلاعه منزها
عن المكان والحلول و اخرج البيهقي وابو نعيم عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في مجلس لهم اذ سطع
عليهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف
فقال يا اهل الجنة سلوني قالوا نسالك الزيادة قال فيوتون
بنجايب من ياقوت احمر ازمتها زبرجد اخضر وياقوت احمر فجاوا
عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيامر الله باشجار عليها
الثمار فتجي جوار من الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات
فلا نباس ونحن الخالدات فلا نموت ازواج قوم مومنين كرام
ويامر الله بكثبان من مسك ابيض اذفر فتثير عليهم ريحا
يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم الى جنة عدن وهي قصبة
الجنة فتقول الملائكة يا ربنا قد جا القوم فيقول مرحبا بالصادقين
مرحبا بالطايعين فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى
فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا ثم يقول
ارجعوهم الى القصور بالتحف فيرجعون وقد ابصر بعضهم بعضا
قال عليه الصلاة من الله واتم السلام فذلك قوله تعالى نزلا

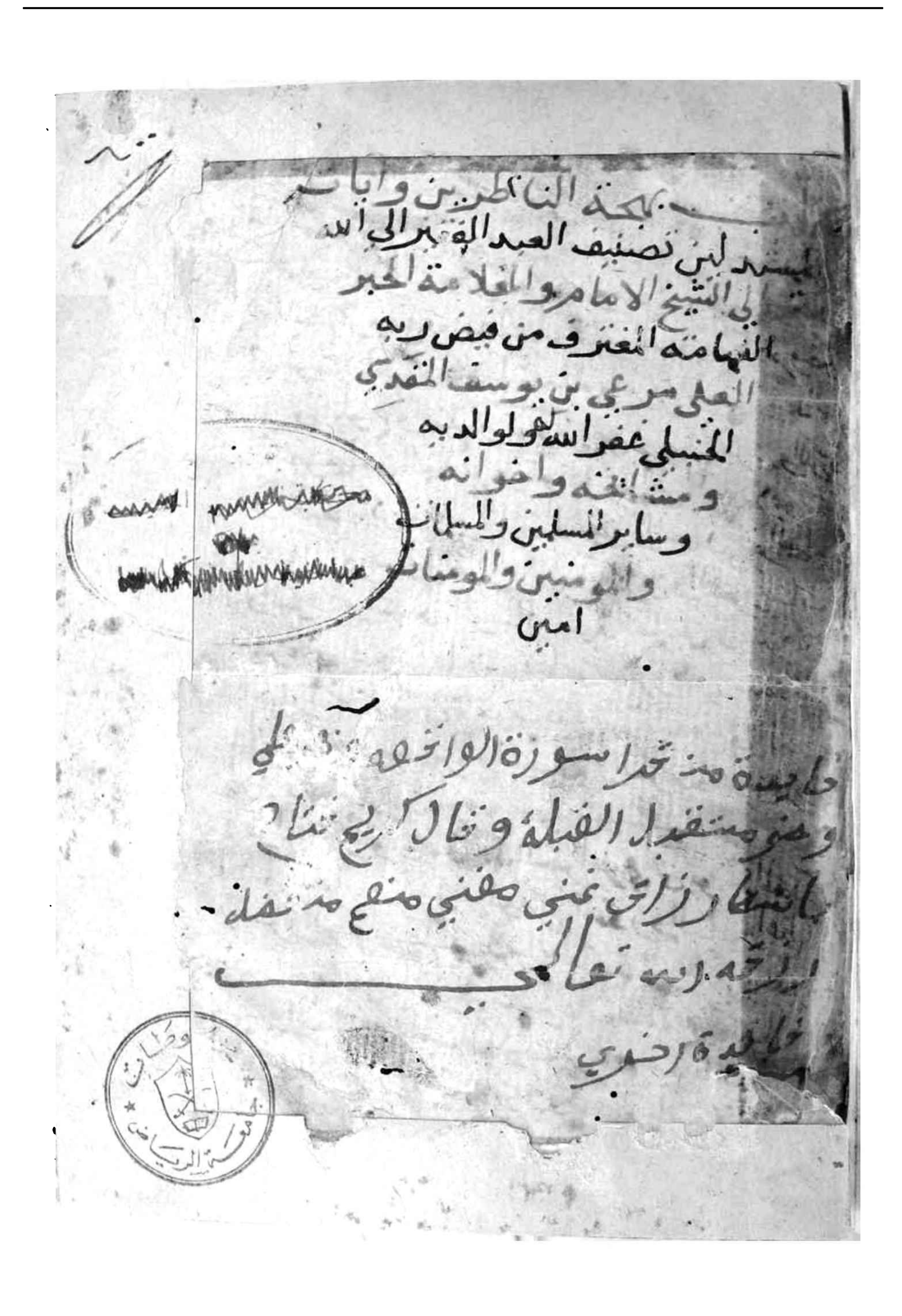
من غفور رحيم واخرج الاصبهاني عن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اسكن
اهل الجنة الجنة واهل النار النار بعث الروح الامين الى الجنة
فقال يا اهل الجنة ان ربكم يقريكم السلام ويامركم ان تزوروه
الى فنا الجنة وهو ابطح الجنة ترابه المسك وحصباوه الدر والياقوت
وشجره الذهب الرطب وورقه الزبرجد فيخرج اهل الجنة
مستبشرين مسرورين غانمين سالمين من مجتمعهم ثم تحل بهم
كرامة الله والنظر الى وجهه تعالى وهو موعود الله انجزه
لهم فعند ذلك ينظرون الى وجه رب العالمين فيقولوا سبحانك
ما عبدناك حق عبادتك فيقول كرامتي امكنتكم من وجهي
واحللتكم داري واخرج ابو نعيم عن علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه قال اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك فيقول ان الله
امركم ان تزوروه فيجتمعون فيامر الله داود فيرفع صوته
بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله
وما مائدة الخلد قال زاوية من زواياها اوسع مما بين المشرق
والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق
الا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجدا فيقال
لهم لستم في دار عمل انما انتم في دار جزا والاحاديث في هذا
المعنى كثيرة اضربنا عنها خوف الاطالة لطيفة اخرج
الاجري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة
يرون ربهم في كل يوم جمعة في رمال الكافور واقربهم منه مجلسا

اسرعهم

٤٤

اسرعهم اليه يوم الجمعة وابكرهم غدوا واخرج الترمذي والدارقطني
واللالكائي والاجري من طرق عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة الفي
عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وان ارفعهم منزلة لمن ينظر
الى الله تعالى كل يوم مرتين غدوة وعشية ثم قرا ابن عمر وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة هذا لفظ الاجري ولفظ الترمذي
لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة
الف سنة وان اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ الاية زاد
الدارقطني ناضرة واخرج البيهقي عن الاعمش قال ان اشرف
اهل الجنة لمن ينظر الى الله غدوة وعشية واخرج ابو نعيم
عن ابي يزيد البسطامي قال ان لله خواص من عباده لو حجبهم
في الجنة عن رويته لاستغاثوا كما يستغيث اهل النار واخرج
اللالكائي والاجري والبيهقي عن الحسن البصري قال لو علم
العابدون في الدنيا انهم لا يرون ربهم في الاخرة لذابت انفسهم
واخرج الاجري عن الحسن قال ان الله ليتجلى لاهل الجنة
فاذا راوه نسوا نعيم الجنة تنبيه ذهب قوم ومنهم
الحافظ عماد الدين بن كثير الى ان النسا لا يرين الله في الجنة
وردّ بحديث الدارقطني مرفوعا اذا كان يوم القيامة راى
المومنون ربهم عز وجل فاحدثهم عهدا بالنظر اليه في كل
جمعة ويراه المومنات يوم الفطر ويوم الاضحى وذهب قوم

ومنهم العز ابن عبد السلام تبعه على ذلك صاحب آكام المرجان وابن
جماعة إلى أن الملائكة لا يرون ربهم ورد ذلك بحديث البيهقي
وفيه عن الملائكة فإذا كان يوم القيمة تجلى لهم تبارك وتعالى
ونظروا إلى وجهه ونص على أنهم يرونه أبو الحسن الأشعري في
كتابه الإبانة وقال بذلك من المتأخرين ابن القيم والجلال البلقيني
قال الحافظ السيوطي وهو الأرجح بلا شك وقرر الجلال البلقيني ثبوت
الرؤية للملائكة وقال إلى ثبوتها لمؤمني الجن أيضا وهذا هو اللائق تم
لكرمه سبحانه وتعالى وأما رويته سبحانه وتعالى في الموقف ثم
فذهب جماعة إلى أنه تحصل حتى للمنافقين وذهب قوم وللكافرين
ثم يحجبون والله سبحانه وتعالى أعلم خاتمة نسأل الله سبحانه
وتعالى حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة أخرج اللالكائي عن زيد
ابن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله كثيرا ومن
بعض دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك برد العيش بعد الموت
ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا
فتنة مضلة آمين يا رب العالمين والحمد لله تعالى أولا وآخرا وظاهرا
وباطنا هذا وقد حصل الفراغ من تمام تعليق رسم هذه
النسخة المباركة رحم الله جامعها رحمة واسعة نهار الاثنين المبارك
السادس والعشرون من شهر جمادي الثاني الكائن من شهور سنة ١٢٧٢
اثنين وسبعين ومائتين وألف سنة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة
وأتم السلام وذلك بقلم العبد الضعيف الحقير الراجي عفو خالق العباد
الفقير أحمد بن السيد بكر حماد غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين بمنه وكرمه
آمين آمين
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم رب

نحمد من شرح صدورنا ونور قلوبنا للنظر في
عجايب الملكوت ونوحد من توحد في ملكه فاوجد
العالم وجعل اول ايجاده نور سيد بني ادم وخلق
الموت والحياة ولا يلحقه العدم والموت ونمجد من
خلق اللوح والقلم ونقدس من اوجد العرش والكرسي
وغيرهما من العدم ونتوكل على الحي الذي لا يموت
ونشهد بالربوبية لخالق الارض والسما ومسخر السحاب
ليحمل الما ومرسل الرياح لواقح للمزن والشجر والنبات
والقوت ونشهد بالرسالة لسيد العالمين واشرف
المرسلين المخبر لنا بما غاب عنا من حشر ونشر وجنة ونار
اخبار كشف ويقين وثبوت صلى الله عليه وعلى اله
واصحابه اولي البصيرة والحقيقة والشريعة الذين حازوا
اجل الاوصاف واشرف النعوت وسلم تسليما و
فيقول احقر الورى واذل الفقرا مرعي بن يوسف المقدسي
الحنبلي اعلم ان من اجل العلوم في القدر والشان واعظمها
في السر والبرهان علم النظر والاستدلال والتفكر في قدرة
الكبير المتعال فبالنظر في مصنوعات الصانع يستدل
عليه والنظر في عجايب الملكوت يرشد اليه فانه
يطلع على الاسرار الالهية والبدايع الربانية ويحصل
له زيادة الكشف واليقين وا… الجنة والجنة …

ويرتقي من عالم الاكدار الى عالم الانوار ولا يصير مقلدا
في معرفة الواحد القهار والمقلد قد اختلف في صحة
ايمانه وتكلم اهل الكلام في حاله وشانه وقد صنفت
الايمة في عجايب الملكوت كتبا جمة وابدعوا فيها الغرايب
ارشاد للامة وقد وقفت منها على ما يسر بالوقوف
عليه مولاي المعين وتاملت معانيها فاذا هي بحور
سوافر للناظرين الا ان منها ما هو الموجز المخل والمطنب
الممل لم يف بالمقصود ولم يستوعب المطلوب ومنها
ما فيه المقبول والمردود ولم يجروا فيها على سنن المحدثين غالبا
ويتمسكون بنقول المورخين واقوال الوضاعين فلما رايت
ذلك ووقفت على ما هنالك دعاني داعي المشيئة
والالهام الى جمع مولف فريد في هذا المقام متكلما
فيه على العالم العلوي والسفلي من لدن مبتداه الى اخر
منتهاه وماذا يصير له اولى واحرى ليكون بالقبول
اولى واحرى جانحا في ذلك لنقول المفسرين واقوال
المحدثين وسنة سيد المرسلين ومجانبا غالبا لاقوال
المورخين ونقول الوضاعين وقد نقل ما في هذا المولف
الفريد والجمع الحسن المفيد من زهاء خمسماية مولف او
تزيد باعتبار مواد اصوله وقد اجتهدت في تحرير
نقوله وبيان طريق تسهيله وايضاح ابوابه وفصوله
فاصبح كاسمه بهجة الناظرين وايات المستدلين فهاك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بداية النسخة (ر)

كتاب بهجة الناظرين وآيات المستدلين

تصنيف

العبد الفقير إلى الله تعالى

الشيخ الإمام العلامة الحبر الفهامة المغترف من فيض ربه العلي مرعي بو يوسف المقدسي الحنبلي غفر الله له ولوالديه ومشائخه وإخوانه وسائر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين.

(بداية نسخة الأصل)

بهجة الناظرين وآيات المستدلين

تصنيف

العبد الفقير إلى الله تعالى

الشيخ الإمام، العلامة، والرحلة الفهامة، الحبر الهمام المغترف من فيض إلهام ربه العلي الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي روح الله روحه، وعفى عنه، وعن سائر العلماء أجمعين بمنه، وكرمه آمين [١/ب].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[رب أعن] [١]

[ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا][٢].

نحْمَد مَن شَرحَ صُدُورنَا، وَنوَّر قُلُوبَنَا للنظر في عَجَائب الملكوت، ونُوحِّد مَنْ توحَّد فِي مُلكِهِ فَأَوجَدَ العَالَم، وَجَعَل أَوَّلَهُ إِيجادًا نُور سَيّد بَنِي آدَمَ، وَخَلَق الْمَوت وَالحيَاة، وَلا يَلْحقه الْعَدَم وَالموت، وَنَحمَد مَنْ خَلَق اللَّوْحَ وَالْقَلَم، وَنُقَدِّس مَنْ أَوْجَد الْعَرش وَالْكُرْسِيّ وَغَيرهما مِنَ الْعَدم، وَنَتَوَكَّل عَلَى الحَي الذِي لا يَمُوت، وَنَشْهَد بِالرّبوبية لخَالق الأَرْض وَالسَّماء، وَمُسَخّر السّحَاب ليحَمل الماء، وَمُرسل الرّياح لَوَاقح لِلمُزن وَالشّجر وَالنّبات وَالقوت. وَنَشْهَد بِالرّسَالة لِسَيّد الْعَالمين، وَأَشْرَف المرسَلِين، المخبر لَنَا بِمَا غَاب عَنَّا مِنْ حَشْرٍ وَنَشْرٍ وَجَنَّةٍ ونَارٍ إِخْبَار كَشْف وَيَقِين وَثُبوت، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ وَأَصْحَابِهِ أُولي الْبَصِيرَة وَالْحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَة، الَّذِين حَازُوا أَجلَّ الأَوْصَاف وَأَشْرَف النُّعُوت، وَسلَّم تسليمًا.

وبعد:

[فَيَقُولُ][٣] أَحْقَر الْوَرَى، وَأَذلُّ الْفُقَرَاء مَرْعِيّ بنُ يُوسُفَ الْمقدسِيُّ الحَنْبَلِيُّ: اعْلَمْ أَنَّ مِن أَجَلِّ الْعُلُوم فِي الْقَدْرِ وَالشَّأْنِ وَأَعْظَمِهَا فِي السِّرّ وَالْبُرْهَان عِلْم النَّظْرِ وَالاسْتِدْلَالِ وَالتَّفَكُّرِ فِي قُدْرَةِ الْكَبِير المتُعَال، فَبِالنَّظَرِ في مَصْنُوعَات الصَّانع يَستدل عَلَيْهِ، وَالنَّظَر فِي عَجَائِبِ الملكُوت يُرشِد إليه، فَالنَّاظر يَطَّلِعُ عَلَى الأَسْرَارِ الإِلَهِيَّة وَالْبَدَائع الرَّبانية، وَيَحصل لَهُ زِيَادة الْكَشْفِ وَالْيَقِينِ وَالمعَارِف الجَمَّة، وَالخَير

---

(١) زيادة من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من الأصل.

المبين، وَيَرتَقِي مِن عَالم [الإدراك](١) إِلَى عَالم الأَنْوَار، وَلا يَصِير مُقَلدًا فِي مَعْرِفَة الْوَاحِد الْقَهَّار، وَالمقلد قَدِ اخْتَلَف فِي صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، [٢/أ] وَتَكَلَّم أَهل الْكَلام فِي حَالِهِ وَشَأْنِهِ، وَقْد صَنَّفَ [الأئمة](٢) فِي عَجَائب الملكوت كُتُبًا جَمَّة، وَأَبْدَعُوا فِيهَا الْغَرَائِب إِرْشَادًا للأمة، وقد وقفت منها على ما يُسّر بالوقوف عليه مولاي المعين، وَتَأَمَّلْتُ مَعَانِيْهَا، فإذا هي بدور [سرائر](٣) [متوافر](٤) للناظرين إلا أن منها ما هو الموجز المخل، [والمطنب](٥) الممل لم يف بالمقصود، ولم يستوعب المطلوب المحمود، ومنها ما فيه المقبول والمردود، ولم يجروا فيها غالبًا على سنن المحدثين، ويتمسكون بنقول المؤرخين وأقوال [الوضاعين](٦)، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذلك، ووقفت على ما هنالك، دعاني داعي المشيئة والإلهام إلى جمع مؤلفٍ فَرِيدٍ في هذا المقام، مُتكلمًا فيه على عالم [الأسرار](٧) العلوي والسفلي من لدن مبتداه إلى آخر منتهاه، وماذا يصير له أولى وأخرى؛ ليكون بالقبول أولى وأحرى جانحًا في ذلك [إلى](٨) [نُقُول](٩) المفسرين، وأقوال المحدثين وسنة سيد المرسلين، ومجانبًا غالبًا لأقوال المؤرخين ونُقُولِ [الوَضَّاعِينَ](١٠).

وقد نقل ما في هذا المؤلف الفريد والجمع الحسن المفيد من زهاء خمسمائة مُؤَلَّف، أو تزيد باعتبار مواد أصوله وقد اجتهدت في تحرير نقوله، وبيان طريق تسهيله، وإيضاح أبوابه وفصوله فأصبح كاسمه: بَهْجَةُ للنَّاظِرِينَ وآيَاتُ المُستَدلِّينَ، فهاك كتابًا لم يسمح الزمان في هذا الفن بمثله، ولم [ينسج ناسج](١١) على منواله وشكله، ودونك مؤلفًا موضح المسائل، محرر الدلائل، سهل العبارات، بيِّن الإشارات، وعباراته فائقةٌ، وألفاظه رائقةٌ، جمع الفوائد من الكتب الصحيحة فأوعى، وأبدع الغرائب وترك الأقوال المرجوحة، فصار من أكثر كتب هذا الفن نفعًا، ولعمري إنه لجدير بأن يرسم بماء

(١) في (ر): (الأكدار).
(٢) في (ر): (العلماء).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من الأصل.
(٥) في الأصل: (والمطلب).
(٦) في الأصل: (الواضعين).
(٧) ساقط من الأصل.
(٨) ساقط من (ر).
(٩) في (ر): (لنقول).
(١٠) في الأصل: (الواضعين).
(١١) في (ر): (ينسخ ناسخ).

العيون ومداد الذهب، وأن يرقم في صحائف الورِق [٢/ب] فضلا عن الورَق بأحسن خط من كتب، فإنه جنة فيها ما تشتهي الأنفس، وتَلَذُّ الأعين، وروضة يكل عن وصفها الشفاه والألسن، وليس الخبر كالعيان، وستقر به بعد التأمل العينان، فما كل من صنَّف أجاد، ولا كل من قال وَفَى بالمراد، والفضل مواهب، والناس في الفنون مراتب، والخلائق يتفاوتون في الفضائل، وقد يظفر الأواخرُ بما ترك الأوائل، وكم لله على خلقه من لُطْفٍ وجودٍ، وكل ذي نعمةٍ محسودٌ والحسود لا يسودُ، هذا والفقير معترِف بقصر الباع، مغترِف من بحر غيره للانتفاع، مقر بقصور عبارته وحجاه، وسماعك بالمعيدي خير من أن تراه. وهذا المؤلف في الحقيقية لا بد أن يقع لأحد رجلين إِمَّا عَالِم محب منصف فيدعو لي بالحسنى ويدفع بالتي هي أحسن بما [هو][(١)] من صفته، وَإِمَّا جاهل مبغض متعسف، فلا اعتبار بموافقته ولا بمخالفته وإنما الاعتبار بموافقة المحب المنصف لا بالمبغض المتعسف.

[الطويل]

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانًا علي لئامها

وسميته بهجة الناظرين وآيات المستدلين جعله الله خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز لديه بجنات النعيم، وَصَبَّ عليه قبول القبول فإنه أكرم مسؤول وأعز مأمول، وقد جعلته عشرة أبواب؛ ليكون أسهل لطريق الصواب وعلى الله الكريم اعتمادي وركوني وإليه فوضت أمري في حركتي وسكوني.

تنبيه: نقل ما في هذا الكتاب من كتاب الله الذي جمع علم الأولين والآخرين، ومن تفسير الثعلبي، وتفسير الزمخشري، وتفسير الإمام فخر الدين [الرازي][(٢)]، وتفسير مكي، وتفسير ابن عطية، وتفسير الكواشي، ومن البخاري، ومسلم، [٣/أ] والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وابن منده، وابن منصور، وابن جرير، وابن المبارك، وابن راهويه، وابن عساكر، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي، والحاكم، والبزار، والدارقطني، ومسند أحمد، والطيالسي، وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والموطأ، وأبو داود، وأبو يعلى، وأبو الشيخ، وأبو

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

نعيم، ونعيم بن حماد، والديلمي، وهناد، والأصفهاني، والخطابي، والخطيب، والإحياء للغزالي، والدرة الفاخرة له، ومن كتب التاريخ كمسالك البكري، وبهجة النفس، [والجعفرية][(١)] وخريدة العجائب، ومن [الهبة][(٢)] السنية للحافظ السيوطي، وشرح الصدور له، والبدور السافرة له، ومن شرح البخاري للحافظ ابن حجر، والروح لابن القيم، وبحر الكلام للنسفي، وشرح العقائد للسعد، ومن تذكرة القرطبي، ومن كنز الأسرار ولواقح الأفكار، وهو أجلُّ كتب هذا الفن إلى غير ذلك من التصانيف المفيدة، والرسائل العديدة، فصار مجتمعًا في هذا المؤلَّف ما هو [متفرق][(٣)] في كتب كثيرة غيره، والله أسأل أن لا ينساني من بره وخيره إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قديرٌ، وبالإجابة جدير.

لطيفة: قد أحببت أن أذكر في صدر هذا الكتاب، ما يسر ذوي الفضائل والألباب، ممن بلغ في الرتبة لأن يحسدوا، وبما يرتدع به الحسود ويكمد.

روى القاسم بن أصبغ وأبو بكر بن أبي شيبة بإسنادهما عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دَبَّ إِلَيْكُم دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُم الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ وَهِي الحَالِقَةُ لا أَقُولُ إِنَّهَا تَحْلِقُ الشَّعْرَ، [٣/ب] وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلا أُنَبِّئُكُم بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم"[(٤)]. ورواه أيضًا الترمذي وأحمد وهو حديث صحيح.

---

(١) في الأصل: (والجعرفية) ولعلها الرسالة الجعفرية للكركي علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي العاملي، الملقب بنور الدين، مجتهد الشيعة بأصبهان في حكومة شاه طهماسب الصفوي. قال يوسف بن أحمد البحراني في كتاب لؤلؤة البحرين، بعدما أثنى عليه: كان لا يركب ولا يمشي إلا والشبان يمشون في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين، وعلى من طريقهم، توفي بالنجف الأشرف سنة ٩٤٠. انظر: هدية العارفين: ٣٩٥/١.

(٢) في الأصل: (الهيئة).

(٣) في (ر): (مفترقٌ).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٣٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي رِوَايَتِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ فَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ يَعِيشَ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ مَوْلَى الزُّبَيْرِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنْ الزُّبَيْرِ. وأخرجه أحمد: ٤٣/٣.

وفي الحديث: "إِنَّ الغِلَّ وَالحَسَدَ يَأْكُلانِ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ"(١).

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا(٢)".

وفي الحديث: "إِنَّ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى أَعْدَاءً، قِيلَ: مَنْ أَعْدَاءُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ"(٣). وعن [معاوية](٤) أنه قال لابنه: يا بني إياك والحسد، فإنه يبين فيك قبل أن يبين في حاسدك.

وقال بعض الحكماء: إياكم والحسد فإن الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض. يُشير إلى إبليس وقابيل.

ورُوِيَ عن الأحنف بن قيس قال: لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، [ولا صديق لملول](٥)، ولا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لسيئ الخلق(٦). وقال ابن سيرين: مَا حَسَدْتُ أَحَدًا على شيءٍ [في](٧) الدنيا، فإن كان من أهل الجنة، فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة؟ ! وإن كان من أهل النار، فكيف أحسده وهو صائر إلى النار؟!

وقال الحسن البصرى: يابن آدم لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله عز وجل لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله، وإن كان غير ذلك، فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره إلى النار.

---

(١) أخرجه أبو داود: ٢٧٦/٤، رقم: (٤٩٠٣). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد: (ص ٤١٨)، رقم: (١٤٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢٦٦/٥، رقم: (٦٦٠٨) بلفظ: إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وضعفه الألباني.

وأخرجه بلفظ الغل والحسد: الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: (١٤٥/١) عن أنس، وهناد في الزهد: ٦٤١/٢، رقم (١٣٩١) عن الحسن.

(٢) أخرجه مسلم: (١٩٨٦/٤، رقم ٢٥٦٤)، وأحمد: (٢٧٧/٢، رقم ٧٧١٣)، والبيهقي (٩٢/٦، رقم ١١٢٧٦).

(٣) لا أصل له: ذكره السبكي في أحاديث الإحياء: ٤٠/١، وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس "إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم".

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) في الأصل: (ولا صدق لملوك).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب: ٢٧٣/٥ وفيه: ولا حيلة لبخيل.

(٧) في الأصل: (من).

وقال بعضهم: ليس شيءٌ أَضَر من الحسد يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود: غَمٌّ لا ينقطع، ومصيبةٌ لا يُؤجر عليها، وَمَذَمَّةٌ لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، وتغلق عنه أبواب التوفيق.

وقد ورد في ذم [٤/أ] الحاسد آثار كثيرة وأخبار شهيرة، ولقد أحسن بعض الفضلاء حيث قال:

أَلا قُــلْ لِمَــنْ كَــانَ لِــي حَاسِــدًا ... أَتَــدْرِي عَلَــى مَــنْ أَسَــأْتَ الأَدَب
أَسَــأْتَ عَلَــي اللهِ فِــي فَــضْلِهِ ... لأَنَّــكَ لَــمْ تَــرْضَ لِــي مَــا وَهَــب
فَجَــازَاكَ مِنْــهُ بِــأَنْ زَادَنِــي ... وَسَــدَّ عَلَيْــكَ وُجُــوهَ الطَّلَــب(١)

واعلم أن من أشد الناس تحاسدًا العلماء، لا سيما في زماننا هذا، ابتلاهم الله بذلك نعوذ بالله من ذلك. روى ابن السكن بإسناده عن ابن عباس قال: "[استعملوا](٢) علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أَشَدُّ تَغَايُرًا مِنَ التيوس في زربها(٣)".

وروى مقاتل، وابن حبان، وعطاء الخراساني، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، قال: خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا أقوال الفقهاء بعضهم من بعض، فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة(٤).

وعن مالك بن دينار قال: يؤخذ بقول القراء والعلماء في كل الأقوال إلا قول بعضهم [على](٥) بعض، فلهم أشد تحاسدًا من التيوس، [من](٦) تنصب لها الشاة الصارف فيقتلها هذا من هنا، وهذا من هنا.

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة نسبها صاحب غرر الخصائص إلى محمود الوراق، وانظر: ١/٢٦١.

(٢) هكذا بالأصل، وفي جامع بيان العلم وفضله: (استمعوا).

(٣) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/٢٩٥.

(٤) ذكه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/٢٩٥.

(٥) في الأصل: (في).

(٦) ساقط من (ر).

وعن ابن وهب أنه قال: لا تجوز شهادة القراء بعضهم على بعض - يعني العلماء - لأنهم أشد تحاسدًا وتباغضًا.

وعن مالك بن دينار قال: إني أجيز شهادة القراء على جميع الخلق، ولا أجيز شهادة بعضهم على بعض. وكذلك قال سفيان الثَّوْري.

وروى سحنون، عن ابن وهب، عن عبد العزيز بن أبي حازم قال: سمعت أبي يقول: العُلَمَاءُ كانوا يَقُولُونَ فيما مضى من الزمان: إذا لقي العالم من هو فوقه، كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزهُ عليه [٤/ب] حتى إذا كان هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع عنه الناس حتى يروا أنه ليست بهم حاجة إليه، ولا [يذكر][(١)] من هو مثله، ويهزي عَلَى مَنْ هُو دُونَهُ، فهلك الناس، فإذا وقع مثل هذا في زمانهم وزمن السلف، فلأن يقع مثله في الخلق أجدر سيما لما جبل عليه أبناء هذا الزمان من الأتراب، والأقران من جَحدِ الفضائل مع قيام الدلائل، ويحبون لأنفسهم - دون غيرهم - الرئاسة والتعظيم، ويُسارعون إلى نبذ من تلوح عليه شواهد العلم بالقول الذميم، وينتقدون على من صَنَّفَ كتابًا، ويلتمسون بانتقادهم العثرات، ويحسبون السيئات حسابًا، ويضربون صفحًا عن الحسنات، فأصبحت أعراض المصنفين أغراض سهام ألسنة الحُسَّاد، ونفائس تصانيفهم معرضة بأيديهم تنتهب فوائدها، ثم ترميها بالكساد، ولقد أحسن الإمام أبو حنيفة [حيث قال][(٢)] رضي الله عنه [حيث حسدوه][(٣)]:

[البسيط]

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِم ... قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُم مَا بِي وَمَا بِهِمُ ... وَمَاتَ أَكْثَرُهُم غَيْظًا بِمَا يَجِدُوا

إذا تقرر ذلك فلنشرع في المقصود من الكتاب بعون الله الملك الوهاب.

---

(١) في (ر): (يُذَاكِر).

(٢) في (ر): (بقوله).

(٣) ساقط من الأصل.

[أبواب الكتاب](1)

١ - الباب الأول: في ذكر العالم العلوي.

٢ - الباب الثاني: في ذكر العالم السفلي.

٣ - الباب الثالث: في ذكر خلق الإنس والجن.

٤ - الباب الرابع: في ذكر الموت وما يتعلق به.

٥ - الباب الخامس: في أشراط الساعة.

٦ - الباب السادس: في قيام الساعة، وخراب هذا العالم وتغيير نظامه.

٧ - الباب السابع: في ذكر المحشر والوقوف والحساب وما يتعلق بذلك.

٨ - الباب الثامن: في ذكر الجنة ونعيمها.

٩ - الباب التاسع: [٥/أ] في ذكر النار وعذابها.

١٠- الباب العاشر: في ذكر مسائل متفرقة.

وقد ذكرت في كل باب عِدَّة فُصُول كَمَا سَتَرَاهَا فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) إضافة من المحقق.

مقدمة

اعلم أَنَّ العَالم اسم لما سوى الله [سبحانه و][1] تعالى مِمَّا يعلم به وَيُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِسَبَبِهِ، وَسُمِّي العالم عالمًا؛ لأنه علم على وجود الصانع جل ذكره.

ولذلك قال بعضهم: أصل عالم: علم، فزيدت الألف للإشباع، يقال: عالم الأجسام، وعالم الأعراض، وعالم النبات، وعالم الحيوان، إلى غير ذلك.

وهو إما علوي: كالعرش والكرسي والسماوات وما فيهن.

وإما سفلي: كالأرضين وما فيهن. وهو إما أعيان أو أعراض.

فالعين: ما قام بنفسه.

والعرض ما لا يقوم بنفسه، بل بغيره كاللون والطعم والصوت، وهو بجميع أجزائه محدث. بمعنى أنه كان معدومًا فوجد، والمحدث له هو الله تعالى، القديم[2]، الحي، القادر، السميع، البصير، ليس سبحانه بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا معدود، ولا محدود، ولا متبعض، ولا متجز، ولا مركب، ولا متناه، ولا يوصف بالماهية ولا بالكيفية، ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا يشبهه شيء، ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء، وله سبحانه وتعالى صفات أزلية قائمة بذاته، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والبقاء.

وهو تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، فكل أفعالهم بإرادته، ومشيئته، وحكمه، وقضائه[3]، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به

---

(١) ساقط من: (ر).

(٢) قال المجتهد الامام السبكي في طبقات الشافعية: ٤١/٩ حيث قال: وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة فنقول: عقيدتنا أن الله قديم أزليٌّ، لا يُشْبِهُ شيئا ولا يشبهه شيء، ليس له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقتٌ ولا زمان، ولا يقال له أين ولا حيث، يُرَى لا عن مقابلة ولا على مقابلة، كان ولا مكان، كوَّن المكان، ودبَّرَ الزمان، وهو الآن على ما عليه كان، هذا مذهب أهل السنة، وعقيدة مشايخ الطريق رضي الله عنهم.

(٣) قال أبو حنيفة: جميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خلقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى =

العقول، ليس قبله شيء، ولا بعده شيء، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، تنزه سبحانه وتعالى عن الكيفية، وتعزز - جل ذكره - عن الأينية، [٥/ب] [ووجد][1] في كل شيء، وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء، وتعالى عن الضدية، وهو أول كل شيء وليس له آخرية، إن قلت أين؟ فقد طلبته بالأينية، وإن قلت: كيف؟ فقد طالبته بالكيفية، وإن قلت: متى؟ فقد زاحمته بالوقتية، وإن قلت: ليس، فقد عطلته عن الكونية، وإن قلت: لو، فقد قابلته بالنقصية، وإن قلت: لم؟ فقد عارضته في الملكوتية، لا يسبق بقبلية، ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية، ولا يقرب بشكلية، ولا يعاب بزوجية، ولا يُوصف بجوهرية، ولا يعرف بجسمية، لو كان [شبحًا][2] لكان معروف الكمية، بل هو واحد ردًّا على الثنوية، صمد ردًّا على الوثنية، لا مثل له طعنًا على الحشوية، لا كفؤ له ردًّا على من ألحد في الوصفية، لا يتحرك متحرك لا بخير أو شر في سر أو جهر في بر أو بحر إلا بإرادته وقدرته ردًّا على القدرية، خلق الخير وارتضاه، وخلق الشر وقضاه، وأثاب

=

وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته، لا بمحبته ولا برضاه ولا بأمره. انظر: الفقه الأكبر: ٣٠٣.

وقال: خلق الله تعالى الخلق سليما من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى ونصرته له. انظر: الفقه الأكبر: ٣٠٢-٣٠٣. والصواب: خلق الله تعالى الخلق على فطرة الإسلام، كما سيبينه الإمام أبو حنيفة في قوله الآتي.

وقال: وأخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر، فجعلهم عقلاء، فخاطبهم وأمرهم بالإيمان، ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيمانا، فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم. انظر: الفقه الأكبر: ٣٠٢.

وقال: وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ. انظر: الفقه الأكبر: ٣٠٢.

وقال: لم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولكن خلقهم أشخاصا، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره، فإذا آمن بعد ذلك، فإذا علمه مؤمنا أحبه من غير أن يتغير علمه. الفقه الأكبر: ٣٠٣.

(١) في الأصل: (وُجِد).

(٢) في (ر): (شيخا).

من أطاعه، وعذب من عصاه ردًّا على الجبرية، لا تضاهى قدرته، ولا تناهى حكمته، تكذيبا للهذيلية، حقوقه الواجبة وحجته الغالبة، ولا حق لأحد عليه إذا طالبه، نقضًا لقاعدة النظامية، خلق كل جسم وما فيه من لونٍ وطَعْمٍ وصحةٍ وسُقْمٍ وذوقٍ وشمٍ وفرحٍ وهمٍ إبطالا لمذهب العمرية، عادل لا يظلم في أحكامه، صادق لا يخلف في إعلامه، متكلم بكلام أزلي، لا خالق لكلامه(١)، أنزل القرآن فأعجز به الفصحاء في

(١) الذي عليه أئمة السنة والحديث أن الله تعالى لم يزل موصوفاً أنه متكلم ويتكلم إذا شاء، فكلامه قديم النوع حادث الآحاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَئِمَّتِهِمْ: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إذَا شَاءَ وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ، وَالْقُرْآنُ وَغَيْرُهُ مِنْ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ كَلَامُ اللَّهِ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ لَيْس بِبَائِنٍ عَنْهُ مَخْلُوقًا. وَلَا يَقُولُونَ إنَّهُ صَارَ مُتَكَلِّمًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا وَلَا أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ حَادِثٌ، بَلْ مَا زَالَ مُتَكَلِّمًا إذَا شَاءَ وَإِنْ كَانَ كَلَّمَ مُوسَى وَنَادَاهُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَكَلَامُهُ لَا يَنْفَدُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. مجموع الفتاوى.

وأما القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلما فهذا قول الكرامية وليس قول أهل السنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قَوْلُ الهشامية والكَرَّامِيَة وَمَنْ وَافَقَهُمْ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ حَادِثٌ قَائِمٌ بِذَاتِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِكَلَامِ، بَلْ مَا زَالَ عِنْدَهُمْ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ وَإِلَّا فَوُجُودُ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ فِي الْأَزَلِ مُمْتَنِعٌ، كَوُجُودِ الْأَفْعَالِ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ مَنْ وَافَقَهُمْ مَنْ أَهْلِ الْكَلَامِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

وقال رحمه الله: وَهَذَا بَاطِلٌ. وَهُوَ الَّذِي أَبْطَلَهُ السَّلَفُ بِأَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ وَالْإِرَادَةِ وَالْفِعْلِ: إمَّا أَنْ يَكُونَ صِفَةَ كَمَالٍ أَوْ صِفَةَ نَقْصٍ فَإِنْ كَانَ كَمَالًا فَلَمْ يَزَلْ نَاقِصًا حَتَّى تُجَدِّدَ لَهُ ذَلِكَ الْكَمَالَ وَإِنْ كَانَ نَقْصًا فَقَدْ نَقَصَ بَعْدَ الْكَمَالِ.

فالفرق بين مذهب أهل السنة وبين مذهب الكرامية: أن الكرامية يقولون: إن الكلام كَانَ ممتنعاً عليه، أي: أنه لم يتكلم ولم يكن موصوفاً بكلام ولا بخلق ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا رزق، ثُمَّ تحولت من الامتناع الذاتي إِلَى الإمكان الذاتي فحدثت له قدرة وإرادة وكلام.

فالفرق أن أهْل السُّنّةِ وَالْجَماعَةِ لا يقولون إن الكلام كَانَ مستحيلاً عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تكلم! وإنما يقولون: إنَّ كلامَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قديمُ النوعِ حادثُ الآحاد أي: أن نوع الكلام قديم أو أزلي النوع، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يزل متكلماً متى شاء كيف شاء، ولكنه متجدد الآحاد أنزل التوراة، ثُمَّ أنزل الإنجيل، ثُمَّ أنزل القُرْآن وقولهم: ولكن نوع الكلام أزلي لا أول له.

أي: لم يكن الله عَزَّ وَجَلَّ في الأزل غير متكلم ثُمَّ ظهر وبدا له الكلام وتحول من الامتناع إِلَى الإمكان، كما تقول الكرامية. وقد سبق أن قلنا إن قولهم مندثر، فقد انقرضت هذه الفرقة. من شرح العقيدة الطحاوية للدكتور سفر الحوالي.

نظامه، إرغامًا لحجج المرداوية، يستر العيوب، ويغفر الذنوب لمن يتوب دحضًا للبشرية، تنزه عن الزيف، وتقدس عن الحيف، ونؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين، وأنه أضل الكافرين [٦/أ] ردًّا على الهشامية، ونصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس ردًّا على الجعفرية، ونقر أنه يرى نفسه، ويرى غيره، وأنه سميع [لكل][(١)] نداء، بصير بكل خفاء ردًّا على الكعبية، خلق خلقه في أحسن فطرة، وأعادهم بالفناء في ظلمة الحفرة، وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة، ردا على الدهرية[(٢)]، فإذا جمعهم ليوم حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر، كما يُرَى القمر، فلا يحتجب إلا على من أنكر الرؤية من المعتزلة والجهمية.

تنبيه: سُئِلَ بعض العلماء عن الله تعالى فقال: إن سألت عن أسمائه فقوله [تعالى][(٣)]: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وإن سألت عن صفاته فقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص١-٤]. وإن سألت عن أقواله، فقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وإن سألت عن أفعاله فقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) في (ر): (بكل).

(٢) الدهرية: الذين يقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، يقولون: ليس لنا ربّ يتصرّف فينا، وإنّما هذا الوُجود إنّما هو نتيجة الطّبيعة والصُّدفة ليس له ربٌّ أوجده وخلقه، وإنّما يتفاعل هذا الوُجود بنفسه، فتتكوّن هذه الأشياء من تفاعُل هذا الكون، ويجحدون وُجود الخالق سبحانه وتعالى، وهؤلاء يقال لهم: المعطِّلة الدهريّة.

وقد ردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، وردّ عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، لأن القول لا بد أن يكون مستنداً إلى بُرهان، وأين بُرهانهم؟ لأن البرهان إنما على أنّ هذا الخلْق له خالق، هذا هو البُرهان الذي تقرّه الفطر والعقول.

فلا يُتصوّر ولا يُعقل أن يوجَد مخلوق بدون خالق، فلا عاقل في الدّنيا يتصوّر أنّ هذا الكون وُجد بدون خالق، لأن هذا من باب العبث بالعُقول، هل تجدون - مثلاً- أنّ قصراً تكوّن بدون عمال وبدون بانٍ؟ هذا محال هل تجدون- مثلاً- شجرة وُجدت بدون أسباب وبدون بِذار وبدون سقي؟، لا بدّ من أسباب لوجودها. انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: ٣١٦/٢.

(٣) ساقط من الأصل.

وإن سألت عن نعته فقوله: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وإن سألت عن ذاته فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]... إلخ.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] المراد بذلك: نفوذ الأوامر والنواهي، ووقوع الحوادث على وفق إرادته تبارك وتعالى.

وسأل رجل الجاحظ: مُنْذُ مَتَى كَانَ رَبُّنَا؟

قال: عليك أن تحاسب مع نفسك حتى أتفرغ لجوابك.

فَلَمَّا فَرِغَ قَالَ: أي الحساب عقدته أولا؟

فقال: الواحد.

قال: وهل وجدت قبل الواحد في حسابك شيئًا؟

قال: لا.

قال: فاعلم أنه لم يكن قبله شيء؛ لأنه واحد، وليس قبل الواحد شيء.

وسأل قوم عليًا - كرم الله وجهه – فقالوا: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أين كان ربنا، أو هل له مكان؟

فتغير وجهه [٦/ب] وسكت ساعة، ثم قال: قولكم: أين؟ سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان له، ثم خلق المكان والزمان، وهو الآن كما كان بلا مكان ولا زمان.

وروي عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلا سأله عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

فقال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيفية غير معقولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالا، فأخرجوه فإذا هو جهم بن صفوان(١).

وفي تفسير البغوي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢]. قال: لا فكرة في الرب(٢).

---

(١) انظر: أصول الإيمان، لمحمد بن عبد الوهاب: ٤٣/١.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤١٤/٧، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٦٦٢/٧) والمتقي في كنز العمال: (٣٦٩/٣) للدارقطني في الأفراد وذكره القرطبي: ١١٥/١٧.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: "تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ، فَإِنَّهُ لا تُحِيطُ بِهِ الفِكْرَةُ"(١).

وفي الحديث: "لا تَتَفَكَّرُوا فِي عِظَمِ رَبِّكُم، وَلَكِنْ تَفَكَّرُوا فِيمَا خَلَقَ مِنَ المَلائِكَة، فَإِنَّ خَلْقًا مِنَ المَلائِكَةِ يُقَالُ لَهُ: إِسْرَافِيلُ، زَاوِيَةٌ مِنْ زَوَايَا العَرْشِ عَلَى كَاهِلِهِ، قَدَمَاهُ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، وَقَدْ مَرَّتْ رَأْسُهُ مِنْ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَإِنَّهُ لَيَتَضَاءَلُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَصِيرُ كَأَنَّهُ الوَصَعُ"(٢). وهو طائر دون العصفور.

وقال الشافعي: من انتهض لطلب مدبره فإن انتهى إلى موجود ينتهي إلى فكرة، فهو مُشَبِّهٌ، وإن اطمأن إلى نفي محض فهو معطل، وإن اطمأن إلى موجود، واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد.

وعن علي: أنَّ العقل لإقامة رسم العبودية [و](٣) لإدراك الربوبية.

وفي الحديث: أنَّ الله تعالى احتجب عن العرش، كما احتجب عن [الأبصار](٤)، وأنَّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم. [انتهى](٥).

وسئل أعرابي عن دليل وجود الصانع، فقال: البعرة تدل على البعير، وآثارالأقدام تدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على العليم الخبير؟!. [وهي خطبة كعب جد النبي صلى الله عليه وسلم لقومه](٦).

---

(١) أخرجه الرافعي: ١/ ٢٨٠، بلفظ: تفكَّروا في خلق الله ولا تفكروا في الله، عن أبي هريرة، وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر، وأبو الشيخ في العظمة، والطبراني في الأوسط، وابن عدي، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه، والأصبهاني، وأبو نصر وقال: غريب عن ابن عمر. أخرجه أبو الشيخ: (١/ ٢١٠، رقم ١)، والطبراني في الأوسط: (٦/ ٢٥٠، رقم ٦٣١٩)، قال الهيثمي: (١/ ٨١): فيه الوازع بن نافع وهو متروك، وابن عدي: (٧/ ٩٥، ترجمة ٢٠١٧، وازع بن نافع العقيلي)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/ ١٣٦، رقم ١٢٠) قال البيهقي: هذا إسناد فيه نظر بلفظ: "تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله".

(٢) لم أجده. وقد ذكره علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية: ١/ ٤٢٤.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) في الأصل: (البصائر).

(٥) ساقط من (ر).

(٦) ساقط من الأصل.

وسئل صوفي عن [٧/أ] الدليل على أنَّ الله [تعالى][(١)] واحد فقال: أغنى الصباح عن المصباح.

وعن جعفر الصادق قال: صحبت أربعمائة صوفي وسألتهم عن أربع مسائل فلم يجبني واحد منهم عنها فاغتممت لذلك، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم منامًا فسألني عن حالي فأخبرته بذلك فقال: سَلْ مَسَائِلَكَ. فقلت له: ما حقيقة التوحيد؟ وما حد العقل؟ وما حد التصوف؟ وما حقيقة الفقر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أَمَّا حقيقة التوحيد: فهو مهما خطر ببالك فهو هالك، والله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك.

وأَمَّا حد العقل: فأدناه ترك الدنيا، وأعلاه ترك التفكر في ذات الله عز وجل.

وأما حد التصوف: فترك الدعاوى وكتمان المعاني.

وأما حقيقة الفقر: فهو أن لا تملك شيئًا، ولا يملكك شيءٌ، وأنت راضٍ عن الله تعالى في الحالتين.

---

(١) ساقط من الأصل.

فائدة: في ذكر شيء من
كرم الله وعفوه

ففي البخاري، عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ[(١)]". وفي مسلم: قال عبد الله بن قيس: "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله أنهم يجعلون له [أندادا][(٢)]، ويجعلون له ولدًا وهو يرزقهم، ويعافيهم ويعطيهم"[(٣)].

وفي البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله [تعالى][(٤)]: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُ مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ"[(٥)].

وفيه أيضًا:

" أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شبرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٤٨) ومسلم، برقم (٢٨٠٤).

(٢) في (ر): (ندا).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٧٢٦٠).

(٤) ساقط من (ر).

(٥) أخرجه البخاري: (٦/٢٧٣٥) وأخرجه أحمد: (٢/٥٤٠، رقم ١٠٩٨٩)، وابن ماجه (٢/١٢٤٦، رقم ٣٧٩٢)، قال البوصيري: (٤/١٢٧): هذا إسناد حسن. والبيهقي في شعب الإيمان: (١/٣٩١ رقم ٥٠٩). وأخرجه أيضًا: ابن حبان: (٣/٩٧ رقم ٨١٥).

(٦) أخرجه أحمد: (٢/٤١٣، رقم ٩٣٤٠)، والبخاري: (٦/٢٦٩٤، رقم ٦٩٧٠)، ومسلم: (٤/٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥)، والترمذي (٥/٥٨١، رقم ٣٦٠٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (٢/١٢٥٥، رقم ٣٨٢٢)، وابن حبان: (٣/٩٣، رقم ٨١١).

وفي البخاري أيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ [٧/ب] اللهِ عَلَى العِبَادِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُم عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ لا يُعَذِّبُهُم(١)".

وفي البخاري أيضًا، عن المغيرة، قال: قال: سعد بن عبادة: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي(٢)".

ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة.

وفيه أيضًا من حديث أبي هريرة قال: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ هُو يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُو وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"(٣).

وفيه أيضًا عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يَدُ اللهِ مَلْأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَإِنَّهُ لَم يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٩٣٨).

(٢) أخرجه أحمد: (٢٤٨/٤، رقم ١٨١٩٣)، والبخاري: (٢٦٩٨/٦، رقم ٦٩٨٠)، ومسلم: (١١٣٦/٢، رقم ١٤٩٩). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٤٥٠/٥، رقم ٢٧٨٨٤)، وعبد بن حميد: (ص ١٥١، رقم ٣٩٢)، وأبو عوانة: (٢١٥/٣، رقم ٤٧٢١).

(٣) أخرجه أحمد: (٢٥٩/٢، رقم ٧٥٢٠)، وإسحاق بن راهويه: (٤٠٩/١، رقم ٤٥٩)، والبخاري: (٢٦٩٤/٦، رقم ٦٩٦٩)، ومسلم: (٢١٠٧/٤، رقم ٢٧٥١)، وأبو نعيم في الحلية: (٨٧/٧)، والديلمي: (٤٢١/٣، رقم ٥٢٨٧).

(٤) أخرجه أحمد: (٣١٣/٢، رقم ٨١٢٥)، والبخاري: (٢٦٩٩/٦، رقم ٦٩٨٣)، ومسلم: (٦٩١/٢، رقم ٩٩٣).

وقال: " عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيْزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ[1]، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَلا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُو سَرِيعُ الحِسَابِ ".

(١) أخرجه أحمد: (٢/٥٠٠، رقم ١٠٥٠٧)، والبخاري: (٦/٢٦٩٧، رقم ٦٩٧٦)، ومسلم: (٢/٦٩١، رقم ٩٩٣)، والترمذي: (٥/٢٥٠، رقم ٣٠٤٥) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (١/٧١، رقم ١٩٧).

الباب الأول
في ذكر العالم العلوي

وهو اسم لما فوقنا من عرش، وكرسي، ولوح، وقلم، وجنة، وسماء، وملك، وشمس، وقمر، وغير ذلك. واعلم أنَّ العالم كله محدث، وقد أجمع أهل الحق على حدوثه، [٨/أ] إذ هو مُتَغَيِّرٌ، وكل متغير حادث، وقد ثبت بالدلائل القطعية امتناع القول بوجود حوادث لا أَوَّلَ لَها.

ففي البخاري، عن عمران بن حصين قال: "إِنِّي عِنْدَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ قَومٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَسَأَلُوهُ، عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ؟

قَالَ: كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ"(١).

واختلفوا: لم خلق الله الخلق؟

فقيل: خلقهم لأجل محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل: خلقهم ليعبدوه لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقيل: خلقهم للاختلاف الواقع بينهم، لقوله تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وقيل: خلقهم ليعرف، فلو لم يخلق لما عرف، ويُؤَيِّدُ هَذَا مَا وَرَدَ في بعض الكتب المنزلة، بقول الله تعالى: كنت كنزًا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق، وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وقال بعضهم: خلق الخلق ليظهر معرفتهم، ويرزقهم ليظهر إحسانه، ويميتهم ليظهر سلطانه، ويحييهم ليظهر قدرته، ويعذبهم ليظهر نقمته، ويدخلهم الجنة ليظهر رحمته.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٩٨٢).

وقال بعضهم: خلق الخلق لأمر عظيم غيبه عنهم، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ولذلك قيل: إن بالمشرق مَلكًا وبالمغرب آخر، يُنَادِي أحدهما الآخر يقول: ألا ليت هذا الخلق لم يخلقوا، فيجيبه الآخر: ويا ليتهم إذا خلقوا عرفوا لِمَ خُلِقُوا.

إذا تقرر ذلك فنقول وبالله المستعان.

فصل
في أَوَّلِ المَخْلُوقَاتِ

وقد اختلف العلماء فيه، فقيل: الماء. وقيل: الهواء. وقيل: الغمام؛ وهو السحاب الرقيق. وقيل: العرش، وقيل: القلم. ولكل قول دليل.

روى الترمذي عن أُبي بن كعب قال: سمعت رسول [٨/ب] الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَى بِمَا هُو كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ"(١). قال عبد الرحمن بن أبي زرارة: وهذا الحديث من الصحاح. وقال الحافظ أبو [يعلى](٢) الهمداني: الأصح أنَّ العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن [عمرو](٣) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "[إِنَّ اللهَ قَدَّرَ](٤) مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ(٥)".

فهذا صريح أنَّ التقدير وَقَعَ بَعْدَ خلق العرش؛ لأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، لحديث عبادة بن الصامت مرفوعًا: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ(٦)". رَوَاهُ أحمد والترمذي وَصَحَّحَهُ.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣١٩) وقال: حسن غريب، وفيه عن ابن عباس. وصححه الألباني.

(٢) في الأصل: (العلا).

(٣) في الأصل: (عمر).

(٤) في الأصل: (قدر الله).

(٥) أخرجه أحمد: (١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٩)، والترمذي: (٤٥٨/٤، رقم ٢١٥٦)، وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضًا: البزار: (٤٢٦/٦، رقم ٢٤٥٦)، وعبد بن حميد: (ص ١٣٦، رقم ٣٤٣)، والرافعي: (٤٤٨/٣).

(٦) أخرجه الطيالسي: (ص ٧٩، رقم ٥٧٧)، والترمذي: (٤٥٧/٤، رقم ٢١٥٥) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: الضياء (٣٥١/٨، رقم ٤٢٩). وأخرجه أبو داود: (٢٢٥/٤، رقم ٤٧٠٠)، والبيهقي (٢٠٤/١٠، رقم ٢٠٦٦٤)، والضياء: (٢٧٤/٨، رقم ٣٣٦) وأخرجه أيضًا: الطبراني في الشاميين: (٥٨/١، رقم ٥٩).

فعلم مما سلف أنَّ القلم خلقه الله تعالى لما أمره بتقدير هذا العالم المخلوق في ستة أَيَّام، وأنَّ هذا التقدير المخصوص به وبحوادثه، كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة كما نَبَّهَ عليه ابن تيمية رحمه الله.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في (قانونه): إِنَّ أَوَّل ما خلق الله العرش، فكان عرشه على الماء ما شاء أن يكون، وَكَانَ الماء على متن الريح وفي الهواء.

قال: وفي الخبر الصحيح، عن ابن عباس: "أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ العَرْشَ [فوضعه على الماء وكان خلق العرش](١) قَبْلَ خَلْقِ الكُرْسِي بِأَلْفَي عَامٍ ". وَسَيَأْتِي أَنَّ الكُرْسي خُلِقَ قَبْلَ القلم.

وروى أحمد والترمذي، وصححه من حديث أبي رُزَيْن العُقِيْلي أنَّ الماء خلق قبل العرش(٢).

وروى السدي بأسانيد مُتَعَدِّدَة أَنَّ الله تعالى لم يخلق شيئًا مِمَّا خلق قبل الماء.

والمشهور الذي عليه الجمهور من العلماء أنَّ أَوَّلَ المخلوقات نور نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، كَمَا ستسمع فيما سيأتي إن شاء الله تعالى [٩/أ].

قُلتُ: والجمع بين مَا مَرَّ من الأحاديث المتعارضة على ما أشار لبعضه (صاحب المواهب) أنَّ من قال: القلم أَوَّلُ المخلوقات؛ يعني بالنسبة لما عدا العرش، والكرسي، والماء، والهواء، والنور المحمدي، وهكذا يُقال في كل واحد أوليته بالنسبة لما عدا ما قبله.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) أخرجه أحمد: (١١/٤، رقم ١٦٢٣٣)، وابن جرير في التفسير: (٤/١٢)، والطبراني: (٢٠٧/١٩، رقم ٤٦٨)، وأبو الشيخ: (٣٦٣/١، رقم ٨٣). وأخرجه أيضًا: الطيالسي: (ص ١٤٧، رقم ١٠٩٣)، والترمذي: (٢٨٨/٥، رقم ٣١٠٩)، وابن ماجه: (٦٤/١، رقم ١٨٢).

فصل في النور المحمدي ﷺ[1]

قال (في المواهب القسطلانية): روى عبد الرزاق بسنده، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أوَّل شيءٍ خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: "يَا جَابِرُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورُ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورُ يَدُورُ بِالقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَلَم يَكُن [فِي][2] ذَلِكَ الوَقْتِ لَوحٌ، وَلا قَلَمٌ، وَلا جَنَّةٌ، ولا نَارٌ، ولا مُلْكٌ، ولا سَمَاءٌ، ولا أَرْضٌ، وَلا شَمْسٌ، ولا قَمَرٌ، ولا جِنِّيٌّ وَلا إِنْسِيٌّ، فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ قَسَّمَ ذَلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فَخَلَقَ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ القَلَمَ، وَمِنَ الثَّانِي اللَّوحَ، وَمِنَ الثَّالِثِ العَرْشَ، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ حَمَلَةَ العَرْشِ، وَمِنَ الثَّانِي الكُرْسِيَّ، وَمِنَ الثَّالِثِ بَاقِي المَلائِكَةَ، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّمَوَاتِ، وَمِنَ الثَّانِي الأَرْضِينَ، وَمِنَ الثَّالِثِ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نُورَ أَبْصَارِ المُؤْمِنِينَ، وَمِنَ الثَّانِي نُورَ قُلُوبِهِم، وَهِيَ المَعْرِفَةُ بِاللهِ، وَمِنَ الثَّالِثِ نُورَ أُنْسِهِمْ، وَهُو التَّوحِيدُ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ[3]". الحديث.

---

(١) في الأصل: (عليه الصلاة والسلام).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) موضوع: ذكره اللكنوي في الآثار المرفوعة:١/٤٢.

وهذا الحديث هو عمدة الصوفية فيما زعموه واعتقدوه ونشروه أن الرسول هو قبة الكون، وهو أول الوجود، وأنه جزء من نور الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وأن كل المخلوقات خلقت بأجزاء منه، بل قال ابن العربي أن الرسول هو الذي استوى على عرش الله حيث يقول بالنص: بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي.انظر: الفتوحات المكية: ١/١٥٢.

وقد شرح هذه العبارات القاشاني شارح فصوص الحكم وحديث جابر المكذوب هذا هو الذي جاء متأخرو المتصوفة وبنوا عليه أن القرآن أنزله الرسول من فوق سبع سماوات وأن محمدا هو الذي أعطاه جبريل في السماء واستلمه في الأرض !!يقول محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة: ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم استغراب سيدنا جبريل عليه السلام مما قاله لجابر "أن أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر "سأل الرسول =

وروى ابن العربي نزيل دمشق بسنده من حديث إسحاق بن بِشر القُرَشِي، عن مُقَاتِل بن سُلَيْمَان، عن الضَّحَّاك بن مزاحم، عن ابن عباس - وإن كان أبو الشيخ أخرجه من طريق [٩/ب] أبي عصمة وهو كَذَّاب وَضَّاع - قال: "لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ أولًا خَلَقَ نُورًا، وَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ ظُلْمَةً، وَخَلَقَ مِنْ تِلْكَ الظُّلْمَةِ نُورًا، وَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَاقُوتَةً غِلَظُهَا غِلَظُ السَّبْعِ سَمَاوَاتِ وَالسَّبْعِ أَرَاضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ، ثُمَّ دَعَى تِلْكَ اليَاقُوتَةَ فَلَمَّا سَمِعَتْ كَلامَ اللهِ تَعَالَى ذَابَتِ اليَاقُوتَةُ فَرقًا حَتَّى صَارَتْ مَاءً فَارْتَعَدَ المَاءُ مِنْ دَهْشَةِ تَلْكَ المَهَابَةِ وَالخَوْفِ، ثُمَّ خَلَقَ الرِّيحَ، ثُمَّ وَضَعَ المَاءَ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ، ثُمَّ خَلَقَ العَرْشَ، فَوَضَعَ العَرْشَ عَلَى المَاءِ، وَخَلَقَ لِلْعَرْشِ

=

جبريل قائلا: يا جبريل كم عَمّرت من السنين؟ فقال جبريل: يا رسول الله لست أعلم غير أنه في الحجاب الرابع نجم يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة ورأيته سبعين ألف مرة، فقال صلى الله عليه وسلم: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب. ثم سأل الرسول جبريل عن المكان الذي يأتي منه الوحي؟ فقال: حينما أكون في أقطار السموات والأرض أسمع صلصلة جرس فأسرع' إلى البيت المعمور فأتلقى الوحي فأحمله إلى الرسول أو النبي فقال الرسول له: اذهب إلى البيت المعمور الآن واتل نسبي "فذهب جبريل مسرعا إلى البيت المعمور وتلا نسب النبي قائلا "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ...فانفتح البيت المعمور ولم يسبق أن فتح من قبل ذلك فرأى جبريل النبي بداخله !! فتعجب فعاد مسرعا إلى الأرض فوجد الرسول في مكانه كما تركه مع جابر فعاد بسرعة خارقة إلى البيت المعمور فوجده صلى الله عليه وسلم هنالك، ثم عاد مسرعا إلى الأرض فوجده مازال جالسا مع جابر فسأل جبريل عليه السلام جابرا قائلا: هل ترك رسول الله مجلسه هذا؟ فقال جابر: كلا يا أخا العرب فإننا لم ننته بعد من الحديث الذي تركتنا فيه !!فقال جبريل للنبي: إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تَعَبِي؟ فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا: للتشريع يا أخي جبريل، وتلا قوله تعالى ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾ وأضاف "كل هذه الأدلة توضح أن القرآن وهو أكبر معجزة للنبي كان عند النبي قبل البيت المعمور وقبل جبريل وهو والخلق جزء من كل. تبرئة الذمة: ١٠٠: ١٠١.

وليس بعد هذا الكفر والزندقة كفر ولا زندقة، بل ولا هذيان وكل هذا الذي جعلوه أحاديث ما هو إلا افتراءات لا أصل لها ولا توجد في ديوان معلوم من دواوين السنة بل كتبها المتصوفة ونقلوها ودونوها وزعموا أنهم ينصحون بها الأمة والعجب أن هذا الكتاب ظهر في مصر منذ عشر سنوات، وقد أفتى العلماء بكفر من يعتقد ما فيه ووجوب منع نشره ولكن العجب أنه طبع طبعات أخرى ومازال يوزع في كل مكان!!.

أَلْفَ لِسَانٍ لِكُلِّ لِسَانٍ أَلْفُ لَونٍ مِنَ التَّسْبيحِ والتَّحْمِيْدِ وَكَتَبَ فِي قُبَالِهِ أَنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا وَحْدِي لا شَرِيْكَ لِي، وَمُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي فَمَنْ آمَنَ بِرَسُولِي وَصَدَّقَ بِوَعْدِي أَدْخَلْتُهُ جَنتِي ثُمَّ خَلَقَ الكُرْسِيَّ بَعْدَ عَرْشِهِ بِأَلْفَيْ عَامٍ... الحديث " إلى قوله: " ثُمَّ خَلَقَ القَلَمَ مِنْ نُورٍ وَجَعَلَ طُولَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، فَخَرَّ للهِ سَاجِدًا، ثُمَّ خَلَقَ اللَّوحَ المَحْفُوظَ فَخَرَّ أَيْضًا سَاجِدًا... الحديث"(١).

ففي هذا أنَّ القلم خلق قبل اللوح، وهو كذلك، وسيأتي تتمته إذا تقرر ذلك، فعلم على ما قال بعض علماء أهل الكشف من الصوفية: أنه لما تعلقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، وذلك أنَّه سبحانه اقتطع قطعة من نور لم تكن به مُتَّصِلَة، فتكون عند القطع مُنْفَصِلَة، ولكن لَمَّا أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ إيجاده على الصورة التي أراد، فكان محمد زين العُبَّاد، فلما أبدعه الله حقيقة مثلية، وجعله نشأة كلية حيث لا أين ولا بين، قال له: أنا المَلك، وأنت المُلك وأنا المدبر، وأنت الفلك، وسأقيمك فيما يتكون عنك من مملكة عظمتي، وطامة كبرى سايسًا، [١٠/أ] ومدبرًا، وناهيًا، وآمرًا، وتعطيهم على حد ما أعطيك، وتكون فيهم كما أنا فيك، فحد الحد، والزم العهد، وسائلك بعد التنزير والتدبير، عن النقير والقطمير، فتصيب لهذا الخطاب عَرَقًا حَيًّا، فَكَانَ ذَلِكَ العَرَقُ الظَّاهِرُ مَاء، وهو الذي نَبَّأَ بِهِ الحَقُّ تَعَالَى فِي صحيح الأنباء، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] ثُمَّ انبجست منه عليه الصلاة والسلام عيون الأرواح، فظهر الملأ الأعلى فكان لهم المورد الأحلى، ثم نظر الله تعالى إلى ما أوجده في قلبه من مكنون الأنوار، ورفع عنه ما اكتنفه من الأسرار، فتجلى له من جهة القلب والعين، حتى تكاثف النور من الجبهتين، فخلق الله تعالى من ذلك النور الناشئ عنه عليه الصلاة والسلام العرش العظيم، ثُمَّ نظر له مَرَّةً أُخْرَى، فانبعثت منه أشعة استدارت أنوارها كاستدارة المرآة فخلق منها الكرسي الكريم، ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ أنوار التمام، فكان عنها السبع الطرائق مُتَمَاسَّة الأجرام، فنظر عليه الصلاة والسلام

---

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة: ٢٤٢/١، وعزاه لكتاب: في العظمة من حديث ابن عباس، وقال: فيه حبيب بن أبي حبيب وأبو عصمة نوح بن أبي مريم.

ذاته بعين الاستقصاء، إذ قد أنشأه الحق سبحانه وتعالى محل الإحصاء، فقبض عليه سُبْحَانَهُ عند هذه النظرة، ومرور هذه الخطرة قبض الجلال والهيبة؛ ليخرج ما بقي من الأشعة في تلك الغيبة، فعندما اشتد عليه الأمر، وقوي عليه القهر رشح لتلك الضغطة، فكان ذلك الرشح ماء، ثم نفس عنه يسيرًا، فكان ذلك النفس هو إثم أوقف على سر جبهته التي قبضه منها فلاح له ميزان العدل قائمًا، فزفر زفرة، فكانت تلك الزفرة نارًا كبحرين تلاطما، فستر عليه ميزان العدل حجاب الفضل، فوجد برد الرحمة، فيبس ما بقي من الرشح فكان ذلك البرد واليبس [١٠/ب] أرضًا، ثم ناداه في الحضرة العلية يا محمد هذه أصول الكون فصرها إليك، ثم امزج بعضها ببعض لديك، فهو عليه الصلاة والسلام أصل الموجودات، ونور الكائنات، وهو أصل الوجود وسيده، ومبدأ العالم ومدده، وهو صلى الله عليه وسلم المشار إليه في قول [بعض][(١)] ذوي العرفان: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

---

(١) ساقط من الأصل.

فصل

في القلم

قال الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

ففي تفسير مكي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أنَّ (نون) الدواة. و(القلم) هو القلم المعروف، قال: خلق الله النون وهو الدواة، وخلق القلم، فقال [له][(١)]: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة من عمل [عامل][(٢)] معمول بر أو فجور، ورزق مقسوم حلال أو حرام. ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه من دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم هو، وخروجه منها كيف"[(٣)].

وفي بعض التفاسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ، وَهُو الدَّوَاة"[(٤)]. وأخرج البزار، عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ فَقَالَ: [اجْرِ][(٥)]. فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ[(٦)]". قال علي بن المديني: إسناده حسن[(٧)].

وفي تفسير الثعلبي: قال ابن عمر: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ مِنْ نُورٍ، [وَ][(٨)] طُولُهُ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، فَقَالَ لِلْقَلَمِ: [اجْرِ][(٩)].

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة، وقال: فإن صَحّ الحديث فهو أولى في تفسير الآية. والدر المنثور: ١٣٩/٩، وتفسير الطبري: ١٠/٢٩.

(٤) انظر: البحر المديد: ٣٨٠/٦، والدر المنثور: ١٣٩/٩، وتفسير الثعالبي: ١٢٠/٤.

(٥) في الأصل، و(ر): (اجري).

(٦) أخرجه البزار: ١٦٣/٧.

(٧) قال الفاسي في بيان الوهم والإيهام: ٦١٠/٣: هذا من حديث أهل الشام، وإسناده حسن، ذكر ذلك علي بن المديني. ورواه الترمذي بإسناد آخر.

(٨) ساقط من الأصل.

(٩) في الأصل، و(ر): (اجري).

فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلٍ بِرِّهَا وَفَاجِرِهَا وَرَطْبِهَا وَيَابِسِهَا"[١].

وقال وهب بن منبه: "خلق الله القلم من نور طوله خمسمائة عام، قبل أن يخلق الخلق فقال له: اكتب.

فقال القلم: وما أكتب يارب؟

قال: اكتب علمي [١١/أ] في خلقي إلى يوم القيامة. فجرى القلم على علم الله[٢].

قال: وسن القلم مشقوقة ينبع منها المداد".

ومن حديث ابن العربي السابق، ثُمَّ خلق القلم من نور، وجعل طوله من السماء إلى الأرض فخر [لله][٣] ساجدًا، ثم خلق اللوح المحفوظ، فخر لله أيضًا ساجدًا، ثم قال: لهما ارفعا رؤوسكما، وخلق للقلم ثلاثمائة وستين سنًا، يستمد كل سن من ثلاثمائة وستين بحرًا من العلوم، واللوح من زمردةٍ خضراء له دفتان من ياقوت، فقال للقلم: اكتب.

فقال: ماذا أكتب يا رب؟

قال: اكتب في اللوح المحفوظ قضائي في خلقي، وعلمي، وقدري الذي قدرته عليهم، وكل ما هو كائن، فجرى القلم في اللوح المحفوظ يكتب، والحق يُملي ما هو كائن إلى يوم القيامة.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٠٦١/١.

(٢) ذكره صاحب فتح البيان: ١٧١/١٥، وعزاه إلى أبي الشيخ، وقال: قال السيوطي سنده جيد عن ابن عباس.

(٣) ساقط من الأصل.

فصل

في اللوح المحفوظ

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢].

فعن ابن عباس رضي الله [تعالى][(١)] عنهما في تفسير هذه الآية: "أَنَّهُ لوحٌ من درة بيضاء طولُهُ مَا بَيْنَ السَّماءِ والأرض، وعَرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه من ياقوتة حمراء، وأصله في حجر ملك يقال له: ماطريون، محفوظ من الشياطين، ومن أن يبدل أو يغير، لله فيه في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستون لحظة يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء"[(٢)]. وعن ابن عباس أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

قال: "إنَّ للهِ لَوحًا محفوظًا مسيرة مائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة، له فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ يعني اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير[(٣)]". حكاه الثعلبي.

وحكى أيضا في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

"إنَّ مما خلق الله لوحًا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، وينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة [١١/ب] يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾"[(٤)].

وقال وهب بن منبه: "خلق الله لوحًا من درة بيضاء، قلمه من زمردة خضراء، وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يحيي، ويميت، ويُعز، ويُذل، ويرفع أقوامًا، ويخفض آخرين، ويحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد"[(٥)].

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨، وتفسير الألوسي: ٣٣٩/٢٢.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢١/٦، وتفسير الثعلبي: ١٢٣٣/١.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٦١/٩، وتفسير ابن كثير: ٤٩٦/٧. أخرجه الحاكم في المستدرك:٥٦٥/٢، (٣٩١٧) وقال: صحيح الإسناد فإن أبا حمزة الثمالي لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط.

(٥) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وذكره السيوطي في اللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ٢٥/١.

وذكر الإمام فخر الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرَّعد: ٣٩] أنه اللوح المحفوظ(١). قال: وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي مُثْبَتَةٌ فيه(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّوْحَ المَحْفُوظَ، وَأَثْبَتَ فِيهِ جَمِيعَ أَحْوَالِ الخَلْقِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ ". وذكر الفخر أيضًا في [تفسير](٣) قوله تعالى: ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩].

إنَّ مِنْ فوائد هذا الكتاب أَنَّهُ تعالى إِنَّمَا كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ؛ لتقف الملائكة على إنفاذ علم الله تعالى في المعلومات، وَأَنَّهُ لا يَغِيبُ عَنْهُ مِمَّا في السموات والأرض شيء، فيكون ذلك عِبْرَة تامة للملائكة الموكلين باللوح [المحفوظ](٤)؛ لأنهم يقابلون به ما يحدث في هذا العالم، فيجدونه موافقًا له، وأمَّا موضع اللوح فقد مر أن أصله في حجر ملك.

وقال ابن عباس: "إِنَّ اللوح الذي ذكره الله تعالى هو في جبهة إسرافيل"(٥).

وقال مقاتل: "اللوح المحفوظ عن يمين العرش(٦)".

وفي تفسير الفخر من حديث البيهقي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "هُوَ إِسْرَافِيْلُ وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيهِ اللَّوحَ المَحْفُوظَ، فَإِذَا أَذِنَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ السَّمَاءِ أَو مِنَ الأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوحُ، فَضَرَبَ جَبْهَتَهُ، فَنَظَرَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ مِنْ عَمَلِ جِبْرِيلَ أَمَرَهُ بِهِ، أَوْ مِنْ عَمَلِ مَلَكِ المَوتِ أَمَرَهُ بِهِ...." (٧). الحديث.

و[من](٨) حديث إسحاق، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن: "ليس شيء أقرب إلى الله عزَّ وَجَلَّ بعد إسرافيل من ثلاثة: الرحمة [١٢/أ] وأم الكتاب والحكمة؛ فالرحمة عن يمينه، وأم الكتاب عن اليمين الأخرى - فإن كلتا يدي الله يمين مباركة طيبة - والحكمة فيما بين ذلك، فإذا أراد الله أن يقضي أمرًا قضاه بعلمه، ولا يشهده أحد من خلقه حين يحكمه".

---

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي: ١٩٣/٩. (٢) انظر: تفسير الرازي: ١٩٣/٩.

(٣) ساقط من الأصل. (٣) ساقط من الأصل.

(٥) القول منسوب إلى أنس ومجاهد في كتب التفاسير، وانظر: تفسير الطبري: ٩٠/٣٠.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٧٦/١٠.

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب: ١٧٦/١.

(٨) في (ر): (في).

وثبت في التفاسير: أنَّ الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات مثل الصلصلة على الصفوان، ففزعوا حتى إذا انقضى ذلك، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير.

تنبيه: إذا علمت ما مر فمذهب أهل الحق أن الله تعالى قدَّر المقادير، وما يكون من الأشياء قبل أن يكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها، وخالفت القدرية ومن ذهب إلى مذهبهم فقالوا: إنَّهُ سبحانه لم يقدر الأشياء، ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم: أي إنما [يعلم بها](١) سبحانه بعد وقوعها، وكذبوا على الله في قولهم ومذهبهم، وهو مذهب باطل، ويدل على بطلانه الكتاب والسنة.

أَمَّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وأما السنة: فما مر، وحديث مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كَتَبَ اللهُ مَقَادِيْرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"(٢).

وفي مسلم أيضًا حيث تحاج آدم وموسى وفيه قال آدم لموسى: "أفتلومني على أمر قد قدر علي قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"(٣).

وفي مسلم أيضًا من حديث علي بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه قال: "مَا [١٢/ب] مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلا وَكَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، إلا وَقَدْ كَتَبَ شَقِيَّةً أَوسَعِيدَةً. قال: فقال رجل: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيْرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسِيرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَسِيْرُونَ لِعَمَلِ أَهْلُ

---

(١) في (ر): (يعلمها).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٠٤٤، رقم ٢٦٥٣). وأخرجه أيضًا: الخطيب: (٢/٢٥٢، رقم ٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم: (٢٦٥٢).

الشَّقَاوَةِ"[١]. وقال البخاري في بعض طرقه في هذا الحديث: "اعْمَلُوا كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسِّرَ لَهُ"[٢]. وفي تفسير الكواشي: للسعادة علامات: لين القلب، وكثرة البكاء، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وكثرة الحياء[٣]. وللشقاوة [خمس][٤] علامات: قسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقلة الحياء. وفيه أيضًا عن بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]. خاطبهم قبل خلقهم فسماهم كافرين ومؤمنين في أذلة، فأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم، وقدر عليهم، وأخبر أنه علم ما يكون من خير أو شر. وفي الحديث: "خُلِقَ فِرْعَونُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِرًا، وَخُلِقَ يَحيَى بنِ زَكَرِيَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا"[٥]. فثبت بالكتاب والسنة بطلان قول القدرية، وفي الحديث: "القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُم، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُم[٦]".

---

(١) أخرجه أحمد: (١/١٢٩، رقم ١٠٦٧)، والبخاري: (٤/١٨٩١، رقم ٤٦٦٥)، ومسلم: (٤/٢٠٣٩، رقم ٢٦٤٧)، وأبو داود: (٤/٢٢٢، رقم ٤٦٩٤)، والترمذي: (٥/٤٤١، رقم ٣٣٤٤) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد: (ص ٥٧، رقم ٨٤)، وأبو يعلى: (١/٤٣٧، رقم ٥٨٢).

(٢) أخرجه أحمد: (١/١٢٩، رقم ١٠٦٧)، والبخاري: (٤/١٨٩١، رقم ٤٦٦٥)، ومسلم: (٤/٢٠٣٩، رقم ٢٦٤٧)، وأبو داود: (٤/٢٢٢، رقم ٤٦٩٤)، والترمذي: (٥/٤٤١، رقم ٣٣٤٤) وقال: حسن صحيح.

(٣) انظر: البحر المديد: ٣/١٨٥.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) أخرجه ابن عدي: (٦/٢١٢، ترجمة ١٦٨٥ محمد بن سليم أبو هلال الراسبي) وقال: ولأبي هلال غير ما ذكرت، وفي بعض رواياته ما لا يوافقه الثقات عليه، وهو ممن يكتب حديثه. والطبراني: (١٠/٢٢٤، رقم ١٠٥٤٣)، قال الهيثمي (٧/١٩٣): إسناده جيد. وابن عساكر: (٦٤/١٨٠). وأخرجه أيضًا: الديلمي (٢/١٨٩، رقم ٢٩٤٣) جميعا عن ابن مسعود.

(٦) من حديث ابن عمر: أخرجه أبو داود: (٤/٢٢٢، رقم ٤٦٩١)، والحاكم: (١/١٥٩، رقم ٢٨٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي: (١٠/٢٠٣، رقم ٢٠٦٥٨). وأخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم في السنة: (١/١٤٩، رقم ٣٣٨)، وابن جرير الطبري في صريح السنة: (١/٢١، رقم ٢١)، والديلمي: (٣/٢٣٧، رقم ٤٧٠٥) وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير: (٢/٣٤١). وأخرجه أيضًا: ابن عدي: (٢/٢٠٧، ترجمة ٣٩٤ الحكم بن سعيد المديني) وقال: قال البخاري: منكر الحديث. وحديث أبي هريرة، أخرجه ابن عساكر: (٣٧/٩٧).

وعن حذيفة: أخرجه أحمد: (٥/٤٠٦، رقم ٢٣٥٠٣)، وأبو داود: (٤/٢٢٢، رقم ٤٦٩٢)، والبيهقي: (١٠/٢٠٣، رقم ٢٠٦٥٩). وأخرجه أيضًا: البزار: (٧/٣٣٨، رقم ٢٩٣٧).

فصل

في العرش

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أَمَّا الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٦].

وأما السنة: فأحاديث جَمَّة منها ما مر، ومنها حديث الترمذي، عن أبي رزين العقيلي، قال: قُلْتُ يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق [١٣/أ] خلقه؟ قال: "كَانَ فِي عَمَاءٍ(١) مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوقَهُ هَواءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ"(٢).

ولعل في الحديث حذف مضاف تقديره: أين كان عرش ربنا؟ و(العماء) بالمد والقصر؛ وهو السحاب الرقيق، وقيل: هو الضباب. وأمَّا الإجماع فقال الإمام فخر الدين: اتفق المسلمون على أنه فوق السموات جسم عظيم هو العرش.

وقال وهب بن منبه: "أول ما خلق الله العرش، ثم خلق الكرسي من نور، فالعرش ملتصق بالكرسي، والماء في جوف الكرسي، والكرسي من نور يتلألأ"(٣).

وفي الثعلبي عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله: أي آية أنزلت عليك أعظم؟ قال: "آيَةُ الكُرْسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذر مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلَاةِ عَلَى الحَلَقَةِ"(٤).

وأخرج أبو الشيخ عن حَمَّاد قال: "خلق الله العرش من زمردة خضراء، وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء(٥)".

---

(١) قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: "العَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ".

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣١٠٩) وضعفه الألباني.

(٣) انظر: الدر المنثور: ١٧/٢، وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٢، وابن أبي حاتم: ٥٩١/١٢.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٤٠/٦.

وفي تفسير الزمخشري في سورة [المؤمنين][(١)]: خلق الله العرش من جوهرةٍ خضراء، وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام.

وفي تفسير الثعلبي روى لقمان بن عامر، عن أبيه قال: إن الله خلق العرش من جوهرة خضراء لها ألف ألف رأس، في كل رأس ألف ألف وجه وستمائة ألف وجه، والوجه الواحد كطباق الدنيا ألف ألف مرة، وستمائة ألف مرة، و[في الوجه الواحد][(٢)] ألف ألف لسان، كل لسان يسبح الله بألف ألف لغة، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة، وأن لله تعالى ملكًا يقال له: حزقيائيل له ثمانية [عشر][(٣)] ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، [١٣/ب] ثم أوحى الله إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة ثم لم ينل [رأسه][(٤)] قائمة من قوائم العرش، ثم زاد الله له في الأجنحة والقوة، وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة، فلم ينلها، فأوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الأعلى، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فقال عليه الصلاة والسلام: "اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُم"[(٥)].

وحكى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١].

حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده أنه قال: "في العرش تمثال ما خلق الله في البر والبحر، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[(٦)]".

---

(١) في الأصل: (المؤمن).

(٢) في الأصل: (كل وجه).

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) انظر: تفسير الثعالبي: ٢٦٨/٨.

والحديث أخرجه أبو داود، برقم: (٨٦٩) وضعفه الألباني.

(٦) انظر: مراح لبيد: ٥٧٩/١، والسراج المنير: ١٩٨/٢.

وحكى أيضًا عن علي بن الحسين: "أن الله تعالى خلق العرش، ثم جعله سبعين ألف ألف طبق ليس من ذلك طبق إلا يسبح الله ويمجده ويقدسه بأصواتٍ مختلفة"(١).

وعن كعب الأحبار أنه قال: لما خلق الله العرش قال: لن يخلق الله خلقًا أعظم مني فاهتز، فطوقه بحية وللحية سبعون ألف جناح، وفي الجناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، [والنبات](٢) وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، فالتوت الحية بالعرش فالعرش إلى نصف الحية. ذكره الكسائي في (تاريخه)، وهو من الواهيات.

---

(١) انظر: تفسير الثعالبي: ٢٩/١٠.

(٢) ساقط من (ر).

فصل

في حملة العرش

قال [الله] [1] تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ [غافر: ٧]. **وفي عددهم قولان:** فقيل: أربعة أملاك، وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، "فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية أملاك". [١٤/أ] حكاه غير واحد من المفسرين.

وقيل: "إنهم اليوم ثمانية"، وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا من حديث العباس بن عبد المطلب، خرَّجه الترمذي وأبو داوُد وحمل ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

أنهم يوم القيامة ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله.

وأما صفتهم: فعن أبي داود، عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنَ مَلائِكَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيْرَةُ سَبْعُمَائَةِ عَامٍ"[2]. وحكى الثعلبي، عن ابن عباس أَنَّهُ قَالَ: "حملة العرش مَا بَيْنَ كَعْبِ أَحَدِهِم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام"[3].

وقال ابن عباس: "لما خلق الله حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي فلم يطيقوا، فخلق مع كل ملك منهم من الأعوان مثل جنود سبع سموات وسبع [أرضين][4]، وما في الأرض من عدد الحصى والثرى، فقال: احملوا عرشي فلم يطيقوا، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقالوها، فاستقلوا بعرش ربنا، فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى، فلم تستقر، فكتب

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/٢٣٢، رقم ٤٧٢٧)، وابن عساكر: (٤٣/٦٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: (٤/٤١٥)، قال ابن كثير: هذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات. وأبو الشيخ: (٣/٩٤٨، رقم ٤٧٦). قال الحافظ في الفتح: (٨/٦٦٥): إسناده على شرط الصحيح.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي: ٨/٢٦٦.

(٤) في (ر): (أراضين).

في قدم كل ملك منهم اسمًا من أسمائه تعالى، فاستقرت أقدامهم"[(١)].

قلت: إذا علمت ذلك، فالحامل للعرش في الحقيقة إنما هو الله تعالى، وما خلق حملة العرش لحاجته إليهم لحمل عرشه، ولا اللوح والقلم لضبط معلوماته، بل هو مُسْتَغْنٍ عن ذلك [كله][(٢)] غير محتاجٍ لشيءٍ من مخلوقاته، وإنما ذلك حكم دالة على كمال قدرته ووجوب وحدانيته، لا إله إلا هو، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ورُوي أنَّ لِكُلِّ واحدٍ من حملة العرش أربعة أوجه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه [١٤/ب] نسر، ووجه إنسان. وله أربعة أجنحة، فجناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيحترق، وجناحان يطير بهما، ليس لهم كلام إلا التسبيح والتكبير والتحميد[(٣)].

وأما الملائكة الذين حول العرش، فقال وهب بن منبه: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، صفا خلف صف، يدورون حول العرش، يطوفون به، يقبل هؤلاء، ويدبر هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضًا هلَّلَ هؤلاء، وكَبَّرَ هؤلاء، من ورائهم سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم، قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم رفعوا أصواتهم، فقالوا: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، مَا أعظمك وأجلَّكَ، أنت الله لا إله إلا أنت، الكبير الأكبر، خلقت [الخلق][(٤)]، كلهم راجون رحمتك، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح [الله][(٥)] بتسبيحٍ مَا يُسَبِّحُهُ الآخر، مَا بَيْنَ جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة أربعمائة عام، واحتجب الله. [قلت: أي عرش الله][(٦)] تعالى بينه وبين الملائكة الذين هُم حول العرش بسبعين حجابًا من نور، وسبعين حجابًا من ظلمة، وسبعين حجابًا من دُرٍّ أبيض، وسبعين حجابًا من ياقوتٍ أحمر، وسبعين حجابًا من زمردٍ أخضر، وسبعين

(١) انظر: تفسير الثعلبي: ٨/٢٦٦.
(٢) ساقط من الأصل.
(٣) انظر: تفسير الثعلبي: ٨/٢٦٧.
(٤) في الأصل: (الخلائق).
(٥) ساقط من الأصل.
(٦) ساقط من الأصل.

حجابًا من ثلج، وسبعين حجابًا من ماء، وسبعين حجابًا من برد، وَمَا لا يعلمه إلا الله تعالى[(١)].

وقال يزيد الرقاشي: "إِنَّ للهِ مَلائكة حول العرش يسمون: المخلصين تجري أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة، يميدون كأنما [تنفضهم][(٢)] الرياح من خشية الله تعالى، فيقول لهم الرب عز وجل: [يا][(٣)] ملائكتي ما الذي يخيفكم؟

فيقولون: ربنا لو أن أهل الأرض اطلعوا من [١٥/أ] عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه، ما ساغوا طعامًا ولا شرابًا، ولا انبسطوا في فرشهم، ولخرجوا إلى الصحراء يخورون كما يخور الثور"[(٤)].

(١) انظر: تفسير البغوي: ١٠٦/٤، وتفسير الزمخشري: ١٥٢/٤.

(٢) في الأصل: (تفضضهم).

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٦٧/٨.

فصل

في الكرسي

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا أن العلماء اختلفوا فيه على أقوال.

فقيل: إنه مخلوق عظيم مستقل بذاته. وهو قول الجمهور(١).

وقيل: إنَّ الكرسي هو العرش بذاته. وهو قول الحسن البصري(٢).

وقيل: إنَّ المراد بالكرسي السلطان والقدرة.

وقيل: إن الكرسي هو العلم.

وقيل: إن المراد منه تصوير عظمة الله تعالى وكبريائه. وهو قول القفال.

وقيل: إنه موضع القدمين. رواه ابن جبير، عن ابن عباس.

قال الفخر: وقد دَلَّت الدلائل على نفي الجسمية، فوجب رد هذه الرواية، أو حملها على أنَّ المُرَاد بها موضع قدمي الروح الأعظم، أو ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى، والصحيح الأول.

وقد جاء في الحديث ما ظاهره ذلك، وهو قول المحققين من العلماء.

وَأَمَّا موضعه: فقال الإمام الفخر: جَاءَ في الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش، وفوق السماء السابعة. **وأَمَّا صفته**: فقال عنها أبو موسى والسدي وغيرهما: هو لؤلؤ، وما السموات السبع في الكرسي [إلا](٣) كدراهم سبعة ألقيت في ترس وهو مشتمل بعظمته على السموات والأرض.

وفي حديث أبي ذر السابق: "وَمَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الكُرْسِيّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيّ كَفَضْلِ الفَلاةِ عَلَى الحَلَقَةِ"(٤).

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ٣٤٢/١، وتفسير الثعلبي: ٥٠٢/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩/٥.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) أخرجه ابن حبان: (٧٦/٢، رقم ٣٦١)، وأبو نعيم في الحلية: (١٦٦/١).

وأما قوائمه؛ فقال علي ومقاتل رضي الله عنهما: "كل قائمةٍ من قوائم الكرسي طولها مثل السموات السبع والأراضين السبع، وهو بين يدي العرش"(١).

وقال وهب بن منبه: "للكرسي أربع قوائم، كل قائمةٍ منها مثل السموات والأرض، [١٥/ب] وجميع السموات والأرض والدنيا والآخرة، وكل ما خلق الله [تعالى](٢) في الكرسي كمثل حبة خردل في كف أحدكم".

وَأَمَّا حملته فعن علي ومقاتل رضي الله عنهما: "أنَّ الذين يحملون الكرسي أربعة أملاك، لِكُلِّ ملك أربعة وُجُوه، أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام".

وجاء في بعض الأخبار: "أنَّ بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابًا من ظلمة، وسبعين حجابًا من نور، وغلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، لولا ذلك لاحترقت ملائكة حملة الكرسي من نور حملة العرش(٣)". حكاه الثعلبي.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٣٤٨/١، وتفسير الخازن: ١٩٠/١.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٤٨/١، والسراج المنير: ١٦٩/١.

فصل

في الصور

ويدل على وجوده الكتاب والسنة، أَمَّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الحاقة: ١٣].

وأمَّا السنة ففي الترمذي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَد الْتَقَمَ صَاحِبُ الصُّورِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ".

فَقَالَ المُسْلِمُونَ: كَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: "قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ رَبِّنَا". قال: الترمذي: حديث حسن(١).

وفي الترمذي أيضًا، عن عبد الله بن عمر قال: قال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الصور؟ قال: "قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ". قال: هذا حديث حسن.

وقال مجاهد: "الصور هيئة البوق".

وقيل: هو بِلُغَةِ أهل اليمن، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ.

وفي الثعلبي من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ تَعَالى لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ

---

(١) أخرجه أحمد: (٧٣/٣، رقم ١١٧١٤)، وعبد بن حميد: (ص ٢٧٩، رقم ٨٨٦)، وأبو يعلى (٣٣٩/٢، رقم ١٠٨٤)، والترمذي: (٦٢٠/٤، رقم ٢٤٣١)، وابن حبان: (١٠٥/٣، رقم ٨٢٣)، والحاكم: (٦٠٣/٤، رقم ٨٦٧٨). وأخرجه أيضا الحميدي: (٣٣٢/٢، رقم ٧٥٤)، وأبو نعيم: (١٠٥/٥) وقال: غريب.

إِسْـرَافِيْلَ، فَهُـو وَاضِـعُهُ عَلَـى فِيـهِ، شَـاخِصٌ بِبَـصَرِهِ إِلَـى العَـرْشِ يَنْتَظِـرُ [١٦/أ] مَتَـى يُؤْمَرُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ مَا الصُّورُ؟

قَالَ: قَرْنٌ عَظِيمٌ.

قَـالَ: وَالـذِي بَعَثَنِـي بِـالحَقِّ إِنَّ أَعْظَـمَ دَارَةٍ فِيـهِ كَعَـرْضِ الـسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ... الحديث"[١].

وفـي بعـض التفاسـير أن فـي هـذا الـصور أرواح الخلائـق كلهـا إنـسها وجنهـا، وهوامها في الثقب التي في الصور المذكور؛ لأن فيه ثقبًا بعدد أرواح الخلائق كلهم، وسيأتي الكلام عليه.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢٩٢٨/٩.

فصل

في الجنة

وهي من العالم العلوي، قال فخر الدين: إنها فوق السَّمَوَاتِ تَحْتَ العَرْشِ[1].

وهذا الذي قاله هو الحق؛ لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن سقفها عرش الرحمن. وقد سُئِلَ أنس بن مالك عن الجنة: هل هي في السماء أو في الأرض؟ فقال: أي أرض وأي سماء تسع الجنة؟

قيل: فأين هي؟ قال: فوق السموات السبع تحت العرش.

تنبيه: ذهب جمهور الأُمَّة إلى أنَّ الجنة مخلوقة، وهي موجودة الآن[2].

وذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنها لم تخلق بعد، وبه قال: منذر بن سعيد البلوطي.

والدليل على أنها مخلوقة: الكتاب، والسنة، وجمهور الأمة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥].

وأما السنة: فأحاديث كثيرة منها ما في الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَي مَا

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ٢٩٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٢.

(٢) هكذا أيضا يرى ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٥٢).

والأشاعرة والسلف يرون ذلك ويرون أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وأنهما باقيتان. انظر: تفسير الزمخشري: ١٠٦/١، وقال: الذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام، كالنبي والرسول والكتاب ونحوها. فان قلت: ما معنى جمع الجنة وتنكيرها؟ قلت: الجنة اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان.

أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيْهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ [إِلَيْهَا فانظر ما أعددت لأهلها فيها قال فرجع إليها][(١)] فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: [١٦/ب] وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.

قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَمَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيْهَا. قَالَ: فَجَاءَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، [فرجع إليها][(٢)] فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا"[(٣)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وَمِنْهَا مَا فِي التِرْمِذي أَيْضًا من حديث بُريدة، وفيه: "فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ بِالذَّهَبِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟

فَقَالُوا: لِرَجُلٍ عَرَبِيٍّ.

فقلت: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟

قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ.

قُلْتُ: أَنَا مِنْ قُرَيْشٍ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟

قالوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

قُلْتُ: أَنَا [من أمة][(٤)] مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟

قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ... الحديث"[(٥)]. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي يَطُولُ ذكرها.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) أخرجه أحمد: (٢/٣٥٤، رقم ٨٦٣٣)، وهناد: (١/١٧٠، رقم ٢٤٢)، وأبو داود: (٤/٢٣٦، رقم ٤٧٤٤)، والترمذي: (٤/٦٩٣، رقم ٢٥٦٠) وقال: حسن صحيح، والنسائي: (٧/٣، رقم ٣٧٦٣)، والحاكم: (١/٧٩، رقم ٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/٣٤٧، رقم ٣٨٤).

(٤) ساقط من (ر).

(٥) أخرجه أحمد: (٥/٣٥٤، رقم ٢٣٠٤٦)، والترمذي: (٥/٦٢٠، رقم ٣٦٨٩) وقال: صحيح غريب. وابن خزيمة: (٢/٢١٣، رقم ١٢٠٩)، وابن حبان: (١٥/٥٦١، رقم ٧٠٨٦)، والحاكم: (١/٤٥٧، رقم ١١٧٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

واحتج المخالفون بقول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

وبما جاء في الأحاديث الصحيحة: من عمل كذا غرس له كذا.

وحديث الترمذي، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ"(١). حديث حسن صحيح.

وقالوا: لَو كَانَتْ مخلوقة لم يكن للدعاء في استئناف البناء والغراس.

فائدة:

وأُجِيبُ: بِأَنَّهُ لا مانع في أن يحدث الله في الجنة أشياءً يُنْعِمُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ شيئًا بعد شيءٍ وحالًا بعد حال، فيحدث فيها ما شاء من البنيان والغرس، كَمَا أَنَّ الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله فيها ما يشاء من بُنيان وغيره، وقد أطال ابن القيم الكلام على مذهب كل من الفريقين، وذكر ما احتج به كل منهم في أَوَّلِ كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) فراجعه [١٧/أ].

[وأما](٢) صفتها: وصفة نعيمها وما فيها، فسيأتي إن شاء الله تعالى آخر الكتاب.

---

(١) أخرجه الترمذي: (٥١١/٥، رقم ٣٤٦٤) وقال: حسن صحيح غريب. وأبو يعلى: (١٦٥/٤، رقم ٢٢٣٣)، وابن حبان: (١٠٩/٣، رقم ٨٢٦)، والحاكم: (٦٨٠/١، رقم ١٨٤٧) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) ساقط من (ر).

فصل

في سدرة المنتهى

قال الله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٤].

ذكر الثعلبي في تفسيره: أن السدرة واحد السدر، وهو شجر النبق[١].

وفي تفسير الزمخشري: هي شجرة نبقٍ في السماء السابعة عن يمين العرش، ثَمَرُهَا كالقلال، وورقها كآذان الفيلة، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها[٢].

وقال مُقَاتِل: هي شجرة لو أن ورقة منها وُضعت في الأرض، لأضاءت لأهل الأرض، تحمل الحلي والحلل والثمار في جميع الألوان، ولو أن رجلا ركب حقة، فطاف على ساقها، ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم، وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد[٣]، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ليلة الإسراء في السماء السابعة على ما في مسلم، عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثُمَّ ذَهَبَ بِي - يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام - إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلالِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا"[٤]. وفي طريق آخر: "ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى السِّدْرَةِ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهَا سِدْرَةٌ وَأَعْرِفُ وَرَقَهَا وَثَمَرَهَا[٥]".

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي: ١٤٢/٩.

(٢) انظر: تفسير الزمخشري: ٤٢١/٤.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي: ١٤٣/٦.

(٤) أخرجه أحمد: (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢٧)، ومسلم: (١٤٥/١، رقم ١٦٢)، وأبو يعلى: (١٠٩/٦، رقم ٣٣٧٥)، وفي (٢١٦/٦، رقم ٣٤٩٩). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٣٣٣/٧، رقم ٣٦٥٧٠)، وأبو عوانة: (١١٣/١، رقم ٣٤٤). والقلال: جمع قلة، والقلة: جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر.

(٥) أخرجه ابن منده في الإيمان: ٧٠٧/٢.

وفي طريق آخر: "ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ عليه السلام حَتَّى أَتَى بِي سِدْرَةَ المُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ مَا أَدْرِي مَا هِيَ"(١).

وفي طريق آخر أنه: "رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ. فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ [الأَنْهَارُ](٢)؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ(٣)"[١٧/ب].

وذكر البخاري هذه الأنهار الأربعة، وفي الحديث: "سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ، والفُرَاتُ، والنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ(٤)".

وروي: "أن دجلة نهر ماء أهل الجنة، والفرات نهر لبنهم، والنيل نهر خمرهم، وسيحان نهر عسلهم، وهذه الأربعة تجري من نهر الكوثر".

فائدة: اختلف العلماء في تسميتها بالمنتهى، فقيل: لأن إليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها لا يعلمه إلا الله [سبحانه وتعالى](٥).

وقيل: لأنه ينتهي إليها من مات على سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من أرواح المؤمنين.

وقال ابن مسعود والضحاك: أن تسميتها بذلك؛ لأن إليها ينتهي كل ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى.

واختلفوا في الذي (يغشى السدرة) على ما جاء في كتاب الله تعالى، فقيل: إِنَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري: (١٢١٧/٣، رقم ٣١٦٤)، ومسلم: (١٤٨/١، رقم ١٦٣)، وابن حبان: (٤١٩/١٦، رقم ٧٤٠٦). وأخرجه أيضًا: أبو عوانة: (١١٨/١، رقم ٣٥٤)، والنسائي في الكبرى: (١٤٠/١، رقم ٣١٤)، وأبو يعلى: (٢٩٧/٦، رقم ٣٦١٦)، وابن منده في الإيمان: (٧٢٠/٢، رقم ٧١٤).

(٢) في الأصل: (الأنهر).

(٣) أخرجه أحمد: (٢٠٨/٤، رقم ١٧٨٦٩)، والبخاري: (١٤١٠/٣، رقم ٣٦٧٤)، ومسلم: (١٤٩/١، رقم ١٦٤)، والنسائي في الكبرى: (١٣٨/١، رقم ٣١٣).

(٤) أخرجه مسلم: (٢١٨٣/٤، رقم ٢٨٣٩). وأخرجه أيضًا: أحمد: (٢٨٩/٢، رقم ٧٨٧٣) من حديث أبي هريرة. ومن حديث ابن عمر: أخرجه أيضًا: الديلمي: (٣٣٧/٢، رقم ٣٥٢١).

(٥) ساقط من (ر).

فِرَاش من ذهب[١]. قاله ابن عباس، وابن مسعود، وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: الذي يغشاها نور رب العزة، فاستنارت. قاله الحسن.

وقيل: الذي يغشاها الملائكة.

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِهَا مَلَكًا يُسَبِّحُ اللهَ وَيُقَدِّسُهُ"[٢].

وفي حديث أنس: "فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى مَا غَشِيَهَا تَحَوَّلَتْ يَاقُوتًا وَزُمُرُّدًا حَتَّى مَا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ يَصِفُهَا"[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢، وتفسير السمرقندي: ٣٦٠/٣.

(٢) وهذا من مراسيل عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَهُوَ ضعيف.

أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال قيل له: «يا رسول الله، أي شيء رأيت يغشى تلك الشجرة؟ فذكره وأتم منه» وعبد الرحمن ضعيف وهذا معضل.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/٢٢، وتفسير الثعلبي: ١٤٤/٩.

فصل

في البيت المعمور

قال الله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]. وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ففي صحيح مسلم، عن أنس: "أنه رَآهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَالخَلِيلُ عليه السلام مُسْنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ"(١).

وفي طريق آخر قال: "فَانْتَهَيْتُ إِلى بِنَاءٍ، فَقُلْتُ لِلْمَلَكِ: مَا هَذَا؟

قَالَ: بِنَاءُ المَلائِكَةِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُقَدِّسُونَ اللهَ تَعَالَى، [١٨/أ] وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ".

وفي تفسير الثعلبي: أنَّ الملائكة تعمره بالعبادة، وهو بيتٌ في السماء السابعة حِذَاءَ العرش بحيال الكعبة، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يَطُوفُونَ بِهِ، ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدًا، وخازنه ملك يقال له: رزين.

وقيل: كان البيت المعمور من الجنة، فحمل إلى الأرض من أجل آدم، ثم رفع إلى السماءِ في أيَّامِ الطوفان.

وقيل: إِنَّهُ كَانَ في السماء السادسة والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد: (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢٧)، ومسلم: (١٤٥/١، رقم ١٦٢)، وأبو يعلى: (١٠٩/٦، رقم ٣٣٧٥)، وفي (٢١٦/٦، رقم ٣٤٩٩). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٣٣٣/٧، رقم ٣٦٥٧٠)، وأبو عوانة: (١١٣/١، رقم ٣٤٤).

فصل

في ذكر السماوات

قال الله تعالى: ﴿[أَفَلَمْ][1] يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ [ق: ٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١]. إلى غير ذلك من الآيات، وقد اختلف المفسرون هل السماء مخلوقة قبل الأرض أو بعدها؟

[فذهب][2] ابن عباس أن الأرض خلقت قبل.

وبه قال الزمخشري، وجماعة من أهل العلم [وهو المعتمد][3].

قال ابن عباس: خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثم دحى الأرض بعد ذلك أي بسطها، وهذا الذي قاله. هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠].

وقال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [فصلت: ٩]. إلى قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ [سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ][4]﴾ [فصلت: ١٠]. أي: خلق الأرض وجبالها في الأحد والاثنين، وما فيها من الأقوات في الثلاثاء والأربعاء. وقالوا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ١١]. إن ثم للترتيب وقوله: ﴿في يَوْمَيْنِ﴾ هما يوم الخميس ويوم الجمعة إلى آخره. فإن فيه خلق آدم عليه السلام.

وذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ [١٨/ب] وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟

---

(١) في الأصل: (أولم) والصواب ما أثبتناه.

(٢) في (ر): (فمذهب).

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل.

فقال: "خَلَقَ الأَرْضَ [فِي](١) يَومِ الأَحَدِ وَالاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبَالَ يَومَ الثُّلاثَاءِ، وَالمَدَائِنَ وَالأَنْهَارَ وَالأَقْوَاتِ يَومَ الأَرْبَعَاءِ، وَالسَّمَوَاتِ والمَلائِكَةَ يَومَ الخَمِيسِ إِلى ثَلاثِ سَاعَاتٍ مِنْ يَومِ الجُمُعَةِ، وَخَلَقَ فِي أَوَّلِ الثَّلاثِ سَاعَاتِ الأَجَلَ، وَفِي الثَّانِيَةَ الآفَةِ، وَفِي الثَّالِثَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامَ.

قَالُوا: صَدَقت إِنْ أَتْمَمْتَ. قَالَ: وَمَا ذَلِكَ قَالُوا: ثُمَّ اسْتَرَاحَ يَومَ السَّبْتِ وَاسْتَلْقى عَلَى العَرْشِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. أَيْ: تَعَبٍ".

وفي مسلم، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: "خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَومَ السَّبْتِ وَخَلَقَ مَا فِيهَا مِنَ الجِبَالِ يَومَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَومَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَومَ الثَّلاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ الأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَومَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ يَومَ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ، وَآخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ"(٢). ومذهب قوم آخرين أن السماء خلقت قبل الأرض، وأن لفظة (ثُمَّ) في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] ليست للترتيب، بل لتعديد النعم، كما يقول الرجل لغيره: أليس قد أعطيتك النعم العظيمة، ثم رفعت قدرك، ثُمَّ دفعت الخصوم عنك؟ وأجاب بعضهم عن قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]. بأن (بعد) بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]. أي مع ذلك، وهذا اختيار فخر الدين.

ومذهب مُقَاتِل فعن مقاتل: أنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ يومي الأحد والاثنين، وقد مَرَّ مذهب ابن عَبَّاس وغيره: أنَّ السَّمَاء خلقت يومي الخميس والجمعة، وروي أنه فرغ منها في الساعة الأخيرة [١٩/أ] من يوم الجمعة، [التي](٣) [خلق](٤) فيها آدم، وفيها تقوم الساعة.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه أحمد: (٣٢٧/٢، رقم ٦٣٢٣) والبخاري في التاريخ: (٤١٣/١) وقال قال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح. ومسلم: (٢١٤٩/٤، رقم ٢٧٨٩)، والنسائي في الكبرى: (٢٩٣/٦، رقم ١١٠١٠). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة: (١١٧/٣، رقم ١٧٣١)، وأبو يعلى: (٥١٣/١٠، رقم ٦١٣٢) والديلمي (١٨٤/٢، رقم ٢٩٢٧).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) في (ر): (فخلق).

لطيفة: أخرج أبو الشيخ، عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ يَومَ الجُمُعَةِ".

وأخرج، عن ابن عباس قال: "إن الله خلق الجنة قبل النار، وخلق رحمته قبل غضبه"(١).

فوائد:

الأولى: في معنى قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]. أي ثم صنعهن وأحكمهن، وفرغ من خلقهن، وأوحى في كل سماءٍ أمرها.

وقال السدي وقتادة: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد، وما لا يعلمه إلا الله تعالى.

الثانية: في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

قال المفسرون: أي عمد، وتوجه إلى خلقها وتسويتها وهي دخان وهو بخار الماء، وذلك أنه تعالى لما خلق الأرض أرسل عليها الماء، فارتفع له بخار كالدخان، أو كان عرشه على الماء فخلق من ذلك الماء بخارًا، فارتفع، فيبس الماء، فجعله أرضًا واحدة، ثُمَّ فَتَقَهَا أرضين، ثم خلق السماء من ذلك البخار، أو أنه تعالى لما خلق الأرض أرسل عليها نارًا، فارتفع لها دخان، فخلق السماء منه.

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] أي: ائتيا بكل ما خلقت فيكما من المنافع والمصالح. وَأَخْرِجَاهَا لِخَلْقِي. قال ابن عباس: قال الله للسَّمَوَاتِ: أطلعي شمسك وقمرك ونجومك.

وقال للأرض: شقي أنهارك وأخرجي ثمارك طائعة أو كارهة.

فقالتا: أتينا طائعين(٢).

ولما وُصفا بالقول أجريا في الجمع مجرى من يعقل.

وهل وصفهما بالقول حقيقة أو مجاز.

قولان: الأظهر أَنَّهُ حقيقة؛ لأَنَّهُ لا يبعد أن يجعل الله لهما نطقًا وإدراكًا فنطقتا

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ١٣٧٢/٤.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٨٧/٨.

حقيقة، وبه قال جماعة من العلماء، واختاره ابن عطية، وقال: [١٩/ب] لأن العبرة فيه أتم، والقدرة فيه أظهر.

وقال جماعة: إنه مجاز وهو اختيار الزمخشري.

قال الثعلبي: بلغنا أن بعض الأنبياء قال: يا رب لو أنَّ السموات والأرض حين قلت لهما: ائتيا طوعًا أو كرهًا، عصتاك ما كنت تفعل بهما.

قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما.

قال: وأين تلك الدابة؟

قال: في مرج من مروجي.

قال: يا رب وأين ذلك المرج؟

قال: في علم من علومي[(١)].

الرابعة: في قوله: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] اختلف علماء التفسير في ذلك على أقوال، فقال ابن عباس، وعطاء، والضحاك، وقتادة: إنهما كانتا شيئًا واحدًا ملتزمتين، ففصل الله بينهما بالهواء.

وقال كعب الأحبار: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحًا توسطها ففتقها[(٢)].

وقال مُجاهد، وأبو صالح، والسدي: كانت السموات متألفة طبقة واحدة، ففتقها فجعلها سبع سموات.

قلت: لا خلاف بين هذه الأقوال بحسب الحقيقة.

وقال عكرمة، وعطية، وابن زيد: كانت السموات رتقًا لا تمطر والأرض رتقًا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات، نظيره قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١، ١٢].

قال: وأصل الرتق السد، ومنه قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقًا.

الخامسة: أخرج جرير، عن ابن مسعود، وناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي: ٨/٢٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٤٣١.

قال: سقف على الأرض كهيئة القبة[١].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾.

قال: بناء السماء على الأرض كهيئة القبة، وهي سقف على الأرض.

وأخرج أبو الشيخ، عن وهب، قال: كل شيء من أطراف السماء محدق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط، يعني الخيمة [٢٠/أ].

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/٣٦٧، وفي الدر المنثور: ١/٣٤.

فصل

في مقدار ما بين كل سماء وسماء

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ مَا بَيْنَ [كل](١) سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ(٢)" خرجه الترمذي. [وأخرج مثل هذا البزار بسند صحيح، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم](٣).

وفي حديث ابن مسعود: "وغلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة سنة".

وفي حديث العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أَتَدْرُونَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟

قَالُوا: لا وَاللهِ لا نَدْرِي. قَالَ: فَإِنْ بَعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا قَالَ: وَاحِدَةٌ، وَإِمَّا اثْنَتَانِ، وَإِمَّا ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةٍ(٤)". خرجه الترمذي.

وفي سنن ابن ماجه: "أنَّ ما بين السماء والأرض مسيرة ثلاث وسبعون سنة أو نحوهما، وكذا بين كل سماء وسماء".

وقال بعضهم: إنه حديثٌ صحيحٌ، وهو موافق لِمَا دَلَّ عليه علم الهيئة بأنَّ بين السماء والأرض ثمانين سنة مسافة كل يوم منها ثلاثون ميلا، إذا صعدت على استواء.

[قال](٥): وما يذكره الناس أن بينهما خمسمائة عام لا صحة له، ولا دليل عليه انتهى.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) أخرجه أحمد: (١/٢٠٦، رقم ١٧٧٠)، والترمذي: (٥/٤٢٤، رقم ٣٣٢٠)، وقال: حسن غريب. وأبو يعلى: (١٢/٧٥، رقم ٦٧١٣)، والحاكم: (٢/٣١٦، رقم ٣١٣٧). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه: (١/٦٩، رقم ١٩٣)، وابن عدي: (٧/٢٠٠ ترجمة ٢١٠٤ يحيى بن العلاء الرازي).

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) أخرجه أبو داود: (٤/٢٣١، رقم ٤٧٢٣)، وابن ماجه: (١/٦٩، رقم ١٩٣). وأخرجه أيضًا: أحمد: (١/٢٠٦، رقم ١٧٧٠)، والضياء: (٨/٣٧٤، رقم ٤٦٢).

(٥) ساقط من الأصل.

فصل

في عدد السماوات

وهي سبع بالكتاب والسنة، وذهب أهل الهيئة إلى أن الأفلاك تسعة: فلك القمر، وفلك عطارد، وفلك الزهرة، وفلك الشمس، وفلك المريخ، وفلك المشترى، وفلك زحل، وفلك الكواكب الثابتة، والفلك الأعظم.

وإلى إثبات هذه الأفلاك التسعة ذهب الإمام الفخر عملا على الرصد، وقال: إن التنصيص على عدد السموات لا يدل إلا على نفي الزائد.

قال: وأما ترتيب الأفلاك فأقربها إلينا سماء الدنيا، ثم يليها السماء الثانية، ثم كذلك إلى آخرها.

وحكي عن أهل الهيئة الترتيب المتقدم، وهو أنَّ أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثم كرة الزهرة، ثم كرة الشمس، ثم كرة المريخ، ثم كرة المشترى، [٢٠/ب] ثم كرة زحل، واستدلوا على ذلك بأن الكوكب الأسفل مع الكوكب الأعلى إذا نظر إليهما عند التقابل يكونان كوكبًا واحدًا، ويتميز الساتر عن المستور بما غلب عن ذلك الكوكب كحمرة المريخ، وصفرة عطارد، وبياض الزهرة، وكدرة زحل، ولأن القمر يكشف الشمس، والكواكب الستة، وعطارد يكشف الزهرة، والزهرة تكشف المريخ، وما ذكروه من ذلك غيب لا يعلم إلا بتوقيف.

وقد أنكره القاضي أبو بكر بن العربي، وقال: لا يقوم على هذا دليل، والله أعلم ولأهل الهيئة كلام كثير لا يقوم عليه دليل.

فصل

في أسماء السماوات وأسماء سكانها

ففي بعض التواريخ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: خلق الله السموات السبع، وسماهن بأسمائهن، وأسكن كل سماء صنفًا من الملائكة يعبدونه، وأوحى في كل سماء أمرها، فسمى السماء الدنيا (رفيعًا)، وقال لها: كوني زمردة خضراء، فكانت. وسمى الثانية (أزلقون)[1] وقال لها: كوني فضة بيضاء فكانت، وفيها ملائكة قيام على أقدامهم منذ خلقهم. وسمى الثالثة (قيدوم) وقيل: (عينًا)، وقال لها: كوني ياقوتة حمراء فكانت، ثم أطبقها بملائكة ركوع منذ خلقهم، وقد لصق بعضهم ببعض لو قطرت عليهم قطرة من ماء لم تجد منفذًا. وسمى الرابعة (عردًا) وقيل: (ماعونًا) وقال لها: كوني درة بيضاء فكانت، ثم [أطبقها][2] بملائكة سجود منذ خلقهم. وسمى الخامسة (ديفًا) وقيل: (سحيق)، وقال لها: كوني ذهبة حمراء فكانت، ثم أطبقها بملائكة بطحهم على وجوههم وعلى بطونهم وهم [الباكون][3] من خوف الله تعالى.

وسمى السادسة (رقعًا)، وقيل: (عدريدن)[4] وقال [٢١/أ] لها: كوني ياقوتة صفراء فكانت، ثم طبقها بملائكة قعود ترتعد فرائصهم، وتهتز رؤوسهم، لهم أصوات عالية، يسبحون الله عز وجل ويقدسونه، ولو قاموا على أرجلهم لبلغت أرجلهم نجوم الأرض السابعة، ولبلغت رؤوسهم السماء السابعة، وسيقومون يوم القيامة على أرجلهم بين يدي رب العالمين.

وسَمَّى السماء السابعة (عريبًا)، وقيل: (سمعوا)، وقال لها: كوني نورًا يتلألأ فكانت، ثم طبقها بملائكة قيامًا على رجل واحدة تعظيمًا لله تعالى، وإشفاقًا من

---

(١) في الأصل: (أزقلون).

(٢) في (ر): (طبقها).

(٣) في (ر): (البكاءون).

(٤) في الأصل: (عذربدن).

عذابه، قد خرقت أرجلهم الأرض السابعة السفلى، واستقرت أقدامهم على مقدار خمسمائة عام، فهي تحت الأرض كلها، كأنها الرَّايات البيض تجري تحتها ريح هفَّافة عاتية تحمل تلك الرَّايات في رؤوسهم تحت العرش يقولون: لا إله إلا الله ذو العرش المجيد الرفيع سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قدوس قدوس ربنا الأعلى، سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء، ويستغفرون للمؤمنين والمؤمنات، ثم يعودون في التسبيح والتحميد لله عز وجل وهم على هذه الحالة منذ خلقوا إلى يوم القيامة(١)، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦].

قلت: وفي صحة هذا عن سلمان بُعدا، وأيضًا فهذا غيب يحتاج إلى توقيف، فالله [تعالى](٢) يعلم حقيقة ذلك.

تنبيه: قال الإمام فخر الدين: الفلك في كلام العرب كل شيء دائر، وجمعه أفلاك، وفيه قولان:

فقيل: إنها أجسام تدور عليها النجوم، قاله أكثر المفسرين.

وقيل: إنه ليس بجسم، وإنما هو [٢١/ب] مدار النجوم.

وإذا قلنا بالقول الأول ففي كيفيته أقوال:

فقيل: إن الفلك موج مكفوف - أي مجموع - تجري فيه الكواكب.

وقال جمهور الفلاسفة، وأهل الهيئة: هي أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة، غير قابلة للخرق والالتئام، والحق ما قاله فخر الدين أنَّه لا سبيل لمعرفة السموات إلا بالخبر؛ لأن ذلك غيب، وقد قال القاضى ابن العربي: إن ذات السماء لا ترى إنما يرى الهواء والله أعلم.

لطيفة: من فضل السماء أن الله زينها بسبعة أشياء: بالنجوم، والشمس، والقمر، والعرش، والكرسي، واللوح، والقلم. وجعلها قبلة للدعاء، وجعل الأيدي ترفع إليها، وقدم ذكرها على ذكر الأرض في أكثر الآيات، وذكر السموات بلفظ الجمع،

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٠/٦٤٩٤.

(٢) ساقط من الأصل.

والأرض بلفظ الإفراد، وجعل لونها أخضر، وهو أمثل الألوان للبصر وتقوية له قاله الأطباء، ولذلك يأمرون من به وجع العين أن ينظر إلى الورقة الخضراء، فجعل الله أديم السماء أزرق نفعًا للأبصار، وتقوية لها، وجعل شكلها مستديرًا، وهو أفضل الأشكال.

فعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

قال: ذات البهاء والجمال.

وقال الحسن: ذات الخلق الحسن [تحبك](١) بالنجوم.

وقال أبو صالح: ذات الخلق السديد، وجعلها منزل الأبرار، ومحل [الصفاء](٢)، والطهارة، والعصمة، والعباد المكرمين.

وفي حديث المعراج أنه عليه الصلاة والسلام: "رَأَى آدَمَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَعِيْسَى، وَيَحْيَى فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَيُوسُفَ فِي الثَّالِثَةِ، وَإِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ، وَهَارُونَ فِي الخَامِسَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ"(٣).

وكذا في مسلم والبخاري "وَمُوسَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلامِ اللهِ تَعَالَى(٤)" صلوات [٢٢/أ] الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) في (ر): (محبك).

(٢) في (ر): (الصفوة).

(٣) أخرجه أحمد: (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢٧)، ومسلم: (١٤٥/١، رقم ١٦٢)، وأبو يعلى: (١٠٩/٦، رقم ٣٣٧٥)، وفي: (٢١٦/٦، رقم ٣٤٩٩). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٣٣٣/٧، رقم ٣٦٥٧٠)، وأبو عوانة: (١١٣/١، رقم ٣٤٤).

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٣٤٩) ومسلم، برقم (١٦٢).

فصل

في ذكر الشمس

قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨].

وقال [تعالى][1]: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. إلى غير ذلك من الآيات، وقد اختلف العلماء فيما خلقت منه الشمس، فقيل: من نور العرش.

وقيل: من نار. وقيل: إنها [فلك][2] أجوف مملوء نارًا يخرج منه هذا الوهج والشعاع. وقيل: إنها سحابة ملتهبة نارًا.

وقيل: هي أجزاء كثيرة من نار محرقة. وقيل: هو جوهر خامس زائد على العناصر الأربع. وقالت الفلاسفة: هي اجتماع أجزاء نارية تدفعها البحار.

والصحيح الأول لما روى الثعلبي، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَبْرَمَ خَلْقَهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرُ آدَمَ خَلَقَ شَمْسَيْنِ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنَّهُ لا يَطْمِسُهَا، فَخَلَقَهَا مِثْلَ الدُّنْيَا مَا بَيْنَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا، وَمَا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنَّهُ يَطْمِسُهَا، وَيُحَوِّلُهَا قَمَرًا فَخَلَقَهَا دُوْنَ الشَّمْسِ فِي العِظَمِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يُرَى صِغَرُهَا مِنْ شِدَّةِ ارْتِفَاعِ السَّمَاءِ وَبُعْدِهَا مِنَ الأَرْضِ، وَلَو تَرَكَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كَمَا خَلَقَهُمَا لَم يُعْرَفِ اللَّيلُ مِنَ النَّهَارِ... الحديث[3]". وسيأتي تتمته.

وأما شكلها: فاختلفوا فيه، فقيل: إنه بمنزلة صحفة عريضة.

وقيل: كالصحفة المكفوفة. وقيل: إنها كالكرة المدحرجة.

وأما مقدارها: فاختلفوا فيه، فقيل: إنها مقدار قدم إنسان.

وقال أهل الهندسة: إنها أضعاف الأرض مائة وعشرين، أو خمسين، أو ستين، أو مائتين مرة، والقمر بقدر الدنيا ثمانون مرة.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في الأصل: (ملك).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي: ٨٨/٦.

وقال أهل التعديل: هي مثل الأرض سواءً.

قلتُ: وهذا موافق، لحديث الثعلبي السابق، [٢٢/ب] وكان يختلج بصدري أنَّ هذا يشكل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]. [فيقال][(١)] فأي عين تسع ما هو قدر الأرض، إنما يسعها البحر حتى رأيت في تفسير الكواشي وغيره [ما نصه][(٢)] ليس المراد أنَّ الشمس تغيب في نفس العين حقيقة، وإنما ذلك في رأي العين كراكب البحر يعتقد أنَّ الشمس قد غربت في الماء، وامتنع ذلك؛ لأن الشمس أعظم من الدنيا. انتهى.

وأما الفلك الذي هي فيه فاختلفوا فيه، فقال الفلكيون: إنه الفلك الرابع، ويصل شعاعها إلى العالم السفلي؛ لأنَّ أجرام السموات رقيقة فلا تحجب، وصول النور بخلاف ما إذا قابلها حجاب كثيف كالغيم ونحوه، وذكر بعضهم أن وجهها نحو السماء وظهرها للأرض، ولولا ذلك لاحترقت الأرض.

وقال بعضهم: إنها تجري والكواكب في البحر الذي دون السماء بقدر ثلاثة فراسخ، وهو موج مكفوف قائم في الهواء بإذن الله تعالى، لا يقطر منه قطرة، والبحار كلها ساكنة، وذلك البحر جار في سرعة السهم كأنه جبل ممدود بين المشرق والمغرب، فتجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وفي الحديث: "وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَو بَدَتِ الشَّمْسُ مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ لاحْتَرَقَتِ الأَرْضُ، وَلَو بَدَا القَمَرُ مِنْهُ؛ لَافْتَتَنَ بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ حَتَّى يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ"[(٣)].

وأَمَّا مُسْتَقَرَّهَا فَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]. فقيل: مستقرها مغربها.

وقيل: مستقرها انقضاء سيرها، وذلك يكون يوم القيامة.

وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في الصيف في السماء، ونهاية انخفاضها في الشتاء.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ١١١٦/٤.

وقيل: مستقرها [٢٣/أ] آخر مطالعها في المنقلبين، فإذا استقر وصولها كَرَّت راجعة، وإلا فهي لا تستقر في [جريها][(١)] طرفة عين.

ونقل المفسرون عن ابن عباس وغيره أنه قرأ: (لا مستقر لها)[(٢)].

وكذلك في قراءة ابن مسعود، [و][(٣)] قال الثعلبي: أي لا قرار لها، فهي جارية أبدًا. وعن ابن عباس: أنَّ الشَّمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها فإذا غربت جرت [بالليل][(٤)] تحت الأرض في فلكها حتى تطلع من مشرقها، وكذلك القمر[(٥)].

وقيل: مستقرها تحت العرش وهو الصواب، لما في البخاري، عن أبي ذرٍ قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: "مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ"[(٦)].

وفي رواية أخرى للبخاري، عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا حين غربت الشمس: "أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟

قلت: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشَكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلا يُقْبَلُ مِنْهَا، وتَسْتَأْذِنُ فَلا يُؤْذَنُ لَهَا، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلَعُ مِنْ مَغْرِبِهَا"[(٧)].

فائدة: قال [الله][(٨)] تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

---

(١) في (ر): (جوفها).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي: ١٢٨/٨.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) في (ر): (في الليل).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ١١٥٠/٤.

(٦) أخرجه البخاري، برقم (٤٨٠٣) ومسلم، برقم (١٥٩).

(٧) أخرجه البخاري: (١١٧٠/٣، رقم ٣٠٢٧). وأخرجه أيضًا: أحمد: (١٥٢/٥، رقم ٢١٣٩٠)، ومسلم: (١٣٩/١، رقم ١٥٩).

(٨) ساقط من (ر).

قال الثعلبي: إن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق، وثلاثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة تطلع كل يوم من كوة منها، وتغرب في كل كوة منها في المشارق والمغارب.

وقال ابن عباس: "إنَّ الشمس تطلع [في](١) كل سنة في ثلاثمائة وستين كوة لا ترجع إلى تلك الكوة إلا ذلك اليوم من العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي كارهة، فتقول: يا رب لا تطلعني على عبادك، فإني أراهم يعصونك"(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

فحكى الثعلبي، عن مجاهد [٢٣/ب] أَنَّهُ قَالَ: المشرقان مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وكذا المغربان(٣).

واعلم أن في حركة الشمس منافع للعباد؛ لأنها لو وقفت في موضع لاشتد الحر في ذلك الموضع، واشتد البرد في سائر المواضع، لكنها تسير من المشرق إلى المغرب، فتأتي أقطار الأرض، فيحصل النفع بمرورها على الأرض، وأما حركتها في المنازل والبروج فمقرر في الكتب التنجيمية.

لطيفة: من العرب من يفضل القمر على الشمس، ويقول القمر مذكر، والشمس مؤنثة، والمذكر أفضل من المؤنث.

ومنهم من يفضل الشمس على القمر، ويحتج بأن الله قدَّم ذكر الشمس على القمر فقال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

وقال: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠].

وقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ [الشمس: [١ - ٢].

ومن العرب من لا يفضل أحدهما على الآخر.

قال بعضهم: والأول أصح من وجهين:

أحدهما: أن التذكير أصل والتأنيث فرع.

والثاني: أنَّ التمسك بمجرد التقديم في الذكر ضعيف، فقد يتقدم المشروف

(١) ساقط من (ر).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢٣.

ويتأخر الأشرف، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]. وقال: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠].

وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥].

قلت: إن أريد التفضيل بينهما بحسب ما عند الله، فذلك غير معقول لنا؛ لأنه يُحتاج فيه لتوقيف، وإن كان بحسب الضياء والنور ومزيد الإشراق، فلا شك أن الشمس أفضل بهذا الاعتبار؛ لأنها باقية على نورها التي خلقت عليه بخلاف القمر، فقد نقص من نوره كما سيأتي.

[الوافر]

وَلَو كَانَ النِّسَاءُ كَمَا ذَكَرْنَا   لَفُضِّلَت النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

فَمَا التَّأْنِيثُ لَاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ   وَلا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ

فصل

في ذكر القمر

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ [٢٤/أ] فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]. وقال: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]. إلى غير ذلك من الآيات، وقد مر حديث ابن عباس في الشمس.

وتتمته: "فَلَو تَرَكَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كَمَا خَلَقَهُمَا لَمْ يُعْرَفِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَلا كَانَ يَدْرِي الأَجِيْرُ إِلَى مَتَى يَعْمَلُ؟ وَلا الصَّائِمُ إِلَى مَتَى يَصُومُ، وَلا المُصَلِّي إِلَى مَتَى يُصَلِّي؟ وَلا المَرْأَةُ كَمْ تَعْتَدُّ؟ وَلا أَوْقَاتُ الصَّلَوَاتِ، وَلا وَقْتُ الحَجِّ، وَمَتَى تَحِلُّ الدُّيُونُ؟ وَيَبْذُرُونَ وَيَزْرَعُونَ، وَمَتَى تَكُونُ الرَّاحَةُ لِأَبْدَانِهِمْ؟ فَكَانَ اللهُ أَنْظَرُ لِعِبَادِهِ، وَأَرْحَمُ بِهِم، فَأَرْسَلَ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَأَمَرَ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِ القَمَرِ، وَهُو يَوْمَئِذٍ شَمْسٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَطَمَسَ عَنْهُ الضَّوءَ، وَبَقِيَ فِيهِ النُّورُ، فَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. فَالسَّوَادُ الَّذِي فِي وَجْهِ القَمَرِ شِبْهُ الخُطُوطِ أَثَرَ المَحْوِ".

وسُئِلَ علي رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر، فقال: ذلك آية الليل محيت، فذلك أثر المحو[١]. قلتُ: حيثُ كَانَ القمر في الأصل شمسًا، فكان القياس أن يكون له حر كالشمس، وحيث طمس فكان القياس أن ينقص من حره بقدر ما نقص من نوره، وهو لا حر له أصلا، فلعله خلق ابتداءً بلا حر إنَّ في ذلك لعبرة، أو حره ذهب كله مع الطمس، فليتأمل. والظاهر الأول وفي (قانون) ابن العربي أنه قيل: إن القمر نور شفاف قابل لنور الشمس يستمد منه، فإذا قرب منه ضعف نور استمداده، وإذا تَعَدَّى عنها قوي نوره، فكلما بعد عنها قوي نوره حتى إذا قابلها وهو أبعد ما يكون بينهما، فيكون القمر أكثر ضوءًا، ثم يقرب من الشمس، فَكُلَّمَا قَرُبَ نقص ضوؤه، وَأَمَّا الفلك الذي هو فيه فهو فلك سماء الدنيا.

وقيل: في البحر دون السماء. بناء على ما تقدم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٣٩٦.

وأما قوله تعالى: [٢٤/ب] ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]. أي قدرنا له منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلًا، وهي مواقع النجوم التي تنسب العرب إليها الأنوار، وهي السرطان، [و][1]البطين، [و][2]الثريا، [و][3]الدبران، [و][4]الهقعة، [و][5]الهنعة، [و][6]الذراع، [و][7]النثرة، [الطرف][8]، [و][9]الجبهة، [و][10]الزبرة، [و][11]الصرفة، [و][12]العواء، [و][13]السماك، [و][14]الغفر، [و][15]الزبانا، [و][16]الإكليل، [و][17]القلب، [و][18]الشولة، [و][19]النعائم، [و][20]البلدة، [و][21]سعد الذابح، [و][22]سعد بلع، [و][23]سعد [السعود][24]، [و][25]سعد الأخبية، [و][26]فرع الدلو المقدم، [و][27]فرع الدلو المؤخر، [و][28]الرشا و[هو][29] بطن الحوت، وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجًا: الحمل، [و][30]الثور، [و][31]الجوزاء، [و][32]السرطان، [و][33]الأسد، [و][34]السنبلة،

---

(١) ساقط من (ر). (٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر). (٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر). (٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر). (٨) ساقط من الأصل.
(٩) ساقط من (ر). (١٠) ساقط من الأصل.
(١١) ساقط من (ر). (١٢) ساقط من (ر).
(١٣) ساقط من (ر). (١٤) ساقط من (ر).
(١٥) ساقط من (ر). (١٦) ساقط من (ر).
(١٧) ساقط من (ر). (١٨) ساقط من (ر).
(١٩) ساقط من (ر). (٢٠) ساقط من (ر).
(٢١) ساقط من (ر). (٢٢) ساقط من (ر).
(٢٣) ساقط من (ر). (٢٤) في (ر): (السعودة).
(٢٥) ساقط من (ر). (٢٦) ساقط من (ر).
(٢٧) ساقط من (ر). (٢٨) ساقط من (ر).
(٢٩) ساقط من الأصل. (٣٠) ساقط من (ر).
(٣١) ساقط من (ر). (٣٢) ساقط من (ر).
(٣٣) ساقط من (ر). (٣٤) ساقط من (ر).

[و](١)الميزان، [و](٢)العقرب، [و](٣)القوس، [و](٤)الجدي، [و](٥)الدلو، [و](٦)الحوت.

[وجمع البروج شعرًا فقال:

حمــــل الثــــور جــــوزة الـــسرطان ورعــــى الليــــث ســــنبل الميــــزان

ورمــــى عقــــرب بقــــوس لجــــدي فمــــلأ الــــدلو بــــركة الحيتــــان

ومعنى هذه التسمية أنهم يعاينونها في مطالعها على شكل ذلك، فسميت بذلك؛ لأن هناك حملا أو ثورًا أو نحوهما] (٧) فيكون لكل برج منزلان وثلاث، فينزل القمر كل ليلة منزلا من الثمانية و[العشرين](٨) ويسير سيرًا من غير تَفَاوُتٍ، ويستتر ليلتين إن كان الشهر تامًّا، وليلة إن كان ناقصًا، فإذا نزل تلك المنازل دق وتقوس في رأى العين وعاد كالعرجون القديم وهو العرق الذي فيه الشماريخ إذا عتق ويبس وتقوس واصفر شبه القمر في دقته وصفرته به.

ثم بين سبحانه أنه خلق الأشياء خلقة متناسبة، وجعل لكل واحد منها حَدًّا فلا يتعداه، لقوله: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠].

أي: لا يصلح لها، ولا يمكن أن تدركه؛ لأن فلكها غير فلكه، ولأنها تقطع فلكها في كل سنة مرة، والقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، فلا لها سبيل أن تدركه.

وقال عكرمة: لكل واحد منهما سُلْطَان، فسلطان القمر الليل، وسلطان الشمس النهار، والمعنى على هذا [ألا](٩) يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، ولا النهار على الليل قبل انقضائه، [٢٥/أ] وهذا معنى قوله: ﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]. نقلتُ ذلك كله من تفسير الكواشي.

لطيفة: العرب تقول: القمر يفضح السَّارق، ويهتك العاشق، ويبلي الثياب، وينسي ذكر الأحباب، ويقرب الدين، ويدني الحين.

---

(١) ساقط من (ر). (٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر). (٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر). (٦) ساقط من (ر).

(٧) ساقط من الأصل. (٨) في (ر): (عشرين).

(٩) في الأصل: (لا).

فصل

في ذكر الكواكب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

وقال [تعالى][١]: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦].

(الخنس): جمع خانس، قيل: هي النجوم الخمسة: المريخ، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشترى تخنس في مجراها؛ أي: ترجع وتكنس في أوقات اختفائها وغروبها، كما تكنس الظباء[٢]. وقيل: هي بقر الوحش. وقيل: هي الظباء.

وحكى مكي: أن الكنس سبعة بزيادة الشمس والقمر.

وحكى الزمخشري قولًا، وهو: أنها جميع النجوم، تخنس بالنهار، فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها.

فائدة: ثبت في التواريخ والتفاسير أنَّ الكواكب خُلِقَت حين خلقت السموات يوم الخميس ويوم الجمعة.

وفي مسالك البكري: أن جرم عطارد جزء من اثنين وعشرين جزءًا من جرم الأرض، وجرم الزهرة جزء من أربعة وعشرين جزءًا من جرم الأرض، وجرم المشترى مثل جرم الأرض إحدى وثمانون مرة ونصف مرة بالتقريب، وجرم زحل مثل جرم الأرض تسعة وسبعين مرة ونصف مرة بالتقريب.

وقال الغزالي: في باب التفكر من الإحياء: الكواكب التي نراها أصغرها مثل الأرض ثلاث مرات، وأكبرها ينتهي إلى مائة وعشرين مرة مثل الأرض، وللمنجمين والفلاسفة كلام كثير كله هذيان لا يقوم عليه من الوحي برهان.

لطيفة: منافع النجوم كثيرة منها: إرشاد [٢٥/ب] الضالِّ والاهتداء.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي: ١٠/١٤١.

قال تعالى: ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ الآية [الأنعام: ٩٧].

قال قتادة: جعلها الله زينة ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تَأَوَّلَ فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا يعنيه، ومراده بذلك الرد على من يزعم أنها تمطر وتحرك الرياح.

وفي البخاري عن الربيع مثله، وزاد: "وَمَا جَعَلَ اللهُ فِي نجم حياة أحدٍ ولا رزقه ولا موته، وإنما يفترون على الله الكذب، ويتعللون بالنجوم".

وذكر بعضهم: أنَّ من النجوم غاربة لا تطلع أبدًا كالكواكب الجنوبية، وطالعة لا تغرب أبدًا كالكواكب الشمالية، ومنها ما يطلع تارة، ويغيب تارة، ومنها سيارة إلى المشرق والمغرب، ومنها ثوابت، والله أعلم.

فصل

في الملائكة عليهم الصلاة والسلام

اختلف [العلماء][1] في حقيقتهم، فمذهب أهل الحق أنها أجسام هوائية لطيفة قائمة بأنفسها قادرة على التشكل بأشكال مختلفة [متحيزة][2] مسكنها السموات.

قال الإمام فخر الدين: وهو قول أكثر المسلمين، ومذهب قوم آخرين أنها ذوات قائمة بأنفسها، إلا أنها ليست بأجسام ولا متحيزة، واختلف أصحاب هذا القول فمنهم من قال: هي الأنفس الناطقة المفارقة فإن كانت صافية فهم الملائكة، أو خبيثة فهم الشياطين. وقيل: هي ذوات قائمة بأنفسها، مخالفة بالماهية لأنواع النفوس البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علمًا، وهي ضربان: ما له تعلق بالأجرام الفلكية مدبرة لها كتعلق النفس بأبدانها، وما ليس لها تعلق بها ولا مدبرة لها، بل هي مستغرقة في محبة الله تعالى، وهم الملائكة المقربون.

قال الفخر: ومن الفلاسفة من أثبت أنواعًا [٢٦/أ] أخر من الملائكة، وهم الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي، ثم إن الخَيِّرة منها هم الملائكة، والشريرة منها هم الشياطين والمجوس وعبدة الأوثان، وللفلاسفة فيهم كلام كثير لا ينبغي ذكره إذ هو كفر محض، والحق مذهب أهل الحق. وقد حكى الإمام الفخر الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون. وأما قدرتهم على التشكل فقد ثبت أنَّ جبريل عليه السلام كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي، وكان من أجمل أصحابه تأنيسًا له. وتصور له أيضًا بمكة على صورة فحلٍ من الإبل فاتحًا فاه، وأراد أن يثب على أبي جهل على ما في السير لابن إسحاق وغيره.

وقد ثبت في القرآن العظيم حديث ضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي

---

(١) في الأصل: (العقلاء).

(٢) في (ر): (متميزة).

صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام "رأى جبريل سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض"[١]، فثبت أن الله تعالى أقدر جبريل على أن يتصور بصور مختلفة.

واختلف العلماء في هذا التشكل فمن قائل: بأنه سبحانه يفني الزائد من خلقه، ثم يعيده إليه. ومن قائل بأنَّ ذلك تمثيل في عين الرائي لا في جسم جبريل مثلا، وهو مقتضى قوله عليه الصلاة والسلام: يتمثل.

ومن قائل بالتداخل وهو محال عقلا.

قال صاحب (مطامح الأفهام): وتحقيق القول في ذلك أن جبريل إنما هو كناية عن الحقيقة الملكية الخاصة، وتلك الحقيقة لا تتغير بالصور والقوالب، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم، في الإيمان، باب معنى قول الله عز جل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ رقم (١٧٧).

فصل

في كثرة الملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

قال الفخر: والأصل فيه قوله عليه الصلاة والسلام: "أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ [٢٦/ب] [قَدَمٍ](١) إلا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَو رَاكِعٌ أَو قَائِمٌ(٢)".

وفي الثعلبي، عن ابن عباس قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يُقَسِّمُ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ وَجِبْرِيلُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَتَاهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا وَكَذَا فَخَشِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَكُونَ شَيْطَانًا فَقَالَ: "يَا جِبرِيلُ أَتَعْرِفُهُ؟

قَالَ: هُو مَلَكٌ وَمَا كُلُّ مَلَكِ رَبّكَ أَعْرِفُهُ"(٣).

وفي الثعلبي أيضًا عن الأوزاعي: قال موسى: يا رب من معك في السماء؟

قال: ملائكة. قال: كم عددهم يا رب؟

قال: اثنا عشر [ألف](٤) سبطًا. قال: كم كل سبط؟

قال: عدد التراب(٥).

وفي كتاب (الزاهر) لابن فرجون القرطبي نزيل الإسكندرية أنَّ في مناجات موسى قال: يا رب من عبدك قبل آدم؟

قال: الملائكة. قال: يا رب كم هم؟

قال: اثني عشر ألف سبط.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه أحمد: (١٧٣/٥، رقم ٢١٥٥٥) والترمذي: (٥٥٦/٤ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب. وابن ماجه: (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم: (٥٥٤/٢، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد. وأبو الشيخ في العظمة: (٩٨٢/٣، رقم ٥٠٧).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي: ٧٥/١٠، والقرطبي: ٨٣/١٩.

(٤) ليست في الثعلبي.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي: ٧٥/١٠.

قال موسى: كم السبط؟

قال: مثل الجن والإنس والطير والبهائم اثنا عشر ألف مرة.

قال الإمام فخر الدين: إن بني آدم عُشر الجن، وبني آدم والجن عُشر حيوانات البر، وهؤلاء كلهم عُشر الطيور، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحار، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين ببني آدم، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الدنيا، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الثانية، ثم على هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة، ثم على هؤلاء ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها مائة ألف، طول كل سرادق عرضه إذا قوبلت به السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، فإنها [كلها](١) تكون شيئًا يسيرًا ومقدارًا صغيرًا، وما من موضع يسير إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لله تعالى، [قال](٢) ثم هؤلاء كلهم في مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر، ولا يعرف عددهم إلا الله، ثم بعد ذلك ملائكة اللوح المحفوظ الذين هم أشياع إسرافيل، [٢٧/أ] وهم كلهم سامعون مطيعون يسبحون الليل والنهار، لا يفترون، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، لا تحصى أجنادهم، ولا مدة أعمارهم، ولا كيفية عبادتهم(٣).

قال: وهذا كله تحقيق ملكوت الله في سمواته كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾. قال الإمام فخر الدين: مَرَّ في بعض الكتب التذكيرية، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم "لَمَّا عُرِجَ بِهِ لِلْسَّمَاءِ رَأَى مَلائِكَةً فِي مَوضِعٍ مُشْرِفٍ عَالٍ، وَرَأَى بَعْضَهُم يَمْشِي تِجَاهَ بَعْضٍ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ جِبْرِيلَ وَإِلَى أَينَ يَذْهَبُونَ؟

فَقَالَ: وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ يَا مُحَمَّدُ لا أَدْرِي إِلا أَنِّي أَرَاهُمُ هَكَذَا مُنْذُ خُلِقْتُ، وَلا أَرَى وَاحِدًا مِنْهُم قَدْ رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَاحِدًا مِنْهُمُ [فقال له](٤): مُنْذُ كَمْ خُلِقْتَ؟

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٨٥/٢.

(٤) ساقط من (ر).

قَالَ لَهُ: لَا أَدْرِي غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَخْلُقُ كَوكَبًا عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِمَائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، فَخَلَقَ ذَلِكَ الكَوكَبَ مُنْذُ خَلَقَنِي بِأَرْبَعِمَائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ".

فسبحان من له ملكوت السموات والأرض.

قلت: وما قاله الفخر جميعًا يحتاج فيه إلى توقيف لصحته، وإن كانت قُدرَةُ اللهِ أعظم من ذلك.

فصل

في ذكر العالمين

ذكر ابن العربي في (قانونه) في تفسير العالمين أقوالا: فقال أُبَي بن كعب: إن العالمين رهط من الملائكة، وهم ثمانية عشر ألف ملك منهم أربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق، ومثل ذلك بالمغرب، ومثل ذلك في الجانبين الآخرين، مع كل ملك منهم من الأعوان ما لا يعلم عدتهم إلا الله، ومن ورائهم من الجهات الأربع أرض بيضاء كالرخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يومًا مملوءة ملائكة يُقالُ لَهُم الروحانيون لهم: زجل بالتسبيح والتهليل، [٢٧/ب] لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من صوته، فهم العالمون منتهاهم إلى حملة العرش.

وقال مجاهد: العالمون ثمانية عشر ألف ملك في نواحي الأرض الأربعة، في كل ناحية منها أربعة آلاف وخمسمائة مع كل ملك منهم عدد الإنس والجن، وبهم يرفع الله العذاب عن أهل الأرض. وقال ابن عباس: خلق الله تعالى ألف أُمَّة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وَمَا مِنْ شيء في البر إلا وفي البحر مثله ويزيد على البر بمائتين.

قال بعضهم: فالعالم اسم لكل ذي روحٍ دَبَّ على وجه الأرض، واختاره ابن العربي.

قلت: الصواب أنَّ العالم اسم لما سوى الله، وفي بعض الأحاديث "أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ الدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْهَا عَالَمٌ وَاحِدٌ".

وفي بعض الآثار أيضًا أَنَّهُ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "إنَّ للهِ أَرْضًا بَيْضَاءَ مِثْلَ الدُّنْيَا ثَلاثِينَ مَرَّةً حَشْوُهَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْصَى طَرْفَةَ عَيْنٍ[(١)]". قِيْلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ إِبْلِيسُ مِنْهُمْ؟

قَالَ: "لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ وَلا إِبْلِيسَ". وقال الفراء وأبو عبيد: إنَّ العالمين هُم من يعقل من الملائكة والإنس والجن والشياطين. قلت: وهذا هو المشهور بين النحويين. وفي العالمين أقوال أخر، والله [سبحانه و][(٢)] تعالى أعلم.

(١) أخرجه الديلمي: ١٨٩/١، عن ابن عباس.

(٢) ساقط من الأصل.

فصل

في ذكر أفراد من الملائكة عليهم السلام

كإسرافيل، وجبرائيل، وميكائيل، وعزرائيل، أمَّا إسرافيلُ، فقال الفخر: الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة أَنَّهُ صاحب الصور، وأما عظم جسده فلا يحيط به إلا خالقه.

قال ابن الجوزي في السؤال السابع من أسئلة جبريل: [جبريل][1] سد الخافقين بجناحٍ واحدٍ، وقال: أنا إذا طرت في جناح إسرافيل [٢٨/أ] وخرجت من الجانب الآخر لم يحس بي.

قال الفخر: روى البيهقي في كتاب شعب الإيمان، عن ابن عباس قال: "بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ جِبْرِيلُ [عليه السلام][2] إِذِ انْشَقَّ أُفُقٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَطَفِقَ جِبْرِيلُ [فيَتَضَاءَلُ][3]، وَيَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، فَإِذَا مَلَكٌ قَدْ مَثُلَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَيُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي جِبْرِيلَ كَالمُسْتَفْهِمِ، فَأَشَارَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ تَوَاضَعْ [قال عليه الصلاة والسلام][4]: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لِي نَاصِحٌ، فَقُلْتُ: بَل نَبِيًّا عَبْدًا، قَالَ: فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ [عليه الصلاة والسلام][5]: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ [عن هذا][6]، فَرَأَيتُ مِنْ حَالِكَ مَا أَشْغَلَنِي عَنْ المَسْأَلَةِ فَمَنْ هَذَا المَلَكُ؟

فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا إِسْرَافِيلُ خَلَقَهُ اللهُ [تعالى][7] مُنْذُ خَلَقَهُ وَرَأْسُهُ بَين

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (ر): (يتضاءل).

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

(٦) ساقط من (ر).

(٧) ساقط من (ر).

قَدَمَيْهِ صَافًّا قَدَمَيْهِ لا يَرْفَعُ طَرْفُهُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّ العِزَّةِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ مَا مِنْهَا نُورٌ يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلا احْتَرَقَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ اللَّوحُ المَحْفُوظُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ السَّمَاءِ أَو مِنَ الأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوحُ، فَضَرَبَ جَبِينَهُ، فَإِنْ كَانَ الأَمْرُ مِنْ عَمَلِي أَمَرَنِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ أَمَرَهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مَلَكِ المَوْتِ أَمَرَهُ بِهِ. قَالَ: يَا جِبْرِيلُ فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلَى الرِّيَاحِ وَالجُنُودِ.

قُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيءٍ مِيكَائِيلُ؟

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلَى النَّبَاتِ.

قُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ المَوتِ؟

قَالَ: عَلَى قَبْضِ الأَرْوَاحِ. وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ يَا مُحَمَّدُ [نبيا](١) مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هَبَطَ إِلا لِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَمَا ذَاكَ الذِي [٢٨/ب] رَأَيْتَ مِنِّي إِلَّا مِنَ الفَزَعِ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ"(٢).

فقد دل حديث البيهقي أن إسرافيل هو الذي يأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل بالأوامر الإلهية.

قال الفخر: وصاحبُ النفخ في الصور قد بلغ في القوة بحيث يصعق من في السموات ومن في الأرض بالنفخة الواحدة منه، ويقومون أحياء بالنفخة الثانية.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]. المراد الملائكة التي تدبر أمر الدنيا وهم أربعة؛ جبريل: وهو موكل بالرياح والجنود.

وميكائيل: وهو موكل بالقطر والنبات. وعزرائيل: وهو موكل بقبض الأرواح.

وإسرافيل: وهو الذي ينزل بالأمر عليهم. وَأَمَّا جبريل عليه السلام فقد بلغ من عظيم القوة أن اقتلع مدائن قوم لوط السبعة وقلبها في دفعة [واحدة](٣).

وفي الثعلبي قال ابن شهاب: "إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ جِبْرِيلُ أَنْ يَتَرَائَى لَهُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ".

قَالَ لَهُ: "أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ. فَخَرَجَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المُصَلَّى فِي لَيْلَةٍ

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب: ٣١٥/١.

(٣) ساقط من (ر).

مُقْمِرَةٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فِي صُورَتِهِ، فَغُشِيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَفَاقَ وَجِبْرِيلُ مُسْنِدُهُ وَاضِعٌ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى صَدْرِهِ وَالأُخْرَى عَلَى كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا كُنْتُ أَرَى شَيْئًا مِنَ الخَلْقِ هَكَذَا".

فَقَالَ جِبْرِيلُ: "كَيْفَ لَو رَأَيْتَ إِسْرَافِيلَ؟ إِنَّ لَهُ اثْنَي عَشَرَ جَنَاحًا، جناحًا بِالمَشْرِقِ وَأَحَدَ عَشَرَ جَنَاحًا بِالمَغْرِبِ، وَإِنَّ العَرْشَ عَلَى كَاهِلِهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَضَاءَلُ الأَحَايِينَ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الوَصَعِ أَيْ عُصْفُورٌ صَغِيرٌ حَتَّى مَا يَحْمِلُ عَرْشَهُ إِلا عَظَمَتُهُ"(١).

وأما الروح فقيل: هو جبريل.

وعن ابن عباس أنَّ عن يمين العرش [٢٩/أ] نهرًا من نور مثل السموات السبع والأرضين والبحار السبع يدخل جبريل فيه، فيغتسل، فيزداد نورًا إلى نوره، وجمالا إلى جماله، وعظمًا إلى [عظمه](٢)، ثم ينتفض، فيخرج الله تعالى من كل ريشة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة.

وقال وهب: إنَّ جبريل واقف بين يدي الله ترعد فرائصه، يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك، والملائكة صف بين يدي الله تعالى منكسوا رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا اله إلا الله.

وعن ابن عباس: إنَّ الرُّوح هو من أعظم الملائكة خلقًا.

وقال ابن مسعود: الروح ملك أعظم من السموات، ومن الجبال، وأعظم من الملائكة.

وعن ابن عباس أيضًا: الروح خلق من خلق الله تعالى صورهم كصور بني آدم، وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح.

---

(١) أخرج نحوه أبو نعيم في الحلية: ٦/٦٥.

وقال الزيلعي: رَوَاهُ ابْن الْمُبَارك فِي كتاب الزّهْد، أخبرنَا اللَّيْث بن سعد، عَن عقيل، عَن ابْن شهَاب، أَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ جِبْرِيل إِلَى آخِره سَوَاء، وَزَاد: وَالْوَصْع عُصْفُور صَغِير حَتَّى مَا يحمل عَرْشه إِلَّا عَظمته انْتَهَى. وَهُوَ مُرْسل جيد.

وَمن جِهَة ابْن مبارك رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ فِي تَفْسِيره: ٨/٩٨.

(٢) في (ر): (عظمته).

وقال مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون لهم أيدي وأرجل [وهم](١) ليسوا بملائكة، وهم يضعفون عن الملائكة.

قال أبو صالح: يشبهون الناس وليسوا بناس، وسيأتي ذكر ملك الموت.

ومنهم الملائكة الموكلون ببني آدم، وهم الحفظة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُم مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ"(٢).

وفي بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]. وُكِّلَ بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه ما لم يقدر عليه، من ذلك للبصر [٢٩/ب] سبعة أملاك يَذُبُّونَ عَنْهُ كَمَا [يَذُبُّونَ](٣) عَنْ قصعة العسل الذباب، ولو وُكِّلَ العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين.

وأما الملائكة الكاتبون، فقيل: أربعة؛ اثنان بالليل واثنان بالنهار.

وقيل: خمسة؛ واحد لا يُفارقه ليل ولا نهار.

قال الضحاك: مجلس الملكين تحت الشعر على الحنك.

وعنه عليه الصلاة والسلام: "مِقْعَدُ مَلَكَيْكَ عَلَى ثَنِيَّتَيْكَ، وَلِسَانُكَ قَلَمُهُمَا، وَرِيقُكَ مِدَادُهُمَا، وَأَنْتَ تَجْرِي فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، لَا تَسْتَحِي مِنَ اللهِ وَلَا مِنْهُمَا"(٤).

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) أخرجه مالك: (١/١٧٠، رقم ٤١١)، والبخاري: (١/٢٠٣، رقم ٥٣٠)، ومسلم: (١/٤٣٩، رقم ٦٣٢)، والنسائي: (١/٢٤٠، رقم ٤٨٥)، وابن حبان: (٥/٢٩، رقم ١٧٣٧). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة: (١/١٦٥، رقم ٣٢١).

(٣) في الأصل: (يذب).

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ٣/٣٥٨، وقال: رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ أَخْبرنِي الْحسن بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن الدينَوَرِي ثَنَا أَحْمد بن جَعْفَر بن سُلَيْمَان الْخُتلِي ثَنَا أَحْمد بن أَيُّوب =

وعنه عليه الصلاة والسلام: "كَاتِبُ الحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيْئَاتِ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَاتِبُ الحَسَنَاتِ أَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيئَاتِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا صَاحِبُ اليَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً، قَالَ صَاحِبُ اليَمِينِ لِصَاحِبِ الشِّمَالِ: دَعْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ أَو يَسْتَغْفِرُ"[١].

وقال مُجاهد: يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه.

وذلك معنى قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ﴾: أي عنده.

(رَقِيبٌ): أي حافظ يرقب أعماله ويحفظها.

(عَتِيدٌ): أي حاضر معه أين ما كان.

وقال بعضهم: لا يكتبان عليه إلا ما يُؤجر عليه أو يُؤزَرُ.

وقال الحسن: الملائكة [يجتنبون الإنسان][٢] عند غائطه.

وعند جماعة وفي حديث أبي هريرة وأنس رضي الله تعالى عنهما عنه [صلى الله عليه وسلم][٣]: "مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلى اللهِ تَعَالَى مَا حَفِظَا، فَيَرَى اللهُ تَعَالى فِي أَوّلِ الصَّحِيفَةِ خَيْرًا، وَفِي آخِرِهَا خَيْرًا إِلَّا قَالَ لِلْمَلائِكَةِ اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرْفَي الصَّحِيفَةِ"[٤].

وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِعَبْدِهِ [٣٠/أ] المُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ، فَإِذَا مَاتَ العَبْدُ قَالَا: مَاتَ فُلانٌ أَفَتَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَيَقُولُ اللهُ: سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلائِكَتِي يُسَبِّحُونَ. فَيَقُولَانِ: رَبَّنَا فَأَيْنَ؟ فَيَقُولُ: قُومَا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَكَبِّرَانِي وَهَلِّلَانِي، وَاكْتُبَا ذَلِكَ

=

الْمرْجَانِي ثَنَا جميل بن الْحسن ثَنَا أَرْطَاة بن الْأَشْعَث الْعَدوي عَن جَعْفَر بن مُحَمَّد عَن أَبِيه عَن عَلي بن أبي طَالب قَالَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مقْعد مَلَكَيْك) إِلَى آخِره.

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ٣٥٨/٣. وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي مُعْجَمه، وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان.

(٢) في (ر): (يُفَارِقُونَهُ).

(٣) في (ر): (عليه الصلاة السلام).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب: ٣١٠/٤، وأخرجه التِّرْمِذِي (٩٨١) قال: حدَّثنا زِيَاد بن أَيُّوب، قال: حدثنا مُبَشِّر بن إِسْمَاعِيل الحَلَبِي، عن تَمَّام بن نَجِيح، عن الحَسَن، فذكره.

لِعَبْدِي إِلَى يَومِ القِيَامَةِ[1]" فسبحان المنعم المتفضل. وأنواع الملائكة كثير منهم ملائكة العذاب، ومنهم الملائكة التي تزجر السحاب في قوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢].

ومنهم الملائكة الموكلون بنزع أرواح الكفار في قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١].

ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين في قوله تعالى ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢]. والكلام في ذلك مما يطول. وما وكلهم الله بذلك [لا][2] لاحتياجه إليهم، ولا ليعينوه على مخلوقاته وضبط معلوماته، وإنما ذلك حكم وآيات ودلائل وإشارات وإلا فهو الغني الحميد لا إله إلا هو الفعال لما يريد.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: ٣٢٤/١٢. وذكره الزركشي في التذكر: ٢٢٣/١.

(٢) ساقط من الأصل.

فصل

في ذكر المطر

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ [الواقعة: ٦٩]. فاقتضت الآية الأُولى نزوله من السماء، والثَّانية نُزُولُهُ مِنَ المُزْنِ وَهُو السَّحَابِ، والجمع بينهما عَلَى مَا أَشَارَ إليه فخر الدين من وجهين:

أحدهما: أن السحاب يُسَمَّى سماء؛ لأنَّ كل ما ارتفع وعلا يسمى سماء.

الثاني: أنْ يُقَال: نزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض.

وحكى فخر الدين عن الجبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنعام: ٩٩]. أنه تعالى أنزل الماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض. قال: فظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء، والعدول عن الظاهر إلى التأويل إنما يحتاج إليه [٣٠/ب] إذا لم يمكن إجراء اللفظ على ظاهره، وهنا ممكن، فوجب [إجراء][1] اللفظ على ظاهره، وذكر الجلال السيوطي في كتابه (الهيئة)، فقال: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن خالد بن معدان: أن المطر يخرج من تحت العرش، فينزل من سماء إلى سماء حتى يجتمع في السماء الدنيا، فيجيء السحاب الأسود فيدخله، فيشربه مثل شرب الأسفنجة.

وذكر فيه عن عكرمة قال: ينزل من السماء السابعة، فتقع القطرة منه على السحاب مثل البعير. وذكر أيضًا فيه عن وهب قال: لا أدري المطر أنزل قطرة من السماء في السحاب أم خلق في السحاب، فانظر.

وحكى الفخر، عن السدي: أنَّ الله تعالى يُرسل الرياح فتأتي بالسحاب، ثم إنه يبسطه في السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء، فيسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك.

---

(١) في (ر): (أخذ).

قلت: وهذا الذي قالوه كله لم يرد فيه توقيف صحيح؛ لأنه غيب يحتاج فيه إلى التوقيف، والذي أذهب إليه الوقف عن حقيقة ذلك أو يقال: وهو أقرب الأقوال أن الله تعالى يخلق السحاب والمطر ابتداء بين السماء والأرض متى شاء، ثم ينزله إلى الأرض متى شاء، فينشئ من العدم ما أراد في لحظة واحدة، وهذه العبرة فيه أتم والقدرة فيه أظهر، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

وعلماء التفسير إنما جزموا بنزوله من السماء ردًّا على من يزعم أنَّ الأمطار إِنَّما تتكون من البخارات المتصعدة من قعر الأرض إلى الجبال، ومن الجبال إلى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب التصعيد، ثم إن الذوات تألفت وتكونت ماء.

وبعضهم يقول: إنَّ السحاب لَهَا خراطيم تغترف الماء [٣١/أ] من البحر.

ومنه قول بعض العرب:

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

ثُمَّ إِنَّ الماء الملح يحلو بسبب التقطير.

قال الفخر: وينكرون الفاعل المختار سبحانه وتعالى عَمَّا يقولون علوًّا كَبِيرًا.

تنبيه: عامة المفسرين على أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]. هو المطر؛ لأنه سبب الأرزاق والمعائش لبني آدم وغيرهما من سائر الحيوانات، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

فقال ابن عباس: يريد الكفاية.

قال ابن مسعود: ما من أرض بأمطر من أرض، ولا عام بأمطر من عام، ولكن الله تعالى يقسمه، ويقدره في الأرض كيف يشاء عامًا هَا هُنَا وعامًا هَا هُنَا.

وقال [الحكيم][(١)] بن عيينة في هذه الآية: ما من عام بأكثر من مطر عام، ولكنه يمطر قومًا، ويحرم آخرين، وربما كان في البحر.

وذكر السيوطي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث شاء[(٢)]".

---

(١) هكذا بالأصل، و(ر) ولعله الحكم بن عتيبة، أو الحكم بن عيينة.

(٢) أخرجه الشافعي، والبيهقي في المعرفة عن المطلب بن حنطب، أخرجه الشافعي: ٨٢/١.

ونقل الواحدي، عن ابن عباس أنه قال: "لا تنزل نقطة من المطر إلا ومعها ملك"(١).

وفي الثعلبي، عن [الحكيم](٢) بن عيينة: بلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم، يُحصون كل قطرة حيث وقعت، وما تنبت، والفلاسفة يحملون ذلك الملك على الطبيعة الحالة في تلك الجسمية الموجبة لذلك النزول، وَأَمَّا أن مع كل قطرة ملكًا، فمشكل مع أنه لا إشكال في ذلك؛ لأن الله على كل شيء قدير، وجنوده أكثر من قطرات الأمطار.

قلت: وهنا للعاقل نظر هو أَنْ يُقَال: هل أولئك الملائكة النازلون مع المطر يفنون سريعًا [٣١/ب] ويضمحلون كالمطر أولا؟

فإن قلنا: لا، وهو الحق لزم أن تضيق بهم الأرض، إِذْ لَو دَامَ مَطَر عَام واحد لامتلأت منه الأرض، فكيف بملائكة تنزل منذ خلق المطر.

فَإِن قلت: الملائكة أجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل، فأي شيء كان يسعها؟ قلت: يرده أنها متحيزة على الصحيح، والمتحيز إذا كثر ملأ حيزه، وإلا لما كانت السموات مملوءة بالملائكة بحيث لو وقعت قطرة لم تقع إلا على ملك. فتأمل اللهم إلا أَنْ يُقال: أَنَّهُم ينزلون مع المطر [ثُمَّ](٣) يصعدون، ثم ينزلون لنزوله، وهذا دأبهم؛ لأنهم موكلون به، أو أنهم يذهبون في غامض علم الله الواسع لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا.

لطيفة: إحياء الأرض بالمطر: جاء في آيات كثيرة وإحياؤها إِمَّا بظهور الكلأ والعشب وغيرهما، مِمَّا لولاه لما عاش من دواب الأرض شيء، أو أنه يحصل لها بسببه إنبات حسن ونضرة بهية ورونق عجيب، ومنافع المطر وعجائبه الناشئة عنه يعرفها الجاهل والعالم، والحس شاهد بذلك، وليس الخبر كالأعيان فلا [نطيل](٤) بذكر ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الرازي: ١٣/ ٨٤.

(٢) هكذا بالأصل، و(ر) ولعله الحكم بن عتيبة، أو الحكم بن عيينة.

(٣) في الأصل: (و).

(٤) في (ر): (يطيل).

فصل

في ذكر السحاب

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال الفخر: فتارة يحمل المياه كما قال تعالى: ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢] أي: تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر، وتارة تحمل العذاب كما في قوم عاد وأصحاب الأيكة.

قال: وَسُمِّي السَّحَاب سحابًا لانسحابه في الهواء، والسحاب معروف.

قلت: المعروف إنما هو اسمه، وأما حقيقته، ومن أي شيء هو؟ وهل هو من الأرض أو السماء يقينًا؟ فغير معلوم لنا، فإذا عجزنا عن درك ما هو مشاهد لنا، فكيف بما وراء ذلك أعاذنا الله من مذاهب الحكماء الباطلة وعقائدهم [٣٢/أ] الفاسدة.

وذكر السيوطي، عن عطاء قال: السحاب يخرج من الأرض. وذكر أيضًا عن خالد بن معدان قال: إنَّ في الجنة شجرة تثمر السحاب، فالسواد منها الثمرة التي قد نضجت فتحمل المطر، والبيضاء الثمرة التي لم تنضج، فلا تحمل المطر.

قلت: هذان خبران تعارضا فلا اعتداد بهما، وإن البعض والبعض. وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عباس قال: السحاب الأسود فيه المطر، والأبيض فيه الندى.

وأخرج أبو الشيخ أيضًا، عن كعب الأحبار قال: السحاب غربال المطر، ولولا السحاب حين ينزل الماء من السماء؛ لأفسد ما يقع عليه من الأرض.

وحكى الثعلبي في (تفسيره)، عن وهب: أنَّ الأرض شكت إلى الله [تعالى](١) أيَّام الطُّوفان؛ لأنه تعالى أرسل الماء بغير وزنٍ ولا كَيْلٍ، فخرج الماء غضبًا لله تعالى فخدش الأرض، وخددها، فلما شكت أوحى الله إليها أني سأجعل للماء غربالا لا يخددك، ولا يخدشك فجعل الله السحاب غربالاً للمطر(٢).

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي: ٣٠٦/٧.

قلت: وفيه ما فيه إذ لو كان الماء يملك شيئًا من الفساد لأفسده بعد نزوله من السحاب لبعد الأرض وشدة وقعه عليها، وإنما الحكمة في تسخيره السحاب الدلالة على وجود الله تعالى ووحدانيته، كيف لا وهو وما فيه من المياه العظيمة التي تملأ الأودية العظام يبقى معلقًّا في جو السماء، فيمسك الماء تارة بإمساك قاهر، ويرسله أخرى لا إله إلا هو على كل شيء قدير.

فصل

في ذكر الرعد والبرق

قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ الآية [الرعد: ١٣].

وذكر السيوطي في الحديث: أنَّ الله يُنْشِئُ السَّحاب، فينطق أحسن النطق، وَيَضْحَكُ أَحْسَن الضحك. قال إبراهيم [٣٢/ب] بن سعد: النطق الرعد والضحك البرق.

وقد اختلف العلماء في الرعد والبرق، فالرعد قال ابن عباس: إِنَّهُ ريح يخترق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت. حكاه عنه ابن عطية، وغيره.

قلت: وهذا بعيد الصحة، عن ابن عباس لكونه راوي الحديث الآتي.

وقيل: الرعد اصطكاك أجرام السحاب تضطرب وتنتفض وترتعد من الارتعاد إذا أخذتها الرياح فتصوت عند ذلك، والبرق والنور من السحاب من برق الشيء بريقًا إذا لمع، وبهذا قال الفخر في (تفسيره)، وهو مذهب الحكماء.

قُلْتُ: وَهُو مَذْهَبٌ بَاطِلٌ إذ لو كان كذلك لدام الرعد بدوام الريح، وانقطع بانقطاعه مع أنه يوجد الرعد حيث لا ريح، ويوجد الريح ولا رعد.

وقيل: الرعد اسم للصوت المسموع، قاله علي بن أبي طالب.

قال ابن عطية: وهذا هو المعلوم في لغة العرب.

قلت: نعم هو كذلك، لكن ليس في هذا كبير فائدة؛ لأنَّ الكلام في حقيقة هذا الصوت ما هو والذي عليه أكثر المفسرين ما أخرج أحمد والترمذي وَصَحَّحَهُ النسائي وأبو الشيخ، عن ابن عباس أنَّ اليهود قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: "مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ [مِخْرَاقٌ](١) مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ... الحديث(٢)".

وفي تخريج الترمذي قالوا: يَا أَبَا القَاسِمِ أَخْبِرْنَا عَنْ الرَّعْدِ.

---

(١) في الأصل: (محراق) والمثبت من الترمذي. وهي: جمع مخراق، وهو في الأصل منديل يُفْتَلُ ويُلْوَى ويُجْعَل كالحبل يتضارب به الصّبيان.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣١١٧) وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني.

فقال: "مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهِ السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ.

فَقَالُوا: مَا هَذَا الصَّوْتُ الذِي يُسْمَعُ؟

قَالَ: زَجْرُهُ لِلسَّحَابِ أي زَجْرُهُ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ أُمِرَ.

قَالُوا: صَدَقْتَ".

قال الترمذي: حديثٌ حسن [صحيح](١) غريب، وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عَبَّاس قال: الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الإبل.

وأخرج ابن المنذر [٣٣/أ] وأبو الشيخ أيضًا عن الضحاك قَالَ: الرَّعْدُ ملك يسوق السحاب، وصوته الذي يسمع تسبيحه.

قال بعض العلماء: في هذا الملك أنَّ الرعد من صوت سوقه لا من صوت [سوطه](٢).

وحكى الثعلبي، عن ابن عباس قال: "الرعد ملك يسوق السحاب، وإن بحور الماء لفي نقره إبهامه وَإِنَّهُ مُوَكَّلٌ بالسحاب يصرفه حيث يُؤْمَرُ، وَإِنَّهُ يُسَبِّحُ الله [تعالى](٣)، فإذا سبح الرعد لا يبقى ملك في السماء إلا رَفَعَ صَوتَهُ بالتسبيح، فَعِنْدَهَا يَنْزِلُ المطر"(٤).

وأما البرق، فقيل: إنه ملك يترائى [نيراني](٥)، وقيل: إنه سوط نور بيد الملك يسوق به السحاب.

وقيل: إنه مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب.

قال ابن العربي: يضربها بذلك المحراق.

وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك، عن ابن عباس رضي الله [تعالى](٦) عنهما

---

(١) ليس في الترمذي تصحيحه.

(٢) في الأصل: (سوقه).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٧٩/٥.

(٥) ساقط من (ر).

(٦) ساقط من (ر).

قال: الرعد [ملك] [١] من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته، والبرق سوط من النور يزجر به الملك السحاب.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: البرق اصطفاق البرد.

وأخرج أبو الشيخ، عن أبي الجلد قال: السماء من ماء مكفوف، والبرق تلألؤ الماء، والصواعق محاريق يزجر به السحاب.

قلت: هذا كله لم يرد فيه شيء صحيح، وللحكماء ونحوهم فيه كلام لا أصل له، والأحسن عندي الوقف؛ لأنه غيب يحتاج إلى توقيف، ولَعَلَّ الحكمة في ذلك ليحصل للخلق الاتعاظ والانزجار، ويتذكرون عند سماع صوت الرعد قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ [ق: ٤٢]. ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨].

ويتذكرون عند لمعان نور البرق لمعان نور وُجُوهِ المُؤْمِنِين في المحشر، وعند رُؤْية مطارق البرق التي في السحاب مطارق الزبانية ومنكر ونكير، وفي ذلك حكم أخر لا نعلمها والله أعلم [٣٣/ب].

وأما الصواعق، فحكى ابن عطية، عن الخليل أن الصاعقة: الواقعة الشديدة من صوت الرَّعْد يكون معها أحيانًا قطعة نار، يُقَالُ: إنها من المحراق الذي بيد الملك.

وقيل: هي قطعة نار تخرج من فم الملك عند غضبه إذا خالفته سحابة، وصاح بها فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه.

وأخرج أبو الشيخ، عن شهر بن حوشب قال: الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادى الإبل، فإذا خالفته سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه تناثرت من فيه النيران، وهي الصواعق التي رأيتم.

وأخرج أبو الشيخ، عن السدي قال: الصواعق نار.

وذكر ابن العربي في (قانونه) عن العلماء المتكلمين أنَّ الصاعقة ضربان:

أحدهما: بيضاء لا تحرق شيئًا، وهي ريح لطيفة تخرج من السحاب، فلا قوة لها على هذه الأجسام للطافتها.

وثانيهما: حمراء محرقة وهي ريح غليظة تخرج من تحت السحاب، فتصدم الأجسام فتحرقها.

---

(١) ساقط من الأصل.

قال القاضي: والذي عندي أن الصاعقة جسم لطيف ملهبة إذا أصابت نارًا تقوت، وأنها تسرع إلى الشيء الأسود فتحرقه.

وأما البرد، فحكى فخر الدين في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] قولين:

أحدهما: أن في السماء جبًالا من برد خلقها الله تعالى لذلك، ثم ينزل منها ما يشاء. عليه أكثر المفسرين.

الثاني: أنَّ المراد بالسماء هُنَا الغيم المرتفع سُمِّي بذلك؛ لسموه وارتفاعه، وأراد بالجبال هُنَا هذا السحاب العظام؛ لأنها إذا عظمت شبهت بالجبال كما يُقَالُ: فُلانٌ يملك جبًالا من المال.

وأَمَّا قوس قزح: فعن علي بن أبي طالب، وابن عباس أَنَّه أمان من الغرق.

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "[٣٤/أ] لَا تَقُولُوا: قَوْسُ قُزَحٍ فَإِنَّ قُزَحَ شَيْطَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: قَوسُ اللهِ فَهُوَ أَمَانٌ لِأَهْلِ الأَرْضِ مِنَ الغَرَقِ"(١).

وحقيقته: ما قاله بعض الحكماء أنه انعكاس من شعاع الشمس في الماء الذي في السحاب.

قلت: وهذا باطل؛ لأنَّ انعكاس الشمس لا يُوجب كونه على هذه الكيفية المخصوصة والخلقة البديعة، ومن كان مؤمنًا عاقلا تذكر عند رؤيته الصراط وطوله وعلوه، والله تعالى أعلم بحقيقة جميع ما في السموات، مِمَّا ذكرناه وما لم نذكره إنه علام الغيوب.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات: ١٤٤/١. وعلته زكريا بن حكيم الحبطي: قَالَ أَحْمَدُ، وَيَحْيَى: لَيْسَ بشيء، وَقَالَ يَحْيَى مَرَّةً: لَيْسَ بِثِقَةٍ وَكَذَلِكَ النَّسَائِيُّ، وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ هَالك.

فصل

في ذكر الرياح

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ [فاطر: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ [الجاثية: ٥].إلى غير ذلك من الآيات.

قال ابن الأنباري: إِنَّمَا سُمِّيَ الرِّيحُ رِيحًا؛ لأنَّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب، والهم فهي مأخوذة من الرُّوح، فأصلها الواو بدليل قولهم في الجمع: أرواح.

قال الفخر: إِنَّ الرِّيح هَواءٌ مُتَحَرِّكٌ، وحركته بعد إن لم يكن متحركًا لا بد له من سبب، وذلك السبب ليس نفس الريح، ولا هو شيء من لوازم ذاته، وإلا لدامت حركة الريح بدوام ذاته وذلك محال. فلم يبق إلا أن يقال: يتحرك بتحريك الفاعل المختار.

وزعمت الفلاسفة أَنَّهُ يرتفع من الأرض أجزاء مسخنة تسخينًا قويًا، فإذا وصلت إلى القرب مِنَ الفلك امتنعت من الصعود، فتتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح، وَرَدَّ عليهم الفخر بِأَنَّ صعود الأجزاء الأرضية إنما تكون لأجل شدة تسخينها، فإذا صعدت إلى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها، فإذا بردت امتنع بلوغها في الصعود إلى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك، فبطل ما قالوه، وأيضًا لو كان [٣٤/ب] كذلك لكان نزولها على الاستقامة، والرياح إنما تتحرك يمنةً وَيَسْرَةً، وأيضًا فحركة الأجزاء الأرضية لا تَكُونُ حركة قاهرة فَإِنَّ هَذِهِ الرِّياح تقلع الأشجار، وتهدم الجبال، وتموج البحار.

وقال المنجمون: إن أقوى الكواكب هي التي تحرك الرياح وتوجب هبوبها.

وردَّ عليهم الفخر بأنَّ الموجب لحركة الرياح إن كان طبع الكواكب، وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة، وإن كان هو الطبيعة بشرط حصوله في البرج المعين والدرجة المعينة وجب أن يتحرك كل هذا الهوى، وليس كذلك. فإذا بطل ما قالوه فالمحرك لها هو العالم القادر الفاعل المختار سبحانه وتعالى.

وأَمَّا كون الريح متحيزًّا أو ليس بمتحيز، فقد نَصَّ الفخر على أنه من قبيل

المتحيز، وأَنَّهُ من الأجسام البسيطة؛ لأَنَّهُ قَسَّمَ العَالم إلى ما هو متحيز، وإلى ما هو صفة للمتحيز، وإلى ما ليس بمتحيز ولا صفة للمتحيز.

فالأول: كالجماد والحيوان. والثاني: الأعراض كالبياض والحمرة. والثالث: الأرواح، وهي إما علوية وإما سفلية، وإنما لم يُرَ الهواء؛ لأنه لا لون له فلذلك لم يره أحد.

وأَمَّا من قال: إن الحركة ترى فقول فاسد؛ لأنه قد صح أن البصر لا يقع في هذا العالم إلا على لون في ملون فقط، وبيقين ندري أن الحركة لا لون لها، فلا سبيل لرؤياها.

وأخرج أبو الشيخ، عن مجاهد قال: الريح له جناحان وذنب. وأخرج أيضًا، عن ابن عباس: الماء والريح جندان من جنود الله، والريح جند الله الأعظم.

وأخرج عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل حلقة الخاتم"(١).

وأما تقسيم الرياح ففي الثعلبي، عن عثمان الأعرج، وكذلك في تخريج أبي الشيخ [٣٥/أ] قال: بلغنا أن مساكن الريح تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش، فتهيج من ثم، فتقع بعجلة الشمس، فتعين الملائكة على [جرها](٢)، ثم تهيج من عجلة الشمس، فتقع في البحر، ثم تهيج من البحر، فتقع برؤوس الجبال، ثم تهيج فتقع في البر.

فَأَمَّا الشَّمال: فإنها تمر بجنة عدن، فتأخذ من عرف طيبها، فتمر على أرواح الصديقين وحدها من كرسي بنات نعش إلى مغرب الشمس.

وَأَمَّا الدبور: فحدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل.

وأما الجنوب: فحدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس.

وأما الصَّبَا: فحدها من مطلع الشمس إلى كرسي بنات نعش، فلا تدخل ريح على أخرى في حدها.

قال الفخر: وما بين كل واحد من هذه الأمهات أي من الرياح فهي نكباء.

وفي (تفسير) الإمام الفخر، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ الرياح ثمان، منها

---

(١) أخرجه الطبراني: (٤٢١/١٢، رقم ١٣٥٥٣) قال الهيثمي: (١١٣/٧): فيه مسلم الملائي، وهو ضعيف.

(٢) في الأصل: (حرها).

أربع عذاب: وهي (القاصف، والعاصف، والصرصر، والعقيم).

وأربع منها رحمة: (الناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات).

قلت: وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عن ابن عمر إِلَّا أنَّ في تخريجهم: وَأَمَّا العَذَاب: فالعقيم والصرصر، وهما في البر، والعاصف والقاصف، وهما في البحر.

وفي الحديث: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ(١)".

والجنوب من ريح الجنة.

وأخرج أبو الشيخ، عن أنسٍ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجَنُوبُ مِنْ رِيحِ الجَنَّةِ"(٢).

وكذلك أخرجه عن أبي هريرة زاد: "وَفِيهَا مَنَافِعُ لِلْنَّاسِ".

والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة، فتصيبها نفحة من الجنة فبردها من ذلك.

وأخرج عن ابن عباس: الجنوب سيد الأرياح، وما راحت جنوب قط إلا سال واد من ماء رأيتموه أو لم تروه.

وأخرج عن قيس بن عبادة قال: الشمال ملح الأرض، ولولا الشمال لأنتنت [٣٥/ب] الأرض.

وأخرج عبد الله بن أحمد في (زوائد الزهد)، وأبو الشيخ، عن كعب قال:

---

(١) حديث أنس: أخرجه الضياء: (١٠٨/٧، رقم ٢٥٢٨). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٢٢/٨، رقم ٧٨٤١)، وفي الصغير: (٢٢٤/٢، رقم ١٠٦٩)، والخطيب: (٥/٦).

حديث ابن عباس: أخرجه أحمد: (٢٢٨/١، رقم ٢٠١٣)، والبخاري: (٣٥٠/١، رقم ٩٨٨)، ومسلم: (٦١٧/٢، رقم ٩٠٠). وأخرجه أيضًا: الطيالسي: (ص ٣٤٣، رقم ٢٦٤١)، وابن أبي شيبة: (٣٠٤/٦، رقم ٣١٦٤٦)، وعبد بن حميد: (ص ٢١٤، رقم ٦٣٧)، والنسائي: (٤٧٦/٦، رقم ١١٥٥٦)، وأبو يعلى: (٨٢/٥، رقم ٢٦٨٠)، والطبراني في الأوسط: (١٩٠/٤، رقم ٣٩٤١)، وابن حبان: (٣٣١/١٤، رقم ٦٤٢١)، والبيهقي: (٣٦٤/٣، رقم ٦٢٧٦).

وحديث أبي هريرة: أخرجه أبو الشيخ في العظمة: (١٣٤٢/٤، رقم ٨٥٥٥٩)، وأبو نعيم في الحلية: (٣٠٦/٨). وأخرجه أيضًا: ابن عدي: (٢٣٠/٤، ترجمة ١٠٤٩ عبد الله بن نصير الأصم)، والقضاعي: (٣٣٤/١، رقم ٥٧١).

وأخرجه ابن عساكر: (٥٤/٥٥) عن ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ١٣٠٥/٤.

لو حبست الريح عن الناس ثلاثة أيام لأنتن ما بين السماء والأرض[١].

وذكر بعضهم لكل من هذه الرياح الأربع خاصة.

فالجنوب حارة رطبة، والشمال باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب عليهم. كما رواه مسلم، والصبا حارة يابسة، والدبور باردة رطبة.

وأما كون الرياح مبشرات بالمطر فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨].

ومعنى (نُشُرًا) كما قال الفخر: متفرقة من كل جانب، والنشر: التفريق ومنه نشر الثوب، ونشر الخشبة. قال الفخر: النشر هي الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب، وأصلها من النشر وهي الرائحة الطيبة[٢].

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ، عن عُبَيْد بن عُمَير قال: يبعث الله [المبشرات][٣]، فتقم الأرض قمًّا، ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث المؤلفة فتؤلفه، ثم يبعث اللواقح فتلقحه، ثم قرأ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

وفي الثعلبي، عن أبي بكر بن عياش: لا تقع قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه فالصبا تهيجه، والجنوب تذره، والشمال تفرقه[٤].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾. أي: لواقح للشجر والسحاب وقاله الحسن والضحاك[٥].

قال الفخر: وأصل هذا من قولهم: لقحت الناقة وألقحها الفحل إذا ألقى فيها الماء فحملته، فكذلك الرياح جارية مجرى الفحل للسحاب.

وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية: يبعث الله الرياح لتلقيح السحاب، فتحمل

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد: ١/١٩٨.

(٢) انظر: تفسير الرازي: ١٤/٢٨٧، والقول منسوب للفراء.

(٣) في (ر): (المبشرة).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي: ٥/٣٣٧.

(٥) انظر: تفسير الرازي: ١٩/١٣٤.

الماء وتمجه في السحاب، ثم تعصره السحاب وتدره كما تدر اللقحة، قال: فهذا تفسير [٣٦/أ] إلقاحها للسحاب.

ومعنى (لَوَاقِحَ): ملاقح. قاله أبو عبيدة.

قال الزجاج: ويجوز أن يُقَالُ لَهَا (لَوَاقِحَ) وإن القحت غيرها.

لطيفة: قد تكون الريح راحة للأبدان وتنعيمًا لَهَا، سيما الصَّبا والشمال، وقد تكون لإفساد الثمار كالعقيم وهي التي لا تلقح شجرًا، ولا تُنْشِئُ سحابًا، ولا رحمة فيها ولا بركة.

وفي أبي داود، عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الرِّيحُ مِنْ رَوحِ اللهِ، وريح الله يأتي بالرحمة، ويأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تَسبوها واسألوا الله خيرها، واستعيذوا به من شَرِّهَا"(١).

وأخرج البخاري، ومسلم، والترمذي، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ"(٢).

ولفظ الترمذي: كان إذا رأى السحاب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الشافعي: (٨١/١)، والبخاري في الأدب المفرد: (٢٥١/١، رقم ٧٢٠)، وأبو الشيخ في العظمة: (١٣١٣/٤، رقم ٨١١١٥)، وابن حبان: (٢٨٧/٣، رقم ١٠٠٧)، والحاكم: (٣١٨/٤، رقم ٧٧٦٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين. والبيهقي: (٣٦١/٣، رقم ٦٢٥٦). وأخرجه أيضًا: أحمد: (٤٠٩/٢، رقم ٩٢٨٨)، والنسائي في الكبرى: (٢٣١/٦، رقم ١٠٧٦٧)، وأبو يعلى: (٥٢٦/١٠، رقم ٦١٤٢). قال المناوي: (٦٠/٤) قال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي، وقال النووي في الأذكار والرياض: إسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٨٩٩).

فصل

في ذكر الليل والنهار

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الجاثية: ٥]. إلى غير ذلك من الآيات.

وأخرج الحاكم وصححه، عن أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنك تدعو إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَأَيْنَ اللَّيلُ الَّذِي الْتَبَسَ كُلَّ شَيءٍ مِنْهُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟[(١)]". قَالَ: اللهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: "كَذَلِكَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ".

وكان أبو وائل يقول: إذا جاء الليل جاء خلق الله الأعظم.

وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عَبَّاس أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ اللَّيل والنهار أيهما كان قبل فقرأ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ثُمَّ قَالَ: هَل كَانَ بَيْنَهُمَا ظُلْمَة. وَذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّيْلَ كَانَ قَبْلَ النَّهار.

وقال ابن جرير: أَوَّل ما خلق الليل [٣٦/ب] مظلمًا، وخلق النور فطرد الظلمة إلى حيث شاء الله، ثُمَّ خَلَقَ الشمس والقمر والنهار، وليس لله خلق أعظم من الليل والنهار.

وقيل: إنَّ الله تعالى خلق من النور النهار، وجعله مُضِيئًا نَيّرًا، وخلق من الظلمة الليل، ثم خلق الشمس [والقمر، فـ][(٢)]لأهل [الدنيا هذه المصلحة، وأما أهل][(٣)] الدار [الآخرة فلا، وأيضًا ففيهما لأهل هذه الدار][(٤)] الدلالة على قدرة العزيز الجبار [لا إله إلا هو][(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد: ٤٤١/٣، ومسلم: (١٢٦٢/٣، رقم ١٦٤١)، وأبو داود: (٢٣٩/٣، رقم ٣٣١٦).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) ساقط من (ر).

وروى مُقاتل، عن عكرمة، قال: خلق الله عند المشرق حجابًا من الظلمة، فوضعها على البحر السابع، فإذا كَانَ عند غروب الشمس أقبل ملك مُوَكَّل بالليل، فقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبل المغرب، فلا يزال يرسل تلك الظلمة من خلل أصابعه قليلًا قليلًا، وهو يُرَاعِي الشَّفَق، فَإِذَا غَابَ الشَّفَق أرسل الظلمة كلها، ثُمَّ ينشر جناحيه، فيبلغان قطري الأرض، وأفقي السَّمَاء فتشرق ظلمة الليل بحناحيه، فإذا كان الصبح ضم جناحيه، ثم يضم الظلمة كلها بعضها لبعض بكفه من المشرق.

وأما اختلاف الليل والنهار فللعلماء في قوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾. أقوال:

فقيل: إنَّ الاختلاف هُو التعاقب في الذهاب والمجيء، فإذا ذهب هذا خلفه هذا، وإذا ذهب هذا خلفه هذا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. وقيل: إن اختلافهما راجع إلى الطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقصان.

قال الفخر: كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة، كذلك يختلفان في الأمكنة، فعلى مذهب من يَرَى أنَّ الأرض كرية، فكل ساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي آخر عصر، وفي آخر مغرب، وفي آخر عشاء وهلم جرا[1].

قال الفخر: هذا إذا اعتبرت البلاد المختلفة في الطول، وَأَمَّا المختلفة بالعرض فكل بلد يكون [٣٧/أ] عرضه إلى الشمال أكثر تكون أيامه الربيعية أطول ولياليه الصيفية أقصر، وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذا الاختلاف أمر عجيب.

وأما تداخل الليل والنهار فقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ الآية [لقمان: ٢٩].

قال الثعلبي: أي يدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات، ويولج الليل في النهار حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات، فما نقص من واحد زاد في الآخر، نظيره قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].

---

(١) انظر: تفسير الرازي: ١٦٦/٤.

لطيفـة: ذكـر بعـضهم أنَّ الله تعـالى خلـق جـوهرتين: إحـداها مظلمـة، والأخـرى مضيئة، فاستخلص من المضيئة كل نـور، فخلـق مـن نورهـا النهـار، ومـن البـاقي النـار، واستخلص من الظلمة كل ظلمة، فخلق منها الليل، وخلـق مـن البـاقي الجنـة، فالليـل مـن الجنـة، والنهـار مـن النـار، فلـذلك كـان الأُنـس بالليـل أكثـر، ولـذلك قـال بعـضهم: الليل أُنْس المحبين، وقرة أعين المشتاقين وكمال السرور بِاللَّيل، وَقَدَّمَ اللَّيل على النهـار؛ لأن الليـل لخدمـة الخـالق، والنهـار لخدمـة المخلـوق، ولأن معـارج الأنبيـاء عليهم [الـصلاة][1] الـسلام كانـت بالليـل، كإدريس وإبـراهيم ومحمـد علـيهم الـصلاة والسلام وعلى إخوانهم من النبيين وآل كلٍّ وصحبه أجمعين.

(١) ساقط من (ر).

الباب الثاني

في ذكر العالم السفلي

قال الله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [الحجر: ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

قال المفسرون: لَيْسَ في القرآن آية تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الأرضين سبع إلا هذه.

وأما السنة ففي صحيح مسلم، عن سعيد بن زيد أَنَّهُ عليه الصلاة والسلام قال: "مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا [٣٧/ب] طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ(١)".

وفي صحيح البخاري: "خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين(٢)".

وقول بعضهم مِنْ أَنَّ المُرَاد بِهِ سبعة أقاليم خلاف الظاهر، إذا علمت ذلك.

فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر، عن ابن مسعود، وناس من الصحابة أنَّ الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء لم يخلق شيئًا مِمَّا خلق قبل الماء، فَلَمَّا أَرَادَ أن يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَانًا، فارتفع فوق الماء فسما عليه فَسَمَّاهُ سماء، ثُمَّ أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة، ثُمَّ فتقها فجعلها سبع أرضين في يومي الأحد والاثنين.

فخلق الأرض على حوت، وهو الذي ذكره سبحانه في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء

(١) أخرجه مسلم: (٣/٢٣٠، رقم ١٦١٠)، والحاكم: (٤/٣٢٩، رقم ٧٨٠٧) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٤٥٤). (خسف به) غارت به الأرض وجعل ذلك في عنقه كالطوق.

ولا في الأرض، فتحرك الحوت فتزلزلت الأرض، فَأَرْسَى عليها الجبال فَقَرَّت، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغي لها في يَوْمَي الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهي دخان، وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يوم الخميس والجمعة، وَإِنَّمَا سمي يوم الجمعة؛ لأَنَّهُ جمع فيه خلق السموات والأرض.

وأخرج ابن راهويه في مسنده، وأبو الشيخ، والبزار، بسند صحيح، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمَائَةِ عَامٍ، وَكَذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَالأَرْضُونَ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى العَرْشِ مِثْلُ ذَلِكَ"(١).

وأخرج أبو الشيخ، عن أبي الدرداء رضي الله [تعالى](٢) عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كِثَفُ الأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسُ مَائَةِ عَامٍ، [٣٨/أ] وَكِثَفُ الثَّانِيَةِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ أَرَضِيْنَ مِثْلُ ذَلِكَ"(٣).

وأخرج الترمذي، عن ابن مردويه، وأبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله [تعالى](٤) عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الحديث). وذكر فيه السَّموات وما بينهن، وفيه قال: "أَتَدْرُونَ مَا تَحْتَ هَذِهِ؟" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَرْضٌ".

[ثم قال: "أتدرون ما تحتها؟" قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "أرض](٥) أُخْرَى". حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَسَبْعَ أَرَضِينَ، بَيْنَ كُلِّ أَرَضِيْنَ خَمْسِمَائَةِ عَامٍ.

وأخرج البزار، وابن عدي، وأبو الشيخ، عن ابن عمر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الأرض علي ما هي؟ قال: "عَلَى المَاءِ".

قَالَ: أَرَأَيْتَ المَاءَ، عَلَى مَا هُوَ؟ قَالَ: "عَلَى صَخْرَةٍ خَضْرَاءٍ".

قَالَ: أَرَأَيْتَ الصَّخْرَةَ، عَلَى مَا هِيَ؟

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ٥٥٧/٢.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ٥٥٩/٢.

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

قَالَ: "عَلَى ظَهْرِ حُوتٍ يَلْتَقِي طَرَفَاهُ بِالعَرْشِ".

قِيلَ: أَرَأَيْتَ الحُوتَ، عَلَى مَا هُوَ؟

قَالَ: "عَلَى كَاهِلِ مَلَكٍ قَدَمَاهُ فِي الهَوَاءِ"[(١)].

وأخرج أبو الشيخ، عن كعب قال: الأرضون السبع على صخرة، والصخرة في كفِّ ملك، والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء، والماء على الريح، والريح على الهواء ريح عقيم.

وفي تفسير الثعلبي، قال السدي: خلق الله الأرض على حوت والحوت على الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح[(٢)].

وفيه أيضًا: الأرض على ظهر النون، والنون على بحر، وأن طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء، والصخرة على ظهر ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله.

وقال مكي: قال أبو هريرة: الأرض على نون، والنون على الماء، والماء على الصخرة، والصخرة لها أربعة أركان، على كل ركن منها ملك قائم في الماء. وفي التواريخ أَنَّهُ قيل لعيسى عليه السلام: يا روح [٣٨/ب] الله ما تحت هذه الأرض؟

قال: بحر من ماء [قيل فما تحت البحر قال أرض قيل: فما تحت الأرض قال بحر من ماء][(٣)] حتى بلغ سبع أرضين وسبعة أبحر.

قيل: فما تحت هذه الأرض السابعة؟

قال: صخرة مجوفة.

قيل: فما تحت الصخرة؟

قال: هي على منكب ملك قائم.

قيل: فما تحت الملك؟

---

(١) ذكره ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ، وقال: رَوَاهُ سعيد بن سِنَان. عَن أبي الزَّاهِرِيَّة، عَن أبي شَجَرَة، عَن ابْن عمر. وَسَعِيد مَتْرُوك الحَدِيث.

(٢) ذكره أبو الشيخ في العظمة: ١٣٨٤/٤.

(٣) ساقط من (ر).

قال: هو على ظهر ثور.

قيل: فما تحت الثور؟

قال: هو قائم على ظهر حوت، وقد التقى طرفاه تحت العرش.

قيل: فما تحت الحوت؟

قال: الماء.

قيل: فما تحت الماء؟

[قال: الريح.

قيل: فما تحت الريح:](١).

قال: هواء وظلمة.

قيل: فما تحت ذلك؟

قال: إلى هنا انتهى علمي وعلم العلماء.

وفي بهجة النفس أنَّ عيسى سئل: هل تحت الأرض من خلق؟

قال: نعم؛ حتى [بلغ](٢) عد سبع أرضين.

قيل له: فما أسفل ذلك يا روح الله؟

قال: صخرة، ثُمَّ تحت الصخرة ماء، ثُمَّ تحت الماء حوت.

قيل له: فما تحت ذلك كله؟

قال: ظلم الهواء، وانقطع العلم دونها، فلا يعلم ذلك إلا الله.

قيل: فما يمسك هذه الأرض التي نحن عليها؟

قال: صخرة خضراء في كَفِّ ملك قائم على ظهر حوت منطو بالسموات إلى تحت العرش.

وأظن أنَّ هذا كله من خرافات القصاص، وأظن أني رأيته في كلام ابن حزم، وقال: الجسم الكلي الذي هو جرم العالم جملة، وهو الفلك الكلي الله تعالى يمسكه، كما قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾ [فاطر: ٤١]. فلا يلاقيه من صفحته العليا والسفلى شيء أصلا ولا هناك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملاء.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

قال: فصح أن الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد ولا رفادة ولاجرم آخر، ولو أنَّ هؤلاء تمسكوا بالقرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله لكان أسلم لهم في الدين.

وقال في موضع آخر: قام البرهان على تناهي جرم العالم، وإذا تناهى، فليس وراء النهاية شيء إذ لو كان [٣٩/أ] ورائها شيء لم تكن نهاية، فوجب ضرورة أَنَّه ليس خارج عن الفلك الذي هو نهاية العالم شيء لا خلاء ولا ملاء. انتهى.

[وحيت تمم أمرها](١) فاسم الأرض الأولى: الرمكا. وتحتها الريح العقيم زُمَّت بسبعين ألف زمام من حديد، وكل بكل زمام سبعون ألف ملك بها أهلك الله قوم عاد، وبها ينسف الله يوم القيامة الجبال والتلال.

وسمى الأرض الثانية: جلدة، وهي من حديد، وجعل سُكَّانها عقارب أهل النار.

وسمى الثالثة: عرفة، وأسكنها أصناف العذاب لأهل النار، لا يقدر أحد على وصفه.

وسمى الرابعة: الجدباء، وأسكنها حَيَّات أهل النار.

وَسَمَّي الخَامِسَةَ: قلتا، وأسكنها الكبريت والحجارة التي أَعَدَّهَا الله لأهل النار.

وسمى السادسة: سِجِّينًا، وجعل فيها دواوين أهل النار.

وسمى السابعة: عجيبًا، وَأَسْكَنَهَا إِبْلِيس وجنوده، وَهُوَ فِيهَا مَحْبُوسٌ مَوثُوقٌ، وأرواح الفُجَّارِ عند [خد](٢) إبليس في وسطها حجاب من ظلمة في أحد جانبيه باب إلى سقر، وهناك عرش إبليس.

قيل له: فما تحت ذلك يا روح الله؟

قال: هواء وظلمة وما لا علم لأحد به إلا الله.

قلت: وأخرج الحاكم نحو بعض هذا في (المستدرك) عن ابن عمر مرفوعًا.

وأخرج نحو هذا أبو الشيخ، عن حسان بن(٣) عطية.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) في الأصل: عن، والصواب ما أثبتناه. وهو حسان بن عطية المحاربي، مولاهم، أبو بكر، الشامي، الدمشقي. وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين.

وكذلك أخرج عن الدميارى والله سبحانه هو العالم بحقيقة ذلك؛ لأنه غيب يحتاج فيه إلى توقيفٍ بنقل صحيح.

قال في (الخريدة): وهذه الأخبار مما يتولع بها الناس، ويتنافسون فيها، ولعمري إنَّ ذلك مما يزيد المرء بصيرة في دينه وتعظيمًا لقدرة ربه وتحيرًا في عجائب خلقه، فإن صحَّت فما ذلك على الله بعزيز، وإن تكن من اختراع أهل الكتاب وتحسين القصاص، فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر، [٣٩/ب] والله أعلم.

لطيفة: اختلف العلماء في الأرض هل هي كرة أو بسيطة، فذهب ابن عباس وجمعٌ كثيرٌ من أهل العلم إلى أنها بسيطة أي مبسوطة، مُستوية السطح في الأربع جهات، وذهب بعضهم إلى أنها كُرَة، وَبِهِ قَالَ أهل التعديل والفلاسفة، وجماعة من أهل السنة كالفخر وغيره.

ففي (خريدة العجائب) لابن الوردي قال بعضهم: إنها كهيئة المائدة.

وقال بعضهم: إنها كهيئة الطبل.

وقال بعضهم: إنها شبه نصف الكرة كهيئة القبة، وإن السماء مركبة على أطرافها.

والذي عليه الجمهور أنَّ الأرض مستديرة كالكرة، وأنَّ السماء محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمحة، فالصفرة بمنزلة الأرض، وبياضها بمنزلة السماء، وجلدها بمنزلة السماء [الأخرى][1]، غَيْرَ أَنَّ خلقها لَيسَ فيه استطالة كاستطالة البيضة، بل هي مُستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط حتى قال مهندسوهم: لو حُفِر في الوهم وجه الأرض، لأدى إلى الوجه الآخر، ولو ثُقِبَ مثلا بِأَرْضِ الأَنْدَلُسِ، لنفذ الثَّقْبُ بأرض الصين انتهى.

ولكل من الفريقين حُجَّة، وذهب بعضهم إلى أنها كرة وبه قال أهل التعديل، والفلاسفة، وجماعة من أهل السنة كالفخر وغيره، فاحتج أهل القول الأول بقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [ق: ٧]. وبقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]. أي: بسطها. قاله ابن عباس وغيره.

وعن ابن عمر، وابن عباس: خَلَقَ اللهُ الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثُمَّ دُحيت الأرض من تحت البيت.

---

(١) ساقط من الأصل.

واحتج أهل القول الثاني بوجوه عقلية قَرَّرَهَا الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾... الآية [البقرة: ١٦٤] قال وإن قالوا: قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾. ينفي كونها كرة.

قلنا: [٤٠/أ] لا نسلم [ذلك](١) لأنَّ الأرض جسم عظيم، والكرة إِذَا كَانَتْ فِي غَايَةِ الكِبَر كَانَتْ كل قطعة منها تشاهد كالسطح، والتفاوت بينهما لا يحصل إلا في علم الله تعالى.

قال بعضهم: وفي كلام الفخر نظر؛ لأنَّ ابن عباس وغيره من السَّلف أَعْلَمُ بالبيان من غيرهم.

وفي تفسير القرطبي: قال الثعلبي: قال بعض أهل العلم إنَّ في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الكهف: ٥١] ردًا على المنجمين إذ قالوا: إن الأفلاك تحدث في الأرض وفي بعضها بعض.

وقوله: ﴿وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] ردًّا على أصحاب الهيئة حَيثُ قالوا: إن الأرض [كورية](٢)، والأفلاك تجري تحتها، والناس ملصقون عليها وتحتها.

وقوله: ﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]. ردًّا على الطبائعين حيث زعموا أنَّ الطبائع هي الفاعلة في النفوس [انتهى](٣).

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (ر): (كرية).

(٣) ساقط من (ر).

فصل

في ذكر الجبال

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠].

قال الجمهور من المفسرين: لما مدت الأرض بالقدرة الإلهية على وجه الماء كادت تميد، فألقى الله تعالى فيها الجبال فأرساها بها.

وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عباس قال: إنَّ الجبال لتفتخر على الأرض؛ لأنها أثبتت بها.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطاء قال: أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الجِبَالَ، فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا، فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتْ المَلائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الجِبَالِ، فَقَالَتْ: يَارَبُّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ الجِبَالِ؟

قَالَ: نَعَمْ؛ الحَدِيدُ.

قَالَتْ: فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ الحَدِيدِ؟

قَالَ: نَعَم؛ النَّارُ.

قَالَتْ: فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: نَعَم؛ المَاءُ.

قَالَتْ: فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ المَاءِ؟

قَالَ: نَعَم؛ الرِّيحُ.

قَالَتْ: فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ [٤٠/ب] مِنَ الرِّيحِ؟

قَالَ: نَعَم؛ ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ فَيُخْفِيهَا عَنْ شِمَالِهِ"(١).

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي: ١١/٦. والحديث أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٦٩) وقال: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وضعفه الألباني.

فصل

في ذكر جبل قاف

قال [الله][(1)] تعالى: ﴿ق وَالْقُرْءَانِ﴾ [ق: ١].

قال المفسرون: (ق): جبل محيط بالأرض من زمردة عليها كتف السماء.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن كعب في قوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]

قال: الحجاب جبل أخضر من ياقوته محيط بالخلائق فمنه خضرة السماء.

وأخرج أبو الشيخ، عن السدي قال: الجبل الذي تطلع الشمس من ورائه، طوله ثمانون فرسخًا في السماء. وفي الثعلبي، عن الضحاك: أن (ق) جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منه، والسماء عليه مقببة. وما أصاب الناس من زمرد فمما تساقط من ذلك الجبل، ورواه أبو الجوزاء، عن ابن عباس.

وقال بعض المفسرين: إنَّ من جبل (ق) إلى السماء مقدار قامة رجل.

وقال آخر: بل السماء مطبقة عليه.

وفي (بهجة النفس)، عن ابن عباس: أن جبل (ق) من بعض شعب الصخرة التي عليها الثور، وخلق الله تعالى ستة جبال هي من وراء (ق) ليست على الأرض هى من وراء الأرض علي الصخرة بمسيرة خمسمائة عام، وهى موتودة بأطراف الأرض على الصخرة، وليس على الصخرة جبال موتودة غير هذه الستة، و(ق) سابعها، وهذه الستة هي معتمدة على (ق). ولقاف في السماء سبع شعب لكل سماء شعبة منها، فالسموات السبع مقببة عليها.

وقال وهب: إن ذا القرنين أتى على جبل (ق) فرأى حوله جبالًا صغارا، فقال: ما أنت؟

قال: أنا (ق).

---

(١) ساقط من (ر).

قال: فما هذه الجبال التي حولك؟

قال: هي عروقي، وليست مدينة إلا وفيها عرق منها، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل مدينة أمرني، فحركت عرقي ذلك، فتزلزلت تلك المدينة [٤١/أ].

فقال: يا (ق) أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى.

فقال: إنَّ شأن ربنا لعظيم، وإن من ورائي مسيرة خمسمائة عام، في عرض خمسمائة عام جبال من ثلج يحطم بعضها بعضًا لولا ذلك الثلج لا حترقت من نار جهنم.

فقال: زدني.

قال: إنَّ جبريل عليه السلام بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه، يخلق الله تعالى من كل رعدة ألف ملك، وأولئك الملائكة صفوف بين يدى الله تعالى مُنَكِّسُوا رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام، قالوا: لا إله إلا الله.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبوالشيخ، عن ابن عباس قال: خلق الله تعالى جبلًا يقال له (ق) محيطا بالأرض وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلى تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم تحرك القرية دون القرية. وأخرج أبو الشيخ نحوه عن وهب.

لطيفة: الحكمة في كون الأرض ساكنة حتى تكون فراشًا لنا وأن يمكن التصرف عليها بالبناء وغيره، واختلف القدماء من الفلاسفة وأهل الهيئة في الموجب لسكونها على أقوال. فقيل: لأن الأرض لا نهاية لها من جهة السفل فلا مهبط لها إذن.

قال الفخر: وهذا باطل لتناهي الأجسام، وقيل: الموجب لسكونها جذب الفلك لها من كل الجوانب فليس بعض الجوانب بأولى بجذبها من بعض فوجب وقوفها، ويبطل بالمدر لأنه صغير والأصغر أسرع إنجذابا فكان الواجب إنجذاب الأصغر دون الأكبر.

وقيل: رفع الفلك لها من كل الجوانب، وقيل: إن الأرض بطبعها تطلب وسط الفلك، قاله أرسطاطاليس وجمهور أمثاله [٤١/ب].

ويبطل: بأن الأجسام كلها متساوية في الجسمية فاختصاص البعض بالصفة دون البعض يفتقر إلى مخصص فبطل جميع ما قالوه، والحق أن سكونها بفعل الواحد القهار، والعقل لا يقطع على جميع حكم الله تعالى في مخلوقاته لحصول العجز.

فصل

في مقدار سعة الأرض

ذكر الإمام فخر الدين أن طول الأرض ما بين المشرق والمغرب، وعرضها ما بين الشمال والجنوب، لأن الذي جهة مطلع سهيل يسمى جنوبًا، والمقابل له يسمى شمالًا والمشرق والمغرب معلومان إذا علمت ذلك.

فقد اختلف أهل الهيئة والفلاسفة في مقدار الأرض ففي المسالك للبكرى أن الأرض كلها مسيرة خمسمائة عام ثلث عمران، وثلث بحار، وثلث برارى غير مسكونة.

وعن مكحول مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة؛ مائتان من ذلك في البحر، ومائتان ليس يسكنها أحد، وثمانون فيه يأجوج ومأجوج وعشرون فيه سائر الخلق كذا في الخريدة.

وفي تفسير الفخر يقال: أن ثلاثة أرباع كرة الأرض ماء، وإن الموضع الذي طوله تسعون درجة على خط الاستواء يسمى قبة الأرض.

وفي (عيون الأخبار) لابن قتيبة: الدنيا كلها أي المعمور منها أربعة وعشرون ألف فرسخ؛ اثناعشر ألفًا للسودان، وثمانية آلاف للروم، وثلاثة آلاف لفارس، وألف للعرب.

وقال قتادة: الأرض المعمورة هي أربعة وعشرون ألف فرسخ، اثنًاعشر ألفًا للسند والهند، وثمانية آلاف ليأجوج ومأجوج، وثلاثة آلاف للروم، وألف للعرب، كذا في بهجة النفس. وقال بعض المؤرخين: اتفق الفلاسفة وكل من عني بمساحة الأرض [٤٢/أ] أن تكسير الأرض اثنان وعشرون ألف فرسخ. وحكى البكري، عن أبي عبيد أنه حكى اتفاقهم على أن طول عمران الأرض ثلاثة عشر ألف ميل، وخمسمائة ميل، وذلك من أقصى الجزائر السِّت التي بالبحر المسمى أدفيانس، وهو البحر المحيط الذي لا يعلم ما وراءه غربًا إلى أقصى عمران الصين شرقًا.

وذكر بعضهم أن استدارة الأرض ستة وثلاثون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع اثنان وأربعون إصبعا، والإصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها إلى بعض.

قال الإمام الفخر: اتفقوا على أن جعلوا ابتداء العمارة من الغرب؛ إلا أنهم اختلفوا في التعيين فبعضهم يأخذه من ساحل البحر المحيط، وهو بحر أدفيانس، وبعضهم يأخذه من جزائر راغلة وهى التي تسمى الخالدات.

زعم الأوائل أنها كانت عامرة في قديم الدهر.

قال الفخر: [إن][١] بعد هذه الجزائر عشرة جزائر.

قال: فيلزم على هذا وقوع الإختلاف في الإنتهاء أيضا، ولم يوجد عرض العمارة إلا بعد ستة وستين درجة من خط الإستواء [إلا أن بطليموس زعم أن من وراء][٢] خط الاستواء عمارة إلى بعد ست عشر درجة فيكون عرض العمارة قريبا من اثنين وثمانين درجة.

وأما مقدار سعة الأرض بالمراحل ففي (الخريدة): أن من مصر إلى أقصى المغرب نحو مائة وثمانين مرحلة وإذا قطعت من القلزم شرقي مصر إلى حد الصين على خط مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتين مرحلة، فجملة ما بين أقصى المغرب إلى أقصى المشرق نحو [مائتي مرحلة و][٣] أربعمائة مرحلة. هذا طول الأرض.

وأما عرضها [٤٢/ب] من أقصاها في حد الشمال إلى أقصاها في حد الجنوب، فمن ناحية يأجوج ومأجوج إلى أرض بلغار، وأرض الصقالبة نحو أربعين مرحلة، ومن أرض الصقالبة في بلد الروم إلى الشام نحو ستين مرحلة، ومن أرض الشام إلى مصر نحو ثلاثين مرحلة، ومنها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة، حتى تنتهي إلى البرية، فذلك مائتان وعشرة مراحل كلها عامرة.

وأما ما بين يأجوج وماجوج إلى البحر المحيط، وما بين براري السودان إلى البحر المحيط فقفر خراب ليس فيه نبات ولا طير ولا وحش ولا شيء من المخلوقات، ولا يعلم أحد مسافة هاتين البريتين كم هي إلى المحيط؟ وذلك أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة والحياة في الشمال، وفرط الحر المانع من ذلك في الجنوب.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

وأما جميع ما بين الصين والمغرب فمعمور كله، والبحر المحيط محتف به كالطوق.

وأما عدد أقاليم الأرض فمذهب الفلكيين أن الأقاليم سبعة، وذكر بعضهم أن طول كل إقليم من الأقاليم تسعمائة فرسخ في مثلها.

فالأول فيه أرض بابل وخرسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبل.

وله من البروج الحمل، ومن النجوم المشترى.

والثاني السند والهند والسودان.

وله من البروج الجدى وزحل.

والثالث مكة والمدينة والحجاز واليمن.

وله من البروج العقرب والزهرة.

والرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس.

وله من البروج الجوزاء وعطارد.

والخامس الشام والروم والجزيرة.

وله من البروج الدلو والقمر.

والسادس الترك والخرماز والديلم والصقالبة.

وله السرطان والمريخ.

والسابع الذيبل والصين.

وله من البروج الميزان والشمس، ولأهل الهيئة وغيرهم [٤٣/أ] اختلاف واضطراب في تعيين هذه الأقاليم السبعة.

وذكروا أن الإقليم الأول أطول أياما، وأعدل ساعات من الثاني، والثاني أعدل من الثالث، ثم كذلك إلى آخرها.

وإن ما وراء السابع لا يسكن ولا يعيش فيه حيوان، ولا يدخل إذا كانت الشمس في آخر الأبراج الشمالية في رأس السرطان.

وزعمت الفلاسفة أن الشموس شموس كثيرة، والأقمار أقمار كثيرة، ففى كل إقليم شمس وقمر ونجوم.

لطيفة: قال البكرى في (المسالك): إن بالمشرق مدينة وبالمغرب أخرى طول كل واحدة اثنا عشر ألف فرسخ، ولكل مدينة عشرة آلاف، باب يحرس كل باب في

كل ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم النوبة إلى يوم القيامة، الرجل منهم يعمر ستة آلاف سنة، فما دونها، وهم يأكلون ويشربون ويتناكحون.

والمدينتان خارجتان من الدنيا لا يرون شمسا ولا قمرًا، ولا يعرفون آدم ولا إبليس، يعبدون الله، ولهم نور يسعون فيه من غير شمس ولا قمر.

قال عليه الصلاة والسلام: "مر بي جبريل عليهم فآمنوا بي، فدعوتهم إلى الله فأجابوا، فمحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم".

قلت: هذا الحديث غير معتبر عند المحدثين.

وحكى الفخر في تفسيره: عن ابن جزي، في المدينة التي عند مغرب الشمس أن لها مائتين وعشرين ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب. والله أعلم.

فصل

في ذكر البحار

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢]. قال ابن عطية: يريد بهما جميع الماء الملح، وجميع الماء العذب حيث كان. والفرات الشديد العذوبة، [٤٣/ب] والأجاج: الشديد الملوحة الذي يميل إلى المرارة من ملوحته.

وفي الثعلبي، عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلم الله البحرين فقال للبحر الذي بالشام: يا بحر، إني قد خلقتك، وأكثرت فيك من الماء، وإني حامل فيك عبادًا لي يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني، فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم قال الله [تعالى][(١)] فإني أحملهم على ظهرك، وأجعل بأسك في أمواجك، وقال للبحر الذي في اليمن إني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء، وإني حامل فيك عبادي إليَّ يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني فما أنت صانع بهم؟ قال أسبحك وأحمدك وأهللك وأكبرك معهم، وأحملهم على ظهري، قال تعالى: فإني أفضلك على البحر الآخر بالحلي، والطيب، إذا تقرر ذلك[(٢)]".

فقد أخرج أبو الشيخ، عن ابن عباس رضي الله [تعالى][(٣)] عنهما، قال: إن هذا الخلق أحاط بهم بحر. قيل: وما بعد البحر؟ قال: هواء. قيل وما بعد الهواء؟ قال: بحر أحاط بهذا الهواء، والبحر الداخل إلى سبعة أبحر. وأخرج عن وهب قال: "إنها سبعة أبحر وسبع أرضين، والأرض على ظهر الحوت، واسم الحوت بهموت[(٤)]".

وأخرج عن حسان بن عطية قال: بلغنى أن مسيرة الأرض خمسمائة سنة بحورها منها مسيرة ثلاثمائة سنة.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي: ١٠٣/٨.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٦٨/١٤.

وأخرج عن ابن عمرو قال: تحت بحركم هذا بحر من نار، وتحت ذلك البحر بحر من ماء، وتحت ذلك البحر بحر من نار، حتى عد سبعة أبحر من نار، وسبعة أبحر من ماء. وأخرج ابن أبي حاتم: أن بحرنا هذا خليج من [نبطس ونبطس][(١)] وراءه، وهو المحيط بالأرض، فالأرض، وما فيها من البحار عند [نبطس][(٢)] كعين على سيف البحر، وخلف [نبطس][(٣)] قنبس محيط بالأرض، [فنبطس][(٤)]، وما [٤٤/أ] دونه عنده كعين على سيف البحر، وخلف قنبس الأصم محيط بالأرض، فقنبس وما دونه عنده كعين على سيف البحر الحديث.

قال في (خريدة العجائب): أعظم بحر على وجه الأرض المحيط المطوق بها من سائر جهاتها، وليس له قرار، ولا ساحل، إلا من جهة الأرض، وساحله من جهة الخلو البحر المظلم، وهو محيط بالمحيط كإحاطة المحيط بالأرض، وظلمته من بعده عن مطلع الشمس ومغربها انتهى.

وهذا المحيط يسمى عندهم بحر المغرب، ويسميه اليونانيون [إدفيانس][(٥)].

وحكي عن أرسطاطاليس أن بحر [إدفيانس][(٦)] محيط بالأرض بمنزلة الإكليل لها، لأنه محيط بها من جميع جهاتها.

وفي (الجعفرية): أن هذا البحر يسمى بحر الظلمة لأنه بحر واحد، ولا تهب فيه الرياح ولا أمواج له ولا ترى فيه شمس.

وقالت الفلاسفة: لا قعر له ولا تجرى فيه السفن، وإنما يسلك بالقرب من ساحله، والبحار التي على وجه الأرض خلجان منه وفي هذا البحر عرش إبليس أعاذنا الله منه، يتشبه بالباري سبحانه وتعالى، يحملونه نفر من الأبالسة، ويحيط به سائر أصناف الجن، منهم من لا يفارقه من حجابه وخدمته، ومنهم من يتصرف بأمره في فتنة الناس وكيدهم وتضليلهم وله جزيرة اتخذها سجنا لمن خالف من الجن

(١) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٣٩.
(٢) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٣٩.
(٣) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٣٩.
(٤) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٣٩.
(٥) في (ر): (إدفيانس).
(٦) في (ر): (إدفيانس).

أمره، وفي تلك الجزيرة هيكل سليمان عليه السلام وفيه جسده، وهو قصر عجيب البناء واسع الفناء وفي هذا البحر جزيرة لا تزال على ممر الزمان تقذف نارًا تعلو مائة ذراع فأكثر، وفيه حصون وقصور تظهر على وجه الماء ثم تغيب في الماء [وتظهر فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة ثم تغيب في الماء] (١)،وفيه الأصنام التي عملها أبرهة [٤٤/ب] ذو المنار الحميرى قائمة على الماء، أحدها أصفر يومئ بيده كأنه يخاطب من ركب هذا البحر يأمره بالرجوع، والثاني أخضر رافع يديه باسطهما كأنه يقول: إلى أين تذهب؟ والثالث أسود الشعر يوميء بأصبعه إلى البحر كأنه يقول: من جاوز هذا المكان غرق، مكتوب على صدره بالمسند: هذا ما صنع أبرهة ذو المنار الحميري لسيدته الشمس، تقربًا إليها.

وفي هذا البحر من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمها إلا الله.

وفي (مسالك البكرى) عن بطليموس: أن فيه سبعة وعشرين ألف جزيرة عامرة وغامرة، منها جزيرة تظهر ستة أشهر، وتغيب ستة أشهر بكل من فيها، ومنها جزيرة تُرى على بعد فإذا قرب منها القاصد لها غابت عنه، وإذا رجع إلى الموضع الذي رآها منه نظر إليها، ويقول البحريون إن في ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها: الشاكل إذا حملها الإنسان معه أبصر الجزيرة.

وقيل: إن بها شجر يطلع بطلوع الشمس فلا تزال طالعة إلى نصف النهار، ثم تعود إلى الانحطاط حتى تغيب بمغيب الشمس، ومنها الجزيرة السيارة، فيها جبال وشجر وعمارة، فإذا هبت ريح من المغرب سارت إلى المشرق، وإذا هبت ريح من المشرق سارت إلى المغرب، هذا دأبها، وهى ثابتة بإجماع البحرين، ويذكرون أن جحارتها هفافة زنة الحجر الذي يقدر بالقناطير عشرة أرطال، ويحمل الإنسان القطعة الكبيرة من جبالها، ومنها جزيرة بيضاء واسعة كثيرة الأشجار والأنهار، بها قوم وجوههم في صدورهم، للواحد منهم فرجان، فرج امرأة وفرج رجل يتكلمون بمثل كلام الطير، وطعامهم نبات يشبه القطن والكماة.

ومنها جزيرة النمل، وهم خلق كثير ذوو أجنحة وشعور وخراطيم [٤٥/أ] يمشون على رجلين كمشي الناس، وعلى أربع كالبهائم، ويطيرون في الهواء مع الطير.

---

(١) ساقط من (ر).

ومنها جزيرة فيها أقوام رؤوسهم كرؤوس الكلاب العظام بادية الأنياب، يخرج من أفواهها مثل [لهيب][1] النار.

ومنها جزيرة فيها أمة طوال الوجوه، ومعهم قضبان الذهب يعتمدون عليها، ويحاربون بها، على رؤوسهم الذهب، وثيابهم منسوجة بالذهب، وطعامهم الموز، إلى غير ذلك من الجزائر التي لا يعلم ما فيها من العجائب إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) في (ر): (لهبة).

فصل

في ذكر شيء من بحار الأرض المتشعبة من البحر المحيط

حكى الإمام فخر الدين، عن الكسائي وغيره من العلماء أن البحور المعروفة خمسة: الأول بحر الهند، وهو الذي يقال له بحر الصين، الثاني: بحر المغرب، الثالث: بحر الشام والروم، الرابع: بحر [نبطس][1]، الخامس: بحر جرجان.

(فبحر الهند): متصل بالمحيط من المشرق، وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو كثير الموج، عظيم الاضطراب، فيخرج من المحيط، ثم يمر أولا بالصين ثم بالهند ثم بالسند ثم يمر على جنوب اليمن وهناك ينتهي الى باب المندب [فتكون مسافته من المحيط في المشرق إلى باب المندب][2] في المغرب أربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ.

وقال الفخر، عن الكسائي وغيره: طوله ثمانية آلاف ميل، وعرضه ألف ميل وسبعمائة ميل، ويمتد هذا البحر من أرض الحبشة من المغرب إلى أقصى أرض الهند والصين من المشرق، وتجاوز خط الاستواء بألف ميل وسبعمائة ميل، ويخرج منه أربعة أخاليج:

الأول: عند أرض الحبشة. قال الفخر ويمتد إلى ناحية البربر ويسمى الخليج البربري، وطوله مقدار خمسمائة ميل، وعرضه مائة ميل [٤٥/ب].

الثاني: خليج بحر أيلة: وهو بحر القلزم، ومبدأه من باب المندب فيمر فيه جهة الشمال مغربًا قليلا فيتصل بغربي اليمن ويمر بتهامة والحجاز، وينتهى إلى مدينة القلزم، وإليها ينسب. وهذا البحر الذي أغرق الله فيه فرعون، وهو بحر مظلم وحش،

---

(١) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٣٩.

(٢) ساقط من (ر).

لا خير فيه، ثم ينعطف راجعًا في جهة الجنوب، فيمر بشرقي بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زيلع من بلاد البجة إلى بلاد الحبشة، ويتصل بالبحر الهندي وطوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه سبعمائة ميل.

قال الفخر: وعلى شرقيه أرض اليمن وعدن، وعلى غربيه أرض الحبشة.

الثالث: بحر فارس، ويسمى الخليج الفارسي، والخليج الأخضر، فيخرج من بحر الصين إلى أن ينتهي إلى [عبدان][1]، ثم ينعطف راجعًا إلى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان وأرض اليمن، وهناك اتصاله بالبحر الهندي، وهوبحر مبارك كثير الخير، دائم السلامة، وطي الظهر، قليل الهيجان.

قال الإمام الفخر: وهو بحر البصرة وفارس، وطوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه خمسمائة ميل، قال: وبين هذين الخليجين أعني خليج أيلة، وخليج فارس، أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب فيما بين مسافة ألف وخمسمائة ميل.

الرابع: خليج يخرج إلى أرض الهند يسمى الخليج الأرضي طوله ألف وخمسمائة ميل. قال الفخر: وفي بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة ألف وثلاثمائة وسبعون جزيرة.

وفي (الخريدة): أن في هذا البحر جزائر كثيرة، قيل إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة، وفيها من الأمم ما لا يعلمها إلا الله، فأما ما وصل إليه الناس فأقل القليل، وفيها أيضا أن في بحر الصين اثنى عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة وفي بعض جزائره [٤٦/أ] ينبت الذهب.

البحر الثاني: بحر المغرب وهو المسمى عندهم بالمحيط وقد مر ذكره، ويتصل به بحر الهند ولا يعرف طرفه إلا في ناحية المغرب والشمال عند محازاة أرض الروم والصقالبة، فيأخذ من أقصى المنتهى في الجنوب محاذيا لأرض السودان، مارًا على حدود السوس الأقصى وطنجة، وتاهرة إلى المشرق.

قال الفخر: فيه ست جزائر تقابل أرض الحبشة تسمى جزائر الخالدات، ويخرج من هذا البحر خليج عظيم في شمال الصقالبة، يمتد إلى أرض المسلمين طوله من المشرق إلى المغرب ثلاثمائة ميل، وعرضه ميل.

---

(١) في (ر): (عبادان).

البحر الثالث بحر الروم وإفريقية ومصر والشام، طوله مقدار خمسة آلاف ميل وعرضه ستمائة ميل، ويخرج منه الخليج إلى أرض بربر طوله ميل.

قال في (الخريدة): مخرجه من المحيط ثم يخرج مشرقًا، فيمر بشمالي الأندلس، ثم ببلاد الفرنج إلى قسطنطينية، ويمتد ببلاد الجنوب إلى سبتة إلى طرابلس الغرب إلى إسكندرية، ثم إلى سواحل الشام إلى أنطاكية وهناك مجمع البحرين.

وذكر في كتاب (أخبار مصر): أنه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بني دلوكة في شق البحر المحيط من المغرب، فتغلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة، فأخربها وامتد الماء إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزًا بين بلاد مصر، وبلاد الروم، على أحد ساحليه النصارى، وعلى الآخر المسلمون.

قال الفخر: وفي هذا البحر مائتان وثنتان وستون جزيرة عامرة، منها خمسون جزيرة عظيمة.

وذكر أبو حامد أنه لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا توصف.

البحر الرابع بحر [نبطس][1]، ومداه من البحر الشامي.

قال الفخر: وهو يمتد من اللاذقية إلى خلف [٤٦/ب] قسطنطينية وأرض الروم والصقالبة، طوله ألف وثلاثمائة ميل، وعرضه ثلاثمائة ميل.

وفي (الخريدة): عن هذا البحر يتصل بالقسطنطينية فيكون عرضه هناك ستة أميال، ويمر من جهة المشرق فيتصل في جهة الجنوب بأرض هراقلة إلى سواحل اطرابزنده، إلى أرض أشكالة إلى أرض لانية، وينتهي طرف هذا الخليج هناك ثم ينعطف راجعًا إلى مكان يتصل ببلاد الروسية، وبلاد برجان، ولا يزال حتى ينتهي إلى مضيق فم خليج قسطنطينية، ويمر بشرقي مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذي منه إبتدأ، وبين ساحله وبين أرض الترك أرضون وجبال مجهولة.

البحر الخامس: بحر جرجان والديلم، وهو بحر واسع ولا اتصال له بشيء من البحار، غير أنه مخلوق في مكانه من غير مادة، لكن يصب في المحيط بواسطة خليج القسطنطينية، وهو بحر هائل وتقع فيه أنهار كثيرة وعيون دائمة الجريان.

---

(١) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٣٩/٢.

وذكر الحوقلي: أن هذا البحر مظلم القعر، وأنه يتصل ببحر [نبطس][1] من تحت الأرض، ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان، ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان، ومن جهة الشرق أرض القرية، ومن جهة الشمال أرض الخزر، وطوله ألف ميل، وعرضه على ما قال الفخر: ستمائة ميل، وفيه جزيرتان كانتا عامرتين، ويعرف هذا البحر ببحر السكون.

قال الفخر: فهذه البحور الخمسة هي البحور العظام، وأما غيرها فبحيرات وبطائح كبحيرة خوارزم، وبحيرة طبرية، وبحيرة فلسطين بالغور.

---

(١) هكذا بالأصل، وفي بعض كتب التفاسير: (نبطش). انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٣٩.

فصل

في ذكر شيء من جزائر بحر الهند

قد مر أن فيه من الجزائر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة [٤٧/أ] منها جزيرة كولم.

قال: صاحب الجعفرية: هي جزيرة عظيمة، دورها في البحر خمسمائة فرسخ، وفيها خمس مدائن هي: أخصب جزائر الهند، وأطيبها رائحة، ومنها يجلب المسك من حيوان عندهم على شبه المعز، لها أعناق طوال، ولا قرون لها، في أعناقها صرر على قدر البيض، فإذا امتلأت سقطت فتؤخذ فتجفف حتى تيبس، ثم تفتح فيخرج منها المسك العجيب، ثم ينبت في أعناقها غيرها.

تعمل ذلك في كل ثلاثة أشهر، وفيها من الفلفل، والقرفة، و[اللوبان](١)، والجوز الهندي شيء كثير، ويستخرج من الجوز أطيار على شبه الزرازير يطبخونها ولا يأكلون لحما غيرها.

ومنها جزيرة كبيرة قدرها خمسون فرسخا في مثلها، وفيها العود القماري، وهو أعجب العيدان نكهة وأفوحها، لا سيما إن جعل في خمر عتيق وسائر أجناس العود عشرة، كل جنس لا يشبه الآخر. وفيها كثير من القاقلاء والزنجبيل.

ومنها جزيرة أريز: حكى صاحب الجعفرية أنها نقطة الأرض كلها قفرها ومعمورها، وإذا توسطت الشمس الحمل لم يكن في هذه الجزيرة ظل لشيء قائم، وهي أعدل الأرض هواء واعتدل ليلها ونهارها، طول الدهر لا يزيد ولا ينقص ولا يسقط من شجرها ورقة، وكاد أن لا يموت فيها إنسان إلا على مائة عام، وفيها من الأعاجيب المنارة التي وصفها المسعودي وارتفاعها كارتفاع منار الإسكندرية في وسطها طلسم من اللاطون ظهره مما يلي الجنوب، ووجهه مما يلي الشمال ويده اليسرى مما يلي وسط المغرب، وذراعه اليمنى مبسوطة مما يلي وسط المشرق وقد قبض أنامل كفه، ومد السبابة على وسط مطلع الشمس، [٤٧/ب] فإذا طلعت كان

---

(١) في (ر): (اللوبان).

إصبعه في قاع أفق المشرق، فكلما طلعت رفع إصبعه معها حتى تكون على سمت رأسه، فتكون إصبعه قائمة معها فإذا مالت الشمس إلى المغرب أمال إصبعه، ولا يزال كذلك حتى تغيب الشمس من تحت الأرض، فيميل بإصبعه إلى تحت الأرض كأنه يشير إلى الشمس، حتى إذا كان نصف الليل كان إصبعه في نصف الأرض، ثم لا يزال كذلك في الليل حتى تطلع الشمس، وإصبعه على الشمس، وهكذا طول الدهر. وهذا أعجب ما في بلاد الهند.

ومنها جزيرة النهروان: وهى آخر جزائر الهند إلى العراق، ومن أعاجيب هذه الجزيرة شجر الشيرج وهي شجر كبار لها أوراق كأوراق النسم تثمر كل عام بجوز عظيم الخلقة تسع منه الواحدة الربع وأكثر، فإذا بلغ أنه ثقب في أسفل كل جوزة ثقب، وعلق فيه أنية فتوجد تلك الآنية مملوءة لبنا أشد بياضا من لبن الغنم فيأكلونه، ويشربونه، ويطبخونه، ويعرفونه في طعامهم فما بقي من ذلك اللبن إلى اليوم الثاني صار خمرا عتيقًا أصفر اللون مسكرًا جدًا، وما بقى إلى اليوم الثالث صار خلا فيأتدمون به، وما بقي لا يتبدل ولا يتغير إلى آخر الدهر، وما لم يثقب من ذلك الجوز يسقط على الأرض، فإذا فتحت وجد فيها مثل السميد فيصبون عليه الماء السخن فيعود زيتا يأكلونه ويسرجون منه المصابيح فسبحان الفعال لما يريد.

ومنها جزيرة الروح: وهى أقرب جزائر الهند إلى جزائر اليمن، وفيها كثير من الفلفل و[اللبان][(١)] والزنجبيل، وفيها جبال الياقوت الأبيض، وفيها جبال الحيات طول كل حية قدر النخلة، ومنها الجزائر الثلاث [٤٨/أ].

قال صاحب (تحفة الغرائب): هي ثلاث جزائر متجاورات في إحداهن برق الليل كله، وفي الأخرى تهب رياح شديدة الليل كله.

وفي الأخرى تمطر السماء الليل كله صيفًا وشتاءً على ممر الأيام والليالى.

ومنها أرض سرنديب قد أحاط بها البحر من كل جانب يسير بها الراكب نحو الشهر والشهرين، وفيها الجبل الذي نزل عليه آدم عليه السلام، عليه نور شعاعي كلون قوس قزح لا يخلو منه ليل ولا نهار، له رائحة تفوق رائحة المسك، وعليه الصخرة التي نزل عليها آدم وفيها أثر قدمه.

---

(١) في (ر): (اللوبان).

وذكر ابن الجوزي في كتاب (أعاجب الأرض): أن في هذا الجبل شجرة لها أوراق للورقة وجه أحمر وباطن أخضر، مكتوب في الحمرة ببياض لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفي الخضرة مكتوب بالحمرة سبحان الله العظيم، وفي هذه الشجرة أطيار على قدر اليمام تسبح الله بألسنة عربية وسريانية فإذا أخذ منها طير لم ينطق، ولم يتكلم ولم يمكث أكثر من يومين، ويموت ولهذه الأطيار أصوات حسنة يبكي السامع لها تشوقا وخيفة عند سماعها.

ومنها جزيرة القصر: وهو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلور شفاف يبان لمن في المراكب فإذا شاهدوه تباشروا بالسلامة، وهو قصر أبيض شاهق في الهواء لا يدرى ما داخله، ولا يمكن الوصول إليه، ومر به ذو القرنين فأراد التوجه إليه فمنعه بهرام الفيلسوف الهندي وقال: لا تفعل يا ملك الزمان، فإن من وصل إلى هذا القصر غلب عليه الحذر، وقلة الحركة، فلا يقدر على الخروج ويهلك، وإذا كان الليل ظهر لذلك القصر شرافات تسرج كالمصابيح الليل كله [٤٨/ب].

وفي بحر الصين جزائر كثيرة قد مر أنها تزيد على اثنى عشر ألفا.

منها جزيرة الطرب: وهي جزيرة دورها في البحر مائة فرسخ، وارتفعت في البحر من كل ناحية كالعمود، لا يستطاع الصعود إليها لارتفاعها في الهواء، قد تدلت ثمارها وأشجارها على حافتها، واشتبك بعضها ببعض فيسمع كل من مر عليها في البحر أنواعًا من الملاهي كالمزامير والعيدان وغير ذلك من أنواع مختلفة، ولا يقدر أحد يسمع ذلك مخافة أن يقع هناك من شدة الفرح والطرب، ويزعمون أن الدجال هناك ويسمعون فيها أحيانًا صوتًا عظيمًا كالرعد القاصف، تكاد تذهل منه القلوب، فإذا سمع ذلك أهل الصين علموا بموت ملكهم، أو عظيم من عظمائهم، وحولها جواري البحر الموصوفة، وهى حيتان في البحر لها أذان وأجنحة كأجنحة الطير، ولها رؤوس الجواري يظهر عليها شعور على وجه الماء، يسبحن الله تعالى بجميع الألسنة من عربية وغيرها، فيجتمع السامع لذلك حتى يبكي خوفًا من الله.

ومنها جزيرة النساء فيها أمة على شبه النساء الحسان سبط الشعور، نواهد الصدور.

ويقال لهن بنات الماء لهن قهقهة وضحك وكلام لا يفهم وليس فيهن ذكر أصل.

قيل: إنهن يلقحن ويحملن من الريح ويلدن نساء مثلهن.

وقيل: إن بتلك الجزيرة نوعًا من الشجر يأكلن منه فيحملن، وتراب هذه الجزيرة كله ذهب وقد استولد بعض البحريين منهن غلامًا فكان يعرف بابن البحرية.

ومنها جزيرة السحاب، قال في (الخريدة): سميت بذلك لأنه يطلع عليها سحاب أبيض ويعلو على المراكب في البحر، ويخرج منه لسان طويل رقيق مع ريح عاصف، [٤٩/أ] حتى يلتصق ذلك اللسان بالبحر فيغلي كالقدر حتى يفور ويضطرب كالزوبعة الهائلة، فإن أدركت المراكب ابتلعتها.

وبهذه الجزيرة تلول إذا أضرمت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة.

ومنا جزيرة رامي: قال في (الخريدة): وهي جزيرة طويلة عريضة طيبة التربة معتدلة الهواء، بها مدن وقرى وطولها سبعمائة فرسخ.

قال ابن الفقيه: بهذه الجزيرة عجائب كثيرة منها أناس حفاة عراة على أبدانهم شعور تغطي سوأتهم يأكلون من الثمار، ويفرون من الناس، وطول أحدهم أربعة أشبار، ولا يلحقون لسرعة جريهم.

ومنها جزيرة الرخ: قال في (الخريدة): وهذا الرخ طير عظيم غريب مهول الخلقة، حتى قيل: إن طول جناحه الواحد نحو عشرة آلاف باع.

ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزي، وكان قد وصل إلى هذه الجزيرة رجل من أهل الغرب ممن سافر للصين، وأحضر معه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو في البيضة، فكانت تلك القصبة تسع قربة ماء، وذكر أنهم رأوا بيضة في الجزيرة فاعتقدوها قبة بيضاء عظيمة لماعة أعلى من مائة ذراع، فقصدوها فجعلوا يضربونها بالقوس حتى انشقت عن فرخ الرخ، كأنه جبل راسخ، فتعلقوا بريشه وقتلوه، وحملوا ما أمكنهم من لحمه وقطعوا من ريشه ورحلوا.

فلما طلعت الشمس والمركب سائرة، إذ أقبل الرخ كأنه سحابه، وفي رجله قطعة جبل كالبيت العظيم، فلما حاذى السفينة ألقى الحجر عليها، وكانت السفينة مسرعة في الجري فسبقت الحجر، فوقع في البحر، وكتب الله بالسلامة.

ومنها جزيرة الواق واق المشهورة يوجد عندها سمكة [٤٩/ب] تزيد على خمسمائة ذراع، وإذا رفعت جناحها كان كالجبل العظيم، يخاف على السفن منها، فإذا رأوها صاحوا وضربوا الطبول حتى تهرب عنهم.

وذكروا أن بجزائر الهند شجرًا إذا عمل منه دهن ودهن به أحد لم يقطع فيه الحديد، وفيها شجر إذا أخذ دهنه وشرب على حالة مخصوصة استغنى به عن الغذاء ولا يناله سقم ولا مرض ولا يموت لذلك، وتطول حياته أبدًا. فهذا وأنواعه من الأسرار والخواص التي أودعها الله في العالم.

قلت: وبالجملة فعجائب البحار وما خلقه الله فيها من الحيوانات وغيرها، وعجائب جزائرها مما لا يحصره مجلدات من الكتب، فلا نطيل بذكرها في هذا المختصر.

وفي التواريخ خلق الله في الأرض ألف أمة سوى الإنس والجن والشياطين ويأجوج ومأجوج أربعمائة في البر وستمائة في البحر.

قال الثعلبي: الناس أمة، والطير أمة، والسباع أمة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

في الأنهار والعيون

حكى البكري أن عدد الأنهار الكبار مائتان وتسعون نهرًا، وعدد العيون الكبار مائتان وثلاثون عينًا، وهي في الأرض كالعروق في البدن، وقيل: حق الماء أن يكون على سطح الأرض فلما كان من الأرض المرتفع والمنخفض انحاز الماء إلى أعماق الأرض، فطلبت التنفس فضغطت الأرض فانفتقت عيونًا. والصحيح أن انفتاق العيون وجري الأنهار إنما هو بقدرة العزيز الجبار لا كما قاله الفلاسفة والطبيعيون.

وفي (الخريدة) قال: بطليموس: إن بهذا الربع المسكون مائتي نهر كل نهر منها طوله من خمسين فرسخًا إلى ألف فرسخ فمنها [٥٠/أ] ما يجري من المشرق إلى المغرب، وعكسه، ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب وعكسه، وكلها تبتدئ من الجبال وتنصب في البحار، فإذا صبت في البحار المالحة، وأشرقت الشمس على البحار صعدت تلك المياه إلى الجو بخارًا، وتنعقد غيومًا أبدية كالدولاب الدائر، فلا يزال الأمر كذلك حتى يبلغ الكتاب أجله.

قلت: وهذا الذي قاله هو مذهب الفلاسفة والحكماء، فاحذره فإنه مذهب باطل. فسبحان المدبر لمملكته ببدائع حكمته، لا إله إلا هو فمن الأنهار العظيمة بالمشرق النيل والفرات ودجلة وسيجان وجيحان.

وأخرج مسلم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة[1]".

وفي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى".

وفي تفسير الكواشي: أن دجلة نهر ماء أهل الجنة، والفرات نهر لبنهم، والنيل نهر خمرهم، وسيحان نهر عسلهم. وهذه الأربعة تجري من نهر الكوثر.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢١٨٣/٤، رقم ٢٨٣٩). وأخرجه أيضًا: أحمد: (٢٨٩/٢، رقم ٧٨٧٣).

وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، والبيهقي عن كعب قال: "نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة"[١]. قال ابن حزم في (الملل): الأنهار المذكورة على ظاهر لفظ الخبر دون تكلف تأويل أصلا، هي أسماء أنهار في الجنة كالكوثر والسلسبيل كقوله [صلى الله عليه وسلم][٢]: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة[٣]". لأنه لفضله يؤدي العمل فيه لدخول الجنة. انتهى.

فالنيل المبارك ليس في الدنيا نهر أطول منه لأنه مسيرة شهرين في الإسلام وشهرين في الكفر [٥٠/ب]، وشهرين في البرية، وأربعة أشهر في الخراب، ومخرجه من بلاد جبل القمر [فيخرج منه هابطا بين جبال الذهب على بلاد الحبشة إلى كوكو إلى أهواز إلى قوص إلى أخميم إلى مصر، إلى البحر المالح، وينصب في بحر الروم وطوله من جبل القمر][٤] إلى البحر ألف فرسخ وأربعون فرسخًا، وسمي هذا الجبل بجبل القمر لتلونه، [فيخرج منه هابطًا بين جبال الذهب علي بلاد الحبشة إلى كوكو إلى أهواز إلى قوص إلى أخميم إلى مصر إلى البحر المالح وينصب في بحر الروم وطوله من جبل القمر][٥] بزيادة القمر في كل ليلة؛ ففي أول ليلة يعلوه نور أبيض، وفي الثانية يعلوه نور أصفر كشعاع الشمس، وفي الثالثة يتبين منه قاعه، وفي الرابعة يكسوه نور أحمر مثل النار، وفي الخامسة يعلوه نور أخضر شعاعي فيتلون كذلك كل ليلة إلى ليلة البدر فيكون كذنب الطاووس، لا يخفى على من قرب منه من النوبة، والحبشة لشدة نوره، ويخرج منه أنهار كثيرة تجتمع في بحيرات في وسط هذه الصحراء.

وفي (الخريدة): سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه أصلا لخروجه عن خط

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور: ١٨٣/١.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) من حديث أبي سعيد: أخرجه أحمد: (٦٤/٣، رقم ١١٦٢٨)، وأبو يعلى: (٤٩٦/٢، رقم ١٣٤١). وحديث جابر: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٤٩١/٣، رقم ٤١٦٣)، والخطيب: (٢٢٨/١١)، وابن عساكر: (١٧٧/٢٢). وحديث سعد: أخرجه الخطيب: (٢٩٠/١١)، وابن عساكر: (٣٧/٤٠).

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من الأصل.

الاستواء، وميله عن نوره، وضوئه يقال: إن هرمس الحكيم قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل، ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود، ويدخل تحت جبل القمر، فبنى في سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمس وثمانون تمثالا من نحاس، فجعلها جامعة لما يخرج من ماء هذا الجبل بمعاقد ومصاب وأحكام مدبرة، يجري الماء منه إلى تلك الصور والتماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم، وأذرع معدودة، فتنصب إلى أنهار كثيرة فتتصل بالبطيحة، وعلى هذه البطيحة بلاد السودان، وبها جبل معترض، فيخرج النيل منه نهرا واحدا، ويفترق في أرض النوبة ففرقة تمر إلى أقصى المغرب، وعليها غالب بلاد السودان، فتمر على بلاد النوبة [٥١/أ] إلى جبال أدركان إلى بلاد الزنج إلى البحر الأعظم المحيط في ناحية المغرب، والفرقة الأخرى تنصب إلى مصر إلى البحر. وهذا النيل من عجائب أنهار الدنيا، لأنه ليس فيه نهر يزيد في شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمر قال: نيل مصر سيد أنهار الدنيا، سخر الله له كل نهر من المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر، أمر كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونًا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء فرجع إلى عنصره، ونهر الفرات نهر عظيم عذب طيب، ومخرجه من ثغور أرمينية، ثم يمتد إلى قاليقاء، وإلى ملطية، وإلى الرقة، إلى عانة، ويمر بصفين موضع حرب علي ومعاوية، ثم ينصب بعضه في دجلة، وبعضه يمر إلى بحر فارس، فينصب فيه.

ونهر دجلة: هو نهر بغداد، ومخرجه من أصل جبل بقرب آمد بديار بكر، ويمتد إلى حصن كيفا، وإلى جزيرة ابن عمر، وإلى الموصل، ويمتد إلى بغداد، وإلى واسط، وإلى البصرة، وينصب في بحر فارس.

ونهر جيحون: نهر عظيم يخرج من حدود بدخستان، ثم ينضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل، ودخش، فيصير نهرا عظيما، ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم، وينصب في بحيرتها، وهذا النهر يجمد في الشتاء، حتى تمر عليه الدواب والقوافل، ويبقى كذلك نحوالشهرين، فإذا انكسر البرد عاد إلى حالته.

ونهر سيحون: نهر عظيم، ومخرجه من نحو ثلاثة أميال من مدينة ملطية، ويجري في بلاد الروم [٥١/ب] وينصب في بحر الروم.

ومن الأنهار العظيمة بالمغرب نهر بجاية، ونهر شلف، ونهر ملوية، ونهر سجلماسة، ونهر تعيس، ونهر إغمات، ونهر مؤمن، ونهر أبي رجراج، ونهر أم ربيع.

وبالأندلس: نهر قرطبة، ونهر شنيل، ونهر نيشر، ونهر تدمير، ونهر مانه، ونهر باجه، ونهر دويرة، ونهر جلق.

وببلاد الإفرنج: نهر إشبيليه، ونهر ودنه، ونهر غرنيس، ونهر كنك ببلاد الهند، ونهر مهران ببلاد السند، ونهر الرس، وهو نهر أرمينية ومن جبالها مخرجه، ونهر الخابور بأرض الجزيرة، ونهر بردا بدمشق، ونهر العاصي بحماة، إلى غير ذلك من الأنهار التي يطول ذكرها، وذكر عجائبها.

وأما العيون: فمنها عين بقرية من قري قزوين، إذا شرب الإنسان منها انسهل انسهالاً شديدًا، ويمكن الإنسان أن يشرب منها عشرة أرطال لخفته.

وفيها عين، بادخاني قال صاحب (تحفة الغرائب): إذا أراد أهل هذه القرية هبوب الريح أخذوا خرقة حيض ووضعوها في الماء فتتحرك الرياح.

ومنها عين جاج: قال صاحب (تحفة الغرائب): إذا كانت السماء مصحية لا يرى فيها قطرة ماء، وإذا كانت مغيمة امتلأت ماء، وبناحية باميان جبال فيها عيون، لا تقبل شيئا من النجاسات، وإذا ألقى فيها أحد شيئا، من النجاسة هاج الماء وغلا وفار فإن لحق الذي ألقاه غرقه، ومنها عين غزنه إذا ألقى فيها شيء من النجاسات والقاذورات، يتغير الهواء في الحال ويظهر البرد والريح والمطر والثلج، ويبقى ذلك إلى أن يزال منها ذلك القاذور.

ومنها عين شبرم: وهي [٥٢/أ] بين أصفهان وشيراز، فإذا وقع الجراد بأرض حمل إليها من تلك العين ماء في ظرف أو غيره، فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمي السمرمر بحيث أن حامل الماء لا يضعه على الأرض، ولا يلتفت وراءه، فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء في الجو كالسحابة السوداء، إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد، فتصيح الطيور عليها وتقتلها، فلا ترى من الجراد متحركًا ويموت من أصواتها. وهذا من عجائب الدنيا.

قلت: وبالجملة فعجائب الأنهار والعيون والآبار والجبال وما فيها من الأحجار التي لها خواص عجيبة مما لا يسعه هذا المختصر، ومن دار في الأرض تفكر واعتبر ورأى ما يتحير فيه الإنسان، وليس الخبر كالعيان، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثالث

في ذكر خلق الجن والإنس

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فقدم ذكر الجن هنا على الإنس لكون الجن أسبق خلقًا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] فقدم الإنس هنا لشرفهم، وها نحن نبدأ بذكر الأشرف.

فنقول: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ [الحجر: ٢٦] الآية.

قال الفخر: أجمع المفسرون على أن المراد به آدم عليه السلام.

وفي كتب الشيعة، عن محمد بن على الباقر، أنه قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم أو أكثر.

قال الفخر: وهذا لا يقدح في حدوث العالم، بل الأمر كيف كان، فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول، وهو أول الناس.

قال الفخر: وقد ذكر الله في كيفية خلق آدم وجوهًا كثيرة.

فقال تعالى: ﴿ خَلَقَهُ مِنْ [٥٢/] تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

وقال: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨].

قال: فالأقرب أنه تعالى خلقه من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار. قلت: هو كذلك.

ففى تفسير الكواشي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن الله تعالى خلق آدم من تراب، وجعله طينًا، ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا، ثم خلقه وصوره، وتركه حتى كان صلصالا كالفخار، ثم نفخ فيه روحه".

قال الفخر: ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجناس كان، بل قادر على خلقه ابتداءًا، وإنما خلقه على هذا الوجه، إما لمحض المشيئة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الخلق.

وقد ذكر الحكماء في خلق آدم من تراب وجوها؛ أحدها: ليكون متواضعًا.

ثانيها: ليكون سيارًا.

ثالثها: ليكون مطفئًا لنار الشهوة والغضب، فإن التراب يطفئ النار.

رابعها: إظهارًا لقدرته لأنه تعالى خلق الشياطين من النار التي هي أضعف الأجسام، وأعطاهم كمال الشدة والقوة، وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الأجسام، ثم أعطاه الخفة والمعرفة والنور والهداية، وخلق السماوات من أمواج مياه البحار معلقة في الهواء حتى يكون خلقه لهذه الأجرام برهانًا باهرًا، ودليلاً ظاهرًا على أن الله تعالى هو المدبر للخلق بغير احتياج إلى مزاج وإلى علاج.

وأما قوله: ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. فلا شك أن أصله من الماء، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] قلت: أحسن من هذا أن يقال لأن التراب عجن [٥٣/أ] بالماء حتى صار طينًا، والطين هو التراب المعجون بالماء.

فصدق أنه خلق من الماء.

وأما قوله: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

قال الثعلبي: أي جيد يعلق باليد، ومعناه: لازم على بدل الميم، كأنه يلزم باليد.

وقال السدي: خالص.

وقال مجاهد، والضحاك: منتن.

وأما قوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ [الحجر: ٢٨]. فالصلصال هو الطين اليابس إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي صوتًا من يبسه قبل أن تمسه النار، فإذا أصابته النار فهو فخار، وهذا قول أكثر المفسرين.

وقد ذكر المفسرون في خلق آدم قصة مشهورة في التواريخ.

قال الثعلبي: قال السدي: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها. فقالت له الأرض: إنى أعوذ بالله منك أن تقبض مني فرجع ولم يأخذ، وقال: يارب عاذت بك. فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع، فبعث ملك الموت فعاذت

منه بالله تعالى فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء، والسوداء، والبيضاء، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب، والمالح، فلذلك اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت: رحم جبريل، وميكائيل الأرض، ولم ترحمها، لاجرم أجعل أرواح من أخلق بيدك.

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، الخبيث والطيب، وإنما سمى آدم بآدم لأنه مخلوق من أديم الأرض، ومؤلف من [٥٣/ب] ترابها من أحمرها، وأسودها وأبيضها، وسهلها وخبيثها، وطيبها(١)". قاله ابن عباس، وابن جبير، والزجاج.

ولذلك كان بنوه مختلفين فمنهم: الأحمر، والأسود، والأبيض، والسهل، والخبيث، والطيب.

قلت: وفي تعليل كون منهم الأحمر والأسود ونحوه في الظاهر نظر، لأنا نرى الجنس الواحد من الحيوانات مختلفا، كذلك بل نرى البقعة الواحدة المستوية في اللون يخرج منها الأزهار مختلفة الألوان، وفي الحقيقة إنما اختلاف ألوان بني آدم وأخلاقهم بمحض إرادة الفاعل المختار لا إله إلا هو.

فوائد: في موضع خلق آدم أقوال.

فقال السدي: خلق في سماء الدنيا.

وقال منذر بن سعيد البلوطى وجماعة: خلق في جنة من جنات الدنيا، والذي عليه جمهور العلماء أنه خلق في جنة عدن، ومنها أخرج وأنزل إلى الأرض.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: "خلق الله آدم طوله ستون ذراعا(٢)".

---

(١) أخرجه أحمد: (٤٠٦/٤، رقم ١٩٦٥٩)، وأبو داود: (٢٢٢/٤، رقم ٤٦٩٣)، والترمذي: (٢٠٤/٥، رقم ٢٩٥٥) وقال: حسن صحيح. والحاكم: (٢٨٨/٢، رقم ٣٠٣٧) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي: (٣/٩، رقم ١٧٤٨٦)، وابن سعد: (٢٦/١). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد: (ص ١٩٣، رقم ٥٤٩)، والبزار: (٤٢/٨، رقم ٣٠٢٦)، والروياني: (٣٥٦/١ رقم ٥٤٧)، وابن حبان: (٢٩/١٤، رقم ٦١٦٠)، وأبو الشيخ: (١٥٤٤/٥، رقم ١٠٠٢١).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٢٢٧، ومسلم: ٢٨٤١.

ويروى كان طوله يوم خلقه من الطين خمسمائة ذراع، وكان بين خلقه ونفخ الروح فيه أربع جمع من جمع الآخرة.

وأما نفخ الروح فيه فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. الآية. قال الإمام الفخر: فهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين: التسوية أولا، ثم نفخ الروح فيه ثانيا.

ولما أضاف الروح إلى نفسه دل على أنه جوهر شريف علوى قدسي.

وذهبت الحلولية إلى أن كلمة من تدل على التبعيض، وهذا يوهم أن الروح جزء من أجزاء الله تعالى، وهذا في غاية الفساد.

قال: وأما كيفية نفخ الروح فاعلم أن الأقرب أن جوهر النفس عبارة عن أجرام شفافة نورانية، علوية العنصر، قدسية الجواهر، وهي تسري في البدن سريان الضوء في [٥٤/أ] البيت، والنار في الفحم، فهذا القدر معلوم.

وأما كيفية ذلك النفخ فمما لا يعلمه إلا الله.

وقال ابن عباس: لما نفخ في آدم الروح أتته النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجرى منه في شيء إلا صار لحمًا ودمًا.

وأما وقت خلقه فقال ابن عباس: خلق الله آدم يوم الجمعة لست ساعات خلون منه، ولعله هو ما في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال: "خلق الله التربة يوم السبت، وخلق ما فيها من الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، وآخر ساعة من النهار، فيما بين العصر إلى الليل(١)".

وأما سجود الملائكة له، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، السجود لغة الميلان والخضوع، تقول العرب: سجدت النخلة إذا

(١) أخرجه أحمد: (٣٢٧/٢، رقم ٦٣٢٣) والبخاري في التاريخ: (٤١٣/١) وقال قال بعضهم: عن أبي هريرة، عن كعب، وهو أصح. ومسلم: (٢١٤٩/٤، رقم ٢٧٨٩)، والنسائي في الكبرى: (٢٩٣/٦، رقم ١١٠١٠). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة: (١١٧/٣، رقم ١٧٣١)، وأبو يعلى: (٥١٣/١٠، رقم ٦١٣٢) والديلمي: (١٨٤/٢، رقم ٢٩٢٧).

مالت، وسجود الملائكة لآدم كان سجود تحية وتعظيم، لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له.

فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم كالقبلة. فالتحية لآدم عليه السلام، والسجود لله تعالى.

وروى جعفر الصادق أن أول من سجد لآدم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقربون.

وعن أبي الحسن النقاش: أول من سجد إسرافيل، ولذلك جوزى بتولية اللوح المحفوظ، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] فلعن وطرد، وأخرج من الجنة، فلما صار ملعونًا قال: ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦] طلب ذلك ليخلص من الموت، لأن عند البعث لا يموت أحد فقال تعالى له: ﴿فَإِنَّكَ [٥٤/ب] مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧-٣٨] وهو يوم لا يعلمه إلا الله.

قال ابن عقيل الحنبلي: اختلف الأصوليون هل كلم الله تعالى إبليس؟ فقال بعضهم كلمه.

والصحيح: أنه لم يكلمه شفاهًا، وإنما كلمه على لسان ملك، لأن كلام البارئ رحمة وإكرام.

وأما تعليمه الأسماء: فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

فقيل المراد بذلك المسميات. [وقيل: التسميات][(١)].

قال الإمام الفخر: وهو الأولى، فإن المشهور بين العلماء أسماء كل ما خلق من أجناس المحدثات، من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولده اليوم، من عربية وفارسية وغيرهما.

وكان ولد آدم عليه السلام يتكلمون بهذه اللغات كلها، فلما مات آدم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة معينة، فغلب عليه ذلك اللسان، فلما طالت المدة ومات منهم جيل بعد جيل نسوا سائر اللغات، فهذا هو السبب في تغيير الألسنة في ولد آدم عليه السلام. وفي قولة تعالى ﴿كُلَّهَا﴾. دلالة على أنه

---

(١) ساقط من (ر).

تعالى علمه اسم كل شيء من المخلوقات دقيقها وجليلها وبه قال ابن عباس، وقتادة، وجمهور الناس، خلافا لبعض المفسرين في تخصيصهم التعليم ببعض الأمور.

قال الفخر: قال الأشعري والجياني والكعبي الأسماء كلها توقيفية من الله تعالى، بمعنى أن الله تعالى خلق لآدم عليه السلام علمًا ضروريا بمعرفة الألفاظ والمعاني، وأن هذه الألفاظ موضوعة لتلك المعاني.

واختلف العلماء هل كان آدم نبيا مبعوثًا وقت تعليم الأسماء؟ فقيل: إنه كان نبيا لما ظهر له من المعجزة من تعليم الله الأسماء له، وهذا قول المعتزلة.

قال الفخر: والأقرب أن يكون مبعوثا في ذلك الوقت إلى حواء، ولا يبعد أيضًا أن يكون [٥٥/أ] مبعوثًا إلى من يتوجه إليه التحدي من الملائكة لأن جمعيهم وإن كانوا رسلا فقد يجوز الإرسال إلى الرسل كبعث إبراهيم إلى لوط عليهما السلام.

وقيل: إن آدم لم يكن ذلك الوقت نبيًا، لأن أكله من الشجرة لا يليق أن يكون بعد نبوته، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

فمقتضاه أنه إنما إجتباه وهداه بعد أكل الشجرة، فوجب أن يقال: لم يكن قبل ذلك مجتبى ولا مصطفى وفيه نظر.

وأما الجنة التي سكن فيها. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقد اختلف فيها فقيل: هي دار الثواب.

قال الفخر: وإلى هذا ذهب جماهير أصحابنا.

وقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصبهاني من المعتزلة: إن هذه الجنة كانت في الأرض. قال الفخر: حملا للإهباط على الإنتقال من بقعة إلى بقعة كما قال تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١].

واختار هذا المذهب منذر بن سعيد فقال: والقول بأنها جنة في الأرض قول أبي حنيفة وأصحابه قال: وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوي والأماني، ما أتوا بحجة من كتاب ولاسنة ولا أثر، عن صاحب ولا تابع، ولا تابع التابع، لا موصولا ولا شاذا.

وقد وجدنا فقيه العراق، ومن قال بقوله قالوا: إن جنة آدم ليست جنة

الخلد، وأطال الكلام على ذلك. فراجعه في أول كتاب حادي الأرواح.

وحكى الثعلبي عن القدرية أنهم قالوا في هذه الجنة: هي بستان من بساتين الدنيا.

وقال الجياني: إن هذه الجنة كانت في السماء السابعة، والإهباط الأول كان من السماء السابعة إلى السماء الأولى، والإهباط [٥٥/ب] الثاني من الأولى إلى الأرض.

وقال بعضهم: الكل ممكن، والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة فوجب الوقف.

والصحيح الأول، وعليه الأمة، وقد أطال الكلام العلامة ابن القيم في كتابه حادي الأرواح على هذه المذاهب وذكر أدلة كل منها والجواب عن كل واحد منها ومعارضة بعضها بعضًا في عدة أوراق فراجعه.

وأما الشجرة والنهي والظلم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] اختلف في الشجرة. فقال ابن عباس: إنها البر.

وقال ابن مسعود: إنها الكرم.

وقال قتادة: إنها التين، وقيل غير ذلك.

قال الفخر: ليس في الظاهر ما يدل على التعيين فلا حاجة بنا إليه.

واختلف في النهي فقيل: إنه نهي تنزيه فيكون آدم إنما ترك الأولى وهو اللائق به، لأن كل مذهب يفضي إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: إنه نهي تحريم لقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] معناه إن أكلتما منها ظلمتما أنفسكما. ألا ترى أنهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

ولأنه لو كان نهي تنزيه لما استحق به آدم اللوم والخروج من الجنة.

قلت: إنما كان ذلك؛ لأنه من باب قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين.

واختلف في الظلم: فقالت الحشوية[1]: أن آدم عليه السلام أقدم على الكبيرة فلا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن هذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع، ولا في اللغة، ولا في العرف العام، وليس فيه ما يدل على شخص معين، ولا مقالة معينة، فلا يدري من هم هؤلاء؟

=

جرم كان فعله ظلمًا. وقالت المعتزلة: إنما أقدم على الصغيرة، ولهم قولان فقال الجياني: إنه ظلم نفسه ثم تلافى ذلك بالتوبة.

وقال أبو هاشم: إنه ظلم نفسه من حيث إنه أحبط ثوابه الحاصل.

وأما من ينكر صدور المعصية مطلقا من الأنبياء عليهم السلام فيحمل هذا الظلم على أن آدم عليه السلام فعل ما الأولى به أن لا يفعله.

قال بعضهم: وظاهر القرآن [٥٦/أ] أن آدم إنما فعل ذلك نسيانا وبه قال طائفة من المتكلمين؛ لأن الله قال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥] الآية.

والنسيان المذكور قبل هو نقيض الذكر، وهو ظاهر اللفظ.

قال الفخر: وما عوتب إلا على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط، حتى تولد فيه النسيان، وكان الحسن رضي الله عنه يقول: والله ما عصي قط إلا بالنسيان.

وقيل المراد بالنسيان: ترك ما عوهد إليه، وفيه خروج عن ظاهر اللفظ.

تنبيه: اختلف العلماء في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

أما ما يقع في باب الاعتقاد كالكفر والضلال قال الفخر: فهذا غير جائز عليهم بإجماع الأمة، إلا ما يحكى عن الفضلية(١) من الخوارج فإنهم قالوا: وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر، وهذا شر المذاهب.

قال الفخر: وزعمت الإمامية أنه يجوز منهم إظهار الكفر والشرك على سبيل التقية.

=

ويذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد، حيث قال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حشوياً.

وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولاً تخالف به الجمهور والعامة فإنها تنسب قول المخالف لها إلى أنه قول الحشوية: أي الذين هم حشوٌ في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم.

فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشوياً، والجهمية يسمون مثبتة الصفات حشوية، والقرامطة كأتباع الحاكم يسمون من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشوياً.

وأهل هذا المصطلح يعنون به حين يطلقونه: العامة الذين هم حشو، كما تقول الرافضة عن مذهب أهل السنة مذهب الجمهور. انظر: دعاوى المناوئين: ١/١٥٤.

(١) هم أتباع فضل الرقاشي، سموا بِفضل رَأْسهمْ وَذَلِكَ أَنه فارقهم فِي الذُّنُوب فَزعم أَن كل ذَنْب صَغِيرا أَو كَبِيرا أَو قَطْرَة أَو كذبة شرك بِاللَّه سموا بذلك الفضلية وَكَفرُوا من خالفهم. انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء: ١/١٧٩.

وأما ما يتعلق بالتبليغ فقال الفخر، وتبعه السعد التفتازاني على ذلك: أجمعت الأمة على أنهم معصومون من الكذب والتحريف والتبديل.

وقال وقد اتفقوا أيضا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا.

قال: ومن الناس من جوز وقوع ذلك سهوا، وقالوا أن الاحتراز منه غير ممكن، وأما ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى قال الفخر: اجمعوا على أنه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل العمد، وأما على سبيل السهو فجوزه قوم وأباه آخرون.

وأما ما يتعلق بأفعالهم وسيرتهم فحكى الفخر فيه خمسة أقوال:

فقيل: يجوز عليهم الكبائر وهذا قول باطل بالبديهة، وقيل لا يجوز عليهم الكبائر، ويجوز عليهم الصغائر إلا ما فيه الخسة كالكذب وهذا قول المعتزلة.

قال [٥٦/ب] السعد في شرح العقائد: أنهم معصومون عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية، وأما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجياني وأتباعه، وتجوز سهوا بالاتفاق إلا ما يدل على الخسة – انتهى-.

وقيل: لا يجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة عمدا ولا تأويلا وهذا قول الجياني.

وقيل: لا يقع منهم الذنب لا سهوا ولا خطأ لكنهم مأخوذون بهذه الجهة وإن وضع ذلك عن أمتهم لأن معرفتهم أقوى وبلائهم أتم، وأنهم يقدرون على التحفظ ما لا يقدر عليه غيرهم، وقيل لا يقع منهم ذنب لا صغير ولا كبير. لا عمدا ولا سهوا، وهذا مذهب الرافضة.

قلت: وإلى هذا المذهب في هذه المسألة أذهب، وليعترض من يعترض.

وأما وقت العصمة ففيه ثلاثة أقوال.

فقيل: إنهم معصومون من وقت مولدهم، وهذا مذهب الرافضة.

وقيل: إنهم معصومون من وقت بلوغهم ولا يجوز ارتكاب الكفر ولا الكبيرة منهم قبل النبوة. وهذا مذهب المعتزلة.

وقيل: إن ذلك لا يجوز بعد النبوة وأما قبل النبوة فذلك جائز. حكاه فخر الدين عن أصحابنا وأبي على وأبي هاشم.

قال والمختار عندنا: أنه لم يصدر منهم الذنب منذ جاءتهم النبوة لاكبيرة ولا صغيرة.

قال السعد: فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية فما كان منقولا

بطريق الآحاد فمردود، وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره. إن أمكن وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة - انتهى -.

وأما كيفية الوسوسة لآدم وحواء عليهما السلام قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] فعن ابن عباس وابن وهب وغيرهما من المفسرين: أن إبليس لما [٥٧/أ] أراد أن يدخل الجنة منعته الخزنة فأتى إلى الحية، وكانت ذات قوائم أربعة كأحسن ما يكون من الدواب بعد أن عرض نفسه على سائر الحيوانات فلم يقبله واحد منها – فابتلعته الحية خوفا من الخزنة فلما أدخلته الجنة خرج واشتغل بوسوسة آدم فعوقبت الحية على فعلها فلعنت وسقطت قوائمها وسارت تمشي على بطنها، وجعل رزقها التراب، وصارت عدوة لبني آدم ولم يرض الفخر هذا القول، وقال: هذا وأمثاله مما لا يجب أن لا يلتفت إليه؛ لأن إبليس لو قدر على الدخول في جوف الحية فلم لا يجوز أن يقدر على أن يصير نفسه حية ثم يدخل الجنة؟ ثم إن الحية لما فعلت ذلك عوقبت مع أنها ما كانت عاقلة ولا مكلفة؟.

وقال الحسن: إن إبليس كان في الأرض، وإنه أوصل إليهما الوسوسة في الجنة.

وقيل: إن آدم وحواء كانا يخرجان إلى بعض أبواب الجنة، وإن إبليس كان يقرب من الباب فيوسوس لهما.

وقيل: إن إبليس دخل الجنة في صورة دابة.

وقال بعضهم: قد أخبر الله تعالى أن الشيطان وسوس لهما فوجب الإيمان بذلك، وأما كيفية الوسوسة فلم يثبت عن الصادق عليه الصلاة والسلام ما يبينها فوجب الوقف.

وقال العلامة ابن عقيل الحنبلي: الوسوسة للآدمي بشيء تميل النفس إليه، وقيل تحدث النفس بالأفكار الردية.

وأما هبوطه إلى الأرض قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤] الآية ذهب أكثر المفسرين إلى أن المخاطبين بالهبوط آدم وحواء عليهما السلام وإبليس، وقيل والحية، وضعفه الفخر؛ لأنه ثبت بالإجماع أن [٥٧/ب] المكلفين الإنس والجن والملائكة.

واختلف في تفسير المستقر فقال الفخر: حمل أكثر المفسرين المستقر على المكان.

قال: والمعنى فيه أنه مستقر في حالتي الحياة والموت.

وقال ابن عباس: المستقر هو القبر.

قال الفخر: والأول أولى؛ لأنه تعالى قرر فيه المتاع، وذلك لا يليق إلا بحالة الحياة، واختلف في الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

فقال قتادة ومجاهد في أحد الروايتين عنهما هي قوله تعالى:﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "هي لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنك أنت الغفور الرحيم". وقيل غير ذلك.

لطيفه: قال: وهب بن منبه: لما أهبط آدم إلى الأرض مكث يبكي ثلاثمائة سنة لا يرقى له دمع.

وقال مجاهد: بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء، وأنبت الله من دموعه العود والزنجبيل والصندل، وأنواع الطيب، وبكت حواء فنبت من دموعها القرنفل. كذا قيل.

وفي (زاد المسير): عن ابن عباس: أدخل آدم الجنة ضحوة، وأخرج منها بين الصلاتين فمكث فيها نصف يوم خمسمائة عام، مما يعد أهل الدنيا.

وفيه أيضا: هبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بالأبلة والحية بنصيبين.

فصل

في أخذ الميثاق

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية.

اختلف في موضع أخذ الميثاق.

فقال ابن عباس: ببطن عمان وهو وادى إلى عرفة.

وروى عنه أيضا أن ذلك بدهناء أرض الهند في الموضع الذي أهبط فيه.

وقال الكلبي: ما بين مكة والطائف.

وقال السدي: في السماء بعد أن أخرجه [٥٨/أ] من الجنة.

ففي الثعلبي قال السدي: أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره، فأخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، وأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سوداء فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي ثم قال: لهم جميعًا اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئا، وأنا مرسل إليكم رسلًا يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتبًا، فتكلموا وقالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأقروا كلهم يومئذ طائعين، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

وفي الترمذي حديث يقارب معنى هذا وهو حديث حسن.

فصل

في ذكر عمر آدم ووفاته

قال ابن عباس، ووهب بن منبه: إن آدم عاش ألف سنة وقيل: عاش تسعمائة سنة وستين سنة، ومات يوم الجمعة، فلما مات كسفت الشمس والقمر سبع ليال بأيامها حكاه بعض المؤرخين، ونزل جبريل بأكفانه وحنوطه، وقال لابنه شيث، وكان ولي عهده وأحب ولده إليه: إن الله تعالى أمرنا أن نغسل أباك بالماء والسدر ثلاثا، وأن نجعل له في الثالثة كافورًا وأن نكفنه في وتر من الثياب ونحفر له في غار في جبل أبي قبيس، فلما وضعه للصلاة أمر جبريل ولده شيث بالصلاة عليه وأمره أن يكبر عليه ثلاثين تكبيرة، وقيل خمسا وتسعين [٥٨/ب] تكبيرة.

وقيل: كبر عليه أربعًا، [وفي هذا الأخير ورد حديث مرفوعًا][(١)] وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار في الساعة التي خلق فيها وأخرج فيها من الجنة، وذلك لست خلون من شوال، ودفن في غار أبي قبيس، فكان فيه إلى زمان الطوفان، فحمله نوح معه في السفينة ثم رده بعد ذلك إلى مكانه.

وذكر أهل التاريخ أن آدم لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعين ألفًا، وفي تاريخ ابن جرير أن حواء ولدت أربعين ولدا في عشرين بطنًا، وقيل: مائة وعشرين بطنًا كل بطن ذكر وأنثى.

---

(١) ساقط من الأصل.

فصل

في ذكر حواء عليها السلام

حكى الفخر الإجماع على أنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، واختلف متى خلقت؟؟

فقيل: خلقت قبل دخول الجنة.

وقيل: إنها خلقت في الجنة وآدم نائم من ضلعه الأيسر، ووضع مكانه لحم فاستيقظ آدم فوجدها جالسة عند رأسه فقال: من أنت؟ قالت: امرأة. فقال: لم خلقت؟! قالت: لتسكن إلي وأسكن إليك، فقالت الملائكة: يا آدم ما اسمها؟ قال: حواء. فقالوا له ولم سميت حواء قال؛ لأنها خلقت من حي.

وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن المرأة خلقت من ضلع أعوج لن تستقيم لك على طريقة، فإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها، وإن استمتعت بها استمتعت على عوج[(١)]".

وذكر ابن الجوزي أن حواء طلبت من آدم المهر فأمر بالصلاة على محمد عشرين مرة.

وفي بعض الروايات لما مد يده إليها قالت الملائكة: مه يا آدم حتى تؤدي مهرها.فقال: وما مهرها قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات.

وأما عمرها: ففي التواريخ أنه تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة، وقيل: وسبعون، وعاشت [٥٩/أ] بعد آدم سبع سنين وسبعة أشهر.

قال: ابن العماد في شرح منظومته أن آدم وحواء عليهما السلام دفنا بجانب البيت بمكة والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٢١٢/٣، رقم ٣١٥٣)، ومسلم: (١٠٩١/٢، رقم ١٤٦٨). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى: (٣٦١/٥، رقم ٩١٤٠) بلفظ: استوصوا بالنساءِ خيرًا فإنَّ المرأةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أعوجَ وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضلعِ أعلاه فإنْ ذهبتَ تقيمَه كسرتَه وإنْ تركتَه لم يزلْ أعوجَ فاستوصوا بالنساءِ خيرًا.

فصل

في خلق ذرية آدم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

أما قوله (مِنْ تُرَابٍ) فلأن بني آدم خلقوا من المني ودم الطمث، وتولدهما من الأغذية التي هي إما حيوان أو نبات وغذاء الحيوان ينتهي إلى النبات قطعًا للتسلسل، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء فصح قوله: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ.

وأما قوله: (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) وهي الماء القليل من أي مكان، وهو هنا ماء الفحل فكأنه سبحانه يقول أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس بالماء اللطيف مع أنه لا مناسبة بينهما البتة.

وأما قوله: (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) فالعلقة قطعة الدم الجامدة، ولا شك أن بين الماء والدم الجامد غير مناسبة. فكأنه سبحانه يقول: أنا الذي قلبت ذلك الماء دمًا جامدا.

وأما قوله: (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) المضغة: اللحمة الصغيرة قدرها ما يمضغ، والمخلقة: المصورة المخططة. وغير المخلقة: التي لم تتصور ولا خططت بل هي لحم. وقال عطاء الخراساني في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] الآية أن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذريه على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة. فذلك معني قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٧] الصلب: هوصلب الرجل، وفي الترائب أقوال [٥٩/ب].

فقيل: الترائب ترائب المرأة، واحدة تريبة، وهي موضع القلادة من صدر المرأة.

قال ابن عباس: هو بين ثديي المرأة.

ولابن جبير أن الترائب أضلاع الرجل التي هي أسفل الصلب.

وفي قول لابن عباس، والضحاك: أطراف الرجل اليدان والرجلان والعينان.

وقيل: إن الترائب: عصارة القلب، ومنه يكون الولد.

وذكر مكي في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] حديثين أحدهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]"(١).

وثانيهما: أنه عليه السلام قال: "إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة كان ماؤه في كل عرق منها ثم أحضر له أباه من لدن آدم، ثم صوره في صورة واحد منهم فذلك قوله تعالى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]".

وفي الثعلبي قال ابن مسعود: إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله تعالى ملكا فقال: يارب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجتها الأرحام دما، وإن قال: مخلوقة. قال: يارب فما صفة هذه النطفة أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقي أم سعيد؟ فيقال له انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينسخها فلا تزال معه. كذا في الثعلبي. وفي مسلم، عن ابن مسعود أنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون في ذلك علقة، مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة، مثل [٦٠/أ] ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها(٢)".

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: (٨٧/٣٠)، وابن شاهين كما في الإصابة: (٤٥٠/٢، ترجمة ٢٥٦٢)، والطبراني: (٧٤/٥، رقم ٤٦٢٤)، قال الهيثمي: (١٣٥/٧): فيه مطهر بن الهيثم وهو متروك. وأورده ابن كثير في تفسيره: (٤٨٢/٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني ثم قال: وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر ابن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ٤٨): إسناد ضعيف، وأخرجه الطبراني: (٧٤/٥، رقم ٤٦٢٤).

(٢) أخرجه أحمد: (٣٨٢/١، رقم ٣٦٢٤)، والبخاري: (١١٧٤/٣، رقم ٣٠٣٦)، ومسلم: (٢٠٣٦/٤، رقم ٢٦٤٣)، وأبو داود: (٢٢٨/٤، رقم ٤٧٠٨) والترمذي: (٤٤٦/٤، رقم ٢١٣٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (٢٩/١، رقم ٧٦).

قلت: لعمري إن هذا الحديث مما يقطع الظهور ويذيب القلوب فنسأل الله سبحانه حسن الخاتمة، والفوز بسعادة الدارين.

وقال الإمام الفخر: في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [غافر: ٦٧]. وحد الطفل؛ لأن الغرض الدلالة على الجنس، والأشد كمال القوة والعقل والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد.

وحكى ابن عطية: في سن بلوغ الأشد أقوالًا فقيل: أنه ثلاثون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: ست وأربعون وقيل: عشرون، وقيل ثمانية وعشرون، وقيل: خمسة عشر. قال: وهذه الأقوال الأخيرة ضعيفة في الأشد.

وقال الفخر في قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠] المعنى أن منكم من يتوفي ومنكم من يرد إلي أرذل العمر وهو: الهرم، فيصير كما كان في أول الطفولية ضعيف البنية، قليل الفهم، فإذا بلغ ذلك فقد قارب الرحيل من دار البوار إلى دار القرار، وزاره ملك الموت، وسيأتى باب ذكر الموت والله أعلم.

لطيفة: قال العلماء: إن الله تعالى خلق من ذرية آدم أنبياء وهم أشرف ذريته وأفضلهم، بل قال الإمام الفخر: أكثر أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة [٦٠/ب] خلافًا للمعتزلة، وأبي إسحاق الإسفرايني، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني، وأبي عبد الله الحاكم، والحليمي، والإمام الفخر في المعالم، وأبي شامة المقدسي، وابن حزم حيث قالوا: الملائكة أفضل.

قال بعضهم: ومحل الخلاف في غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أما هو فأفضل الخلق بلا خلاف.

ونقل الإمام الفخر الإجماع على ذلك، وقد ذهب أكثر الأشاعرة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة مطلقا خلافًا لمن قال بالتفضيل.

واختلف العلماء في عددهم ففى التواريخ أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، وحكاه الزمخشري في سورة الحج حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: وهذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه، وقال ابن حجر: المكي صح

خبر أن [عدد][1] الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا. وخبر أن عدد المرسلين ثلاثمائة وخمسة عشر. وفي حديث رواه أحمد في مسنده بسند ضعيف أن عدد الأنبياء مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفًا والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة وعشر.

وقيل: عددهم ألف ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفًا، [و][2] المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقيل: أربعة عشر.

والمذكور منهم بلفظ القرآن ثمانية وعشرون نبيا.

وفي الثعلبي عن أنس، قال: عدد الأنبياء عليهم [الصلاة][3] السلام ثمانية آلاف منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل.

وروى عن سلمان الفارسي حديثًا قال: بعث الله أربعة آلاف نبي.

قال بعضهم أن عدد الأنبياء والرسل لم ينحصر لقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والأحاديث الواردة في عددهم بعضها [٦١/أ] ضعاف لا يعول عليه، وبعضها خبرًا آحاد [و][4] لا يكفي في الاعتقاد.

وقال بعضهم: أن جميع الأنبياء عليهم [الصلاة][5] السلام من ولد إبراهيم إلا ثمانية: آدم وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح ولوط ويونس.

وذكروا أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب: على شيث خمسين، وإدريس ثلاثين، وإبراهيم عشرة، وعلى موسى عشرة، [قبل التوراة][6] ثم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

وقال بعضهم: أنزل الله على آدم عشر صحائف، وعلى إدريس خمسين، وعلى نوح عشرين، وعلى إبراهيم عشرة، وعلى موسى عشرة، ثم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان كذا قال الرملي في شرح الزبد له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ساقط من الأصل. (٢) ساقط من الأصل.

(٣) ساقط من (ر). (٤) ساقط من الأصل.

(٥) ساقط من (ر). (٦) ساقط من (ر).

فصل

في ذكر خلق الجن

قال الله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

قال الفخر: الذي عليه أكثر المفسرين أن الجان أبو الجن.

وحكى عن ابن عباس، ومقاتل، وقتادة، أنه إبليس، قال: وسمي الجان جانًا لتواريه عن الأعين كما سمي الجنين جنينا لتواريه في بطن أمه.

وأما (نار السموم): فقال مكي في تفسيره: يروى أن الله تعالى خلق نارين، فمزج أحدهما بالأخرى فأكلت إحداهما الأخرى وهى نار السموم فخلق إبليس اللعين منها. وقال ابن مسعود: هذه السموم جزء من سبعين جزءًا من السموم التي خلق الله منها الجان، وتلا هذه الآية. وأما (المارج) ففيه للمفسرين أقوال: فقال مجاهد: هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه.

وقال ابن عباس: هو ثعبان النار الذي يكون في لسانها إذا التهبت.

وقيل إنه المختلط بسواد النار، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط [٦١/ب].

وقد اختلف العلماء في إبليس فقيل إنه من الجن.

قال الفخر: وهو قول أكثر المتكلمين وجماهير المعتزلة. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] الآية.

وقيل إنه من الملائكة. وقاله الإمام الفخر: وبه قال كثير من الفقهاء، قالوا: ولا ينافي كونه من الجن؛ لأن قبيله من الملائكة يسمون بالجن؛ لأنهم مستورون كالجنين الذي هو من الاستتار. وقلت: ويؤيد هذا القول ما قاله الثعلبي.

قال المفسرون: إن الله عز وجل خلق السموات والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض فعبدوا الله دهرًا طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتلوا وأفسدوا، فبعث الله تعالى إليهم جندًا من الملائكة يقال لهم الجن، ومنهم إبليس وهم من خزان الجنان اشتق لهم اسما من

الجنة، فهبطوا إلى الأرض، فطردوا الجن على وجوهها وألحقوهم بشعاب الجبال وجزائر البحور، وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فأحبوا البقاء في الأرض لذلك، فأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء وخزائن الجنان، فكان يعبد الله تارة في الأرض، وتارة في السماء، وتارة في الجنة، فلما دخله الكبر والعجب قال في نفسه: ما أعطاني الله عز وجل هذا الملك إلا أني أكرم الملائكة عليه وأعظمهم منزلة لديه، فلما أظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فلما قال لهم ذلك كرهوا العزل، لأن العزل شديد فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي: يصب الدماء بغير حق. ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. من كبر إبليس.

قلت: لعمري إن هذه القصة لموعظة للمتعظين ومدهشة لعقول العارفين فانظر [٦٢/أ] يا أخي إلى أي مرتبة كان اللعين فيها، وانظر الى أي حاله أصبح اليوم عليها، نعوذ بالله من ذلك، ومن السلوك في المهالك، وفيها موعظة لمن قدمه ملك من الملوك على جنوده، وجعله أميرًا على جموعه وعبيده، أن لا يأمن عواقب الأمور، وأن يكون على حذر من المقدور، وقبل أن لا ينفعه الغرور.

وفي تفسير ابن عطية، قال ابن عباس: كانت الجن قبل بني آدم في الأرض فأفسدوا، وسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم قبيلا من الملائكة فقتلتهم، وألحقتهم بجزائر البحار ورؤوس الجبال، وجعل آدم وذريته خليفة في الأرض.

فصل

في ذرية إبليس

قال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ٥٠] يعني نسله وهم الشياطين. ذكر ابن اسحاق، ووهب بن منبه، وغيرهما أن الله تعالى خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق من آدم عليه السلام زوجته، فغشي الجان زوجته فحملت وباضت إحدى وثلاثين بيضة، فمنها ذريته.

قال القرطبي في تفسيره: الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح حديث: "لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه [فيها](١) باض الشيطان وفرخ(٢)". وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه. انتهى.

قال [الثعلبي](٣): إني قاعد يوما اذ أقبل رجل ومعه دَنٌّ فوضعه، ثم جاء فقال: أنت [الثعلبي](٤)؟ قلت له نعم. قال فأخبرني، هل لإبليس من زوجه؟ قلت: ما شهدت نكاحها، ثم ذكرت قول الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ٥٠]. فعلمت أنه لا ذرية إلا لمن له زوجة. فقلت له: نعم له زوجة، فأخذ دَنَّهُ وانطلق فعلمت أنه مختبرني.

قال [٦٢/ب] [الثعلبي](٥): وإنهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم.

قال مجاهد: من ذرية إبليس الولهان، وهو صاحب الطهارة والصلاة.

وأبو مرة وبه يكنى، والحارث، والأعور، و[خنزنب](٦) وداهم، ومسوط، وهو صاحب الأخبار يلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) أخرجه مسلم: ٢٤٥١.

(٣) في الأصل: (الشعبي).

(٤) في الأصل: (الشعبي).

(٥) في الأصل: (الشعبي).

(٦) في الأصل: (خنزب).

قال الفخر: اتفق العلماء على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينكحون.

وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون، لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تستنجوا بالعظم ولا بالروث فإنه زاد إخوانكم من الجن[١]".

وقوله: "فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله[٢]". والدليل على أنهم ينكحون ويتوالدون قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ [الكهف: ٥٠]، الآية.

وأما تقسيم الجن فاعلم أنهم ضربان: شياطين وغير شياطين، فالشياطين هم الأرواح الخبيثة، وغير الشياطين هم الأرواح الخيرة، وهم صالحو الجن.

وقيل: إن الجن غير الشياطين. قال الإمام الفخر: والأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم.

وقال: قيل: الجن جنس والشياطين جنس آخر، كما أن الإنسان جنس والفرس جنس آخر. وقال: بعضهم: الجني إن خبث كان شيطانا، فإن زاد فعفريت.

وفي مسلم، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: قد فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئا قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت[٣]".

وأما كون الجن يرون ولا يرون فقال تعالى: [٦٣/أ] ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قال مجاهد: قال إبليس: جعل لنا ثلاث: نرى ولا نرى، ويخرج من تحت الثرى، ويعود شيخا فتيا.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (١٤٣/١، رقم ١٦٤٩)، والترمذي: (٢٩/١، رقم ١٨)، والطبراني: (٧٧/١٠، رقم ١٠٠١٠). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى: (٧٢/١، رقم ٣٩)، وأبو عوانة: (١٨٦/١، رقم ٥٨٥).

(٢) أخرجه أحمد: ٩٥/١٠، وقال محققه: أخرجه الترمذي (١٧٩٩)، وأبو يعلى (٥٧٠٤) و(٥٧٠٥)، وأبو عوانة ٣٣٧/٥ من طرق، عن عبيد الله بن عمر العمري، عن الزهري، به وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد: (٣١٤/٣، رقم ١٤٤١٧)، وعبد بن حميد: (ص ٣١٦، رقم ١٠٣٣) ومسلم: (٢١٦٧/٤، رقم ٢٨١٣) وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان: (٤١٥/٦، رقم ٨٧٢١).

وقال الفخر: قال: أصحابنا أنهم يرون الإنس؛ لأنه تعالى خلق في أعينهم إدراكا، والإنس لا يرونهم لأنه تعالى لم يخلق هذا الإدراك في عيون الإنس.

قال: وقالت المعتزلة: الحكمة في أن الإنس لا يرون الجن لرقة أجسام الجن ولطافتها، والحكمة في رؤية الجن للإنس لكثافة أجسام الإنس، والحكمة في أن يرى بعض الجن بعضا أن الله تعالى يقوي شعاع إبصار الجن ويزيد فيه، ولو زاد تعالى في قوتنا لرأيناهم. وحكى القاضي أبو بكر بن العربي، عن علماء أهل الأصول أنه جعل للنبي صلى الله عليه وسلم قوة يميز بها الشياطين في الهواء.

وحكاه أيضا عن الأنبياء عليهم السلام، وقال: [قد](١) كانت الجن ترى في عهد سليمان ويكلمون الناس، ثم أن الله تعالى حجبهم.

وأما تشكلهم على أشكال مختلفة فقال القاضي أبو بكر: ولسنا ننكر أن الله يكيفهم ويغلظ أجسامهم، ويخلق لهم أعراضا يزيد على ما في النار فيخرجون عن كونهم نارًا، ويخلق لهم أعراضًا يزيد علي ما في النار فيخرجون عن كونهم نارًا، ويخلق لهم صورا وأشكالا مختلفة، وقد صفدوا وعملوا في الأعمال الشاقة من المحاريب والتماثيل والجفان، وذلك لا يكون إلا من الأجسام.

وقال أبو يعلى الحنبلي: إنهم أجساد مؤلفة وأشخاص مختلفة، ويجوز رقتها وكثافتها، ولا قدرة لهم على تغيير خلقهم. وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات أو فعلاً فيحصل لهم ذلك [بها](٢) وكذلك في تشكيل الملائكة.

وحكى الفخر عن بعض العلماء أن الجن لو قدروا على تغيير أنفسهم [٦٣/ب] على أي الصور شاؤوا لم يبق أحد بزوجته ولا بولده لاحتمال أن يكون صورة شيطان.

وقال العلماء: إن الجن يتشكلون في الصور الخبيثة، كحيات وعقارب وكلاب، والملائكة يتصورون على الصور الجملية.

قلت: يرد على هذا أن ملك الموت ومنكر ونكير يتصورون للفاجر في أقبح صورة كما سيأتي وأن الجن يتصورون بصورة بني آدم كما يقع لمن يتزوج منهم، فلعل المراد بذلك غالبًا في الفريقين.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ساقط من الأصل.

وقال السهيلي: الجن ثلاثة أصناف: على صورة الحية، والكلب الأسود، والريح الهفافة وهي السعالى.

وأما استراقهم السمع فقال الله تعالى ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ [مُبِينٌ](١)﴾ [الحجر: ١٨].

قال الثعلبي: قال ابن عباس: تصعد الشياطين تسترق السمع، فينفرد المارد منها فيطير فيرمي بالشهاب فيصيب جبهته أو جبينه أو حيث شاء الله فيلتهب، فيأتي أصحابه وهو يلتهب ويقول: إنه كان من أمري كذا وكذا فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة، فيزيدون عليها تسعا وتسعين كذبة فيحدث بها أهل الأرض الكلمة حق والتسعة والتسعون باطلا فإذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاؤوا به من كذبهم.

وقال ابن عباس أيضا: كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات فكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارهم فيلقون على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا عن ثلاث سموات، فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب.

وقال بعضهم كان الرجم في الجاهلية أخف، فلما جاء الله بالإسلام، وبعث محمدًا [٦٤/أ] عليه الصلاة والسلام ملئت حرسًا شديدا وشهبا، فلا يفلت شيطان سمع البتة.

ويروى أنها لا تسمع الآن شيئًا.

وقال ابن عطية: ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون حتى الآن لكنهم لا يسمعون والكواكب الراجمة هي التي يراها الناس منقضة.

وقال النقاش ومكي: ليست بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا ترى حركتها والراجمة ترى حركتها لقربها منا.

قال الفخر: واختلفوا في أن الجن هل يعلمون الغيب؟ والذي عليه أهل السنة أنهم لا يعلمونه.

---

(١) في الأصل، و(ر): (ثاقب) والصواب ما أثبتناه من القرآن. ولعله يقصد الآية ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

واحتج الفخر بقوله تعالى: ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

وأما قدرتهم على السريان في البشر قال الفخر: المشهور أن الجن لهم قدرة على النفوذ والسريان في بواطن البشر.

وأنكر ذلك المعتزلة وحكى الفخر عن بعض الناس أنهم أثبتوا لهم قدرة على الإحياء والإماتة وعلى خلق الأجسام وعلى تغيير الأشخاص عن صورها الأصلية وخلقها الأولية، قال: فأما أصحابنا فقد أقاموا الدلائل والبراهين على أن القدر على الإيجاد والاختراع ليست إلا لله سبحانه وتعالى.

ومذهب أهل السنة أنهم يدخلون بدن المصروع وأنكر طائفة من المعتزلة وغيرهم ذلك وأحالوا وجود روحين في جسد مع إثباتهم الجن، وكذبهم أحمد بما من الأحاديث.

قال الأشعرى وأهل السنة بصحته، لقوله تعالى ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في سبب الصرع: إنه قد يكون عن عشق وعن تناكح الإنس والجن، وقد يكون بغضا ومجازة مثل أن يؤذي بعضهم ببول أو صب ماء حار أو غسل، [٦٤/ب] والإنسي لا يشعر بذلك فيعاقبونه بأكثر ما يستحق.

وقد يكون عبثا كفعل السفهاء وذلك كله راجع إلى أحكامنا في التحريم، فمن لم يتعمد أو فعل ما أبيح له فعله في ملكه فعذره قائم، وليس لهم أن يسكنوا في ملك إنسي بغير إذنه، فلهذا يسكنون الخراب والفلوات ومواضع النجاسة كالحمام والحشوش والمزابل.

فصل

في ذكر سبب انقياد الجن للعزائم والطلاسم والرقي

اعلم أن كفار الجن وشياطينهم يختارون الكفر والشرك ومعاصي الرب، ويشتهون الشرك ويطلبونه بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجبًا لعذابهم كالإنسان إذا فسدت نفسه يشتهي ما يضره ويتلذذ به، بل يعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه، فالشيطان الخبيث إذا تقرب إليه صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات وارتكب المحرمات، إما بكتبه كلام الله بالنجاسات، أو بقلب الحروف والآيات، أو بقتل من يريد قتله، أو بفعل فاحشة فيه أجابته شياطينه وأعانوه علي أغراضه أو بعضها، إما بأن يحمل في الهواء، أو يفّور الماء، أو غير ذلك.

وقال ابن اسحاق النديم: زعم المنجمون والسحرة أن الشيطان والجن والأرواح تطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم، وزعموا أنهم يستعبدون الشياطين بالقرابين والمعاصي وارتكاب المحظورات، مما لله في فعلها سخط.

وللشياطين في استعمالها رضي كترك الصلاة والصوم، وإباحة المحرمات.

وأما من يتمسك بالشرائع فزعم أن ذلك بطاعة الله عز وجل والابتهال إليه والإقسام على الأرواح والشياطين وترك الشهوات ولزوم العبادات، وأنهم يطيعونه إما لطاعة الله تعالى لأجل [٦٥/أ] الإقسام به، وإما من مخافته منه تبارك وتعالى، ولأن في خاصة أسمائه وذكره قمع لهم وإذلال. قال ابن اسحاق: يقال: إن سليمان عليه الصلاة والسلام أول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها.

قلت: استخدامه لهم ثابت بنص القرآن.

فالعزائم هي الأسماء التي يقسم بها على الملائكة الموكلين بقبائل الجن لتحفظهم عن الإفساد في الأرض، فإذا أقسم عليها بما أمرت بتعظيمه من أسمائها أمرت بإحضار من طلبه حتى يقع فيه الحكم بالمراد.

قالوا: وإنما حدث تولية الملائكة على الجن من عهد سليمان عليه السلام لأنه سأل من الله تعالى ذلك حين رأى الجن قد اشتغلت بالفساد في الأرض، فطلب من الله تعالى أن يولي على كل قبيلة من الجن ملكًا يضبطهم عن الفساد، ففعل تعالى له ذلك، أو إنما لم يحصل المراد عند بعض العزائم لخلل في تلك الأسماء المقسوم بها لأنها أعجمية، فإذا اختل منها حرف أو حركة فليس ذلك بالاسم الذي أمر الملك بتعظيمه فلا يجيب إلى المراد.

والطلاسم: هي أسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعادن وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا العمل، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه. وخواص النفوس تختلف باختلاف السجايا فإن السجايا مختلفة بدليل اختلاف الصور ولذلك بعض أهل العزائم يقسمون علي الجن فتارة يبرون قسمه وتارة لا يفعلون لعظمة الجني، وقلة هيبته للمعزم كحال الإنس في ذلك، لكن الإنس أوفى بالوعد وأعدل، والجن أظلم وأكذب وأعذر، فيتلو العزيمة ولا يلتفت الجني إلى قائلها [٦٥/ب] ويسخر منه إذا طلب حبس الصارع أو قتله، ويخيل إليه أنه قد فعل وليس كذلك.

والرقي: هي ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأوجاع والأسباب المهلكة، ثم ألفاظ الرقي منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، وبذلك نص الإمام أحمد وغيره أنه يجوز أن يكتب لمريض مصاب آيات بمداد، وتغسل وتسقى للمريض. ومن الرقي ما هو غير مشروع كرقي الجاهلية، ولذلك منع الإمام مالك رحمه الله من الرقي بالعجمية. والاستخدامات ضربان: كواكب وجان فمتى قوبلت عندهم بنجور خاص على تقدم من الأفعال المحرمة كاللواط، فإن روحانية ذلك الكواكب أو ملوك الجن تكون مطيعة له متى أراد شيئا فعله.

وأما السحر فإنه يلتمس بالسيماء والهيمياء والطلسمات والأوفاق والخواص النفسية إلى النفوس والحقائق والرقي والعزائم والاستخدامات.

قال بعضهم: السحر جنس لشيئين السيمياء والهيمياء، فالسيمياء: هي عبارة عما يتركب من خواص أرضية أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات، ثم إن هذه الحقائق الخمس المدركات للحواس قد يكون لها وجود في الأعيان يخلقها الله تعالى عند تلك

المحاولات، وقد لا يكون لها وجود أصلًا، وإنما هي تخيلات محضة، وقد تستولى على الأفهام حتى يتخيل الوهم مضي السنين الطويلة في الزمان اليسير، ويكون الفصول بحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار في ساعة واحده وقد تسلب الفكر الصحيح بالكلية، فيكون حال المسحور كحال النائم [٦٦/أ].

وقد حكى الأوزاعي أن يهوديا صحبه في سفر فأخذ ضفدعًا وسحرها خنزيرا فباعه لنصارى فلما ساروا إلى قريتهم عاد ضفدعا، فلحقوا اليهودي فلما قربوا منه رأوا رأسه قد سقط، ففزعوا وولوا هاربين، وبقي الرأس.

يقول للأوزاعي: يا أبا عمرو، هل غابوا إلى أن بعدوا عنه فصار الرأس في الجسد؟ !

والهيمياء: هي الخواص التي تضاف إلى الآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها مما يتعلق بالأفلاك فيحدث عنها ما تقدم.

والفرق بين السيمياء والهيمياء أن السيمياء مضافة إلى الآثار الأرضية، والهيمياء مضافة إلى الآثار الفلكية.

واختلف العلماء في تأثير السحر في الحقائق على قولين:

فقيل: إنه لا يغير حقيقة وإنما هو تخييل، لقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦].

وقيل: إنه يقع به التغيير والضنا والحب والبغض، وإنه يكون بأدوية كالمرائر والأكباد والأدمغة.

وأما طلوع الزرع في الحال، ونقل الأمتعة، والقتل على الفور، والعمى، والصمم، ونحوه، وتعلم الغيب فلا يقع بالسحر؛ لأنه قد وقع القتل في السحرة، فلم يبلغ أحد منهم هذا المبلغ، ولم يستطع سحرة فرعون الدفع عن أنفسهم.

وجوز بعضهم أن يسترق جسم الساحر حتى يلج في كوة، ويجري على خيط مسترق، ويطير في الهواء ويقتل غيره.

وقال القاضي: لا يقع هذا في مقدور البشر وأجمعت الأمة على أنه لا يصل إلى إحياء الموتى وإبراء الأكمه وفلق البحر وإنطاق الخلق.

وإلى القول بحصول التغيير ذهب الشهاب القرافي، قال: فيقتل الساحر ويغير الخلق وينقل الإنسان إلى صور البهائم قال: وهو الصحيح المنقول.

وأجاب عن سحرة فرعون [٦٦/ب] بأنهم لما تابوا وأسلموا امتنعوا عن معاودة الكفر، وأنهم لم يصلوا إلى معرفة ذلك، أو أن بعض السحرة علم فرعون حجبًا وموانع يبطل بها سحر السحرة.

قلت: وفي هذه الأجوبة كلها نظر.

وقال بعضهم: الأصح خلاف ما قاله القرافي، فإنه لم يقع ولا سمع من عاقل من آدم عليه السلام إلى آخر وقت وزمان أن ساحرًا غير خلق الرحمن عز وجل عن صورة إنسان إلى صورة حيوان من حمار أو فرس أو سرحان، والحكايات في مثل ذلك خرافات تتحدث بها العجائز والبنات لا تروى بأحاديث صحيحة، وهي على المتحدث بها أعظم فضيحة.

قلت: ومما يؤيد هذا أنهم لو قدروا على تغيير الحقائق لقلبوا الأحجار ذهبا، والصخور إبلًا وشاؤوا واستغنوا وأغنوا الناس وذلك متفق والله أعلم.

لطيفة: حكى أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي في الفنون قال: كان عندنا دار ببغداد كلما سكنها ناس أصبحوا موتى، فجاء رجل فاكتراها وارتضى بها، فبات وأصبح سالمًا، فتعجب الجيران فأقام مدة ثم انتقل، فسئل: فقال: لما بت بها صليت العشاء وقرأت شيئًا من القرآن فإذا شاب قد صعد من البئر فسلم علي فبهت فقال: لا بأس عليك، علمني شيئًا من القرآن، فشرعت أعلمه، ثم قلت: له كيف أمر هذه الدار؟ فقال: نحن جن مسلمون نقرأ ونصلي، وهذه الدار ما يكتريها إلا الفساق، فيجتمعون على الخمر فنخنقهم. قلت: أنا أخافك في الليل فتعال نهارًا، قال: نعم. فكان يصعد من البئر في النهار فأقرئه، فبينما هو يقرأ ذات يوم إذ المعزم في الدرب يقول المرقى من الدبيب ومن العين ومن الجن. فقال: أي شيء هذا؟ قلت: معزم. قال اطلبه فقمت وأدخلته وإذا أنا بالجني قد صار ثعبانا [٦٧/أ] في السقف، فعزم الرجل فما زال يتدلى حتى سقط في وسط المنزل فقام ليأخذه ويضعه في الزنبيل فمنعته فقال: أتمنعني من صيدي فأعطيته دينارًا وراح، فانتفض الجني وخرج وقد ضعف وانتحل واصفر فقلت له: مالك؟ قال: قتلني بهذه الأسماء، وما أظن أني أعيش

فاجعل بالك فمتى سمعت في البئر صراخًا فانهزم. قال: فسمعت في الليل النعي فانهزمت.

قال ابن عقيل: فما بقي أحد يسكن هذه الدار.

وروى أبو يعلى الحنبلي: أن الخليفة المتوكل أرسل إلى الإمام أحمد صاحبًا له يعلمه أن له جارية بها صرع، ويسأله أن يدعو الله تعالى لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعل خشب بشراك من خوص، وقال له: تمضي إلى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس الجارية وتقول له يعني للجني قال لك أحمد أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذا النعل سبعين، فمضى إليه وقال له مثل ذلك. فقال له المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة لو أمرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا إنه أطاع الله ورسوله، ومن أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء وخرج من الجارية، وهدت ورزقت أولادًا، فلما مات أحمد عاودها هذا المارد، فأرسل المتوكل إلى أبي بكر المروذي صاحب الإمام أحمد وعرفه بالحال، فأخذ المروذي النعل ومضى إلى الجارية، فكلمه العفريت على لسانها لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل مثلك، أحمد أطاع الله تعالى فأمرنا بطاعته.

وأعلم أن الجن يهابوننا ويرهبون منا.

قال مجاهد: إنهم يهابونكم كما تهابونهم لا سيما من يذكر اسم الله أو يتلو القرآن لا سيما آية الكرسي والمعوذتين كما وردت الأخبار بذلك [٦٧/ب].

وعن مجاهد: الشيطان أشد فزعا من أحدكم منه، فإن تعرض لكم فلا تفزعوا منه فيريبكم، ولكن شدوا عليه فإنه يذهب.

واعلم أنهم يبكون وينوحون على موت الصالح من الإنس ويرثونه بالأشعار كما وقع ذلك منهم لما مات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وناحت الجن على من أصيب بصفين، وناحت على علي بن أبي طالب، وأعلموا معاوية بموته، وناحت على الحسين إلى غير ذلك مما يطول.

ومن شعرهم لما مات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

ليبك على الإسلام من كان فقد أوشكوا هلكى وما قدم العهد

وأدبـــرت الـــدنيا وأدبـــر خيرهـــا وقـد ملهـا مـن كـان يوقنـه الوعـد

وعن الحليمي: أن الجن بكت على أبي حنيفة ليلة موته، وكانوا يسمعون الصوت ولا يرون الشخص:

ذهـــب الفقـــه فـــلا فقـــه لكـــم فـــاتقوا الله وكونـــوا خلفـــا

مـــات نعمـــان فمـــن هـــذا الـــذي يحيـــى الليـــل إذا مـــا هـــدفا

فصل

في ذكر جملة من أحكام الجن

اعلم أن الجن مكلفون في الجملة إجماعا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ [الذاريات: ٥٦] الآية. يدخل كافرهم النار إجماعًا ومؤمنهم الجنة عند الأئمة الثلاثة، خلافًا لأبي حنيفة، وهم فيها كغيرهم على قدر ثوابهم خلافًا لبعضهم وتنعقد بهم الجماعة، وليس منهم رسول، ويقبل قولهم إن ما بيدهم ملكهم مع إسلامهم وكافرهم كالحربي. ويحرم عليهم ظلم الآدميين وظلم بعضهم بعضا، وتحل ذبيحتهم وبولهم وقيئهم طاهران وهذا مذهب جمهور العلماء.

وقال بعضهم: لا ثواب للجن إلا النجاة من النار ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم وهو قول أبي حنيفة، حكاه عنه ابن حزم.

وفي الثعلبي، عن أبي [٦٨/أ] الزناد قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لسائر الحيوانات ومؤمني الجن كونوا ترابًا فيعودون ترابا. والصواب أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية كما مر، وهو قول ابن أبي ليلى ومالك.

ونقل عن الأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي وأحمد، وسئل ابن عباس: هل لهم ثواب؟ فقال نعم، لهم ثواب وعليهم عقاب.

وعن عمر بن عبد العزيز أن مؤمني الجن حول الجنة.

وقال الضحاك: إنهم يأكلون في الجنة ويشربون.

وقال مجاهد: يدخلونها ولكن لا يأكلون ولا يشربون.

وقال بعض العلماء: إنا نراهم في الجنة ولا يرونا عكس الدنيا.

وأما نكاح الجن فذهب بعض العلماء إلى أنه لا يجوز لنا مناكحة الجن لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١] وعليه بعض الحنابلة، وبعض متأخري الحنفية وبعض الشافعية.

وفي رواية ابن لهيعة، عن يونس، عن الزهري: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن".

وذهب بعض العلماء إلى جواز مناكحتهم، قال: سئل مالك عن رجل من الجن يخطب إلينا جارية يزعم أنه يريد الحلال فقال: ما أرى بذلك بأسا في الدين.

وروي عن الحسن، وقتادة، والحكم، وإسحاق، كراهة ذلك.

وعن زيد: اللهم ارزقني جنية أتزوج بها تصاحبني حيث ما كنت.

وأما أرواح الجن فالصحيح أن ملك الموت يقبضها كما يقبض أرواح الإنسان.

قيل: إن أعوانه تنفرد بقبض أرواحهم ونسب هذا القول للمبتدعة والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الرابع
في ذكر الموت وما يتعلق به

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

لا خلاف بين علماء الإسلام [٦٨/ب] أن كل نفس من نفوس الإنس والجن والملائكة والحيوانات البرية والبحرية لا بد لها من ذوق الموت.

ولنذكر هنا قبل الشروع في المقصود. فوائد:

الأولى: اختلف العلماء في حقيقة الموت، هل هو أمر وجودي أو عدمي؟

فقال الأشعري: هو أمر وجودي لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢]. والعدم لا يخلق. وقال بعضهم: هو أمر عدمي، وبه قال الزمخشري ومعنى الخلق في الآية التقدير. وعلى أنه أمر وجودي فهل هو جوهر أو عرض؟ تردد فيه بعضهم والظاهر أنه جسم لحديث الصحيحين: "فيذبح" زاد بعضهم "كما تذبح الشاة"(١). والعرض لا يذبح، واختار هذا الحافظ السيوطي.

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي: الموت عبارة عن خلو الجسم من الروح.

وقال بعض علماء التصوف: ليس الموت بعدم صرف ولا بقاء محض، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، ومن حال إلى حال.

وقد جاء في الحديث الصحيح كيفية ذبح الموت بين الجنة والنار. في صفة كبش أملح، قال: بعض المحققين ممن يرى بأن الموت عدمي: ولعل هذا الكبش صورة ملك من الملائكة الذين يقبضون أرواح الخلائق.

وأما الموت في نفسه فهو عدم محض راجع إلى سلب الحياة أو هو استعارة وكناية عن الخلود الدائم فضرب المثل بالموت ولا موت هناك حقيقة.

---

(١) أخرجه أحمد: (٩/٣، رقم ١١٠٨١)، وهناد في الزهد: (١٥٧/١، رقم ٢١٣)، وعبد بن حميد: (ص ٢٨٦، رقم ٩١٤)، والبخاري: (١٧٦٠/٤، رقم ٤٤٥٣)، ومسلم: (٢١٨٨/٤، رقم ٢٨٤٩)، والترمذي: (٣١٥/٥، رقم ٣١٥٦) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى: (٣٩٣/٦، رقم ١١٣١٦)، وابن حبان: (٤٨٥/١٦، رقم ٧٤٤٩).

وأما الحياة، فقال الزمخشري: ما يصح بوجوده الإحساس. وقيل: ما يوجب كون الشيء حيا.

وحكى الثعلبي، عن ابن عباس رضي الله عنه: خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء إلا يجد ريحه ولا يجد شيء ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس لا تمر بشيء ولا تطأ شيئًا، ولا يجد ريحها شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها [٦٩/أ] فألقاها على العجل.

الثانية: الروح والنفس.

اختلف العلماء فيهما هل هما شيء واحد أو شيئان.

حكى ابن زيد أن أكثر أهل العلم على أن النفس والروح اسمان لشيء واحد.

وقال ابن حبيب: هما شيئان، فالروح هو النفس المتردد في الإنسان.

والنفس هي التي يقال لها: جسد مجسد لها يدان ورجلان وعينان ورأس، وأنها هي التي تلذ وتفرح وتألم وتحزن، وإنها هي التي تتوفى في المنام وتخرج وتسرح وترى الرؤيا فتسر بما ترى، أو تحزن به، ويبقى الجسم دونها بالروح لا يلذ ولا يفرح ولا يعقل، حتى تعود إليه النفس، فإن أمسكها الله تعالى ولم يرجعها إلى جسدها تبعها الروح فصارت معها شيئا واحدا، ومات الجسم، وإن أرسلها إلى أجل مسمى وهو أجل الوفاة حيي الجسم، واحتج بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

فإذا فرعنا على قول الأكثر وهو أن الروح والنفس شيء واحد فاعلم أن العقلاء اختلفوا: هل النفس عبارة عن هذا الهيكل الإنساني المخصوص، أو عبارة عن شيء آخر وراء هذا الهيكل، فذهب جمع عظيم من المتكلمين إلى الأول، وذهب آخرون إلى الثاني.

قال بعض المحققين وهو الصحيح، بدليل أن هذا الهيكل يلحقه الفناء بالموت والنفس باقية لا يلحقها الفناء، وأن الروح تنعم أو تعذب على ما أخبر به الصادق المبلغ عن الله تعالى.

وإذا قلنا إن النفس ما وراء هذا الهيكل ففي حقيقتها للعقلاء أقوال:

فقيل: إنها جوهر لطيف نوراني مشابك لهذا البدن.

وهذا قول للإمام الفخر ونحوه لإمام الحرمين: وهو أنها جوهر جسماني نوراني

شريف حاصل في البدن سار فيه سريان السم، أو أنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام [٦٩/ب] اشتباك الماء بالعود الأخضر.

قال الإمام النووي: وهذا أصح ما قيل فيه.

وقيل: إنها ليست جسما ولا جسمانية بل هي جوهر مجرد غير حال في البدن، غير متحيز ولا حال في المتحيز، متصرف في البدن تصرف التدبير، وانقطاع تصرفه عنه هو الموت، وهو مذهب جمهور الفلاسفة ومعمر المعتزلي، واختاره الغزالي والحلبي وجمع من مشائخ الصوفية، وقيل: إنها أجسام لطيفة حية لذواتها، سارية في الأخلاط، لا يتطرق إليها تبدل وانحلال. وبقاؤها فيها هو الحياة وانفصالها عنها هو الموت.

وقيل: إنها الأجزاء الأصلية من البدن الباقية من أول العمر إلى آخره، فتكون الأجزاء الأصلية لبدن شخص فاضلة لبدن شخص آخر وبالعكس. واختاره بعض المتكلمين.

وقيل: إنها الأرواح المكفوفة في الدماغ تصلح لقبول قوى الحس والحركة، نافذة في الأعضاء إلى جملة البدن.

وقيل: إنها الحرارة الغريزية. وبه قال جمع من الأطباء قال بعضهم: ولعلها المراد في قول بعض الحكماء أنها الأجزاء النارية السارية في البدن.

[وقيل: إن النفس هو النفس المعبر عنه بالهواء.

وقيل: إنها المزاج][1] وقيل: إنها الدم، وقيل: إنها الأخلاط الأربعة، وقيل: إنها صفة الحياة، وقيل: إنها الشكل والتخطيط.

وقيل: إنها أجسام لطيفة محلها البطن الأيسر من القلب، نافذة إلى جملة البدن.

وقيل: إنها عرض لطيف هو ألطف المخلوقات، وأصفى الجواهر وأنورها بها ترى المغيبات، وبها يكون الكشف لأهل الحقائق.

وقيل: هي معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم وغير ذلك، ألا ترى أنه إذا كان موجودا يكون الإنسان بهذه الصفات.

قال بعضهم: وهذه الأقوال كلها اجتهادية والصحيح الوقف؛ لأن ذلك لا يعلم

---

(١) ساقط من الأصل.

إلا بالتوقيف، ولم يرد فيه [٧٠/أ] ما يفسر حقيقتها، قال تعالى لنبيه حين سأله اليهود عن الروح: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فوجب المصير إليه.

وقد أمسك عن الكلام فيها كثير من العلماء.

قال السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: وهذه الطريقة هي المختارة.

قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لأحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود. وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف.

وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح.

ونقل أبو القاسم السعدى في الإفصاح: أن أماثل الفلاسفة توقفوا عن الكلام فيها، وقالوا: هذا أمر غير محسوس لنا، ولا سبيل للعقول إليه.

وأخرج ابن جرير بسند مرسل أن الآية لما نزلت قالت اليهود: هكذا نجده في التوراة.

قال السيوطي: أبهمها الله في القرآن والتوراة، وكتم عن خلقه علمها فمن أين للخائضين الاطلاع على حقيقة أمرها.

قال ابن بطال: الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

وقال القرطبي: حكمته إظهار عجز المرء؛ لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده، كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق – سبحانه وتعالى – من باب أولى، وقريب منه عجز البصر عن إدراك نفسه.

وقال ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن بريدة، قال: "لقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح[(١)]".

وقالت طائفة: بل علمها وأطلعه الله تعالى عليها، ولم يأمره أن يطلع عليها أمته؛ لأن الله تعالى قد حسم باب الكلام فيها؛ لدقة معانيها، وضعف العقول عن فهمها، وللإفضاء إلى ما لا يليق، ولأنه لا حاجة للخلق بمعرفتها والله سبحانه وتعالى أعلم [٧٠/ب].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٩٦، والأثر عن الشعبي.

الثالثة: في أن النوم وفاة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قال الفخر: المقصود من الآية أنه تعالى يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم، إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى وهي النائمة إلى أجل مسمى.

وفي الصحيح: "أن الله تعالى يقبض أرواحنا حين شاء وردها علينا حين شاء".

فنطقت الشريعة بقبض الروح والنفس في النوم. قاله ابن عطية.

وقد كثرت الأقوال في ذلك: فحكى الثعلبي، عن ابن عباس وغيره من المفسرين: أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله فإذا أراد الله جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وقال ابن عباس: في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحريك فإذا نام العبد، قبض الله نفسه ولم يقبض روحه.

وقال الفخر: النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الأعضاء وهو الحياة، فبوقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وعن باطنه، وبوقت النوم ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد؛ إلا أن الموت انقطاع تام، والنوم انقطاع ناقص.

وقال الشيخ ابن عبد السلام: في كل جسد روحان إحداهما روح التيقظ: التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان. والأخرى: روح الحياة التي أجرى الله [٧١/أ] العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيًا فإذا فارقته مات.

ويدل على روح الحياة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١].

ويدل على وجود روحي الحياة واليقظة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] الآية.

وقال ابن عبد البر في التمهيد، عن بعض أصحاب الإمام مالك: النفس جسد مجسد كخلق الإنسان. والروح كالماء الجاري، واحتج بقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾

[الزمر: ٤٢] الآية. وقال: ألا ترى [أن][1] النائم قد توفى الله تعالى نفسه وروحه صاعد ونازل، والنفس تسرح في كل واد وترى ما تراه من الرؤيا فإذا أذن الله في ردها إلى الجسد عادت، واستيقظ لعودها جميع أعضاء الجسد.

قال: فالنفس غير الروح والروح كالماء الجاري في البستان فإذا أراد الله إفساد ذلك البستان منع منه الماء الجاري فيه فتموت حياته؛ فكذلك الإنسان.

وقال بعضهم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]: بإزالة نفسها وتمييزها، ويتوفى التي لم تمت بإزالة تمييزها فقط. وقد أشار ابن عطية إلى أن هذه الأقوال غلبة ظن، ورأى إن حقيقة الأمر في أنه سبحانه استأثر بعلم ذلك وغيبه عن عباده.

وقال مقاتل: للإنسان حياة وروح ونفس فإذا خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء لم تفارق الجسد، بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد، فيتقلب فيهما ويتنفس فإذا تحرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين، فإذا أراد الله أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت.

وقال أيضا: إذا نام خرجت نفسه وسرحت فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح يعلم [٧١/ب] أنه رأى كيت وكيت.

وقال عكرمة أيضا، ومجاهد: إذا نام الإنسان كان له سبب يجري فيه الروح وأصله في الجسد فتبلغ حيث شاء الله، فما دام ذاهبا فإن الإنسان نائم فإذا رجع إلى البدن انتبه وكان بمنزلة شعاع الشمس هو ساقط بالأرض وأصله متصل بها، والله سبحانه أعلم.

الرابعة: في الرؤيا. قال: صاحب القبس: تقول: رأيت رؤية: إذا عاينت ببصرك ورأيت رؤيا: إذا اعتقدت بقلبك. ورأيت رؤيا بالقصر: إذا عاينت في منامك.

وقد يقال: إن الرؤيا تستعمل في اليقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]. بناء على مذهب الجمهور، وإنها في اليقظة.

إذا علمت هذا ففي حقيقة الرؤيا للعلماء أقول:

---

(١) ساقط من الأصل.

فقال القاضي أبو بكر: هي خواطر واعتقادات.

وقال الإسفرائيني: هي إدراك بأجزاء لم تحلها آفة النوم، بل إدراك كإدراك اليقظان.

وقال ابن فورك: هي أوهام.

وقالت المعتزلة: هي تخاييل لا حقيقة لها ولا دليل فيها، وهذا من المعتزلة جار على أصولها في تخييلها على العامة من إنكار أصول الشرع في الجن وأحاديثها والملائكة وكلامها، وإن جبريل عليه السلام لو كلم النبي صلى الله عليه وسلم بصوت لسمعه الحاضرون.

وقال الطبائعيون: منشؤها عن غلبة الأخلاط فينسب إلى كل خلط ما يناسبه من ذلك.

وقالت الحكماء: إن صور العالم منقوشة في ظل العرش فعند زوال الحجب الظلمانية تنتقش الصور الغيبية في غيب النفس. ومال إليه بعض الصوفية كابن العربي نزيل دمشق.

وقال صالح المعتزلي: هي رؤية عين. حكاه عنه صاحب القبس.

وقال قوم: هي رؤية [٧٢/أ] بعينين في القلب يبصر بهما، وآذان في القلب يسمع بهما.

وقال قوم: إنها كلام الله تعالى للعبد في النوم لما في مسند أبي عبد الله الترمذي العارف عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الرؤيا للعبد كلام يكلمه الله سبحانه وتعالى في منامه، وهي البشرى المشار إليها في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]".

كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء وقال: "ما سألني أحد قبلك".

وأخرج الحكيم بسند ضعيف، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام[1]".

وأخرج الحاكم في المستدرك، والطبراني في الأوسط، والعقيلي، عن ابن عمر قال:

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ١/٣٩٠.

لقي عمر عليا رضي الله تعالى عنهما فقال: يا أبا الحسن: الرؤيا منها ما يصدق ومنها ما يكذب؟ فقال: نعم. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد ولا أمة ينام فيمتلئ نومًا إلا يعرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤية التي تصدق، والتي تستيقظ دون العرش فتلك الرؤية التي تكذب"(١).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "إن الأرواح يعرج بها في منامها إلى السماء، وتؤمر بالسجود عند العرش، فمن كان طاهرًا سجد عند العرش، ومن كان ليس بطاهر سجد بعيدًا عن العرش"(٢).

وأخرج ابن المبارك في الزهد، عن أبي الدرداء قال: "إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها إلى العرش، فإن كان طاهرًا أذن لها بالسجود، وإن كان جنبًا لم يؤذن لها في السجود(٣)". وقال ابن عبد السلام: "في روح اليقظة أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد [٧٢/ب] كان الإنسان مستيقظًا فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان، ورأت تلك الروح المنامات، فإذا رأتها في السموات صحت الرؤيا؛ لأنه لا سبيل للشيطان إلى السموات، وإن رأتها دون السماء كانت من إلقاء الشياطين، فإذا رجعت استيقظ الإنسان كما كان".

قلت: أحسن ما قيل في هذا الباب كلام الكرماني فإنه قال: في كتابه الكبير: الرؤيا ثمانية أقسام: المعبر منها واحد، وسبعة لا تعبر، فالسبعة: أربعة نشأت في الأخلاط الأربعة الغالبة على مزاج الرائي، [فمن غلب عليه خلط رأى ما يناسبه](٤).

فمن غلبت عليه الصفراء رأى الألوان الصفراء والطعوم المرة والسموم والحرور والصواعق ونحو ذلك.

ومن غلب عليه الدم رأى الألوان الحمراء والطعوم الحلوة وأنواع الطرب؛ لأن الدم مفرح حلو، والصفراء مستحسنة مرة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٢٤٧/٥، رقم ٥٢٢٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء: (١٩٦/٢)، والديلمي (٥٥/٤، رقم ٦١٧٣).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب: ٢٨٤/٤.

(٣) أخرجه ابن المباك في الزهد: ٤٤١/١.

(٤) ساقط من الأصل.

ومن غلب عليه البلغم رأى الألوان البيضاء والأمطار والمياه والثلج.

ومن غلب عليه السوداء رأى الألوان السود والأشياء المحرقة والطعوم الحامضة لأنه طعم السوداء ويعرف ذلك بالأدلة الطبية الدالة على غلبة ذلك الرائي.

القسم الخامس: ما هو من حديث النفس. ويعلم ذلك بجولانه في اليقظة وكثرة الفكر فيه فيستولي على النفس فتتكيف فيه فيراه في النوم.

السادس: ما هو من الشيطان. ويعرف ذلك بكونه فيه حث على أمر تنكره الشريعة أو بأمر معروف جائز غير أنه يؤدي إلى أمر منكر، كما إذا أمره بالتطوع بالحج فتضيع عائلته، أو يعق بذلك أبويه.

السابع: ما كان فيه احتلام.

الثامن: الذي يجوز تعبيره. هو ما خرج عن هذه، وهو من ملك الرؤيا من اللوح المحفوظ، فإن الله تعالى وكل ملكًا باللوح المحفوظ ينقل منه [٧٣/أ] لكل أحد ما يتعلق به من أمر الدنيا والآخرة من خير أو شر، لا يترك من ذلك شيئا، علمه من علمه أو جهله من جهله، ذكره من ذكره أو نسيه من نسيه.

وهذا هو الذي يجوز تفسيره وما عداه فلا، والله أعلم.

الخامسة: في كون العمر يزيد وينقص:

وفيه خلاف كثير بين العلماء، فمنهم من قال: يزيد وينقص. وبه قال الإمام عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبو وائل، وكعب وجماعة كثير.

ومنهم من قال: لا يزيد ولا ينقص. وبه قال الجمهور.

وحكى ابن عطية في تفسير سورة الأعراف أنه مذهب أهل السنة ولكل من الفريقين دليل من الكتاب والسنة.

واحتج أهل القول الأول من الكتاب بآيات منها قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] الآية.

وجه الدليل منها أنه عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ.

قال الإمام الفخر: قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذلك القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر.

قال: والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء لا أشقياء.

وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]. أي: لا يطول عمر إنسان ولا ينقص إلا وهو في كتاب، أي: في اللوح المحفوظ.

قال الزمخشري: وصورته أن يكتب في اللوح المحفوظ: إن حج فلان ولم يغز فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فقد بلغ الستين، وقد عمر.

وإذا أفرد أحدهما فلا يجاوز الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون.

قال: وإليه أشار رسول الله صلى [٧٣/ب] الله عليه وسلم بأنه قال: "إن الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الأعمار(١)".

وعن كعب أنه قال: حين طعن عمر رضي الله عنه لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله. فقيل لكعب أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]. قال: فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١] (٢).

قال الزمخشري: وقد استفاض على ألسنة الناس: أطال الله عمرك وفسح في مدتك وما أشبهه.

ومنها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢] الآية.

فثبت أن للإنسان أجلين وتأولها حكماء الإسلام، على ما حكاه الإمام الفخر: أن لكل إنسان أجلين: أحدهما: الآجال الطبيعية.

الثاني: الآجال الإجرامية.

فالآجال الطبيعية: هي التي لو بقي المزاج مصونًا عن العوارض الخارجية

---

(١) أخرجه أحمد: (١٥٩/٦ رقم ٢٥٢٩٨) قال الهيثمي: (١٥٣/٨): رجاله ثقات إلا أن عبد الرحمن بن القاسم لم يسمع من عائشة.

(٢) في (ر) "وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب مبين". والصواب ما أثبتناه.

كالغرق والحرق ولسع الحشرات وغيرها، لانتهت مدة بقائه إلى الأوقات الفلكية.

والآجال الإجرامية هي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجية كالغرق والحرق ولسع الحشرات.

واحتجوا من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: "صلة الرحم تزيد في العمر(١)".

وفي طريق آخر: "صل رحمك يزد في عمرك"(٢).

وفي آخر: "من أحب أن ينسأ له في عمره فليصل رحمه(٣)".

قال ابن عباس: "لكل واحد أجلان: أجل إلى الموت، وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برًا تقيًا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان ضد ذلك نقص من العمر وزيد في أجل البعث".

واحتج أهل القول الثاني من الكتاب بآيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]. ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا [٧٤/أ] بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. ومنها قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديث: ٢٢].

ومنها قوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

واحتجوا من السنة بحديث عبد الله بن مسعود: "أن الملك يكتب رزقه وأجله(٤)".

---

(١) أخرجه الطبراني: (٢٦١/٨، رقم ٨٠١٤). قال الهيثمي: (١١٥/٣): إسناده حسن. عن أبي أمامة مرفوعا.

(٢) أخرجه الروياني في مسنده: ٤٠٨/١.

(٣) حديث أنس: أخرجه البخاري: (٧٢٨/٢، رقم ١٩٦١)، ومسلم: (١٩٨٢/٤، رقم ٢٥٥٧)، وأبو داود: (١٣٢/٢، رقم ١٦٩٣). حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري: (٢٢٣٢/٥، رقم ٥٦٣٩). ومن غريب الحديث: "ينسأ": يؤخر.

(٤) أخرجه أحمد: (٣٨٢/١، رقم ٣٦٢٤)، والبخاري: (١١٧٤/٣، رقم ٣٠٣٦)، ومسلم: (٢٠٣٦/٤، رقم ٢٦٤٣)، وأبو داود: (٢٢٨/٤، رقم ٤٧٠٨) والترمذي: (٤٤٦/٤، رقم ٢١٣٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (٢٩/١، رقم ٧٦).

وبحديث: "فرغ ربكم من ثلاث" الحديث. فذكر منها الآجال.

وبحديث أم حبيبة حيث قالت: "اللهم متعني بأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، وبزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم". فقال لها عليه الصلاة والسلام: "لقد سألت الله في آجال مضروبة وأرزاق مقسومة لا يؤخر منها شيء"(١).

وأجابوا عن قوله تعالى:﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] الآية. بعدم حملها على العموم.

فقال ابن جبير وقتادة: المراد بالمحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم بحكم آخر بدلا من الأول.

قلت: وفيه نظر؛ لأن القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ومن جملة ذلك الحكم فلما جاز نسخ الحكم وإثباته فكذلك العمر.

وقال أبو صالح والضحاك: المراد بالآية: محو ما في ديوان الحفظة مما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم مأمورون بكتب على كل ينطق به الإنسان.

قلت: هو قريب ولكن المراد لا يدفع الإيراد.

وقال بعضهم: أراد بالمحو محو الذنوب من الصحائف بالتوبة.

وقال الحسن: يمحو من حان أجله ويدع ثابتًا من لم يحن أجله.

وقال الإمام علي: يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها.

قلت: وفي كل من هذه الأجوبة نظر؛ لما مر ولأنه تخصيص من غير مخصص.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ [فاطر: ١١] الآية. بأن المراد بالمعمر: الطويل العمر.

والمراد بالناقص، قصير العمر.

والمعنى: كل من طال عمره أو قصر فهو مكتوب [٧٤/ب] في الكتاب.

وفسرها ابن جبير بوجه آخر وهو أنه قال: مكتوب في أول الكتاب عمره كذا وكذا، ثم كتب أسفل من ذلك ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة حتى ينقضي عمره. حكاه المفسرون عنه.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٣/٥٠، رقم ١٢٠٢٩)، وأحمد: (١/٤١٣، رقم ٣٩٢٥)، ومسلم: (٤/٢٠٥١، رقم ٢٦٦٣)، وابن حبان: (٧/٢٣٥، رقم ٢٩٦٩).

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

بأن المراد بالأجل الأول: أجل الماضين وبالثاني: أجل الباقين.

أو المراد بالأول أجل الموت، وبالثاني أجل الحياة في الآخرة؛ لأنه لا آخر لها ولا انقضاء.

أو أن الأجل الأول هو بين خلق الإنسان إلى موته والثاني: ما بين موته إلى بعثه.

أو أن الأجل الأول هو النوم، والثاني: هو الوفاة.

أو أن الأول: ما انقضى من عمر كل واحد، والثاني: ما بقى من عمر كل واحد. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين.

وأجابوا عن حديث: "صلة الرحم تزيد في العمر"[(١)]. بأجوبة؛ فقيل: المراد بالزيادة في العمر: السعة في الرزق واليسار والزيادة فيه؛ لأن الفقر موت كما في الآثار: أن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام بأنه يموت عدوه ثم رآه بعد ينسج الخوص فقال: يا رب وعدتني أن تميته. قال: قد فعلت ذلك؛ لأني قد أفقرته.

قلت: وفي هذا الجواب نظر؛ لأن السعة في الرزق أمر قد فرغ منه في الأزل كالعمر.

وقيل: إن المراد بالزيادة في العمر: نفي الآفات عنهم والزيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم.

قلت: وفيه نظر؛ لما مر.

وقيل: إن الله تعالى يكتب أجل عبده مائة سنة، وجعل تركيبه وبنيته وهيئته كتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه زاد الله في ذلك التركيب وفي تلك البنية، ووصل ذلك النقص فعاش عشرين أخرى حتى بلغ المائة، وهو الأجل الذي لا يستأخر عنه ساعة ولا يستقدم، وقيل: إن [٧٥/أ] هذه الزيادة بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ فيظهر لهم أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله ما سيقع له من ذلك علما أزليا.

قال الجلال السيوطي: قد تظاهرت الأحاديث والآثار عندي على زيادة العمر

---

(١) أخرجه الطبراني: (٢٦١/٨، رقم ٨٠١٤). قال الهيثمي: (١١٥/٣): إسناده حسن. عن أبي أمامة مرفوعا.

ونقصه بالنسبة إلى ما كتب في اللوح المحفوظ أو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى علم الله تعالى، فإن علمه تعالى أزلي لا يتغير، والأشياء كلها واقعة على وفق علمه في الأزل من غير زيادة ولا نقص.

قلت: هذا حاصل كلام الفريقين في هذه المسألة، وما قالوه من دليل وتعليل، وهذا الجواب الأخير هو الحق إن شاء الله تعالى، ولعله مراد كل من الفريقين، والخلاف بينهم لفظي، والله تعالى أعلم.

فصل

في الاستعداد للموت وذم الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذمها.

وفي حديث سهل بن سعد - وصححه الترمذي - قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سَقَى كافرًا منها شربة ماء[1]". وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما". قال الترمذي: حديث حسن صحيح[2].

---

(١) أخرجه الترمذي: (٥٦٠/٤، رقم ٢٣٢٠)، والطبراني: (١٥٧/٦، رقم ٥٨٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٢٥/٧، رقم ١٠٤٦٥).
قَالَ الْمُنَاوِيُّ بَعْدَ نَقْلِ قَوْلِ التِّرْمِذِيِّ هَذَا وَنُوزِعَ: يَعْنِي وَنُوزِعَ التِّرْمِذِيُّ فِي تَصْحِيحِ الْحَدِيثِ وَوَجْهُ الْمُنَازَعَةِ أَنَّ فِي سَنَدِ هَذَا الْحَدِيثِ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ سُلَيْمَانَ وَهُوَ ضَعِيفٌ.
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهَا أَدْنَى قَدْرٌ (مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا) أَيْ مِنْ مِيَاهِ الدُّنْيَا (شَرْبَةَ مَاءٍ) أَيْ يُمَتِّعُ الْكَافِرَ مِنْهَا أَدْنَى تَمَتُّعٍ فَإِنَّ الْكَافِرَ عَدُوُّ اللَّهِ وَالْعَدُوُّ لَا يُعْطَى شَيْئًا مِمَّا لَهُ قَدْرٌ عِنْدَ الْمُعْطِي فَمِنْ حَقَارَتِهَا عِنْدَهُ لَا يُعْطِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ حَدِيثُ إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمُ الْمَرِيضَ عَنِ الْمَاءِ. تحفة الأحوذي: ٥٠٣/٦.

(٢) أخرجه الترمذي: ٢٣٢٢، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني.
قَوْلُهُ إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ: أَيْ مَبْغُوضَةٌ مِنَ اللَّهِ لِكَوْنِهَا مُبْعَدَةً عَنِ اللَّهِ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، أَيْ مِمَّا يُشْغِلُ عَنِ اللَّهِ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ بِالرَّفْعِ، وَمَا وَالَاهُ أَيْ أَحَبَّهُ اللَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَأَفْعَالِ الْقُرْبِ أَوْ مَعْنَاهُ مَا وَالَى ذِكْرَ اللَّهِ أَيْ قَارَبَهُ مِنْ ذِكْرِ خَيْرٍ أَوْ تَابَعَهُ مِن اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ لِأَنَّ ذِكْرَهُ يُوجِبُ ذَلِكَ.
قَالَ الْمُظْهِرُ: أَيْ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْمُوَالَاةُ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنْ وَاحِدٍ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا يَعْنِي مَلْعُونٌ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا أَحَبَّهُ اللَّهُ مِمَّا يَجْرِي فِي الدُّنْيَا وَمَا سِوَاهُ مَلْعُونٌ.
وَقَالَ الْأَشْرَفُ: هُوَ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَهِيَ الْمُتَابَعَةُ وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِمَا يُوَالِي ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ وَعَالَمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ قَالَ القارىء فِي الْمِرْقَاةِ أَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ أَوْ لِلتَّنْوِيعِ =

واعلم أنه لا ينبغي للعاقل أن ينظر إلى ما في أيدي الأغنياء؛ فإنه فتنة.

وقد نهى الله نبيه عن ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ [٧٥/ب] إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]. وفي مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله(١)".

قال يحيى بن معاذ: العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخل فيه، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه، فإذا قطع العاقل بوجوب السفر فلا بد من الزاد ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]. وإذا جزم بمفاجآت العوائق والصوارف عن العمل فالواجب البدار عند حلولها؛ فمن أيقن بالموت وعلم أنه نازل به لا محالة فلا بد له من الاستعداد له بالأعمال الصالحة، ولا بد له من اجتناب الأعمال القبيحة؛ فإنه لا يدري متى ينزل به. ولقد أحسن من قال:

دع الدنيا ولا تركن إليها ... ومع من فر منها سل سبيلا

عساك بتركها تحظى بدار ... بها عين تسمى سلسبيلا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت، ثم لا يستعدون له حتى كأنهم فيه شاكون، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الإحياء للغزالي قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا بد أن يلقاك فاستعد له قبل أن يفجاك.

وفي الصحيحين، عن أنس بن مالك، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: "يتبع

=

فَيَكُونُ الْوَاوَانِ بِمَعْنَى أَوْ وَقَالَ الْأَشْرَفُ: قَوْلُهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ مَرْفُوعٌ وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَنْصُوبٌ مُسْتَثْنًى مِنَ الْمُوجِبِ. تحفة الأحوذي: ٥٠٤/٦-٥٠٥.

(١) أخرجه أحمد: (٢٥٤/٢، رقم ٧٤٤٢)، ومسلم: (٢٢٧٥/٤، رقم ٢٩٦٣)، والترمذي: (٦٦٥/٤، رقم ٢٥١٣)، وقال: صحيح، وابن ماجه: (١٣٨٧/٢، رقم ٤١٤٢). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٢٢/٣، رقم ٢٣٤٣).

المؤمن بعد موته ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله(١)".

وفي البخاري، عن أبي هريرة قال: قال [٧٦/أ] رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا(٢)".

وفي الترمذي: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله(٣)".

وأخرج البزار، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا من ذكر هادم اللذات؛ فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه".

وأخرج ابن ماجه، عن ابن عمر، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى المؤمنين أكيس؟ قال: "أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس(٤)".

وفي الترمذي: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"(٥).

---

(١) أخرجه ابن المبارك: (ص ٢٢٤، رقم ٦٣٦)، وأحمد: (١١٠/٣، رقم ١٢١٠١)، والبخاري: (٢٣٨٨/٥، رقم ٦١٤٩) ومسلم: (٢٢٧٣/٤، رقم ٢٩٦٠)، والترمذي: (٥٨٩/٤، رقم ٢٣٧٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي: (٥٣/٤، رقم ١٩٣٧). وأخرجه أيضًا: الحميدي: (٥٠٠/٢، رقم ١١٨٦)، وابن حبان: (٣٧٤/٧، رقم ٣١٠٧).

(٢) أخرجه أحمد: (٣١٢/٢، رقم ٨١٠٩)، والبخاري: (٢٣٧٩/٥، رقم ٦١٢٠)، والترمذي: (٥٥٦/٤، رقم ٢٣١٣)، وقال: صحيح.

(٣) أخرجه أحمد: (١٧٣/٥، رقم ٢١٥٥٥) والترمذي: (٥٥٦/٤ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب. وابن ماجه: (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم: (٥٥٤/٢، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد. وأبو الشيخ في العظمة: (٩٨٢/٣، رقم ٥٠٧) جميعا عن أبي ذر.

(٤) أخرجه ابن ماجه: ٤٢٥٩، وحسنه الألباني، وقال محققه: في الزوائد فروة بن قيس مجهول. وكذلك الرواي عنه. خبره باطل. قاله الذهبي في طبقات التهذيب.

(٥) أخرجه ابن المبارك: (٥٥/١، رقم ١٧١)، والطيالسي: (ص ١٥٣، رقم ١١٢٢)، وأحمد: (١٢٤/٤، رقم ١٧١٦٤)، والترمذي: (٦٣٨/٤، رقم ٢٤٥٩) وقال: حسن. وابن ماجه: (١٤٢٣/٢، رقم ٤٢٦٠)، وأبو نعيم في الحلية: (٢٦٧/١)، والبيهقي: (٣٦٩/٣، رقم ٦٣٠٦)، =

وأخرج سعيد بن منصور، عن أبي الدرداء قال: "موعظة بليغة وغفلة سريعة: كفى بالموت واعظًا وكفى بالدهر مفرقًا، اليوم في الدور وغدًا في القبور".

وقال رجل: يا رسول الله، من أزهد الناس؟ قال: "من لم ينس القبر والبِلَى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غدًا من أيامه، وعد نفسه من أصحاب القبور"(١).

وقال علي بن أبي طالب: "القبر صندوق العمل، وبعد الموت يأتيك الخبر(٢)".

وقال أيضا: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا".

وأخرج أحمد في الزهد، عن البيهقي في شعب الإيمان، عن الربيع بن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كفى بالموت مزهدًا في الدنيا ومرغبًا في الآخرة(٣)".

وعن كعب قال: "من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا".

قلت: والأخبار والآثار في مثل ذلك كثيرة، [٧٦/ب] فمن أراد المزيد فعليه بمطالعة كتب الصوفية يظفر بما يريد، والله أعلم.

=

والطبراني: (٢٨١/٧، رقم ٧١٤١)، والحاكم: (١٢٥/١، رقم ١٩١) وقال: صحيح على شرط البخاري. وأخرجه أيضًا البزار: (٤١٧/٨ رقم ٣٤٨٩)، والقضاعي: (١٤٠/١، رقم ١٨٥)، وابن أبي عاصم في الزهد: (٣٨/١)، والديلمي: (٣١٠/٣، رقم ٤٩٣٠).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٣٥٥/٧، رقم ١٠٥٦٥). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٧٧/٧، رقم ٣٤٣١٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر: (٢٥١/٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: (٧٨/٧، رقم ٣٤٣٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٥٢/٧، رقم ١٠٥٥٤) عن الربيع بن أنس مرسلا.

فصل

في المريض

وينبغي للمريض أن يغلب رجاؤه على خوفه، كما ينبغي له عكس ذلك في صحته، وأن يحسن ظنه بربه، ففي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله(١)". وذلك ظاهر؛ لأن الخوف حينئذ يؤدي إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، وذلك من الكبائر.

وفي الترمذي: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال عليه السلام: "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمنه مما يخاف(٢)".

وينبغي أن يحب لقاء الله، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه(٣)".

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٧٧، وقال محققه: قال العلماء هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد قال الله في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي، قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له، ويؤيده حديث: يبعث كل عبد على ما مات عليه، قال العلماء: معناه يبعث على الحالة التي مات عليها.

(٢) حديث أنس: أخرجه عبد بن حميد: (ص ٤٠٤، رقم ١٣٧٠)، والترمذي: (٣/٣١١، رقم ٩٨٣)، قال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى: (٦/٢٦٢، رقم ١٠٩٠١)، وابن ماجه: (٢/١٤٢٣، رقم ٤٢٦١) وحسنه الألباني، وأبو يعلى: (٦/٥٧، رقم ٣٣٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢/٤، رقم ١٠٠٢)، والضياء (٤/٤١٣، رقم ١٥٨٧). حديث عبيد بن عمير: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٢/٥، رقم ١٠٠٢).

(٣) أخرجه البخاري: ٦٥٠٧، ومسلم: ٢٦٨٣، كلاهما عن عبادة بن الصامت.

ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت. فقال: إلى أين يذهب بي؟ فقيل: إلى الله. قال: "مما كراهتي أن أذهب إلى من لا يُرَى الخير إلا منه".

ويجب على المريض أن يسارع في أداء ما عليه من حقوق الله وحقوق الآدميين، وأن يهتم بالوصية.

ففي الترمذي وصححه، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده[(١)]".

وينبغي تنظيفه وإزالة الأذى عنه تهيؤًا للقاء الله تعالى، ويستحب توجيهه للقبلة وقراءة شيء من القرآن عنده، وتلقينه لا إله إلا الله، ففي مسلم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله[(٢)]".

قال: بعضهم: حكمة الأمر بذلك ليحصل له ما وعد به الحديث في قوله [٧٧/أ] عليه الصلاة والسلام: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله حرمه الله على النار[(٣)]".

أو لأنه موضع يتعرض فيه الشيطان لإفساد اعتقاد الإنسان، فيحتاج إلى مذكر ومنبه له على التوحيد، فقد جاء أن الشيطان يتخيل له في صورة أحد أبويه فيدعوه إلى دين النصرانية، وإلى دين اليهودية وغيرهما فيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

قلت: فيؤخذ من هذا التعليل أنه يستحب التعريض له بالتوبة، والإقلاع عن

---

(١) أخرجه مالك: (٧٦١/٢، رقم ١٤٥٣)، والطيالسي: (ص ٢٥٢، رقم ١٨٤١)، وابن أبي شيبة: (٢٢٧/٦، رقم ٣٠٩٣١)، وأحمد: (٨٠/٢، رقم ٥٥١١)، والبخاري: (١٠٠٥/٣، رقم ٢٥٨٧)، ومسلم: (١٢٤٩/٣، رقم ١٦٢٧)، وأبو داود: (١١٢/٣، رقم ٢٨٦٢)، والترمذي: (٣٠٤/٣، رقم ٩٧٤)، وقال: حسن صحيح. والنسائي: (٢٣٨/٦، رقم ٣٦١٥) وابن ماجه: (٩٠٢/٢، رقم ٢٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم: ٩١٦.

(٣) أخرجه أحمد: (٢٤٧/٥، رقم ٢٢١٨٠)، وأبو داود: (١٣٤/٣، رقم ٢٩٤٥)، والطبراني (٣٠٥/٢٠، رقم ٧٢٧)، والحاكم: (٥٠٣/١، رقم ١٢٩٩) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي: (٣٥٥/٦، رقم ١٢٧٩٧). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة: (٧٠/٤، رقم ٢٣٧٠)، والديلمي: (٥١٦/٣، رقم ٥٦٠٩). وفي البخاري من حديث معاذ: ١٢٨، ومسلم: ٣٢، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

الذنوب، فيكون مذكرًا له بها قبل معاينة أسباب الموت، فإنها بعد ذلك لا تنفع؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]. ولذلك لم يقبل من فرعون حين أدركه الغرق فقال: ﴿آمَنْتُ﴾ [يونس: ٩٠] الآية.

قال الفخر: فلو أنه أتى بذلك الإيمان قبل مشاهدة العذاب بلمحة لقبل منه إيمانه، وأما التوبة قبل معاينة أسباب الموت فمقبولة عند المحققين، ويدل عليه ما روى أبو أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقبل الله توبة عبده ما لم يغرغر[1]".

وفي رواية أخرى: "ما لم ترد الروح في حلقه".

وقال عطاء: "يقبل الله توبة عبده قبل موته بفواق ناقة".

وقال الحسن: "إن إبليس لما أهبط إلى الأرض قال: وعزتك يارب لا فارقت ابن آدم ما دامت روحه في جسده، فقال الله: وعزتي وجلالي لا أغلق عليه باب التوبة ما دامت الروح في جسده ما لم يغرغر".

---

(١) حديث أبي أيوب: أخرجه ابن جرير في تفسيره: (٣٠٢/٤). وللحديث له طرق أخرى: فمن حديث ابن عمر: أخرجه أحمد: (١٥٣/٢، رقم ٦٤٠٨)، والترمذي: (٥٤٧/٥، رقم ٣٥٣٧) وقال: حسن غريب. وابن ماجه: (١٤٢٠/٢، رقم ٤٢٥٣)، وابن حبان: (٣٩٤/٢، رقم ٦٢٨)، والحاكم: (٢٨٦/٤، رقم ٧٦٥٩) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٩٥/٥، رقم ٧٠٦٣). وأخرجه أيضًا عبد بن حميد: (ص ٢٦٧، رقم ٨٤٧)، وأبو يعلى: (٨١/١٠، رقم ٥٧١٧). "يغرغر": من الغرغرة أى ما لم تبلغ الروح الحلقوم.

فصل

في ذكر ملك الموت وأعوانه

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ [الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ][1]﴾ [السجدة: ١١] الآية.

قال: مقاتل والكلبي: بلغنا أن [٧٧/ب] ملك الموت عزرائيل له أربعة أجنحة: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، والخلق بين رجليه ورأسه وجسده، كما بين السماء والأرض، وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد فهو يقبض أنفاس الخلائق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

وذكر ابن الجوزي أن في حديث المعراج: أن الدنيا بأسرها بين ركبتي عزرائيل كالطشت بين يدى أحدكم، يقبض من حيث شاء. وقال معاذ بن جبل: "إن لملك الموت حربة، تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفح وجوه الموتى، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنسانًا قد انقضى أجله، ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يزأر بك عسكر الأموات".

وفي تذكرة القرطبي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات، فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته، فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها، والباكية بشجوها، والصارخة بويلها، فيقول ملك الموت عليه السلام: ويلكم مم الجزع وفيم الفزع، ما أذهبت لواحد منكم رزقا، ولا قربت له أجلا، وإن لي فيكم عودة، ثم عودة، حتى لا أبقي منكم أحدًا[2]".

قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسى بيده لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم[3]..." الحديث.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) انظر: التذكرة، للقرطبي: ٢٥٨/١.

(٣) انظر: التذكرة: ٢٥٨/١.

ومن مصائب الموت، مشاهدة ملك الموت، ودخول الروع في الميت بحيث لا يعبر عنه؛ لعظم هوله ورؤيته، ولا يعرف [٧٨/أ] حقيقة ذلك إلا من يشاهده.

ففي الإحياء للغزالي، عن ابن عباس ما معناه: أن إبراهيم – عليه السلام – سأل ملك الموت أن يريه صورته التي يقبض فيها روح المؤمن فأعرض عنه، ثم التفت فإذا هو شاب حسن الصورة، حسن الثياب، طيب الرائحة، حسن البشرة، فقال: يا ملك الموت، لو لم يكن للمؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه، وسأله أن يريه صورته التي يقبض فيها روح الفاجر، فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من مناخره ومن فيه لهيب النار، فغشي على إبراهيم، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه.

وفي التذكرة: أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك، قال: نعم. والله لي رسل كثيرة من الأعلال، والأمراض، والشيب، والهرم، وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته إذا قبضته: ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول، ونذيرًا بعد نذير فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدى نذير[١].

لطيفة: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]. الآية.

الجمع بين هذه الآيات أن توفي الملائكة القبض والنزع، وتوفي ملك الموت الدعاء والأمر، بدعاء الأرواح فتجيبه. وتوفي الله تعالى: خلق الموت.

وفي الخبر أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا [٧٨/ب] فقال ملك الحياة: أنا أُحْيي الموتى. وقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء. فأوحى الله إليهما؛ كونا على عملكما، وما سخرتما له؛ فأنا المميت والمحيي، لا يميت ولا يحيي سواي.

---

(١) التذكرة: ١/١٩٩.

وأما أرواح الجن: فالصحيح أن ملك الموت يقبضها كما يقبض أرواح الإنس.

وقيل: إن أعوانه تنفرد بقبض أرواحها، ونسب هذا القول للمبتدعة، وكذلك يقبض أرواح الحيوانات على الأصح.

قال بعضهم: ويدخل في الحيوانات الملائكة. قلت: أو هم يموتون دفعة واحدة عند نفخ إسرافيل في الصور.

فصل

في ذكر ذوق الموت وسكراته

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. لا خلاف بين علماء الإسلام أن كل نفس من نفوس الإنس والجن والملائكة، والحيوانات البرية والبحرية، لا بد لها من ذوق الموت. وكذلك الملائكة يموتون، خلافًا لابن حزم وموافقيه. قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

قال الثعلبي: سكرة الموت، أي غمرته وشدته، كالسكر الذي يغلب على فهم الإنسان من الشراب والنوم؛ فللموت سكرة بعد سكرة. وشدة ألم سكرة الموت لا يعرفها إلا من ذاقها، ومن لم يذقها إنما يعرفها بالاستدلال بأحوال الناس في النزع.

ففي الترمذي، عن عائشة، قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بالموت، وعنده قدح فيه ماء، فجعل يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: "اللهم أعني على سكرات الموت[(١)]".

وسئل كعب، عن الموت فقال: الموت كغصن شوك أدخل في جوف رجل، فجذبه إنسان ذو قوة، فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى. وفي الحديث: "والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف [٧٩/أ] ضربة بالسيف[(٢)]".

وفي البخاري: أنه عليه الصلاة والسلام عند موته جعل يدخل يده في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: " لا إله إلا الله إن للموت سكرات[(٣)]".

وفي الثعلبي، عن أنس، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول: عليك السلام، تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة[(٤)]".

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ١٦٢٣، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١٨٦/٥). وللحديث أطراف أخرى منها: "لمعالجة ملك الموت أشد"، "معالجة ملك الموت أشد".

(٣) أخرجه البخاري: (١٦١٦/٤، رقم ٤١٨٤)، وأخرجه أيضًا الطبراني: (٣١/٢٣، رقم ٧٨).

(٤) أخرجه أبو القاسم القشيري في الرسالة: (ص١٥٠ ط الحلبي).

قال الحكماء: إن النفس الناطقة لما تعلقت بالبدن، واستأنست به كرهت فراقه؛ لشدة الإلف بينهما بتكرر الدهور والأزمنة.

وقال ابن سينا: إن تعلق النفس بالبدن عظيم جدا، حتى إنها بعد المفارقة تشتاق إليه، وتلتفت إلى الأجرام البدنية المدفونة، فعلم بذلك أن تعلق النفس بالبدن في غاية الشدة، ولا ترضى فراقه بحال، حتى قيل: إن النفوس المقدسة كذلك.

وحكي أن أفلاطون كان دائم البكاء، فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: إنما أبكي على مفارقة النفس عن البدن؛ لأنهما قد تآلفا زمنًا كثيراً.

تنبيه: قال القرطبي: لتشديد الموت على الأنبياء، فائدتان:

إحداهما: تكميل فضائلهم. ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا.

والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت.

فصل

في ذكر قبض روح المؤمن

فقال ابن عباس: "إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فيسلمون عليه ويبشرونه بالجنة[1]".

وقال وكيع: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ﴾ [فصلت: ٣٠].

إن البشرى في ثلاث مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث.

وقال الحسن: يقبض الملك روح المؤمن في ريحانة. وعن ابن عباس: أن الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما [٧٩/ب] ينشط العقال من يد البعير، ثم يتناولها ملك الموت، وهو معنى قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٢-٣]. فإن ذلك كان من المقربين فيؤتى له بغصن من ريحان الجنة، فيشمه، ثم يقبض روحه. وقال ابن عباس أيضًا في قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾. يعني أن الملائكة تنشط نفس المؤمنين عند الموت للخروج، وذلك بأنه ليس مؤمن يحضره الموت إلا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها أشباهًا من أهله، وأزواجه من الحور العين، فيدعونه إليها نفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم.

وأما ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾. فقال علي رضي الله عنه: "هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين. وكذلك ﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ [النازعات: ٤] هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة"[2]. وقال مقاتل: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة التي تقبضها، وقد عاينت السرور شوقًا إلى الجنة والرحمة.

وفي النسائي، عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا [احتضر][3] المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك، إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: ٧/٢٢٤٥.

(٢) قال المتقي الهندي: أخرجه ابن المنذر، وسعيد بن منصور في السنن.

(٣) في النسائي: (حضر).

كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحًا به، من أحدكم بغائب يقدم عليه، فيسألونه: ما فعل فلان ما فعل فلان[(١)]". الحديث.

وفي التذكرة، عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال: "إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى [٨٠/أ] كما يتلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه، فيقول بعضهم لبعض: أنظروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان ما فعلت فلانة، هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن رجل قد مات قبله، فيقول: إنه هلك. فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية[(٢)]".

وخرج الترمذي الحكيم، عن أنس، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى، فإن كان خيرًا استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا[(٣)]".

وفي الدرة الفاخرة للغزالي، قال: إذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه، عليهما أثواب حسنة، ولهما رائحة طيبة، فيلقونها في حريرة من حرير الجنة، ويعرجون بها في الهواء، فلا تزال تمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر حتى تنتهي إلى السماء الدنيا، ثم من سماء إلى سماء إلى السابعة، ثم يصعدون بها إلى سدرة المنتهى، ثم يمرون بها في بحر من نور، ثم بحر من ظلمة، ثم بحر من ماء، ثم بحر من ثلج، ثم بحر من برد، كل بحر طوله ألف عام حتى ينتهوا بها إلى الحجب المضروبة على عرش الرحمن، وهو ثمانون ألف سرادق، فحينئذ ينادي منادٍ من وراء تلك الحجب من الحضرة القدسية: من هذه

---

(١) أخرجه النسائي: (٨/٤، رقم ١٨٣٣) وصححه الألباني، والحاكم: (٥٠٤/١، رقم ١٣٠٢).

(٢) انظر: التذكرة: ٢٣٠/١.

(٣) أخرجه الحكيم في النوادر: ٢٦٠/٢.

النفس التي جئتم بها؟ فيقال: فلان بن فلان. فيقول الجليل جل جلاله: قربوه، فنعم العبد كنت، فإذا وقف بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه هالك، ثم يعفوُ عنه سبحانه وتعالى [٨٠/ب].

ومن الناس من يصل إلى الكرسي، ومنهم إلى الحجب، وإنما يصل إليه عارفوه.

قال في التذكرة عن الروح، والذي عليه أهل السنة: إنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى فيسألها، فإن كانت من أهل السعادة قال: لهم: سيروا بها، وأروها مقعدها من الجنة، فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت، فإذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس، من تكلم بخير ومن تكلم بشر، فإذا وصل إلى قبره وصلي عليه رد فيه الروح، وأقعد ذا روح وجسد، ودخل عليه الملكان الفتانان على ما يأتي[١].

وعن عمرو بن دينار قال: "ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به".

لطيفة: أخرج الترمذي، وأبو نعيم وغيرهما عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من [إنسان][٢] إلا وله بابان في السماء: باب يصعد فيه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات العبد المؤمن بكى[٣]".

وأخرج ابن جرير، والبيهقي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما مات مؤمن غريب غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، ثم قال: إنهما لا يبكيان على كافر[٤]". وأخرج أبو نعيم وغيره، عن مجاهد قال: "ما من مؤمن يموت إلا بكت عليه الأرض أربعين صباحاً".

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي، وغيرهما عن الإمام علي رضي الله عنه قال: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، ثم تلا:

---

(١) انظر: التذكرة: ٢٣٨/١.

(٢) في الحديث: (مؤمن).

(٣) أخرجه الترمذي: (٣٨٠/٥، رقم ٣٢٥٥) وقال: غريب.

(٤) أخرجه ابن جرير: ٣٥/٢٢.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] [(١)]. يعني: أن قوم فرعون لم تكن لهم في [٨١/أ] الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله منه خير؛ فلم تبك عليهم السماء والأرض. قال الحسن: بكاء السماء حمرتها. وكذلك قال سفيان الثوري.

وقال الإمام الفخر: أن عادة الناس بأن يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشأن: إنه أظلمت له الدنيا، وكُسِفت الشمس والقمر لأجله، وبكت عليه الريح والسماء والأرض، ويريدون بتلك المبالغة في تعظيم تلك المصيبة لأنفس هذا الكذب، ولا شك أن مصيبة المؤمن عظيمة والله سبحانه تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (ص ١١٤، رقم ٣٣٦).

فصل

في ذكر قبض روح الفاجر

قال الله تعالى: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١].

قال ابن عباس: النازعات الملائكة التي تنزع أرواح الكفار.

ومعنى (غرقا): ما قال ابن مسعود: أنفاس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كل شعرة، ومن تحت الأطراف، وأصول القدمين، ثم يفرقها ويردها في جسده فهذا عمله بالكفار.

وقال: ابن جبير نُزِعَت أرواحُهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار.

وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق.

وفي النسائي من تتمة حديث أبي هريرة السابق: "وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسوح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا به أرواح الكفار[1]". وفي الثعلبي في تفسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] أي أن أبواب السماء لا تُفتح لأرواحهم، ولا لأعمالهم الخبيثة فلا يُصْعد بها بل يُهْوَى بها إلى سجين تحت الصخرة الخضرا التي تحت الأرض.

وذكر الثعلبي أيضا [٨١/ب] عن أبي هريرة صفة قبض روح المؤمن ثم قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا لها: اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي في الجسد الخبيث ذميمةً، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج. فيقولون: ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقولون: لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمةً؛ فإنه لا تفتح لك أبواب السماء. فتُرْسَل من السماء إلى الأرض فتصير إلى القبر.

---

(١) أخرجه النسائي: (٨/٤، رقم ١٨٣٣)، والحاكم: (٥٠٤/١، رقم ١٣٠٢).

وفي الهداية لمكي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]. أنه رُوِي أن أرواح الكفار يُصْعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها، ثم يُهْبَطُ بها إلى الأرض فتأبَى الأرض أن تقبلَها فيهبط بها إلى سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو خد إبليس فيخرج لها تحت خد إبليس كتاب فيختم، ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه للحساب.

وفي الهداية أيضاً أن ابن عباس سأل كعباً عن سجين فقال: هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس.

لطيفة: للمفسرين في (سجين) أقوال:

فقيل: إنه مكان تحت خد إبليس في الأرض السابعة السفلى التي هي محل إبليس وجنوده. وقيل: إنه صخرة عظيمة تأوي إليها أرواح الفجار.

وقيل: إنه كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة.

وقيل: إن (سجينا) شجرة سوداء تحت الأرضين السبعة مكتوب فيها اسم كل شيطان، قاله أبي بن كعب.

وقيل: إنها صخرة تحت الأرض السفلى خضراء خضرة السماء منها يجعل كتاب الفجار تحتها قاله الكلبي وغيره.

وأما ﴿عِلِّيُّون﴾ [المطففين: ١٩] فقيل: إنه مكان في السماء السابعة تحت العرش، رواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: إنه لوح من زبرجدة [٨٢/أ] خضراء معلقة تحت العرش، أعمال الأبرار فيها مكتوبة قاله ابن عباس.

وقيل: إنه كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة، ومؤمني الثقلين.

وقيل: إنه سدرة المنتهى قاله الضحاك.

وقيل: هو قائمة العرش اليمنى، قاله كعب وقتادة.

وقيل: هو ساق العرش، قاله مقاتل.

وقيل: هو الجنة، قاله ابن عباس أيضا.

فصل

في ذكر القبر

اعلم أن القبر أول منازل الآخرة لحديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه[(١)]".

قال: وقال رسول الله صلى الله وسلم: "ما رأيت منظرا فظيعا إلا والقبر أفظع منه[(٢)]". قال الترمذي حديث حسن، وأخرجه الحاكم، وابن ماجه، ولهذا كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى تبتل لحيته، فقيل له: تَذْكُرُ الجنة والنار، ولا تبكي وتبكي من هذا؟ فَسَاق لهم الحديث. وأخرج ابن ماجه، عن البراء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى، وأبكى حتى بل الثرى، ثم قال: "يا إخواني لمثل هذا فأعدوا[(٣)]".

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة إلى قبر فقال: ما يأتي على هذا القبر يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق يا ابن آدم كيف نسِيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا على من وسعني الله عليه، ثم قال عليه

---

(١) أخرجه هناد في الزهد: (١/٢١١، رقم ٣٤٤)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند: (١/٦٣، رقم ٤٥٤)، والترمذي: (٤/٥٥٣، رقم ٢٣٠٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجه: (٢/١٤٢٦، رقم ٤٢٦٧)، والحاكم: (١/٥٢٦، رقم ١٣٧٣)، والبيهقي: (٤/٥٦، رقم ٦٨٥٦). وأخرجه أيضًا: البزار (٢/٨٩، رقم ٤٤٤)، والخطيب: (٦/٨٩).

(٢) أخرجه هناد: (١/٢١١، رقم ٣٤٤)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند: (١/٦٣ رقم ٤٥٤)، والترمذي: (٤/٥٥٣ رقم ٢٣٠٨) وقال: حسن غريب. وابن ماجه: (٢/١٤٢٦، رقم ٤٢٦٧)، والحاكم: (٤/٣٦٦، رقم ٧٩٤٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي: (٤/٥٦، رقم ٦٨٥٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه: ٤١٩٥، وقال محققه: في الزوائد إسناده ضعيف. قال ابن حبان في الثقات محمد بن مالك لم يسمع من البراء. ثم ذكره في الضعفاء، وحسنه الألباني.

الصلاة والسلام: "إنه لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار[(١)]".

وأخرج الترمذي نحو هذا وحسنه، وزاد: "فإذا [٨٢/ب] دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا، أما إن كنت لأحبِّ من يمشي على ظهري إلي، فإذا وُلِّيتُكَ اليوم وصرتَ إلي فسترى صنيعي، فيتسع له مَدَّ بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، فإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبا ولا أهلا، أما كنت لأَبغَضُ من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنيعي بك قال: فيلتم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه..... [(٢)]". الحديث.

وأخرج أحمد والبيهقي، وغيرهما، عن جابر بن عبد الله، قال: لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سبح النبي صلى الله عليه وسلم، وسبح الناس معه طويلا، ثم كبر، وكبر الناس معه ثم قالوا: يا رسول الله لم سبحت قال: "لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه[(٣)]".

وأخرج أحمد، وابن جرير، والبيهقي، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيا منها لنجا منها سعد بن معاذ[(٤)]".

وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين دفن سعد بن معاذ: "إنه ضُمَّ في القبر ضمةً حتى صار مثل الشعيرة، فدعوت الله أن يفرج عنه وذلك بأنه كان لا يستبرئ من البول[(٥)]".

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٤٦٠، وقال: غريب.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٤٦٠، وقال الألباني: ضعيف جدا.

(٣) أخرجه أحمد: ١٥٨/٢٣، وقال محققه: إسناده حسن، وأخرجه الطبراني (٥٣٤٦) من طريق محمد بن سلمة، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١١٣) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد. وأورده البخاري في "التاريخ الكبير" ١٤٨/١ مختصراً: دفن سعد بن معاذ ونحن مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٤) أخرجه أحمد: (٩٨/٦، رقم ٢٤٧٠٧) قال الهيثمي: (٤٦/٣): رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع، عن إنسان، عن عائشة، وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح. والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٥٨/١، رقم ٣٩٦). وأخرجه أيضًا: البغوي في الجعديات: (٢٣٣/١، رقم ١٥٤٨)، والحارث كما في بغية الباحث: (٣٧٧/١، رقم ٢٧٩)، وابن حبان: (٣٧٩/٧، رقم ٣١١٢). وقال المناوي: (٥٠١/٢): قال العراقي: إسناده جيد.

(٥) أخرجه ابن سعد مرسلا: ٤٣٠/٣.

وأخرج البيهقي وغيره أن عائشة قالت: يا رسول الله، إنك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس تنفعني بشيء قال: "يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالإثمد في العين، وإن ضغطة القبر على المؤمن كالأم المشفقة يشكو إليها ابنها الصداع، فتغمز رأسه غمزاً رفيقا، ولكن يا عائشة ويل للشاكِّين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة[١]".

وأخرج [٨٣/أ] ابن أبي الدنيا عن محمد بن صبيح قال: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره ناداه بعض جيرانه من الموتى: أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه، أما كان لك فينا معتبر، أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة، أما رأيت وقوعنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات، وتناديه بقاع الأرض: هلا اعتبرت بمن غاب من أهلك في بطني.

وأخرج الخطيب في تاريخه، عن يزيد الرقاشي قال: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت: أيها المنفرد في حفرته انقطعت عنك الأخلاء والأهلون، فلا أنيس لك اليوم غيرنا.

وأخرج الديلمي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تجهزوا لقبوركم فإن القبر يقول في كل يوم سبع مرات: يابن آدم الضعيف تَرَحَّم في حياتك على نفسك قبل أن تلقاني أترحم عليك[٢]".

---

(١) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر: ٨٥/١.

(٢) أخرجه الديلمي، عن ابن عباس.

فصل

في ذكر سؤال الملكين وهما منكر ونكير عليهما السلام وهما فَتَّانا القبر

قال الجلال السيوطي: قد تواترت الأحاديث بذلك من رواية أنس، والبراء، وتميم الداري، وبشير، وثوبان، وجابر، وعبد الله بن رواحة، وعبادة بن الصامت، وحذيفة، وضمرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعمر، وعثمان، وعمرو بن العاص، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأبي موسى، وعائشة، وأسماء، انتهى. والدليل على سؤال الملكين من الكتاب قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية.

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها في سؤال الملكين.

وحكى عبد الوهاب الإجماع في أن القصد به التثبيت [٨٣/ب] عند المسالة إذا علمت هذا، فمذهب أهل الحق أن سؤال الملكين حق خلافا للزنادقة.

ففي مسلم، عن أنس بن مالك قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع خفق نعالهم، قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة. قال نبي الله: فرآهما جميعا(١)". قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا، ويملأ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون.

زاد البخاري: "وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين(٢)".

---

(١) أخرجه مسلم مختصر: ٢٨٧٠. وأخرجه البخاري بطوله: ١٣٧٤.

(٢) انظر السابق.

وفي الترمذي وحسنه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أقبر الميت أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان، أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، ثم يفتح له قي قبره سبعون ذراعا، في سبعين ذراعًا، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثله ما أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك [٨٤/أ] تقول ذلك، فيقال للأرض التمي عليه، فتلتم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه[(١)]".

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنت إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين، ورأيت منكرًا ونكيرًا؟ قلت: يا رسول الله، وما منكر ونكير؟ فقال: فتانا القبر، يبحثان الأرض بأنيابهما، ويطئأن في شعورهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مرزبة، لو اجتمع عليها أهل منى، لم يطيقوا رفعها، وهي أيسر عليهما من عصاي هذه، فامتحناك، فإن تلويت ضرباك بها ضربة تصير بها رمادًا. قلت: يا رسول الله، وأنا كحالي هذه؟ قال: نعم. قال: إذا أكفيكهما[(٢)]".

وفي الدرة الفاخرة للغزالي، من حديث ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا رسول الله، ما أول ما يلقى الميت في قبره؟ فقال: "يا ابن مسعود، ما سألني عنه أحد غيرك، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان، فيقول: يا عبد الله، اكتب عملك، فيقول: ليس معي دواة ولا قرطاس، ولا قلم، فيقول هيهات، كفنك قرطاسك، ومدادك ريقك، وقلمك أصبعك، ثم يقطع له قطعة من كفنه، فيكتب، وإن كان غير كاتب في الدنيا، ويذكر حينئذ حسناته كيوم واحد....". الحديث.

وفي حديث ضمرة مرفوعًا: "فتانو القبر أربعة: منكر ونكير، وناكر، وناكور وسيدهم رومان".

---

(١) أخرجه الترمذي: (٣٨٣/٣، رقم ١٠٧١) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٣٨٦/٧، رقم ٣١١٧)، وابن أبي عاصم: (٤١٦/٢، رقم ٨٦٤)، والرافعي: (٢٤٧/٣).

(٢) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر: ٨١/١، والاعتقاد أيضا: ٢٢٢/١.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا أصل له، وضمرة تابعي.

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل يأتي الميت ملك اسمه رومان؟ فأجاب: أنه ورد بسند فيه لين. قلت: والأحاديث في سؤال الملكين قد كثرت، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق والله أعلم [٨٤/ب].

فوائد:

الأولى قال القرطبي: جاء في رواية سؤال ملك وفي رواية سؤال ملكين ولا تعارض، بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص، فرب من يأتيه اثنان معًا، وآخر يأتيه ملك واحد. قال: ويحتمل أن يأتي اثنان معًا، ويكون السائل أحدهما.

الثانية: قال القاضي: إن من لم يدفن ممن بقى على وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب، ويحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية ذلك، كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين، قال: وترد الحياة إلى المصلوب، ونحن لا نشعر به، كالنائم، يرى في المنام العقوبة له، وأنواع الشدائد، ونحن لا نشعر، وكذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر، ولا ينكر شيئًا من ذلك من خالط الإيمان قلبه، وكذلك من تفرقت أجزاؤه، يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها ويوجه السؤال عليها، قاله إمام الحرمين.

الثالثة: قال ابن عبد البر: لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوبًا إلى دين الإسلام، بخلاف الكافر فإنه لا يسأل.

وخالفه القرطبي وابن القيم، وقالا: أحاديث السؤال فيها التصريح بأن الكافر والمنافق يسألان.

قال: السيوطي: ما قالاه ممنوع؛ فإنه لم يجمع بينهما في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق، وفي بعضها بدله الكافر، وهو محمول على أن المراد به المنافق.

الرابعة: قال الحكيم الترمذي: سؤال المقبور خاص بهذه الأمة.

وخالفه آخرون، فقالوا: السؤال لهذه الأمة وغيرها.

قال ابن عبد البر: ويدل للترمذي قوله - عليه الصلاة والسلام -: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها[١]".

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٦٧، وأحمد وغيرهما.

وقوله: "أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم[١]".

الخامسة: إنما سميا منكرًا ونكيرًا؛ لأن خلقهما [٨٥/أ] لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين، جعلهما الله تكرمة للمؤمنين، وهتكًا للمنافقين في البرزخ.

السادسة: قال القرطبي: إن قيل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب: أن عظم جثتيهما يقتضي ذلك، فيخاطب الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه.

قال: السيوطي: ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك، كما في الحفظة، قال: ثم رأيت الحليمي من أصحابنا ذهب إليه.

السابعة: سئل الحافظ ابن حجر عن الميت: إذا سئل، هل يقعد أم يسأل وهو راقد؟ فأجاب: يقعد.

وسئل عن الروح: هل تلبس الجثة كما كانت؟ فأجاب: نعم. لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى، وسئل هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب بأنه لم يرد في ذلك حديث، ولكن ادعاه بعض من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل، ولا حجة فيه؛ لأن الإشارة للحاضر ذهنًا.

قال ابن القيم: الأحاديث مصرحة بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال، لكن لا على هذه الحالة المعهودة بيننا، كما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ.

وقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية: الأحاديث متواترة على عود الروح إلى البدن وقت السؤال.

وقالت طائفة: السؤال للبدن بلا روح، منهم ابن الزعفراني، وأنكره الجمهور.

وقالت طائفة: السؤال للروح بلا بدن. قاله ابن حزم، وابن عقيل، وابن الجوزي.

والصحيح قول ابن تيمية وابن القيم [٨٥/ب].

الثامنة: ذهب قوم إلى أن فتنة السؤال تتكرر سبعة أيام.

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٤٥/٦، رقم ٢٦٩٧٠)، والبخاري: (٢٦٥٧/٦، رقم ٦٨٥٧)، ومسلم: (٦٢٤/٢، رقم ٩٠٥).

وأخرج أحمد في الزهد، وأبو نعيم، عن طاووس قال: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعًا، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

وفي رواية عبيد بن عمير زيادة: أن المنافق يفتن أربعين صباحًا.

التاسعة: سئل ابن حجر عن الأطفال: هل يسألون؟ فأجاب بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفًا.

وقد جزم الشافعية بأن الطفل لا يلقن بعد الدفن، والتلقين يختص بالبالغ.

ذكره النووي في الروضة، وغيره، وهو دليل على أن الأطفال لا يسألون، وبذلك أفتى ابن حجر كما مر.

وحكى ابن القيم قولين للحنابلة: أحدهما: نعم يسألون؛ لحديث أنه عليه الصلاة والسلام صلى على صبي فقال: "اللهم قِهِ عذاب القبر". وهذا هو الذي جزم به القرطبي.

وقال به الضحاك رضي الله عنه، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية. قال: بعضهم: يسألون عن الإقرار الأول حين أخذ الميثاق.

والثاني: لا يسألون؛ لأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول، فيسأل: هل آمن بالرسول أولا.

قال: النسفي في بحر الكلام: الأنبياء والأطفال وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب، ولا عذاب، ولا سؤال منكر ونكير.

العاشرة: فإن قيل: مقتضى قول الفتنة سبعة أيام كما مر مشروعية التلقين في الأيام السبعة.

فالجواب: أن التلقين لم يثبت فيه حديث صحيح ولا حسن، بل حديثه ضعيف باتفاق المحدثين، ولهذا ذهب جمهور الأمة إلى أن التلقين بدعة، وإنما استحبه ابن الصلاح وتبعه النووي، وجماعات من أصحابنا الحنابلة نظرًا إلى جواز العمل بالحديث الضعيف [٨٦/أ] في فضائل الأعمال، ولم يرد التلقين إلا ساعة الدفن خاصة.

فصل

في ذكر عذاب القبر ونعيمه

وهو ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] الآية.

قال عكرمة، ومحمد بن كعب: هذه الآية تدل على عذاب القبر؛ لأن الله تعالى ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]. الأدنى: عذاب القبر، والأكبر: يوم القيامة.

وقال أبو سعيد الخدري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينًا، لكل تنين سبعة رؤوس تنهشه، وتخدش لحمه حتى يبعث، ولو أن تنينًا نفخ في الأرض لم تنبت زرعًا.

وأما السنة: فأحاديث جمة، منها في صحيح مسلم، عن زيد بن ثابت، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن....[1]" [٨٦/ب] الحديث.

(١) أخرجه أحمد: (١٩٠/٥، رقم ٢١٧٠١)، وعبد بن حميد: (ص١١١، رقم ٢٥٤)، ومسلم: (٢١٩٩/٤، رقم ٢٨٦٧). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٥٠/٣، رقم ١٢٠٢٨)، وابن أبي عاصم في السنة: (٤٢١/٢، رقم ٨٦٨).

وأخرج الشيخان عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة(١)".

وفي الصحيح أن الميت يعذب ببكاء الحي عليه(٢)، أي أن ذلك يحزنه ويسوءه، كما في بعض التأويلات.

وفي الحديث: "يؤلم الميت في قبره ما يؤلم الحي في بيته".

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن كسر عظام الميت، ومر برجل قاعد على قبر فنهاه، وقال: "لا تؤذوا الموتى في قبورهم".

والأحاديث والأخبار والحكايات الواردة بعذاب القبر كثيرة جدًا.

وأما نعيمه: ففي الطبراني الكبير بسند رجاله ثقات، عن عبد الله بن عمر ...الحديث. وفيه قال: عن المؤمن: "فيؤمر بقبره فيوسع له طوله سبعون، وعرضه سبعون، وينبذ فيه الريحان ويبسط فيه الحرير، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فينظر إلى مقعده في الجنة بكرة وعشيا(٣)".

وأخرج ابن أبي شيبة، عن أبي هريرة قال: "لا يقبض المؤمن حتى يرى البشرى، فإذا قبض نادى فليس في الدار دابة صغيرة ولا كبيرة إلا وهي تسمع صوته إلا الثقلين الجن والإنس تعجلوا بي إلى أرحم الراحمين، فإذا وضع على سريره قال: ما أبطأ ما يمشون، فإذا أدخل في لحده أقعد فأرى مقعده من الجنة وما أعد الله له وملء قبره من روح وريحان ومسك، فيقول: يا رب، قدمني فيقال: لم يأن، لك. إن لك إخوة وأخوات لما يلحقوا، ولكن نم قرير العين".

قال أبو هريرة: "فوالذي نفسي بيده ما نام نائم شاب طاعم ناعم، [٨٧/أ] ولا فتاة

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٣٨٨/٥، رقم ٦١٥٠)، ومسلم: (٢١٩٩/٤، رقم ٢٨٦٦)، والترمذي: (٣٨٤/٣، رقم ١٠٧٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (١٤٢٧/٢، رقم ٤٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: عن عمر: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ» وتَابَعَهُ عَبْدُ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، وَقَالَ آدَمُ: عَنْ شُعْبَةَ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ عَلَيْهِ».

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع: ٥٤/٣، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

نومة بأقصر ولا أحلى من نومته حتى يرفع رأسه إلى البشرى يوم القيامة".

وقال أبو حيان في تفسيره عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

اختلف الناس في هذه الحياة؛ فقال قوم: معناها بقاء أرواحهم دون أجسادهم؛ لأنا نشاهد فسادها وفناءها.

وذهب آخرون إلى أن الشهيد حي الجسد والروح، ولا يقدح في ذلك عدم شعورنا به، فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

وكما ترى النائم على هيئته وهو يرى في منامه ما يتنعم به أو يتألم، يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

ولأنه لو كان المراد حياة الروح فقط لم يكن للشهيد مزية عن غيره، وقد يكشف الله لبعض الأولياء فيشاهد ذلك.

نقل السهيلي في دلائل النبوة، عن بعض الصحابة أنه حفر في مكان فانفتحت طاقة فإذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه، وأمامه روضة خضراء، وذلك بأحد وعلم أنه من الشهداء؛ لأنه رأى في صفحة وجهه جرحًا.

وحكى اليافعي في روض الرياحين، عن بعض الصالحين قال: حفرت قبرًا لرجل من العباد وألحدته، فبينما أنا أسوي اللحد إذ سقطت لبنة من قبر يليه فنظرت فإذا بشيخ جالس في القبر، عليه ثياب بيض تقعقع وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه، فرفع رأسه إلي وقال لي: قامت القيامة رحمك الله؟ فقلت: لا. قال: رد اللبنة إلى موضعها عافاك الله فرددتها.

قلت: وبالجملة فالأحاديث والأخبار والآثار والحكايات والمنامات في هذا الباب مما يطول ذكرها، ومن أراد الوقوف على ذلك، فعليه بكتاب أهوال [٨٧/ب] القبور لابن رجب وشرح الصدور للجلال السيوطي. والله أعلم.

فصل
في ذكر الكلام على الأرواح

اختلف العلماء هل العذاب على الروح والجسد معًا؟ أو على الروح فقط؟

المشهور أنه عليهما معًا. وفي الإحياء للغزالي، أن ابن عمر قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا التراب شيئًا، وإنما الأرواح هي التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة.

وقال اليافعي: مذهب أهل السنة، أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى، وخصوصًا ليلة الجمعة فيجلسون ويتحدثون، وينعم أهل النعيم، ويعذب أهل العذاب. قال: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت في عليين أو سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد. وفي بحر الكلام للنسفي: أرواح العصاة في جوف طيور سود تحت الأرض السابعة وهي متصلة بأجسادها فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض.

وقال ابن القيم: إن الأرواح لها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل للجسد من النعيم والعذاب ما كتب له.

وحكي عن طائفة من المتكلمين، أن الأرواح تموت بموت الأجساد، ونسب هذا إلى المعتزلة وهو مذهب الفلاسفة: زعموا أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين، فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا. وقال بهذا جماعة من فقهاء الأندلس، منهم: عبد الأعلى، والسهيلي، وأبو بكر ابن العربي.

وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة حتى قال سحنون بن سعيد وغيره: هذه أقوال أهل البدع [٨٨/أ] والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الأرواح بعد مفارقتها للأبدان ترد ذلك وتبطله، بل القرآن يرد عليهم، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق بل الصحيح أن الروح لا تفنى أصلًا، ولا عند النفخ في الصور كما سيأتي.

وقال ابن القيم: اختلف في أن الروح تموت مع البدن أم البدن وحده: قولان:

الصواب: أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد، فنعم هي ذائقة الموت بهذا الاعتبار. وإن أريد أنها تنعدم أصلا، فلا بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب.

وقال أيضًا: على قاعدة أهل السنة أن الروح ذات قائمة بنفسها، تصعد وتنزل، وتتصل وتنفصل، وتذهب وتجيء، وتتحرك وتسكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل مقررة.

وأجمع أهل السنة على أن الروح محدثة مخلوقة، ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة، ونسب هذا إلى أفلاطون.

وقال بعضهم: إن الأرواح خلقت قبل الأجساد واستدل بحديث: "إن الله تعالى خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف[(١)]".

فائدة: في مستقر الأرواح بعد الموت.

وذلك أقسام: أما أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهي في الجنة. قال: بعضهم: هم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١-١٢]. فلا شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين.

وثبت في الصحيح، أن آخر كلمة تكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته أنه قال: "اللهم الرفيق الأعلى[(٢)]".

وقال رجل لابن مسعود: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أين هو؟ [٨٨/ب] قال: في الجنة.

قال: ابن القيم: فإن للروح شأنًا فتكون في الرفيق الأعلى، وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد السلام، وهي في مكانها هناك.

وقد رأى صلى الله عليه وسلم موسى في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك في مثال البدن، ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره، ويرد على من يسلم عليه، وهو في الرفيق الأعلى.

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٣٣٦، بلفظ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». عن عائشة مرفوعا.

(٢) أخرجه البخاري: ٤٤٦٣، ومسلم: ٢٤٤٤.

ولا تنافي بين الأمرين؛ فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل بعضهم ذلك بالشمس في السماء، وشعاعها في الأرض، وإن كان غير تام المطابقة من حيث أن الشعاع إنما هو عرض للشمس.

وأما الروح فهي في نفسها تنزل وكذلك رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة الإسراء في السموات.

والصحيح أنه رأى فيها الأرواح في مثال الأجساد مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلون. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيًا بلغته". أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة.

وقال: "إن الله وكل بقبري ملكًا أعطاه أسماء الخلائق، فلا يصلى على أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني باسمه واسم أبيه(١)".

أخرجه البزار، والطبراني من حديث عمار بن ياسر، هذا مع القطع بأن روحه في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء وهو الرفيق الأعلى، فثبت بهذا أن لا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء، ومع ذلك فلها بالبدن اتصال بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنما يستغرب هذا الكون الشاهد لهذا الكون الدنيوي الذي ليس فيه ما يشابه هذا وأمور البرزخ والآخرة على نمط [٨٩/أ] غير هذا المألوف في الدنيا. انتهى كلام العلامة ابن القيم.

وفي بحر الكلام للنسفي: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها، ويصير مثل صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأما أرواح الشهداء، فأكثر العلماء على أنها في الجنة.

وقد تكاثرت الأحاديث بذلك كحديث مسلم، وأحمد، وأبي داود، وغيرهم، أخرج مسلم عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرواح

(١) أخرجه البزار: (٢٥٤/٤، رقم ١٤٢٥). قال الهيثمي: (١٦٢/١٠): فيه ابن الحميري واسمه عمران قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وقال صاحب الميزان لا يعرف، ونعيم بن ضمضم ضعفه بعضهم، وبقية رجاله رجال الصحيح. وللحديث أطراف أخرى منها: "إن الله أعطى ملكا من الملائكة أسماع".

الشهداء عند الله في حواصل طير خضر، تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش[١]".

وأخرج أحمد، وأبو داود، والبيهقي، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش[٢]".

والأحاديث في ذلك كثيرة وروي عن مجاهد أنه قال: "ليس الشهداء في الجنة، ولكنهم يرزقون منها". وقال: إنهم أحياء عند ربهم يرزقون من ثمر الجنة، ويجدون ريحها وليسوا فيها، ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد، والطبراني، والبيهقي، وابن أبي شيبة، بسند حسن، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشهداء على بارق: نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية[٣]".

وأجيب بأن هذا في عموم الشهداء، والذين في القناديل تحت العرش خواصهم. أو أن المراد بهم هنا غير شهيد المعركة كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم

---

(١) أخرجه مسلم: ١٨٨٧، بلفظ: في جوف طير.... الحديث.

(٢) أخرجه أحمد: ٢١٨/٤، وقال محققه: حديث حسن. وأخرجه ابن أبي شيبة: ٢٩٤/٥-٢٩٥، وهناد في "الزهد": (١٥٥)، وابن أبي عاصم في "الجهاد": (١٩٤) من طريقِ محمد بن فضيل، وابن أبي عاصم: (١٩٥) من طريق إسماعيل بن عياش، والطبري ١٧٠/٤-١٧١ من طريق سلمة بن الفضل وإسماعيل بن عياش، ثلاثتهم عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد. وأخرجه عبد الله بن المبارك في "الجهاد": (٦٢) عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير المكي وغيره، عن ابن عباس.

(٣) أخرجه أحمد: ٢٢٠/٤، وقال محققه: إسناده حسن. وأخرجه ابن حبان (٤٦٥٨) عن أبي يعلى، عن أبي خيثمة، عن يعقوب بن إبراهيم، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٩٠/٥، وهناد في "الزهد" (١٦٦)، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (١٩٩)، وعبد بن حميد (٧٢١)، وابن جرير الطبري ٤٠/٢ و١٧١/٤ و١٧١-١٧٢ و١٧٢، والطبراني في "الكبير" (١٠٨٢٥)، وفي "الأوسط" (١٢٣)، والحاكم ٧٤/٢، والبيهقي في "الشعب" (٤٢٤١)، وفي "إثبات عذاب القبر" (٧٨) من طرق عن محمد بن إسحاق، به. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي!.

ممن ورد النص بأنه شهيد أو سائر المؤمنين، [٨٩/ب] فإن كل مؤمن بالله ورسله يقال فيه شهيد، كما روي عن أبي هريرة أنه قال: "كل مؤمن صديق وشهيد". فقيل: ما تقول يا أبا هريرة؟ فقال: اقرؤوا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يرزقون الآية.

وفي حديث البراء: أنه عليه الصلاة والسلام قال: "مؤمنو أمتي شهداء". ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية[١]. وأخرج ابن منده عن كبشة أم كلثوم قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الروح، فوصفها صفة لكنه أبكى أهل الميت فقال: "إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مياهها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا" الحديث.

قلت: هذا حديث عام في المؤمنين، ولعل المراد به خاص؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠]. وقوله في الحديث: "ألحق بنا إخواننا".

وقال القرطبي في حديث كعب: "نسمة المؤمن طائر، وهو يدل على أنها تكون طائرًا على صورته إلا أنها تكون فيه". وفي رواية عن ابن مسعود، عند ابن ماجه: "أرواح الشهداء عند الله كطير خضر[٢]".

ولفظ ابن عمر: "في صور طير بيض[٣]".

وفي لفظ: "أرواح الشهداء طير خضر[٤]".

قال القابسي: أنكر العلماء رواية في حواصل طير؛ لأنها حينئذ تكون محصورة مضيقًا عليها.

ورد: بأن الرواية ثابتة، والتأويل محتمل، وهو أن في: بمعنى على، نحو: "في جذوع النخل". والمعنى: أن أرواحهم على طير خضراء، ولا مانع من أن

(١) أخرجه ابن جرير: ١٩٢/٢٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه: ٢٨٠١، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابن جرير: ٢١٥/٣.

(٤) ذكره القرطبي في التذكرة: ٤٣٧/١.

تكون في الأجواف حقيقة ويوسعها الله تعالى حتى تكون أوسع من الفضاء.

ولا يخفى فساد [٩٠/أ] من قال: يلزم أن يكون روحان في جسد وهو محال؛ لأن المستحيل قيام حياتين بجوهر واحد.

وأما روحان في جسد فلا، كالجنين في بطن أمه، وروحه غير روحها.

والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين قيل أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لهم أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها؛ ليكمل بذلك نعيمها، فيكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله؛ فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

قال الشيخ ابن عبد السلام: الموت عبارة عن نزع الروح من الجسد، لا إلى جسد آخر، والمجاهد تنقل روحه إلى طير أخضر، فقد انتقل من جسد إلى آخر بخلاف غيره. يؤيده ما روى عن ابن عمر: "أنها تركب في جسد آخر".

فهو وإن كان موقوفًا فله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبيل الرأي.

قال السيوطي: وقد رأيت له شاهدًا مرفوعًا وساق الحديث، وقال فيه: "يهبط الله جسدًا من السماء يجعل فيه روحه، ثم يصعد بها إلى الله، فما يمر بسماء من السماوات إلا شيعته الملائكة حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فإذا انتهى به وقع ساجدًا، ثم يؤمر به فيكسى سبعين حلة من الإستبرق، ثم يقال: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء فاجعلوه معهم" الحديث.

الثاني: أن الشهداء يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت في حقهم مثل ذلك.

وإن جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة، فقيل: معناه التعلق.

وقيل: الأكل من الشجرة. وعلى كل تقدير، فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم.

وأما أرواح بقية المؤمنين فقيل في السماء السابعة [٩٠/ب].

أخرج أبو نعيم بسند ضعيف، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة[١]".

وأخرج أيضا، عن وهب بن منبه، قال: إن لله في السماء السابعة دارًا يقال لها: البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألون عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم[٢].

وأخرج سعيد بن منصور، عن ابن عمر: أنه عزى أسماء بابنها عبد الله بن الزبير وجثته مصلوبة. فقال: لا تحزني فإن الأرواح عند الله في السماء، وإنما هذه جثث.

وقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، لأنها تأوي إليها الأرواح وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها، ويتنسمون بطيب ريحها.

نص على ذلك الإمام أحمد، فقال: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار.

واستدل بحديث كعب بن مالك، وأم هانئ، وأبي هريرة، وأم بشر، وعبد الله بن عمرو نحوها.

وأخرج مالك في الموطأ، وأحمد، والنسائي، بسند صحيح عن كعب بن مالك قال: إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه[٣].

وأما أطفال المسلمين فالجمهور على أنهم في الجنة.

وحكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك، وكذلك نص الإمام الشافعي على أنهم في الجنة.

وأخرج أحمد، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة قال: قال

---

(١) ذكره الديلمي: ٢٣٧/١.

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية: ٦٠/٤.

(٣) أخرجه مالك: (٢٤٠/١، رقم ٥٦٨)، وأحمد: (٤٥٦/٣، رقم ١٥٨٢٥) قال محققه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب لم يسمع هذا الحديث من جده كعب بن مالك كما صرح هو بذلك، وقد توبع، وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، والنسائي: (١٠٨/٤، رقم ٢٠٧٣)، وابن ماجه: (١٤٢٨/٢، رقم ٤٢٧١)، والحكيم: (٢٧٢/١)، وابن حبان: (٥١٣/١٠، رقم ٤٦٥٧)، والطبراني: (٦٤/١٩، رقم ١٢١)، وأبو نعيم في الحلية: (١٥٦/٩).

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أولاد المؤمنين في جبل من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم[١]".

وفي حديث آخر: "كل مولود يولد في الإسلام فهو في الجنة شبعان [٩١/أ] ريان. يقول يا رب أورد علي أبوي".

وأخرج سعيد بن منصور، عن مكحول، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن ذراري المسلمين أرواحهم في عصافير خضر في شجر الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٢]". وقالت طائفة من الصحابة: الأرواح عند الله. صح ذلك عن ابن عمر. وأخرج ابن منده، من طريق الشعبي، عن حذيفة قال: إن الأرواح موقوفة عند الرحمن تنظر توعدها حتى ينفخ فيها.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سئل عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هم؟ فقال: صور طير بيض في ظل العرش.

وقالت طائفة: أرواح بني آدم عند أبيهم في البرزخ عن يمينه وشماله، لما في الصحيحين في قصة الإسراء، "فلما فتح، علون السماء فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. فقلت لجبريل من هذا؟ قال: آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين هم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار[٣]". الحديث.

قال: بعضهم وعلى هذا أجمع أهل العلم.

قال ابن حزم: هو قول جميع أهل الإسلام، وهو قول الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٢٦/٢، رقم ٨٣٠٧). قال الهيثمي: (٢١٩/٧): فيه عبد الرحمن بن ثابت، وثقه المديني وجماعة وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم: (٥٤١/١، رقم ١٤١٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في البعث: (ص ١٥٥، رقم ٢١١). وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة: (٥٤/٣، رقم ١٢٠٥٢).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور: ١٧٠/١، مرسلا عن مكحول.

(٣) أخرجه البخاري: (١٢١٧/٣، رقم ٣١٦٤)، ومسلم: (١٤٨/١، رقم ١٦٣)، وابن حبان: (٤١٩/١٦، رقم ٧٤٠٦). وأخرجه أيضًا: أبو عوانة (١١٨/١، رقم ٣٥٤)، والنسائي في الكبرى: (١٤٠/١، رقم ٣١٤)، وأبو يعلى: (٢٩٧/٦، رقم ٣٦١٦)، وابن منده في الإيمان: (٧٢٠/٢، رقم ٧١٤).

الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٨-٩]. الآية.

فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها برجوعها إلى البرزخ فتقوم الساعة.

قال: بعضهم، وظاهر هذا القول يقتضي أن أرواح الكفار في السماء، وهو مخالف للقرآن والحديث "أن السماء لا تفتح لروح الكافر".

والجواب: أنه ورد في بعض طرق الحديث ما يزيل هذا الإشكال [٩١/ب] ولفظه وإذا هو: تُعْرَضُ عليه أرواح ذريته، فإذا كان روح المؤمن قال: "روح طيبة اجعلوها في عليين، وإذا كان روح الكافر قال: روح خبيثة اجعلوها في سجين"، الحديث.

ففي هذا أنه تعرض عليه أرواح ذريته في السماء، وأنه يؤمر بجعل الأرواح في مستقرها فدل على أن الأرواح ليس محل استقرارها في السماء الدنيا.

وزعم ابن حزم أن الله تعالى خلق الأرواح جملة قبل الأجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر حيث لا ماء ولا هواء ولا نار ولا تراب، وأنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح ثم يعيدها عند قبضها إلى ذلك البرزخ، وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة:

وقال بعض المحققين: وهذا قول لم يقله أحد من المسلمين، ولا هو من جنس كلامهم، وإنما هو من جنس كلام الفلاسفة.

وقيل: إن الأرواح كلها في الصور، وقيل: إنها إذا خرجت تكون بين السماء والأرض.

وقيل: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت. أخرجه ابن منده، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان.

قال: ابن القيم: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين، فكأنه أراد في أرض بين الدنيا والآخرة.

وقيل إن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت أخرجه ابن أبي الدنيا، عن مالك بن أنس.

وقالت طائفة: تجمع الأرواح بموضع من الأرض فأرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وقيل ببئر زمزم، وأرواح الكفار تجمع ببئر برهوت.

فالجابية: موضع بالشام.

وبرهوت: باليمن.

ورجح هذا القاضي أبو يعلى الحنبلي، وهو مخالف لنص الإمام أحمد أن أرواح الكفار في النار، ولعل لبئر برهوت إتصالًا [٩٢/أ] بجهنم في قعرها. كما روي أن تحت البحر جهنم.

وأخرج الحاكم، أن كعب الأحبار، أرسل إلى عبد الله بن عمر يسأله عن أرواح المؤمنين أين تجتمع؟ وأرواح أهل الشرك أين تجتمع؟ فقال: فأما أرواح المؤمنين فتجتمع بأريحا، وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء. فصدقه كعب على ذلك.

وقيل: إن الأرواح على أفنية قبورها، وبه قال: ابن وضاح وجماعة.

قال: ابن عبد البر: هذا أصح ما قيل.

قال: وحديث السؤال، وعرض المقعد، وعذاب القبر، وزيارة القبور، والسلام عليهم، وخطابهم مخاطبة الحاضر العاقل، دال على ذلك.

قال: ابن العربي: وهو أصح ما ذهب إليه ووجه هذا القول قوله عليه الصلاة والسلام حين خرج إلى المقابر: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين(١)". والسلام إنما يكون على الموجود لا على المعدوم.

وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: "ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام(٢)".

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (٤٩٣/١، رقم ١٥٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢١٣/١، رقم ١٩١). وأخرجه أيضًا: ابن سعد: (٢٠٣/٢)، وأحمد: (١١١/٦، رقم ٢٤٨٤٥)، وأبو يعلى: (٦٩/٨، رقم ٤٥٩٣) عن عائشة. أخرجه مالك: (٢٨/١، رقم ٥٨)، وأحمد: (٣٠٠/٢، رقم ٧٩٨٠)، ومسلم: (٢١٨/١، رقم ٢٤٩)، والنسائي: (٩٣/١، رقم ١٥٠)، وابن ماجه: (١٤٣٩/٢، رقم ٤٣٠٦)، وابن حبان: (٣٢١/٣، رقم ١٠٤٦). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٣٨٧/١١، رقم ٦٥٠٢)، وأبو عوانة: (١٢٢/١، رقم ٣٦٠)، والبيهقي: (٨٢/١، رقم ٣٩٢) عن أبي هريرة.

(٢) لم أعثر عليه في الصحيح، والحديث بهذا اللفظ: أخرجه تمام (٦٣/١، رقم ١٣٩)، والخطيب (١٣٧/٦)، وابن عساكر (٣٨٠/١٠). وأخرجه أيضًا: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩١١/٢، رقم ١٥٢٣) وقال: لا يصح وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن.

وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام نادى أهل القليب[١] فقال له عمر في ذلك. فقال: "ما أنتم بأسمع منهم إلا أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا[٢]". إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال: العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى مسألة مقر الأرواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى إلا من السمع.

وقد قيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء وغيرهم، إذا لم تحبسهم كبيرة ونحوها لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

ثم قال: إن أريد بقولهم هذا أنها ملازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة وعرض المقعد لا يدل على أن الروح في القبر [٩٢/ب] ولا على فنائه.

بل يدل على أن لها اتصالا به فصح أن يعرض عليها مقعدها، فإن للروح شأنًا فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن، بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد السلام.

ثم قال: فللروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي خروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة وشاهد ذلك روح النائم.

فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش، ثم ترد إلى جسده في أيسر زمان.

قال: فثبت بهذا ألا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء، وقد مر بعض كلامه في هذا فراجعه.

وقال أيضا: لا يحكم على قول من هذه الأقوال بالصحة، ولا على غيره بالبطلان.

بل الصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فإن كلًا منها وارد على فريق من الناس بعينه بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة، فمنها أرواح في أعلى عليين وهم الأنبياء، وهم متفاوتون في

---

(١) (أهل القليب): قتلى المشركين يوم بدر والقليب البئر قبل أن تبنى جوانبه.

(٢) أخرجه البخاري: ١٣٧٠.

منازلهم، ومنها أرواح في طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح الشهداء لا جميعهم، فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في الحديث.

ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره كحديث صاحب الشملة، أنها تشتعل عليه نارًا في قبره.

ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لم تصل روحه إلى الملأ الأعلى لكونها روحًا سفلية أرضية، والأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما أنها لا تجامعها في الدنيا.

فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأصحاب عملها "والمرء [٩٣/أ] مع من أحب[(١)]". ومنها أرواح تكون في بحر من دم إلى غير ذلك.

فليس للأرواح مستقر واحد ومع ذلك فلها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم ما كتب له. انتهى.

قلت: كلام ابن القيم هذا والذي قبله في غاية التحقيق فلله دره من إمام، لقد جمع فأوعى.

وقد أشار الحافظ ابن حجر في فتاويه لشيء من ذلك. فقال: إن أرواح المؤمنين

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٥٠٣/٧، رقم ٣٧٥٦١)، وأحمد: (١٠٤/٣، رقم ١٢٠٣٢)، والبخاري: (٢٢٨٣/٥، رقم ٥٨١٩)، ومسلم: (٢٠٣٢/٤، رقم ٢٦٣٩)، وأبو داود: (٣٣٣/٤، رقم ٥١٢٧)، والترمذي: (٥٩٥/٤، رقم ٢٣٨٥) وقال: صحيح. وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد: (ص ٣٧٧، رقم ١٢٦٥)، وأبو يعلى: (٢٧٠/٥، رقم ٢٨٨٨)، وابن حبان: (٣٠٨/١، رقم ١٠٥)، والطبراني في الأوسط: (٢٦٧/٧، رقم ٧٤٦٥)، وفي الصغير: (١٠٩/١، رقم ١٥٤) جميعا عن أنس.
حديث عبد الله بن مسعود: أخرجه البخاري: (٢٢٨٣/٥، رقم ٥٨١٦)، ومسلم: (٢٠٣٤/٤، رقم ٢٦٤٠). وأخرجه أيضًا: الطبراني: (١٢/١٠، رقم ٩٧٨١).
حديث أبي ذر: أخرجه أيضًا: الدارمي (٤١٤/٢، رقم ٢٧٨٧).
حديث جابر: أخرجه عبد بن حميد: (ص ٣٢١، رقم ١٠٥٤). وأخرجه أيضًا: الحارث كما في بغية الباحث: (٩٩٠/٢، رقم ١١٠٦).
حديث أبي موسى: أخرجه أحمد: (٣٩٥/٤، رقم ١٩٥٤٤)، والبخاري: (٢٢٨٣/٥، رقم ٥٨١٨). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٣١٦/٢، رقم ٥٥٧)، والطبراني في الأوسط: (٩١/٦، رقم ٥٨٩٣).

في عليين، وأرواح الكفار في سجين، ولكل روح اتصال بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة، بل أشبه شيء به حال النائم، وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالًا.

قال: وبهذا يجمع بين ما ورد من أن مقرها في عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر، عن الجمهور من أنها عند أفنية قبورها.

ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف وتأوي إلى محلها في عليين أو سجين.

قال: وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الأجساد. انتهى.

وقال صاحب الإفصاح المنعم على جهات مختلفة، فمنها ما هو طائر في شجر الجنة، ومنها ما هو في حواصل طير خضر، ومنها ما هو في حواصل طير بيض، ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش، ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة، ومنها ما هو في صورة تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما تسرح وتتردد إلى صورتها تزورها، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل، ومنها ما هو في كفالة آدم، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي: وهو قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع.

وقال الحكيم الترمذي: الأرواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال [٩٣/ب] الدنيا والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش، وأرواح طيارة إلى الجنان إلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام حياتهم. والله أعلم.

فصل

في ذكر زيارة القبور

وهي مستحبة لأجل الاعتبار، وحصول الثواب للزائر والمزور، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم: "نهى عن زيارة القبور[(1)]". ثم أذن فيها بعد ذلك، وقد زارت عائشة – رضي الله تعالى عنها – قبر أخيها عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه، وكان ابن عمر لا يمر بقبر أحد إلا وقف وسلم عليه. وقال حاتم الأصم: من مر بالمقابر فلم يتفكر ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم.

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به، ورد عليه حتى يقوم".

وفي الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام[(2)]". قلت: الظاهر والله أعلم أنه لا ثواب للميت في رده السلام، لأن التكليف انقطع عنه بموته في حق نفسه، ولا يرد حصول الثواب له بدعاء الأحياء ونحوه لأنه ليس من فعل نفسه حينئذ.

ويستحب لمن زار المقابر أو مر بها أن يقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم.

---

(١) أخرجه أحمد: (٢٥٠/٣، رقم ١٣٦٤٠). قال الهيثمي (٦٦/٥): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار باختصار، وفيه يحيى بن عبد الله الجابر، وقد ضعفه الجمهور، وقال أحمد: لا بأس به، وبقية رجاله ثقات.

وحديث بريدة: أخرجه الحاكم: (٥٣٢/١، رقم ١٣٩١).

وحديث أبي هريرة: أخرجه مسلم: (٦٧١/٢، رقم ٩٧٦).

(٢) لم أعثر عليه في الصحيح، والحديث بهذا اللفظ: أخرجه تمام (٦٣/١، رقم ١٣٩)، والخطيب (١٣٧/٦)، وابن عساكر (٣٨٠/١٠). وأخرجه أيضًا: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩١١/٢، رقم ١٥٢٣) وقال: لا يصح وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن.

كما وردت بهذا الأحاديث الصحيحة، ولا يتمسح بالقبر ولا يقبله، ولا يمسه، فإن ذلك من عادة النصارى.

قال: نافع: رأيت ابن عمر – رضي الله عنهم – مائة مرة فأكثر يجيء إلى الروضة فيقول: السلام عليك أيها النبي صلى الله عليك وسلم، السلام على أبي بكر، السلام على أبي وينصرف [٩٤/أ].

وقال أبو أمامة: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بين يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف.

واعلم أن الميت يعرف زائره، ويدل على ذلك الحديث الصحيح السابق.

لكن اختلف العلماء في الوقت الذي يرى فيه الميت من زاره ويعرفه.

فقالت الحنابلة: يعرف الميت زائره يوم الجمعة قبل طلوع الشمس.

وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة. فقيل له: لو أخرت إلى يوم الاثنين فقال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويومًا قبله، ويومًا بعده.

وفي أسئلة الداودي أنه قال: تنزل الأرواح يوم الجمعة، وليلة الجمعة، وليلة الاثنين، وتعرف ما يقال لها.

وقال الضحاك: من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة.

وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصمًا في منامي بعد موته بسنين فقلت له: أليس قدمت؟ قال: بلى. فقلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الله، أنا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله المزني، فتبلغنا أخباركم. فقلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ فقال: هيهات بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح. فقلت: هل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعم نعلم بها عشية الجمعة، ويوم الجمعة كله، ويوم السبت إلى طلوع الشمس. فقلت: كيف ذلك دون الأيام كلها؟! قال: بفضل يوم الجمعة وعظمه.

قلت: هذا كله في غير النبي صلى الله عليه وسلم كما وردت بذلك الأخبار، بل الصواب إن شاء الله تعالى أن الميت يعرف زائره كل وقت، واختاره من الحنابلة الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله سره [٩٤/ب].

وكذلك ابن القيم، وقال: الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه، وأنس به، ورد عليه، وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في ذلك – انتهى – وهو ظاهر الحديث الصحيح السابق والله أعلم.

قال سليمان بن سحيم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم.

واعلم أن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم وبصدقتهم عنهم، كما وردت بذلك الأخبار.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان، والديلمي، عن ابن عباس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة، فإذا ألحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله ليدخل على أهل القبور أمثال الجبال، وإن هدايا الأحياء للأموات الإستغفار لهم[(١)]". وأخرج الطبراني، عن ثوبان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفارًا لهم[(٢)]".

وأخرج ابن أبي الدنيا عن بعض السلف قال: رأيت أخًا لي في النوم بعد موته. فقلت: أيصل إليك دعاء الأحياء؟ قال: إي والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه.

وأخرج أبو نعيم، والبزار، عن أنس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبع يجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره، من علم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا صالحًا يستغفر له بعد موته".

وأخرج البخاري في الأدب، ومسلم عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم [٩٥/أ] "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

---

(١) أخرجه الديلمي: ١٠٣/٤.

(٢) أخرجه الطبراني: (٩٤/٢ رقم ١٤١٩). قال الهيثمي: (٥٩/٣): فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي قلابة قال: أقبلت من الشام إلى البصرة، فنزلت الخندق، فتطهرت وصليت ركعتين بالليل، ثم وضعت رأسي على قبر فنمت، ثم انتبهت فإذا بصاحب القبر يشتكي ويقول: لقد آذيتني الليلة. ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيرًا، أقرئهم منا السلام، فإنه يدخل علينا من دعائهم نور مثل الجبال.

وأخرج أيضًا عن بشار بن غالب، قال: رأيت رابعة العدوية في النوم وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: يا بشار هداياك تأتينا على أطباق من نور عليها مناديل الحرير.

وأخرج الطبراني في الأوسط، بسند عن أنس مرفوعًا: "أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها باستغفار المؤمنين لها".

وقد نقل غير واحد الإجماع على أن الدعاء ينفع الميت ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

تنبيه: اختلف العلماء في وصول ثواب القراءة للميت.

فجمهور السلف على الوصول وهو مذهب الأئمة الثلاثة، وخالف في ذلك الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في إحدى قوليه مستدلًا بقوله ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. وأجيب بأن الآية منسوخة، أو أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى خاصة، أو أن المراد بالإنسان هنا الكافر إلى غير ذلك من الأجوبة.

قلت: يلزم الإمام الشافعي حيث استدل بهذه الآية أن يقول بعدم حصول الثواب لهم، والأجر بدعاء الأحياء ونحوه [٩٥/ب] مع أنه لا يمكن القول بذلك لما ورد من الأحاديث.

ولا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء، لا سيما والمسلمون لم يزالوا في كل مصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير. فكان ذلك إجماعًا.

قال: القرطبي: وقد كان الشيخ ابن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ، فلما توفي رآه بعض أصحابه في النوم فقال له: إنك تقول لا يصل

إلى الميت ثواب ما يُقرأ ويُهدي إليه فكيف الأمر؟ فقال: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى.

وقال الإمام النووي في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ شيئًا من القرآن ويدعو لهم عقبها. نص عليه الشافعي.

واتفق عليه الأصحاب زاد في موضع آخر: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ينكر ذلك أولا، حيث لم يبلغه أثر ثم رجع حين بلغه.

وفي الإحياء للغزالي، عن الإمام أحمد بن حنبل قال: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

قلت: والأخبار والآثار في هذا كثيرة، والله أعلم.

الباب الخامس

في ذكر أشراط الساعة واقترابها

قال الله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

لا يقال كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف فأكثر؟ لأنا نقول أن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب الأجل، فأجل الدنيا قد مضى أكثره، وبقي أقله، ولقرب قيام الساعة عند الله تعالى جعلها كغد فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

[٩٦/أ] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٦، ٧].

وفي الترمذي، وصححه عن أنس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى". فأفضل إحداهما على الأخرى.

وحديث الصحيحين من مرفوع ابن عمر: "إنما أجلكم في من مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس".

وفي لفظ آخر: "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس". وفي الثعلبي، عن أنس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وقد كادت الشمس تغيب ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذه اليوم، وما ترى من الشمس إلا يسيرًا".

إذا علمت هذا، فاعلم أن وقت إتيان الساعة مبهم انفرد الله سبحانه وتعالى بعلمه، وأخفاه عن عباده لأنه أصلح لهم.

قال: الإمام الفخر: كما أن كتمان وقت الموت أصلح لهم.

قال: تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال: الفخر: قال المحققون: السبب في إخفاء علم الساعة عن العباد أنهم إذا لم

يعلموا متى تكون؟ كانوا على حذر منها، فكان ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية.

قلت: وقد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو من نظر، فمنهم من قال: بقي لها كذا ومنهم من قال: يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا.

فجاء الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى، ورد ذلك كله في كتاب الكشف وذكر هو تقريبًا أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف، أو أقل، أو أزيد، وهذا أيضا مردود لأن كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه من الوحي برهان.

لكن الشارع صلوات الله وسلامه عليه ذكر لقرب قيام الساعة [٩٦/ب] علامات وأشراطًا منها صغرى ومنها كبرى كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

تنبيه: اعلم أن في مدة عمارة الأرض أقوالًا.

فقيل: إنه لا يعلم مقدار عمارتها إلا الله تعالى، وهو الصحيح الذي لا شك فيه.

وقيل: إن مدة عمارة الأرض سبعة آلاف سنة، وقيل غير ذلك.

أما أهل القول الأول فقالوا: لم يرد في ذلك نص من القرآن، ولم يثبت فيه حديث صحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم. فالأحسن الوقف لأنه لا يعلم إلا بالتوقيف.

وأما أهل القول الثاني: فهم جماعة منهم ابن عباس في رواية ابن جبير، عنه وحكى عن وهب بن منبه وحكاه المفسرون عن اليهود.

وقالت الفلاسفة: إن تدبير هذا العالم الذي نحن فيه للسنبلة فإذا استكمل العالم قطع هذه المسافة وقع النفاد والدثور ثم عاد التدبير إلى الميزان، فتجتمع المواد وتبدأ النشور عودًا.

قال: البكري: وسلطان الحمل عندهم اثنا عشر ألف سنة، والثور أحد عشر ألف سنة، ثم كذلك على التوالي حتى تكون قسمة الحوت ألف سنة فجميع ذلك ثمانية وسبعون ألف سنة. فإذا انصرمت هذه المدة انقضى عالم الكون والفساد.

قال: وهذا قول هرمس، وزعم أنه لم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء على الأرض حيوان، فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الأرض فلما كان

عالم الأسد تكونت الدواب وذوات الأربع، فلما كان عالم السنبلة تولد الإنسانان الأولان إدمانوس، وحوانوس، وزعم بعضهم أن مدة العالم مقدار قطع الكواكب الثابتة لدرج الفلك.

والكوكب منها يقطع البرج في ثلاثمائة سنة فذلك ست وثلاثون ألف سنة وهي ألف وعشرون كوكبًا.

قلت: وما ذهب إليه هؤلاء [٩٧/أ] فهو تخيلات فاسدة وتوهمات كاذبة لا دليل عليه من السنة والكتاب، ولا مستند لهم فيه إلا مجرد الرأي الفاسد المخالف للصواب، فلا عبرة بنقولهم ولا بقولهم وتعليلهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

في الأشراط الصغرى

قال: الله تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

ففي الترمذي وصححه، عن أنس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، وتكثر النساء، وتقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد".

وفي الترمذي أيضًا عن علي بن أبي طالب قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حلَّ بها البلاء قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمرًا وخسفًا أو مسخًا". وفي سنده ضعف.

وفي مرفوع أبي هريرة: "والذي بعثني بالحق لا تقوم الساعة حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف. قالوا ومتى ذلك يا نبي الله؟ قال: إذا رأيت النساء ركبن السروج، وكثرت القينات، وشهد بشهادة الزور، وشرب المصلون في آنية أهل الشرك الذهب والفضة، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء". الحديث.

وفي ابن أبي الدنيا: أن في التوراة ليكونن مسخ وقذف وخسف [٩٧/ب] في أمة محمد في أهل القبلة، باتخاذهم القينات، وضربهم بالدفوف، ولباسهم الحرير والذهب، وإذا تكافأ الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ورغبت العرب في العجم، فعند ذلك ليقذفن برجال من السماء بالحجارة يشدخون بها في طرقهم، كما فعل بقوم لوط، وليمسخن آخرون قردة وخنازير كما فعل ببني إسرائيل، وليخسفن بقوم كما خسف بقارون.

وعن سالم بن أبي الجعد: ليأتين على الناس زمان يجتمعون فيه على باب رجل منهم ينتظرونه أن يخرج إليهم فيخرج، وقد مسخ قردًا أو خنزيرًا، وليمرن الرجل على الرجل في حانوته يبيع فيرجع إليه وقد مسخ قردًا أو خنزيرًا.

وعن مالك بن دينار: بلغني أن ريحًا وظلمة تكون في آخر الزمان، فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا.

وفي مرفوع أبي أمامة: يكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم، فإذا هم قردة وخنازير.

ومنها ما روي عن حذيفة: من اقتراب الساعة إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واشتغلوا بالنساء، وباعوا الدين بالدنيا، ويكون الكذب صدقًا، والحرير لباسًا، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان الأمراء والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، وتكثر الخطايا، ويقل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحليت المصاحف، وصغرت المساجد، وطولت المنابر، وعطلت الحدود، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المؤمن قبل أن يستشهد، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة. الحديث. ومنها: ليأتين على الناس زمان لا يبقى [٩٨/أ] منهم أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله ناله من غباره.

ومنها إتيان الرجال بعضهم بعضًا، وإتيان النساء بعضهم بعضًا، وكشف العورات مع عدم الحياء والمبالاة بذلك، والاستهزاء بهيبة أرباب الشرع. ومنها ما ورد: لا تقوم الساعة حتى يتغايروا على الغلام كما يتغاير الرجلان على المرأة. ومنها: زخرفة المساجد لرواية ما منا من عمل بعمل قوم لوط، ألا زخرفوا مساجدهم.

ومنها: مخالطة العلماء للسلاطين لحديث: "إذا رأيتم العالم يخالط السلطان فاعلم أنه لص". ومنها: ذل العرب لرواية إذا ذلت العرب فقد ذل الإسلام، وورد من اقتراب الساعة هلاك العرب. ومنها: المباهاة بالمساجد لحديث من أشراط الساعة أن يتباهى الناس بالمساجد.

وورد: "أراكم ستشرفون مساجدكم بعدي كما شرفت اليهود كنائسها، والنصارى بيعها".

وورد: "إذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم".

ومنها: تحلية البيوت لرواية: "إن الله لم يأمركم أن تكسوا الحجارة والطين".

ومنها: إعراض الأكابر عن الأذان، وتركه للسفلة، وعدم المبالاة بما يأخذ الآخذ من حلال أو غيره.

ومنها: تطويل المنارات، وكثرة الصفوف مع تباغض القلوب، واتخاذ المحاريب للمساجد، وإمارة الصبيان، ولا يسلم الرجل إلا على من يعرفه.

ومنها: عدم قسمة الميراث، وظهور الفحش، وسوء الجوار، وقطع الأرحام، ومداومة النوم والكسل، وضعف اليقين.

ومنها: أن يوسد الأمر إلى غير أهله، وصيرورة الحكم رشوة، وخروج إبليس في صورة عالم بالأسواق. يقول: اسألوني أنا أنا.

ومنها: التوسع في المعايش والملابس إلى غير ذلك مما وردت به الأخبار [٩٨/ب] والآثار والأحاديث.

وحذفت من هذه الأحاديث ذكر الرواة خشية التطويل.

ومنها: رفع الأسافل. لحديث: "إذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذلك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذلك من أشراطها". والمراد به رفع الأسافل وهذا معنى ما في صحيح؛ البخاري: "إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة. قلت يا رسول الله ما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة".

والبهم صغار أولاد الضأن، وقيل: صغار الحيوان مطلقا، فإن أردنا بالبهم الضأن فهو مفتوح الباء، وإن أردنا الإبل فهو مضموم الباء.

وفي البخاري: "إذا تطاول رعاء البُهم". بضم الباء والتطاول في البنيان مكروه.

وجاء في بعض الآثار ما ظاهره أن التطاول في البنيان ممنوع إلا لحاجة.

ومنها: أن تلد الأمة ربتها، وفي رواية: ربها، وفي رواية: بعلها.

أما على رواية ربتها أو ربها: فللعلماء فيها أقوال: فقيل: إنه إشارة إلى العقوق، وأن الولد يكون لأمه كالسيد الساخط لأمته.

وقيل: إشارة إلى بيع أمهات الأولاد فيملك الحرامة.

وقيل: إشارة إلى كثرة التسري ورفض التزويج، فيكون الولد أرفع من أمه.

وقيل: إشارة إلى كثرة الزنا. فقد تلد الأمة وتلقي ولدها منبوذا، فربما ملكها بعد وهو لا يعلم.

وأما على رواية بعلها، فقيل: المراد بالبعل: الزوج، والمعنى:- أن يكثر السبي فيتزوجها وهو لا يعلم.

وقيل: المراد به المالك قال ابن عباس: لم أدر ما البعل حتى رأيت أعرابيًا في يده ناقة: فقلت لمن هذه الناقة؟ قال: أنا بعلها أي مالكها.

وعن آخر من الأعراب أنه قال: لناقة أنا بعلها فجعل الصبيان يقولون له: يا زوج الناقة.

ومنها: كثرة الفتن.

ففي مسلم عن أبي [٩٩/أ] هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج. قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال القتل".

وفي الترمذي، وصححه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال قبل أن تروا فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمناً، يبيع دينه بعرض دنياه".

وفي مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ليتني مكانه".

وفي لفظ آخر: "والذي نفسي بيده لا تمر الدنيا، أو لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: ياليتني مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا الدنيا".

وفي الترمذي، وصححه عن الزبير بن عدي قال: دَخلنا على أنسِ بنِ مالكٍ قال: فَشَكونَا إليهِ ما نَلقَى من الحجَّاجِ. فقال: "ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم"، سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم.

قلت وبالجملة فجميع العلامات الصغرى قد ظهرت في زماننا هذا ماعدا علامة أو علامتين فالله تعالى يلطف بالمسلمين عند ظهورهما، وعند ظهور الأشراط الكبار.

فصل

في ذكر الأشراط الكبرى

وهي أنواع وردت بها الأحاديث، واشتهرت بين المسلمين، وقد ورد في الحديث الصحيح بيان علامات منها:

فعن مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري: قال: اطلع علينا رسول صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون قالوا: نذكر الساعة. فقال: "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، [٩٩/ب] وثلاث خُسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمين تطرد الناس إلى محشرهم". وها أنا أذكر هذه العلامات المشهورة الصحيحة.

العلامة الأولى: طلوع الشمس من مغربها

وهو ثابت بالسنة، ففي مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا لم أنسه بعد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الآيات خروجًا؛ طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا منها".

وفي مسلم أيضا، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ" ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وفي بعض طرق البخاري: "حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها". الحديث.

وفي مسلم، عن أبي ذر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: "أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارجعي من حيث أتيت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرج ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها فقال عليه الصلاة [١٠٠/أ] والسلام: أتدرون متى ذلك؟ حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]". الآية إلى غير ذلك من الأحاديث التي في مسلم وغيره. وقد ذكر المحققون: أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من مغربها، وهو غير الغلق بالغرغرة.

فمن كان على شيء بعده استمر له ذلك فلا يتغير حاله كافرا كان أو عاصيا، فلا يقبل إسلام الكافر، ولا توبة العاصي، ولا يكتب عمل بعد ذلك لارتفاع الصحف، وجفاف الأقلام، ولم يفتح بعد ذلك.

وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة.

وقد ورد في الأحاديث: أن الله جعل للتوبة بابًا عرضه سبعون عاما، وفي بعضها عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها.

قال بعضهم: والحكمة في طلوع الشمس من مغربها؛ أن إبراهيم قال: للنمرود: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وأن السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غير كائن فيطلعها الله يوما من المغرب ليرى المنكرين قدرته، وإن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق أو المغرب.

تنبيه: ذكر الحليمي أن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى، ثم طلوع الشمس من مغربها.

وقال الحليمي إن الآيات أمارات الساعة إما على قربها أو حصولها.

وأن من الأول: الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوف.

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس.

وهذا معارض بحديث مسلم الصحيح السابق، عن عبد الله بن عمرو أن أول الآيات طلوع الشمس من المغرب.

واستشكل حديث [١٠٠/ب] مسلم بأنه لو كان طلوع الشمس قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه؛ لما مر من أن باب التوبة يغلق، ولكنه ينفعهم إذا لو لم ينفعهم لما صار الدين واحدا بإسلام من أسلم منهم.

وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك، وفي الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب، والحاصل: أنه أجيب عن ذلك بجوابين:

أحدهما للإمام البيهقي قال: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق، احتمل أن يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها، فإذا انصرفوا وتطاول الزمن وعاد بعضهم إلى الكفر، عاد تكليف الإيمان بالغيب.

وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخرى غير الدجال، ونزول عيسى، وهذا هو المعتمد لما مر من أن باب التوبة يغلق من طلوع الشمس إلى قيام الساعة.

الثاني: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى عليه الصلاة والسلام، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

وقال الحاكم: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج في ذلك اليوم أو الذي تقرب منه.

والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج [١٠١/أ] الدابة تميز المؤمن من الكافر، تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

قلت: وهذا كله كلام في غاية التحقيق جدير بأن يتلقى بالقبول لما فيه من التدقيق، قد قرره الحفاظ الأعلام، وعلماء الإسلام والله سبحانه وتعالى أعلم.

فائدة: أخرج أحمد، ونعيم بن حماد، عن ابن عمرو يرفعه: "الآيات خرزات منظومات في سلك إذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا".

وأخرج ابن عساكر، من حديث حذيفة بن أسيد، يرفعه: "بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط، إذا سقط منها واحدة توالت".

وفي الثعلبي وغيره، عن عبد الله بن عمر: "ويبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة".

وجاءت في رواية أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران، فيقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: زمن طلعت الشمس من مغربها".

وذكر أهل الحديث أن تلك السنين تمر مرًا سريعًا، كمقدار مرور مائة وعشرين شهرًا، أو دون ذلك.

كما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي هريرة يرفعه: "لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر....". الحديث.

العلامة الثانية: خروج الدابة

وهو ثابت بالكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] الآية.

وأما السنة فأحاديث جمة في البخاري، ومسلم، وغيرهما.

واختلف العلماء في صفتها ففي حديث حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دابة الأرض طولها ستون ذراعًا لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب".

وفي حديث أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها [١٠١/ب] الركن اليماني، ولم يخرج ذنبها بعد، وهي دابة ذات وبر وقوائم".

وفي حديث حذيفة يرفعه: "أول ما يبدو منها رأسها معلمة، ذات وبر وريش".

وقال علي رضي الله عنه: "تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون إليها، فلا يخرج إلا ثلثها".

وروي: "لا يخرج إلا رأسها فيبلغ عنان السماء، أو تبلغ السحاب".

وعن أبي هريرة: "أن فيها من كل لون، وما بين قرنيها فرسخ للراكب".

وقال وهب: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير.

وقال ابن جريج: رأسها رأس الثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب تيس، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا بذراع آدم عليه السلام.

وقال كعب: صوتها صوت حمار.

واختلف العلماء في موضع خروجها، ففي الحديث، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج؟ فقال: "من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى".

قال: الزمخشري: يعني المسجد الحرام.

وفي البيهقي وغيره، من مرفوع أبي هريرة قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"بئس الشعب شعب أجياد، قالها مرتين أو ثلاثة، قالوا ومما ذاك يا رسول الله؟ قال: تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات، فيسمعها من في الخافقين".

وعن بريدة يرفعه، ذهب بي رسول الله إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال عليه السلام: "تخرج الدابة من هذا الموضع".

وروي أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن، ثم تكمن، ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرًا طويًلا، فبينما الناس في أعظم المساجد وأكرمها على الله تعالى فما يهولهم إلا خروجها من بين الركنين، عن يمين الخارج من المسجد، [١٠٢/أ] فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة.

وقيل: تخرج من الصفا.

روي بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ اضطربت الأرض تحتهم، وتحركت تحرك القنديل، وانشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا.

وفي سعيد بن منصور، من قول ابن عباس: أن دابة الأرض تخرج من بعض أودية تهامة ذات زغب، وريش لها أربع قوائم. الحديث.

واختلف العلماء في كلامها في قوله تعالى ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قرأ العامة بالتشديد من التَّكليم، وقرأ أبو رجاء العطاردي (تكلِمهم) بفتح وتخفيف اللام، من الكلم وهو الجرح أي تسمهم. وعن أبي الجوزاء سألت ابن عباس عن هذه الآية (تكلمهم أو تكلمهم) فقال: كل ذلك تفعل.

واختلف العلماء في كلامها للناس ما هو؟

فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام.

وقيل: إنها تقول يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار.

وقيل: إنها تكلم الناس بلسان عربي، فتقول: إن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات، وتقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقد مر أنها تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من في الخافقين.

وعن ابن عمر: تستقبل المغرب فتصرخ ثم الشام ثم اليمن.

وفي الحديث: "لها عنق مشرف يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب، لها وجه كوجه إنسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب، معها عصا موسى، وخاتم

سليمان، تنادي بأعلى صوتها؛ ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] ثم بكى عليه الصلاة والسلام. الحديث".

وأما وسمها، ففي حديث أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتجلو وجه المؤمن [١٠٢/ب] بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الحق ليجتمعون، فيقولون لهذا: يا مؤمن ولهذا يا كافر".

وروي: "أنها تضرب المؤمن في مسجده، أو فيما بين عينيه بعصا موسى، فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه، وتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتترك وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت للكافر بالخاتم في أنفه فتفشوا النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم".

وعن ابن عمر: أنها تمر بالإنسان يصلي فتقول: ما الصلاة من حاجتك فتخطمه.

وقد كثرت فيها الأحاديث والآثار فلا نطيل بذكرها والله سبحانه وتعالى أعلم.

الثالثة: خروج المهدي

وقد كثرت فيه الأقوال حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصحيح أنه غيره، وأنه يخرج قبل نزول عيسى.

وقد كثرت: بخروج المهدي الروايات:

فعند ابن الاسكاف مرضيا مسندا إلى جابر: "من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر". ألا ترى أن الشارع أخبر به وبشر كما ثبت ذلك بالروايات.

ففي رواية صالح، عن ابن عباس: المهدي اسمه محمد بن عبد الله، وهو رجل رَبِعة مشرب بحمرة، يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب، ويصرف بعد له كل جور.

وفي مرفوع عمران بن حصين: أنه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يا رسول الله كيف لنا حتى نعرفه؟ قال: "هو من ولدي كأنه من رجال بني إسرائيل، كان في وجهه الكوكب الدري في اللون، في خده الأيمن خال أسود، ابن أربعين سنة...". الحديث.

وفي مرفوع ابن عباس: "ملك الأرض مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، والكافران نمروذ، وبخت نصر، وسيملكها خامس المهدي من أهلي".

وفي الحديث: [١٠٣/أ] "يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وعند أبي داود: المهدي منا أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا".

زاد أبو نعيم: "أشم الأنف، أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلًا، ويفيض المال فيضًا، بكفه اليمنى خال".

وفي مرفوع علي: "أنه كث اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، في وجهه خال، وفي كفه علامة".

وفي أبي داود: "مولده بالمدينة، من أهل بيت النبوة".

وفي مرفوع ابن عمرو بن العاص، عن أبي نعيم، وأبي بكر بن المقرئ في معجمه: "يخرج المهدي من قرية يقال لها: كريمة".

وقال بعضهم: "إنه يخرج من المغرب، وأنه من أجل ذلك سمي بنو إدريس أنفسهم بالمهدية، طمعًا أن يكون منهم، وأنه يرفع الجور عن الأرض، ويبلغ الإسلام المشارق والمغارب، ويفتح قسطنطينية".

قلت: وبالجملة فقد تكاثرت بحديث المهدي الروايات والآثار التي يطول ذكرها.

وقد ذكر العلماء أن أول ظهوره شابًا من المدينة، ثم يخاف على نفسه من القتل، فيفر إلى مكة مختفيًا، ثم إلى الطائف، ثم يرجع إلى مكة، فيرونه بالمطاف عند الركن، فيقهرونه على المبايعة بالإمامة، ثم يتوجه للمدينة ومعه المؤمنون، فيبعث إليه السفياني جيشًا عظيمًا، فيخسف الله بهم الأرض، ثم يسير إلى جهة الكوفة، ثم يعود منهزمًا من جيش السفياني، ثم يخرج الله على السفياني من أهل المشرق وزير المهدي، فيستخلص من السفياني ما أخذه، ثم ينهزم السفياني إلى الشام، فيقصده المهدي، فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة، ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب، ولا أكثر من تلك الغنيمة ثم يسير بالمؤمنين إلى المغرب مع ما أورثه [١٠٣/ب] الله من الغنى بعد شدة الضيق، ثم ينتهي إلى قسطنطينية فيفتحها، ويخرج كنوزها، ثم يقاتل الروم، ثم الدجال، ثم يلتئم الأمر لرسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام بعد نزوله من السماء، ولا يقلد المهدي أحدا من المجتهدين، بل هو مجتهد ولا يرى بالرياء ولا بالمداهنة، ويكون معه أهل الكهف أعوانا له، ويقع الأمن والبركة في الأرض.

وزعمت الشيعة أنه محمد بن الحنفية، وأنه لم يمت وسيكون ويظهر حتى يسوق العرب بعصي واحدة.

وقال بعض العلماء: يجوز كون المهدي موجوداً الآن، وأنه لا مانع من طول عمره إلى الزمن المعهود.

قال: بعضهم: وفيه نظر إذ لم يرد بذلك أثر إذا تقرر هذا.

فاعلم أن لخروج المهدي علامات جاءت بها الآثار والأخبار، فأول علامات وجود المهدي: كسوف القمر، والشمس، ونجم الذنب، والظلمة، وتحارب القبائل بذي القعدة، وسماع الصوت برمضان.

وذكروا لخروج المهدي آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف

القمر لأول ليلة من رمضان على ما فيه والشمس في النصف منه.

وقال شريك: كما في أبي نعيم في الفتن: بلغني أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان.

وورد عن كعب: يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيء.

وفيه عن أبي جعفر: لا يخرج حتى تروا الظلمة.

وفي الديلمي يرفعه: "تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان".

ومن وجه آخر: يكون صوت في رمضان في نصف الشهر، يصعق منها سبعون ألفا، ويعمى مثلها، ويصم مثلها، ويخرس مثلها، ويتفتق من الأبكار مثلها، وإن ذلك من جبريل.

وذكروا من أمارات خروجه أيضًا ما ورد: عن علي: لا يخرج [١٠٤/أ] حتى يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث.

وفي أثر ابن سيرين: حتى يقتل من تسعة سبعة.

وفي مطر الوراق: حتى يكفر بالله جهراً، وحتى يبصق بعضهم على بعض.

وفي الحديث: لا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذاباً، كلهم يقول: أنا نبي.

وفي أثر خالد بن معدان: يهزم السفياني الجماعة ثم يملك، ولا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا.

وقال ابن المسيب: في الفتنة قبله يكون في أولها لعب الصبيان كلما سكنت من جانب هاجت من آخر، فلا تزال حتى حين ينادي مناد: ألا إن الأمير فلان ذلكم الأمير حقا ثلاثا، وذكروا أن النداء بالمحرم.

وفي أثر ابن المسيب: يطلع كف من السماء وينادي. إلخ.

وفي رواية أخرى له: ينادي: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وفي لفظ ملك ينادي: أن هذا المهدي فبايعوه.

إذا علمت هذا فاعلم أن الفتن تظهر قبل خروجه، ويندرس الإسلام، ولا يبقي من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر يعني الخلص، ويستولي السفياني على البلاد، ويدور الأمصار والأقطار، ويحل عرى الإسلام، ويقتل أهل العلم، ويحرق المصاحف، ويخرب المساجد ونحوها، ويستبيح الحرام ويحرم الحلال، ولا يرتدع

عن الظلم، ويخرج في ستين وثلاثمائة؛ ألف راكب فينزل في الشام بدمشق فيبايعه من كلب ثلاثون ألفًا، ويبعث جيشًا إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها.

وذكروا أن اسم السفياني: عروة بن محمد أبو عتبة.

وفي عقد الدر: هو من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، ملعون في السماء والأرض، وهو أكثر خلق الله ظلمًا. فعند ذلك يرحم الله العباد [١٠٤/ب] والبلاد بظهور المهدي، ويخرج براية النبي صلى الله عليه وسلم من مرط معلمه، سوداء مربعة، فيها حجر لم تنشر منذ توفي صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث: "لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، ويخرج إليه الأبدال من الشام، والنجباء من مصر، وعصائب أهل المشرق حتى يأتوا مكة، فيبايع له بين الركن والمقام، ثم يتوجه إلى الشام وجبريل على مقدمته، وميكائيل على يساره، ومعه أهل الكهف أعوان له، فيفرح به أهل السماء والأرض، والطير والوحش، والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمتد الأنهار، وتضعف الأرض أكلها قال: فيقدم إلى الشام فيأخذ السفياني فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية". قال: حذيفة يا رسول الله كيف يحل قتالهم وهم يوحدون؟ قال: "ياحذيفة هم يومئذ على ردة يزعمون أن الخمر حلال ولا يصلون".

وفي رواية نعيم بن مروي أبي جعفر: يظهر المهدي بمكة عند العشاء، معه راية الرسول، وقميصه، وسيفه، وعلامات، ونور وشأن، وإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته: أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد أنجز الحجة وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئًا، وأن تحافظوا على طاعته، وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات القرآن، وتكونوا أعوانا على الهدى، ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وإني أدعوكم إلى الله ورسوله، والعمل بكتابه وإماتة الباطل، وإحياء السنة، فيظهر في ثلاثمائة؛ عدة أهل بدر أي تقريبا، فيفتح الله له أرض الحجاز، ويبعث بجنوده إلى الآفاق [١٠٥/أ] ويميت الجور وأهله، ويفتح الله على يده القسطنطينية.

وفي الحديث: "يكون في أمتي المهدي إن طال عمره أو قصر، ملك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين".

وفي حديث آخر: "لا تنقضي الدنيا حتى يملك الأرض رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله جورا، يملك سبع سنين".

وأخرج أبو نعيم، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يكون في أمتي المهدي إن قصر عمره فسبع سنين، وإلا فثمان، وإلا فتسع سنين، تنعم أمتي في زمانه نعيما لم ينعموا مثله قط". الحديث.

وقيل: يملك المهدي تسعا وثلاثين سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وقيل: بقاء المهدي أربعون سنة.

وعن الزهري: يعيش المهدي أربع عشرة سنة ثم يموت موتا.

وعن علي: يلي المهدي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة.

وذكروا أنه يسلم الأمر لروح الله عيسى عليه الصلاة والسلام بعد اقتداء عيسى به في صلاة الصبح مع الناس، بعد أن يقول له المهدي: تقدم يا روح الله فصل بنا. فيقول: إنكم معشر الأمة أمراء بعضكم على بعض تقدم أنت فصل بنا. فيصلي بهم ولا يصلي عيسى وراء المهدي غير تلك الصلاة، ثم يستمر المهدي على الصلاة، وراء عيسى عليه الصلاة والسلام بعد تسليمه الأمر إليه، ويكون معه حتى يقتل عيسى الدجال بباب لد، كما سيأتي. ثم يرجع مع سيدنا عيسى إلى بيت المقدس فيموت المهدي، ويصلي عليه عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفنه هناك.

قلت: وللعلماء في السفياني، والقحطاني، والمهدي، والتميمي، وحروبهم كلام كثير الله تعالى أعلم بصحته، فلا حاجة لنا بذكره إذ لم يصح من ذكر الملاحم إلا النذر اليسير، وقد أفردت المهدي برسالة مفردة فراجعها.

قال: السمعاني سمعت أحمد بن حنبل [١٠٥/ب] رضي الله تعالى عنه يقول: ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، وبعض التفاسير.

قال الخطيب: وهذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة، غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها.

فأما كتب الملاحم: فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة.

وأما كتب التفسير: فمن أشهرها كتاب الكلبي، ومقاتل بن سليمان.

وقد قال أحمد: في تفسير الكلبي من أوله إلى آخره كذب، قيل له: فهل النظر فيه يحل؟ قال: لا.

وأما المغازي: فمن أشهرها كتاب محمد بن إسحاق، وكان يأخذ عن أهل الكتاب.

وقال الشافعي: كتب الواقدي كذب، وليس في المغازي أصح من مغازي موسى ابن عقبة. انتهى.

فمن صحيح الملاحم: قتال الروم، وفتح القسطنطنية على يد المهدي.

ففي مسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر". قالوا: نعم يا رسول الله. قال: "لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم فإذا قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، سقط أحد جانبيها، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر سقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فيقولون: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون".

العلامة الرابعة: خروج الدجال

مأخوذ من الدجل وهو: التغطية، وسمي الكذاب دجالًا لأنه يغطي الحق بباطله.

وقال ابن دريد: سمي دجالًا [١٠٦/أ] لأنه يغطي الحق بالكذب.

وفي التذكرة للقرطبي: اختلف في تسميته دجالًا على عشرة أقوال.

واعلم: أن الدجالين كثير. ففي الترمذي، وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم، يزعم أنه رسل الله".

وفي بعض الروايات: "كلهم يكذب على الله".

وفي بعضها: "يزعم أنه نبي فمن قاله فاقتلوه، ومن قتل منهم أحدًا فله الجنة، لكن أعظم الدجالين فتنة المسيخ الدجال".

ففي مسلم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب" الحديث.

وفي البخاري، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر".

وفيه أيضًا: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته الدجال، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإن يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه، فليس يخفي عليكم أن ربكم ليس بأعور، وأنه أعور العين اليمنى كأن عينيه عنبة طافية".

وفي مسلم: "الدجال ممسوخ العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم".

وفي ابن أبي شيبة، من مرفوع أنس: "الدجال أعور عينه اليمنى عليها ظفرة مكتوب بين عينيه (ك ف ر)".

وعند الحاكم كالطبراني: "مطموس عينه اليسرى والأخرى كأنها عنبة طافية، أشبه الناس به عبد العزى بن قطن".

وفي مرفوع أبي سعيد، عند ابن أبي شيبة، وأحمد وصححه الحاكم: "ما بعث

نبي إلا وقد حذر قومه الدجال، وأنا أنذركموه" فوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بأنه أعور وإن ربكم ليس [١٠٦/ب] بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنه كوكب دري".

وفي أبي داود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين".

وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أما مسيخ الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى، عريض المنخر، فيه رفاء، أي انحناء".

وفي مسلم، من حديث تميم الداري في صفة الدجال حين رآه بالدير: "فإذا رجل أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده، وثاقًا مجموعة يداه إلى عنقه، وما بين ركبتيه إلى كعبه بالحديد".

وفيه أيضًا: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال".

قلت: وبالجملة فالأحاديث والأخبار في ذلك كثيرة لا تليق بهذا المختصر.

تنبيه: اختلف العلماء في تعيين الدجال: فقيل إنه ليس بإنسان، وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، لا يعلم من أوثقه أسليمان أو غيره؟ فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة، وإذا أبرز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعًا، فيضع على ظهرها منبرًا من نحاس فيقعد عليه، ويتبعه قبائل الجن يخرجون إليه خزائن الأرض. وقيل: إنه من ولد شق الكاهن، أو هو شق نفسه أنظره الله تعالى، وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها، وكان الشيطان يعمل له الأعاجيب، فأخذه سليمان فحبسه بجزيرة من جزائر البحر.

قال بعضهم: وهذا ليس بشيء، والذي اعتمده المحدثون بعد الخلاف الكبير أن الدجال هو ابن صياد اليهودي الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٠٧/أ] بالمدينة، ورآه تميم بالجزيرة مع الجساسة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في نفر من أصحابه، فلما نظر إليه عرفه فدعا الله سبحانه فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر، إلى وقت خروجه.

واستشكل بأن ابن صياد مات بالمدينة مسلمًا، وصلى عليه عمر، وحلف جابر أنه ليس بالدجال.

وأجيب بأن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان، فانتظر مع قرينه إلى الأجل المعلوم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

واسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود. قالوا: يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، وكذبوا في زعمهم.

وقالوا أيضا: منا الذي البحر إلى ركبتيه، والسحاب دون رأسه، يأخذ الطير بين السماء والأرض.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن الدجال يخرج من أرض المشرق، من أرض خرسان، ومعه اليهود من أصبهان وغيرها.

وقيل يخرج من يهودية أصبهان.

وقيل: من أرض كوثي بالكوفة، وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب.

وعن كعب: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر، وبين مولده ومخرجه أربعون سنة. أخرجه نعيم من طريق كعب.

وفي الترمذي أنه "يخرج من خراسان". وفي مسلم، عن أنس مرفوعًا: "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة".

وفي الطبراني: "يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قوم وجوههم كالمجان".

وفي الديلمي من مرفوع علي يرفعه: "يخرج الدجال ومعه سبعون ألفًا من الحاكة على مقدمته".

وفي أثر كعب بمقدمة الأعور ستمائة ألف [١٠٧/ب] يلبسون التيجان، وخروجه من أرض المشرق.

وفي المستدرك صحيحًا، وابن عساكر من مروي ابن عمر يرفعه: "يخرج الأعور الدجال من يهودية أصبهان، [ثم][(١)] يخلق له عين والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم، يشوي في الشمس سمكًا، ويتناول الطير من الجو، له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب".

---

(١) ساقط من الأصل.

إذا علمت هذا ففي الحديث: أن قبل خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها، والأرض ما فيها، ويهلك كل ذي ضرس وظلف. انتهى.

وقد ورد أنه إذا خرج يكون معه صورة جنة ونار، ويكون ذلك على طريق التخييل لا الحقيقة، ومن أدخله جنته كانت عليه نارًا، ومن أدخله ناره كانت عليه جنة، ويكون معه جبال من خبز أي من أصله كالبر، ذكره الحافظ ابن حجر.

ويتسلط على كل الحبوب والأقوات حتى الفول خلافًا لمن استثناه مدعيًا أن على رأسه ألفًا أو مدة سوداء تشبه الألف. إذ هو كلام لا أصل له.

ولا يدع ماء إلا دخله وورده، ويدعو الناس إلى الإيمان به، وأنه ربهم وإلههم، ويدخل البحر المالح في أعمق مكان منه فيصل إلى حقويه، فيأخذ بيده منه السمك، ويده تمتد إلى السحاب، ولا يبقى منه بلا فتنة على ما ورد إلا سبعة آلاف امرأة، واثنا عشر ألف رجل، ويقاتل المهدي بالشام بعد أن يعلم المهدي بأمره وهو مع المسلمين، يقاتلون الروم ثم ينزل ابن مريم، والمهدي بالشام بعد أن يجمع المهدي الناس لقتاله فتعمهم ضبابة من غمام، ثم ينكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى قد نزل ويكون نزوله عند المنارة البيضاء، [١٠٨/أ] والناس يريدون صلاة الصبح، ثم بعد الصلاة يتبعونه وقد فر ومن معه هاربين، فيدركونه فيقتله عيسى بيده بحربته التي نزل بها من السماء بباب لد الشرقي.

وقتله بالحربة لا ينافي ذبحه بالسكين أيضا، إذ كلاهما سلاح لعيسى عليه [الصلاة][(١)] السلام ولا يترك عيسى ومن معه من المسلمين أحدًا من عسكر الدجال بلا قتل، فيقتلون اليهود ومن اقتدى به، حتى لو تستر اليهودي بشيء أنطق الله ذلك الشيء حجرًا كان أو غيره، فيقول: تعالَ يا مسلم فإن ورائي يهوديًا فاقتله، إلا ما كان من شجر الغرقد فإنه لا يدل على من وراءه. جاءت بذلك كله الآثار والأحاديث والأخبار، وستسمع ذلك مفصلًا.

ففي مسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم

---

(١) ساقط من الأصل.

الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر، أو الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد(١)".

وفي البخاري نحوه، وعن ابن أبي شيبة من مرفوع عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فسألني "ما يبكيك؟" فقلت: ذكرت الدجال يا رسول الله فبكيت فقال: "إن يخرج وأنا فيكم حي كفيتموه، وإن يخرج بعدي فإن ربكم ليس بأعور، وإنه يخرج في يهودية أصبهان حتى يأتي المدينة، فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام؛ مدينة بفلسطين بباب لد، فينزل ابن مريم فيقتله، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا مقسطًا(٢)".

وفي مسلم، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من بلد إلا سيطؤه [١٠٨/ب] الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسهما، فينزل بالشيخة فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر وكل منافق(٣)".

وفي البخاري: "فلا يقربها الدجال ولا الطاعون(٤)".

وورد أيضًا: "أنه يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى، ومسجد الطور، فيقتل وهو قاصد لبيت المقدس(٥)". كما سيأتي.

وفي مرفوع ابن مسعود، عند نعيم في الفتن، وهو عند الحاكم وقد ضعفه: "بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعًا وخطوة حماره ثلاثة أيام، يخوض البحر كما

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٢٣٩/٤، رقم ٢٩٢٢). وأخرجه أيضًا: أحمد (٤١٧/٢، رقم ٩٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: ٤٤٠٢، من حديث ابن عمر. وأخرجه مسلم من حديث النواس: ٢٩٣٧.

(٣) أخرجه البخاري: (٦٦٥/٢، رقم ١٧٨٢)، ومسلم: (٢٢٦٥/٤، رقم ٢٩٤٣)، والنسائي في الكبرى: (٤٨٥/٢، رقم ٤٢٧٤)، وابن حبان: (٢١٤/١٥، رقم ٦٨٠٣).

(٤) أخرجه البخاري: ٧١٣٤.

(٥) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن: (٥٦٣/٢، رقم ١٥٧٨).

يخوض أحدكم الساقية، ويقول: أنا رب الغافلين، وهذه الشمس تجري بإذني أتريدون أن أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، واليوم كالجمعة، ويقول: أتريدون أن أسيرها لكم فيقولون نعم. فيجعل اليوم كالساعة(١)". الحديث.

وجاء أيضا عن الإمام أحمد، وابن خزيمة، وأبي يعلى، والحاكم، وأيضًا من مروي جابر مرفوعًا: "يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض. اليوم منها كالسنة، واليوم كالشهر، واليوم كالجمعة، وسائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا، فيقول للناس: أنا ربكم وهو أعور، وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه (ك ف ر) مهجاه يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة، حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة على أبوابهما، ومعه جبال من خبز، والناس جياع والناس في جهد إلا من اتبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهي النار، ومن أدخل [١٠٩/أ] الذي يسميه النار فهي الجنة(٢)". الحديث.

وفي المستدرك صحيحا: "له حمار ما بين أذنيه أربعون ذراعًا، يمكث أربعين عامًا فيطأ كل منهل في كل سبعة أيام، يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وثمار، وأحدهما فيه دخان ونار. يقول: هذه الجنة وهذه النار(٣)".

وورد: "أن خطوة حماره مسيرة ثلاثة أيام، وأنه لا يسخر له من الدواب إلا الحمار".

وفي مسلم، عن المغيرة بن شعبة قال: قلت: يا رسول الله إنهم يقولون: معه الطعام والأنهار، قال: "هو أهون على الله من ذلك(٤)".

وفي مسلم أيضًا، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

(١) أخرجه نعيم في الفتن: ٥٤٣/٢.

(٢) أخرجه أحمد: (٣٦٧/٣، رقم ١٤٩٩٧) قال الهيثمي: (٣٤٤/٧): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. والحاكم: (٥٧٥/٤، رقم ٨٦١٣)، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الحاكم: ٥٧٥/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري: ٧١٢٢.

في الدجال: "إن معه نارًا وماء، فناره ماء بارد، وماؤه نار فلا تهلكوا[(١)]".

وذكر الحافظ ابن حجر سير الدجال في الأرض، ومجيئه دمشق عند بابها الشرقي، وأمره السحاب بالمطر فيمطر، والنهر أن يسيل فيسيل إليه، وأن يرجع فيرجع، وأن ييبس فييبس، ويأمر جبل سيناء وجبل زيتا أن يتسطحا، ويثير الريح سحابًا من البحر، تمر الأرض، بأمره ويخوض في البحر ثلاث خوضات في اليوم، فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد... الحديث بطوله في الحاكم.

وفي مسند أبي داود الطيالسي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن مع الدجال ملكين يشبهان نبيين من الأنبياء أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله فيقول: ألست بربكم؟ أحيي وأميت فيقول أحدهما كذبت، فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه، ويقول الآخر: صدقت وذلك فتنة[(٢)]".

وفي مرفوع جابر، عند الحاكم: "ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال، وما من نبي إلا وقد حذر قومه الدجال[(٣)]". الحديث.

وعند ابن أبي شيبة من قول ابن مسعود [١٠٩/ب] وفيه طول: "وإن قومًا لا يصحبونه إلا للأكل من الطعام والشراب ويقولون: إنا نعلم أنه كذاب، وأنه إذ نزل غضب الله نزل عليهم كلهم".

وفي مسلم من حديث، النواس بن سمعان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن لبث الدجال في الأرض أربعون يومًا؛ يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم[(٤)]".

قلنا: يا رسول الله أفي ذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا، اقدروا له". الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٩٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود: ١٢٠٢.

(٣) أخرجه الحاكم: ٧٦/١.

(٤) أخرجه مسلم: (٢٢٥٠/٤، رقم ٢٩٣٧)، والترمذي: (٥١٠/٤، رقم ٢٢٤٠) وقال: صحيح غريب.

قال: بعضهم وعلى قياس الصلاة تقدير وقت الصوم، والحج والعمرة، وحول نصاب الزكاة.

وقد ثبت أن الله تعالى لا يسلط الدجال بالقتل على أحد إلا على رجل واحد؛ يخرج إليه ذلك الرجل وهو شاب حسن فيقول له الدجال: أتؤمن بي وبألوهيتي. فيقول له: إنك اللعين الكذاب - أو الدجال - فيقتله ويشقه نصفين، ويمشي الدجال بحماره بين الشقين، ويقول له: قم حيًا بإذني فيعود حيًا، ثم يقول له بعد ذلك: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا يقينا إنك اللعين الدجال.

قال إبراهيم بن محمد بن سفيان: راوي صحيح مسلم، في مسلم أنه الخضر.

قال: بعضهم: لأن ذلك الراوي إبراهيم، أبو إسحاق السبيعي كما توهم القرطبي.

وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان، قلنا: يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم". قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا اقدروا له". قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث اشتد به الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر بالسماء فتمطر لهم، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم [١١٠/أ] أطول ما كانت ذرًا، وأشبعه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي ما فيك من كنز، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين، رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله". الحديث.

وفي رواية الإمام أحمد، ومسلم، من حديث ابن عمرو يرفعه: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين يوماً، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود

الثقفي، فيطلبه فيهلكه[(١)]".

وفي مسند أحمد، من مروي جابر مرفوعًا، وفيه قال عن الدجال: "ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها، لا تسلط على غيرها من الناس فيقول للناس: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب؟ فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدًا شديدًا، ثم ينزل عيسى عليه [الصلاة و][(٢)] السلام فينادي من السحر. فيقول: يأيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه [الصلاة و][(٣)] السلام فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا [١١٠/ب] إليه، فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان تبعه أحداً إلا قتله[(٤)]".

وفي التذكرة: فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال: عيسى عليه [الصلاة و][(٥)] السلام: افتحوا الباب فيفتح، ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي. كلهم ذو سيف محلا فإذا نظر إليه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي ذاب كما يذوب الملح في الماء، وانطلق هاربًا، فيقول عيسى عليه [الصلاة و][(٦)] السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله... الحديث..

---

(١) أخرجه أحمد: ١١٤/١١، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير النعمان بن سالم، ويعقوب بن عاصم بن عروة، فمن رجال مسلم.
وأخرجه مسلم: (٢٩٤٠)، برقم: (١١٧)، والنسائي في الكبرى: (١١٦٢٩)، وابن حبان (٧٣٥٣)، والحاكم: ٥٥٠/٤-٥٥١، والبيهقي في الاعتقاد: ص ١٤٢-١٤٣ من طريق محمد ابن جعفر، بهذا الإسناد.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه! وأخرجه مسلم أيضاً (٢٩٤٠) (١١٦) من طريق معاذ بن معاذ العنبري، عن شعبة، به.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) أخرجه أحمد: ٢١٢/٢٣، وقال محققه: إسناده على شرط مسلم.

(٥) ساقط من (ر).

(٦) ساقط من (ر).

العلامة الخامسة: نزول عيسى ابن مريم عليه [الصلاة][(١)] والسلام

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفًا.

ونوزع في الاستدلال بهذه الآية وإن الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ لليهودي المحتضر يؤيد هذا قراءة أُبي (قبل موتهم).

قيل لابن عباس: أرأيت لو خر ذلك الميت من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء. فقيل له: أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج بلسانه.

واستدل بعض العلماء علي نزوله بقوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦]، قال: المراد بكونه كهلًا بعد نزوله من السماء، لأنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وذلك قبل الكهولية.

ورد بأن ابن ثلاثين يسمى كهلًا. وأما السنة: فلا نزاع فيها وقد وردت بذلك روايات عديدة في البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما الإجماع: [١١١/أ] فقد اجتمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، وأجمعوا على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت صفة نبوته قائمة به، ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي، من جملة أتباعه ويصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح، وذلك لا يقدح في قدر نبوته، ويسلم المهدي لعيسى الأمر، وكل ما معه من تابوت بني إسرائيل، ويقتل الدجال كما مر، ويموت المهدي ببيت المقدس وينتظم

---

(١) ساقط من (ر).

الأمر كله لعيسى عليه [الصلاة و][1] السلام فيستولي على سائر البلاد، وسمي المسيح لأنه يمسح الأرض، أي: يقطعها. قاله ثعلب.

قال في التذكرة عن عيسى: إنه تارة بالشام، وتارة بمصر، وتارة على سواحل البحار، وفي المهامة والقفار.

والمسيح الدجال، كذلك فسمي عيسى والدجال بذلك لجولانهما في الأرض.

وقيل: سمي عيسى المسيح لأنه يلبس المسيح من الشعر، أو لأنه مسيح القدمين، أو لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح الرأس، أو لأنه مسح عند ولادته بالدهن، أو لمسح زكريا إياه، أو لحسن وجهه، لأن المسيح في اللغة الجميل الوجه، وقيل غير ذلك إلى أربعين قولًا ذكرها الحافظ ابن حجر.

وأما زمانه عليه [الصلاة و][2] السلام فزمان خير وبركة، فيقع في زمنه من الأمن ونماء الرزق وكثرة البركة ما هو أعظم من زمن المهدي بأضعاف مضاعفة. كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة.

ففي مسلم، من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص، فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد، وأنه ينزل عند المنارة [١١١/ب] البيضاء شرقي دمشق، واضعًا كفه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه حيث ينتهي طرفه[3]".

وفيه أيضًا: "أنه يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها[4]". الحديث.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) أخرجه مسلم: (١٣٦/١، رقم ١٥٥). وأخرجه أيضًا: أحمد (٤٩٣/٢، رقم ١٠٤٠٩)، وأبو عوانة: (٩٨/١، رقم ٣١٣)، وابن حبان: (٢٢٧/١٥، رقم ٦٨١٦)، وابن منده: (٥١٤/١، رقم ٤١٢).

(٤) أخرجه مسلم: (٢٢٥٠/٤، رقم ٢٩٣٧)، والترمذي: (٥١٠/٤، رقم ٢٢٤٠) وقال: حسن صحيح غريب.

وفي الصحيح عن عيسى: "أنه خليفة على أمتي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه ربعة(١)".

وفي لفظ: "رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان كأن رأسه يقطر ماء، وأنه لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعوا الناس إلى الإسلام، ويهدم الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه(٢)". الحديث.

ومما جاء صحيحًا بلفظ: "أن عيسى نازل فيكم، وأنه خليفتي عليكم، فمن أدركه فليُقرئ له سلامي، فإنه يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويحج في سبعين ألفًا فيهم أصحاب الكهف، ويتزوج امرأة من يزد، ويذهب البغضاء والتحاسد، وتعود الأرض إلى هيئتها على عهد آدم عليه السلام، حتى يترك القلاص ترعى فلا يسعى عليها أحد، وترعى الغنم مع الذئب، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، ويلقي الله البركة في الأرض في زمانه حتى لا تقرض فأرة جرابًا، وحتى يدعى الرجل إلى المال فلا يقبله، وتشبع الرمانة أهل المسكن". وورد أيضًا: "أن الرمانة تغلب العشرة أكلا، وكذا القطف من العنب، ويفيض المال".

وفي مرفوع أبي هريرة عند أحمد، وابن جرير بلفظ: "ينزل ابن [١١٢/أ] مريم فيقتل الخنزير ويمحي الصليب، وتجتمع له الصلاة، ويعطي المال لا يقبل، ويوضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها ويعتمر(٣)".

---

(١) أخرجه أحمد: (٤٣٧/٢، رقم ٩٦٣٠) قال المناوي: إسناده حسن. وأخرجه أيضًا: إسحاق بن راهويه (١٢٤/١، رقم ٤٣)، وابن حبان (٢٣٣/١٥، رقم ٦٨٢١). وأخرجه الحاكم: (٦٥١/٢، رقم ٤١٦٣) وقال: صحيح الإسناد عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود مختصرا: ٤٣٢٤، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد: ٢١٠/١٢، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه الحميدي: (١٠٩٧)، وابن أبي شيبة: ١٤٤/١٥، والبخاري: (٢٤٧٦)، ومسلم: (١٥٥)، برقم: (٢٤٢)، وابن ماجه: (٤٠٧٨)، والآجري في الشريعة: ص ٣٨٠-٣٨١، وابن منده في الإيمان: (٤٠٨) من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد.

=

وفي مرفوع أبي هريرة أيضا، عند أحمد، كالطبراني: "إلا أن عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول، إلا أنه خليفتي في أمتي من بعدي، إلا أنه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها، إلا من أدركه مسلمًا فليقرأ عليه السلام(١)".

[وبالجملة فالأحاديث في مثل هذا كثيرة](٢).

وأما عمره عليه السلام، ففي بعض الروايات: أنه يمكث أربعين سنة.

وورد أنه يمكث بعد قتل الدجال أربعين سنة.

وفي رواية الإمام أحمد، ومسلم، من حديث ابن عمر يرفعه: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه فيهكله، يمكث الناس سبع سنين ليس بين الناس عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه(٣)" الحديث.

قال: الحافظ السيوطي: قد كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، واستمريت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت البيهقي اعتمد مكثه في الأرض أربعين سنة، معتمدًا ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ: "ثم يمكث ابن مريم في الأرض أربعين سنة بعد قتله الدجال". وهذا هو المرجع لأن

=

وأخرجه مسلم: (١٥٥) برقم: (٢٤٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: (١٠٣) و(١٠٤)، وابن منده (٤١١) من طرق عن الزهري، به. وأخرجه الحميدي: (١٠٩٨) من طريق سفيان، عن عمران بن ظبيان الحنفي، عن رجل من بني حنيفة، عن أبي هريرة.

(١) أخرجه الطبراني: ١٤١/٥ في الأوسط، وفي الصغير: ٣٠/٢، وقال الهيثمي: قُلْتُ: فِي الصَّحِيحِ بَعْضُهُ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُقْبَةَ السَّدُوسِيُّ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِمٍ.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) أخرجه أحمد: ١٥٤/١٥، وقال محققه: صحيح. وأخرجه الحاكم: ٥٩٥/٢، عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو داود: (٤٣٢٤)، وابن حبان: (٦٨٢١) من طريق هدبة بن خالد، عن همام بن يحيى، به. ورواية أبي داود مختصرة.

زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل، فإن معه من زيادة العلم، ولأنه مثبت والمثبت مقدم.

وفي الزهد لأحمد: يمكث ابن مريم أربعين سنة في الأرض، [١١٢/ب] لو يقول للبطحاء سيلي عسلا لسالته.

وفي تاريخ البخاري كالطبراني: "يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فيكون قبره رابعًا[(١)]".

وفي المواهب القسطلانية: يبقى في البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى ابن مريم، ويكون قبره الرابع.

وفي المنتظم لابن الجوزي، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له[(٢)]".

ذكر بعضهم: ولدين أحدهما موسى، والآخر محمد، وإن أمهما من يزد وقال: ويمكث خمسًا وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبرى، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين يدى أبي بكر وعمر.

قال بعض مشايخنا، وذكر رابع القبور، ولا ينافي (معي في قبري) لشدة القرب إذ هو لقربه كأنه معه أو بتقدير (في جانب قبري) لينطبق الكلام ويتسق، انتهى. والله أعلم.

---

(١) قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عُثْمَانُ بْنُ الضَّحَّاكِ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَضَعَّفَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَقَدْ ذَكَرَ الْمِزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا فِي تَرْجَمَتِهِ، وَعَزَاهُ إِلَى التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ: حَسَنٌ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي الْأَطْرَافِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) انظر: المنتظم: ٢/٣٩.

العلامة السادسة: خروج يأجوج ومأجوج

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة: وأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] الآية.

وأما السنة، ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: "أن الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال إني قد أخرجت عبادًا لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه [١١٣/أ] إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى [عليه السلام][(١)] وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ودري بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[(٢)]". الحديث.

وفي الثعلبي، من مرفوع حذيفة، بعد أن ذكرهم سيد المرسلين، يا رسول الله كم أمة؟ قال: "أمم كل أمة أربعمائة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه، وهم من ولد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا، وتكون مقدمتهم بالشام، وساقتهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا ويشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية، حتى يأتوا بيت المقدس. فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء".الحديث.

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) أخرجه مسلم: ٢٩٣٧.

وعند الإمام أحمد، وابن ماجه، وأبي يعلى، وابن حبان، والحاكم، وصححه من مرفوع أبي سعيد: "يفتح ليأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] فيغشون الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيقول: قد كان ها هنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة. قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء، ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليه مختضبة دما للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل دودًا في أعناقهم فيصبحون [١١٣/ب] موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو، فيتجرد رجل منهم محتسبًا نفسه قد أوطأها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فيقول: يا معشر المسلمين ألا أبشروا؛ إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم[١]". الحديث.

وقال النسوي وغيره في يأجوج ومأجوج: يخرجون مقدمتهم بالشام، وساقتهم ببلخ فيأتي أولهم البحيرة بحيرة طبرية، فيشربون ماءها، ويأتي وسطهم فيلحسون ما فيها، ويأتي آخرهم فيقول: لقد كان ها هنا ماء، ويكون مكثهم في الأرض سبع سنين فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض فهلم نقاتل أهل السماء، فيرمون بنشابهم، فيردها الله مخضبة دمًا، فيقولون: قد فرغنا من قتال أهل السماء، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون موتى، ثم يرسل الله عليهم السماء فتجرفهم إلى البحر.

وفي الملل وغيرها، كما في نعيم بن حماد: أن الطير ترمي بجيفهم إلى البحار.

وفي مرفوع ثوبان، عن الحاكم: "سيوقد المسلمون من جعبهم، وقسيهم، ونشابهم، سبع سنين[٢]".

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/٧٧، رقم ١١٧٤٩)، وابن ماجه: (٢/١٣٦٣، رقم ٤٠٧٩)، وأبو يعلى: (٢/٣٧٨، رقم ١١٤٤)، وابن حبان: (١٥/٢٤٥، رقم ٦٨٣٠)، والحاكم: (٤/٥٣٥، رقم ٨٥٠٤) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه: (٢/١٣٥٩، رقم ٤٠٧٦) وصححه الألباني، وأخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: (٣/١٦٥، رقم ١٤٩٥)، والديلمي: (٢/٣٢٢، رقم ٣٤٦٣).

وفي الطبراني، من مرفوع النواس بن سمعان: "سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج وأترسهم سبع سنين".

وروى الربيع، عن أبي العالية قال: يمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج عشرين سنة يحجون ويعتمرون.

فائدة: يأجوج ومأجوج علمان أعجميان، ولذلك منع من الصرف، ويجوز قراءتهما بالهمز، وتركه، وبلا همز هما من يج وماج: إذا اضطرب، وذلك مناسب لشأنهم، وقد جاء أجوح بهمزة ممدودة من أجيج [١١٤/أ] النار بمعنى إلتهابها، أو (الأج) وهو سرعة العدو، أو الأجاج: أي الملوجة.

وذكر عن كعب: أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلقوا من ذلك فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم.

قال: الإمام النووي: وهذا منكر جدًا، لا أصل له، إلا عن بعض أهل الكتاب.

قال الحافظ بن حجر: لأن النبي لا يحتلم.

وقال: إنهم كما جزم به وهب من ولد يافث، وقيل: من الترك قاله الضحاك.

وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم.

ومن طريق أبي هريرة يرفعه: "ولد نوح سام، وحام، ويافس، فولد لسام: العرب، وفارس والروم، وولد لحام: القبط، والبربر، والسودان، وولد ليافث: يأجوج ومأجوج، والترك والصقالبة[١]". وفي سنده ضعف.

وفي رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: أن يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح. وفي رواية سعيد بن بشر، عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين، وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو؛ وهم الأتراك فبقوا دون السد.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، من طريق السدي، من أثر قوي: الترك سرية من

---

(١) قال الهيثمي: رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سِنَانٍ الرُّهَاوِيُّ عَنْ أَبِيهِ. فَمُحَمَّدٌ: وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوقٌ، وَضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَالْبُخَارِيُّ. وَيَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ وَثَّقَهُ أَبُو حَاتِمٍ، فَقَالَ: مَحَلُّهُ الصِّدْقُ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: مُقَارَبُ الْحَدِيثِ، وَضَعَّفَهُ يَحْيَى وَجَمَاعَةٌ.

سرايا يأجوج ومأجوج، خرجت تغير فجاء ذو القرنين، فبنى السد فبقوا خارجًا عنه.

وسئل علي كرم الله وجهه عن الترك، كما عند ابن المنذر فقال: هم سيارة ليس لهم أصل هم من يأجوج ومأجوج، خرجوا يغيرون على الناس، فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض.

وأما كثرة يأجوج ومأجوج فلا يعلمها إلا الله.

روى ابن مردويه، والحاكم، من حديث حذيفة مرفوعًا: [١١٤/ب] "يأجوج ومأجوج أمتان، كل أمة أربعمائة ألف رجل، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كلهم قد حمل السلاح". الحديث.

وأخرج ابن حبان صحيحًا، من حديث ابن مسعود يرفعه: "أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا من الولد".

وفي أبي الشيخ، وابن المنذر، من قول حسان بن عطية: هم أمتان، في كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا تشبه واحدة الأخرى.

وبالسند المتصل إلى مكحول: الأرض مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج، وهما أمتان كل أمة أربعمائة ألف لا تشبه أمة الأخرى.

وعند أبي الشيخ، من أثر أبي أمامة: الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج ستة، والباقي إقليم واحد.

وعن خالد الأشج: أن بني آدم وبنى إبليس ثلاثة أثلاث، ثلثان بنو إبليس، وثلث بنو آدم، وبنوا آدم ثلاثة أثلاث، ثلثان يأجوج ومأجوج، وثلث سائر الناس، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث، ثلث الأندلس وثلث الحبشة وثلث سائر الناس العرب والعجم. وعند ابن أبي حاتم: الإنس عشرة أجزاء: فتسعة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس.

وورد عند عبد الرزاق، كالحاكم من طريق النكالي، من قول ابن عمر: أن الله جزأ الملائكة والجن والإنس عشرة أجزاء؛ فتسعة منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس، وجزء الملائكة عشرة أجزاء؛ تسعة منهم الكروبيون، والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء الإنس والجن؛ عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن، فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، وجزء الإنس عشرة، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج، الحديث.

وسأل وهبُ ابنَ عمرو [عنهم][(١)] أهم من [١١٥/أ] ولد آدم فقال له: نعم ومن بعدهم ثلاث أمم، وذكر تاويل وتاريس ومنسك.

ومن طريق ابن عمرو، عند الحاكم، وابن مردويه: أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم. ووراؤهم ثلاث أمم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدا.

وورد مثله بسند صحيح، عن عبد الله بن سلام.

وأما صفتهم: فورد أن منهم من يفترش أذنه طوله وعرضه سواء.

ومنهم من هو كالأرزة الطويلة.

ومنهم من له أربعة أعين عينان في رأسه، وعينان في صدره.

ومنهم من له رجل واحدة.

ومنهم من هو ملبس شعرا كالبهائم.

ومنهم من لا يشرب غير الدم شيئًا.

ومن طريق شريح بن عبيد، عن كعب: هم ثلاثة أصناف؛ صنف أجسادهم كالأرزة، أي شجر كبار جدا.

قال: وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون الأخرى.

وصحح الحاكم، وغيره عن ابن عباس: يأجوج ومأجوج شبر وشبران، وأطوالهم ثلاثة أشبار وهم من ولد آدم.

وبالسند إلى الزهري من قوله: أنهم ثلاثة أمم؛ منسك وتاويل وتاريس، فصنف منهم مثل الأرز: أي الشجر الطويل، وصنف منهم عرض أحدهم وطوله سواء، وصنف منهم يفرش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى.

وفي حديث حذيفة قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: "ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز". قال: قلت: يا رسول الله ما الأرز؟ قال: "شجر بالشام طول عشرون ومائة ذراع في السماء". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش". وذكر ما مر. وزاد: "لا

(١) ساقط من (ر).

يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا [١١٥/ب] خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بالمشرق، يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية[١]". الحديث.

وذكر بعضهم: أن فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة، يأكلون اللحوم نية.

وفي مرفوع أبي هريرة: "أن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كانوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كانوا يرون شعاع الشمس قال: الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس[٢]" الحديث.

قلت وبالجملة فالأخبار فيهم مما يطول ذكرها والله [سبحانه وتعالى][٣] أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١٥٥/٤، قال الهيثمي: فِيهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْعَطَّارُ وَهُوَ ضَعِيفٌ.

(٢) أخرجه أحمد: (٥١٠/٢، رقم ١٠٦٤٠)، وابن ماجه: (١٣٦٤/٢، رقم ٤٠٨٠)، وقال البوصيري: (٢٠١/٤) إسناده صحيح رجاله ثقات. والحاكم: (٥٣٤/٤، رقم ٨٥٠١) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أيضًا: الترمذي: (٣١٣/٥، رقم ٣١٥٣) وقال: حسن غريب. والطبري في التفسير: (٢١/١٦)، وأبو يعلى: (٣٢١/١١، رقم ٦٤٣٦) والعقيلي: (٢٨٥/٢، ترجمة ٨٥٣ عبد الله بن عصمة الجزري)، وابن حبان: (٢٤٢/١٥، ٢٤٣، رقم ٦٨٢٩)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن: (١٢٠٥/٦، رقم ٦٦٦).

(٣) ساقط من الأصل.

العلامة السابعة: ظهور الدخان

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

قال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وزيد بن علي: هو دخان قبل قيام الساعة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، ولم يأت بعد وهو آت.

وروى الحافظ الحسن بن محمد، بسنده: يجيء دخان فيملأ ما بين السماء والأرض حتى لا يدري مشرق من مغرب، ويأخذ الكافر فيخرج من مسامعه ويكون على المؤمن كهيئة الزكمة.

وفي حديث حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن من أشراط الساعة دخانًا يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث في الأرض أربعين يومًا، فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره".

وقيل: المراد بالدخان المذكور في الآية دخان الجوع، الذي كان حال [١١٦/أ] بين أبصار قريش وبين السماء.

ففي الصحيح، قال: مسروق: كنا عند ابن مسعود جلوسًا وهو مضطجع بيننا فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن إن قاصًّا عند أبواب كندة يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أنه دخان يأتي قبل يوم القيامة يأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين وأسماعهم وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه مثل الزكام.

فجلس ابن مسعود وهو غضبان. فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم شيئًا فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وسأحدثكم عن ذلك أن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم سبع سنين كسني يوسف عليه السلام[(١)]". فأصابهم من

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٨٢١.

الجهد والجوع ما أكلوا به العظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب. فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وصلة الرحم، وأن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون. قال: الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فدعا فكشف. فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] أي إلى كفركم.

قلت: كلام ابن مسعود موافق لظاهر الآية. فلا دليل فيها للجمهور، وإنما الدليل السنة ولعلها لم تبلغ ابن مسعود حين أنكر ذلك.

ففي مسلم من حديث، حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال: "ما تتذاكرون"؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات(١)". فذكر الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من [١١٦/ب] مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف؛ خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم.

قال في التذكرة: قد روى عن ابن مسعود: إنهما دخانان.

قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فيثقب مسامعه، فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن، فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٩٠١.

العلامة الثامنة: خراب الكعبة

ففي الصحيحين، من مرفوع أبي هريرة، وكذا في الطبراني من مرفوع [ابن عمر](١): "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر [إلى](٢) أصيلع يضرب عليها بمسحاته وبِمِعْوَلِهِ"(٣).

وفي البخاري: "كأني أنظر إلى أسود أفحج يهدم الكعبة حجرًا حجرا"(٤). الحديث.

وعن الثقات من الحفاظ: يمكث الناس ما شاء الله في الخصب والدعة بعد يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قالوا: ثم تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة، ثم لا تعمر بعدها أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنز فرعون، وقارون بمصر، قالوا: فيجتمع المسلمون فيقاتلونهم، فيقتلونهم، ويسلبونهم حتى يباع الحبشي بعباه.

وفي الحديث: "حجوا قبل أن لا تحجوا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين كان مكانه بالأمس"(٥).

---

(١) هكذا بالأصل، والحديث عن ابن عمرو.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) حديث أبي هريرة: أخرجه ابن أبي شيبة: (٤٦١/٧ رقم ٣٧٢٢٦) والبخاري: (٥٧٧/٢ رقم ١٥١٤) ومسلم: (٢٢٣٢/٤ رقم ٢٩٠٩)، والنسائي: (٢١٦/٥، رقم ٢٩٠٤)، وأخرجه أيضًا: الحميدي: (٤٨٥/٢ رقم ١١٤٦) وابن حبان: (١٥١/١٥، رقم ٦٧٥١).

حديث ابن عمرو: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد: (٢٩٨/٣) قال الهيثمي: فيه ابن إسحاق، وهو ثقة ولكنه مدلس.

حديث ابن عمر: أخرجه أحمد: (٢٢٠/٢، رقم ٧٠٥٣) قال الهيثمي: (٢٩٨/٣): فيه ابن إسحاق، وهو ثقة، ولكنه مدلس. وأخرجه أيضًا: الديلمي: (٤٩٢/٥، رقم ٨٨٦٢).

(٤) أخرجه أحمد: (٢٢٨/١، رقم ٢٠١٠)، والبخاري: (٥٧٩/٢، رقم ١٥١٨)، والطبراني: (١٢١/١١، رقم ١١٢٣٨). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد: (ص ٢٣٥، رقم ٧١٣)، وأبو يعلى: (٤١٣/٤، رقم ٢٥٣٧).

ومن غريب الحديث: "أفحج" وهو الذي إذا مشى باعد بين رجليه.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١٣١/٤)، والحاكم: (٦١٧/١، رقم ١٦٤٦)، والبيهقي: (٣٤٠/٤، رقم ٨٤٨٠)، عن علي بن أبي طالب.

وفـي حـديث حذيفـة مرفوعًـا: "كـأني أنظـر إلـى حبـشي أحمـر الـساقين، أزرق العينين، أفطس الأنف، كبير البطن، وقد صف قدميه على الكعبة، هو وأصحاب له وهم ينقضونها [١١٧/أ] حجرًا حجرا، ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها في البحر". الحديث -.

العلامة التاسعة: رفع القرآن من المصاحف ثم من الصدور

قرر الأئمة أنه يرفع أولًا من المصاحف، وذلك أنهم يبيتون فيصحبون وليس فيها حرف مكتوب، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك، لأعجل زمن حتى لا يكون منه شيء محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر، وقد سأله الآخر: كنت أحفظ شيئًا ونسيته. لا أدري ما هو؟

وفي الحديث: "أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه، وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع". قيل: وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟ قال: "يسري عليهم ليلًا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله[1]".

وفي مرفوع ابن عمر، وعند الديلمي: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء، فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول عز وجل: مالك؟ فيقول: منك خرجت وإليك أعود أتلى فلا يعمل بي"[2].

وفي مرفوع حذيفة عند ابن ماجه: "يدرس الإسلام حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية"[3]. الحديث.

---

(١) أخرجه الدارمي: ٣٣٨٤، بإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وباقي رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الديلمي: (٧٩/٥، رقم ٧٥١٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه: (١٣٤٤/٢ رقم ٤٠٤٩) قال البوصيري: (٩٤/٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والحاكم: (٥٢٠/٤ رقم ٨٤٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٥٦/٢، رقم ٢٠٢٨).

ومن غريب الحديث: "يَدْرُسُ": أي لا يبقى منه شيء، "ويسري": أي يذهب بالليل.

العلامة العاشرة: عود أهل الأرض كلهم كفاراً

ففي رواية مسلم، وأحمد، والترمذي، من مرفوع أنس: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله"[(١)].

وصح في المستدرك من مرفوع عائشة: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، ويبعث الله ريحًا طيبة فتوفي من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم[(٢)]".

وفي حديث عقبة أنه قال: عبد الله بن عمرو: "ويبعث الله ريحًا ريحها ريح المسك، ومسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا"[(٣)].

وفي لفظ أحدًا "في قلبه مثقال حبة خردل من [١١٧/ب] الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة"[(٤)].

وفي مرفوع عمرو: "لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته، ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية، ويبقى عجاج من الناس لا يؤمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، يتناكحون في الطرق، فإذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الأرض فأقام الساعة"[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٣٤) والترمذي، برقم (٢٢٠٧) وحسنه، وصححه الألباني.
وأخرجه أبو يعلى: (٢٣٥/٦، رقم ٣٥٢٧)، قال الهيثمي (٣٣٠/٧): رجاله ثقات، والحاكم: (٥٤٠/٤، رقم ٨٥١٣) وقال: هذا حديث على شرط مسلم.
وللحديث أطراف أخرى منها: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم".

(٢) أخرجه مسلم: (٢٢٣٠/٤، رقم ٢٩٠٧). وأخرجه أيضًا: الحاكم: (٤٩٤/٤، رقم ٨٣٨١) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه مسلم، برقم: (١٩٢٤).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (١٩٢٤) وابن حبان، برقم (٦٨٣٦).

(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٤٠) وأحمد، برقم (١٥٤٦٤).

=

وفي مسلم: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس[١]".

=

وآخر من حديث النواس بن سمعان في آخر حديثه الطويل في الدجال ونزول عيسى عليه السلام عند مسلم (٢٩٣٧) (١١٠) وفيه: "فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم..". وسيرد ١٨١/٤- ١٨٢.

وثالث من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، عند الطبراني في الكبير: (٣٠٣٧)، والحاكم: ٥٩٤/٣.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٤٩) وابن ماجه بطوله، برقم (٤٠٣٩) وقال محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد قال الحاكم في المستدرك بعد أن روى هذا المتن بهذا الإسناد هذا حديث يعد في أفراد الشافعي وليس كذلك. فقد حدث به غيره. وقد بسط السيوطي القول فيه. وخلاصة ما نقل عن الحافظ عماد الدين بن كثير أنه قال هذا حديث مشهور بمحمد بن خالد الجندي الصناني المؤذن شيخ الشافعي. وروى عنه غير واحد أيضا. وليس هو بمجهول. بل روى عن ابن معين أنه ثقة، وأخرجه أحمد: ٢٨٠/٦ط الرسالة، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص -وهو عوف بن مالك بن نضلة الجشَمي- فمن رجال مسلم. بهز: هو ابن أسد العَمي، وشعبة: هو ابن الحجاج.

وأخرجه الطيالسي (٣١١)، والشاشي (٧١٥) و(٧١٦)، والطبراني في "الكبير" (١٠٠٩٧)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٩٠٢)، والخطيب في "تاريخه" ٤٤٢/١٤، من طرق عن شعبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه مطولا الطبراني في "الكبير" (٨٥٨٥) من طريق شعبة، و(٨٥٨٦) من طريق المسعودي، كلاهما عن أبي قيس الأوْدي، عن هزَيل بن شرحبيل، عن عبد الله بن مسعود، موقوفاً.

وأخرجه الحاكم ٤٩٤/٤ من طريق بهز بن أسد، بهذا الإسناد، بلفظ: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله"، قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، إنما تفرد مسلم رحمه الله بإخراج حديث شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، مرفوعاً: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس"، ووافقه الذهبي.

قلنا: قول الحاكم: على شرط الشيخين، وهم منه، لأن أبا الأحوص من رجال مسلم فقط.

ثم إن مسلم إنما أخرج الحديث من طريق شعبة عن علي بن الأقمر، كما سيرد برقم (٤١٤٤) لا عن أبي إسحاق.وانظر (٣٨٤٤).

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً، وعقبة بن عامر مرفوعاً عند مسلم (١٩٢٤) (١٧٦)، وابن حبان (٦٨٣٦)، والموقوف هنا له حكم الرفع لأنه مما لا مجال للرأي فيه.

=

وفي البخاري: "أشرار الخلق من تدركهم الساعة"(١).

وفي مرفوع عبد الله بن عمرو، وعند ابن أبي شيبة: "لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس في الطرق تسافد الحمر(٢)". وفي لفظ: "حتى يتهارجون في الطرق تهارج الحمر، فيأتيهم إبليس فيصرفهم إلى عبادة الأوثان"(٣).

وفي مرفوع أبي هريرة، عند الحاكم: "وحتى تؤخذ المرأة جهارًا نهارًا تنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحد"(٤). وفي لفظ: "حتى ينكح أحدكم أمه فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو تنحيتما عن الطريق قليلًا فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم".

وفي مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: "أن الله يرسل ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه"(٥). الحديث.

وقال في التذكرة عن بعض العلماء: إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها، وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم، وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر؛ الإنس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وحشاش الأرض، وكل من له روح فبينما الناس قيام في أسواقهم

=

وعن عبد الله بن عمرو أيضاً بلفظ آخر سيرد عند أحمد برقم (٦٩٦٤).

وعن عِلْباء السلمي، سيرد ٣/٤٩٩.

وعن معاوية عند الطبراني في "الكبير" ١٩/ (٨٣٥)، أورده الهيثمي في "المجمع" ٨/١٣-١٤، وقال: ورجاله رجال الصحيح.

وعن أبي أمامة عند الطبراني في "الكبير" ٨/ (٧٧٥٧)، أورده الهيثمي في "المجمع" ٧/٢٨٥، وقال: ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف، ورواه بإسناد آخر ضعيف.

وعن علي عند البزار (٣٤١٩) "زوائد"، أورده الهيثمي في "المجمع" ٨/١٣، وقال: رواه البزار، وفيه الحارث بن عبد الله الأعور، وهو ضعيف جداً، ووثقه ابن معين.

(١) أخرجه البخاري، برقم (٧٠٦٦) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: (٧/٤٦٦، رقم ٣٧٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: (٧/٤٨٤، رقم ٣٧٤١٦).

(٤) أخرجه الحاكم: (٤/٥٤١، رقم ٨٥١٦) وقال: صحيح الإسناد.

(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٤٠).

يتبايعون وهم [١١٨/أ] مشتغلون إذا هم بهدة عظيمة من السماء يصعق منها نصف الخلق، فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين قيامًا على أرجلهم، فبينما هم كذلك إذا هدة أخرى أعظم من الأولى قطيعة كالرعد القاصف، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، وذلك هو قيام الساعة. [والله تعالى أعلم][(١)].

---

(١) ساقط من (ر).

الباب السادس في قيام الساعة وخراب هذا العالم وتغيير نظامه

اعلم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة لم يخالف في ذلك إلا كل كفور ملحد، مكذب لله ورسوله والكتب الإلهية، وهي تأتي الناس بغتة، كما قال: تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وفي حديث الشيخين، عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها"[1].

وفي التنزيل: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر بالنفخ فيه"[2].

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٣٨٦/٥، رقم ٦١٤١)، ومسلم: (١٣٧/١، رقم ١٥٧).

(نشر الرجلان ثوبهما) ليتبايعاه. (لقحته) هي الناقة الحلوب. (يليط) يصلح ويطين. (أكلته) لقمته. (فلا يطعمها) فلا يأكلها ويحول بينه وبين أكلها قيام الساعة فجأة، وبأسرع من دفع اللقمة إلى الفم.

(٢) حديث أبي سعيد: أخرجه أحمد: (٧٣/٣، رقم ١١٧١٤)، وعبد بن حميد: (ص ٢٧٩، رقم ٨٨٦)، وأبو يعلى: (٣٣٩/٢، رقم ١٠٨٤)، والترمذي: (٦٢٠/٤، رقم ٢٤٣١)، وابن حبان: (١٠٥/٣، رقم ٨٢٣)، والحاكم: (٦٠٣/٤، رقم ٨٦٧٨). وأخرجه أيضا: الحميدي: (٣٣٢/٢، رقم ٧٥٤)، وأبو نعيم: (١٠٥/٥) وقال: غريب.

حديث زيد بن أرقم: أخرجه أحمد: (٣٧٤/٤، رقم ١٩٣٦٤)، والطبراني: (١٩٥/٥، رقم ٥٠٧٢). قال الهيثمي: (٣٣٠/١٠): رجاله وثقوا على ضعف فيهم. وأخرجه أيضا: ابن عدي: (١٩/٣، رقم ٥٨١).

حديث ابن عباس: أخرجه أحمد: (٣٢٦/١، رقم ٣٠١٠)، والطبراني في المعجم الأوسط: (٢٨٦/٢، رقم ٢٠٠٠)، والحاكم: (٦٠٣/٤، رقم ٨٦٧٧)، وابن أبي شيبة: (٧٦/٦، رقم ٢٩٥٨٧). قال الهيثمي: (١٣١/٧): رواه الطبراني وفيه عطية وهو ضعيف.

=

وفي التذكرة قالت عائشة: يا كعب أخبرني عن إسرافيل. فقال كعب: عندكم العلم، قالت: أجل فأخبرني، فقال: له أربعة أجنحة، جناحان في الهواء، وجناح قد تسربل به، وجناح على كاهله، والعرش على كاهله، والقلم على أذنه وهو جاث على ركبته وقد [١١٨/ب] نصب الأخرى ملتقم الصور، محنيا ظهره، شاخصا ببصره. الحديث. وهو غريب.

وفي التذكرة أيضا من حديث أبي هريرة: قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: "قرن". فقلت: وكيف هو؟ قال: "هو عظيم، والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات. الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين"، الحديث. وهو منقطع[1].

وفي حديث ابن مسعود: "يقوم ملك الصور بين السموات والأرض فينفخ فيه، والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ما شاء ربك، وسماه الله بالناقور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]".

قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق.

واختلف العلماء في عدد النفخات فقيل: ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وهذا اختيار ابن العربي وغيره.

وقيل: نفختان ونفخة الفزع وهي نفخة الصعق لأن الأمرين لازمان لها، أي فزعوا فزعًا ماتوا منه. واختار هذا القرطبي في التذكرة وصححه.

=

حديث أبي هريرة: أخرجه أبو الشيخ: (٣/٨٥١، رقم ٣٩٦).

(١) انظر: التذكرة: ١/٥٠٧.

فصل

في نفخة الفزع وما يكون من تغيير أحوال العالم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] أي من رجوع ومرد. قاله ابن عباس وقتادة.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. وفسر الزمخشري المستثنى في هذه الآية: بمن ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. وقيل غير ذلك.

وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من الهول عند تلك النفخة لأنه إذا نفخ في الصور نفخة [١١٩/أ] الفزع تزلزلت الأرض، وتحركت السماء، وتناثرت النجوم، وتفجرت البحار، وذهلت المراضع، ووضعت الحوامل، وعطلت العشار، واختلطت الإنس والجن والدواب والوحوش، وماج بعضهم في بعض. قال: الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

قال: الثعلبي: العشار: النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدها عشر، ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها. ومعنى عطلت أي نسيت، وأهملت؛ تركها أربابها لشدة الأمر، وكانوا قبل ذلك لازمين لأذنابها، وخوطبت العرب بأمر العشار لأنها أكثر أموالهم.

قال مكي: قد عطلها أهلها وأهملوها فلا يسألون عنها لهول ما فجأهم.

وفي تفسير الثعلبي، ومكي، عن أبي بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحوش، وماج بعضها في بعض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] قال:

فتقول الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر، فإذا هو يتأجج نارًا فبينما، هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء إلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم، وتتغير أحوال العالم من الأرض والجبال والبحار والسماء والشمس والقمر والنجوم إلى غير ذلك.

ولنذكر هنا أمورًا تحصل عند نفخة الفزع من تغيير هذا العالم الأول فيما يصيب [١١٩/ب] الأرض.

وقد جاء فيها آيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] أي شدة الحركة على الحالة الهائلة حتى ينهدم كل بناء على وجهها. وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] أي تحركت كحركة شديدة لقيام الساعة.

قال ابن عباس: هي عند النفخة الأولى، وعلى هذا جمهور المفسرين.

وحكى الفخر عن علقمة، والثعلبي أنها تكون في الدنيا، ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها.

وقال في التذكرة: إن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم، بل قال: إن جميع هذه الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية.

ويؤيد الجمهور قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ١] أي رجفت، وزلزلت، وحُركت تحريكًا حتى ينهدم كل بناء على وجهها.

قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال.

وقال الثعلبي: تكون كالسفينة الموسوقة في البحر تضربها الأمواج وتقلبها الرياح.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦] أي تميد الأرض بالناس على ظهرها، وتزهل المراضع، وتضع الحوامل، ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها وأدبارها فترجع، ويولى الناس مدبرين.

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] قال الثعلبي: أي مرة بعد مرة زلزلت فكسر بعضها بعضًا فتكسر كل شيء على ظهرها.

وقيل: دقت جبالها حتى استوت في الإنفراش فذهبت دورها وقصورها وجبالها

وسائر أبنيتها حتى تصير كما قال ابن عباس: تمد الأرض مد الأديم [١٢٠/أ].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الحاقة: ١٤].

قال المفسرون: أي رفعت الأرض من جميع جهاتها مع الجبال بما يشاؤه الله تعالى من ريح أو ملائكة أو قدرة، فدكتا دكة واحدة.

الدك: الدق إلا أنه أبلغ منه والمعنى: كسرتا كسرة واحدة فصارتا فيها كثيبا مهيلا منبثا.

أو المعنى فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتى.

الثاني: فيما يصيب الجبال: وقد جاء فيها آيات منها قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥] الآية.

قال: الثعلبي: فتت فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول، قاله ابن عباس، والبسبسة عند العرب الدقيق أي السويق، يلت فيجعل زادًا.

وقال الكلبي: معنى بست أي صيرت على وجه الأرض.

وقال مجاهد: لتت لتًا.

وقال الحسن: قلعت من أصولها، فذهبت.

واختلف المفسرون في تفسير الهباء.

فقال ابن عباس: إنه ما يرى في شعاع الشمس من الصور اللطيفة، حتى تدخل من الكوة.

وقال أيضا: إنه الرماد يطير من النار إذا أضرمت فإذا وقع لم يكن شيئا.

وقال علي رضي الله عنه: إنه رهج الدواب:أي ما سطع من سنابك الخيل.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤] فسر الثعلبي الكثيب بالرمل المجتمع، والمهيل بالسيال المتناثر، إذا مسسته تتابع.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

ففي الثعلبي أن أول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا، ثم عهنا منفوشًا؛ وهو الصوف المصبوغ. ولا يقال: العهن إلا للمصبوغ ثم هباء منثورًا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]

قال: بعض المفسرين: معناه: إنه إذا كانت الجبال هباء منبثًا سير الله ذلك الغبار بين السماء والأرض كالسحاب [١٢٠/ب].

وظاهر كلام الزمخشري أنها تسير كالسحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد، وهي تمر مرًا حثيثًا كما يمر السحاب.

وقال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] الآية أي: نزيلها من أماكنها على وجه الأرض، ونسيرها كما نسير السحاب.

قال الإمام الفخر: ليس في الآية ما يدل إلى أين تسير.

قال: فيحتمل أن يقال: إن الله عز وجل يسيرها إلى الموضع الذي يريده، ولم يبين ذلك الموضع لخلقه. قال: والحق أن الله يسيرها إلى العدم لقوله تعالى: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] قلت: أحسن من هذا وأظهر أن يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] قال مكي: أي لا شيء كما أن السراب لا شيء.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] الآية.

قال: الإمام الفخر: وصف الله الأرض بأوصاف أحدها كونها قاعًا.

قال: وهو المكان المطمئن من الأرض.

وقيل: منتقع الماء.

وثانيها كونها صفصفا: وهو الذي لا نبات عليه.

وقال أبو مسلم: القاع: الأرض الملساء المستوية. وكذلك الصفصف.

وثالثها: كونها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا العوج ظاهر، والأمت قال: الزمخشري: هو النتوء اليسير.

قال الفخر: ويحصل بهذه الصفات الأربعة أن الأرض تكون في ذلك اليوم ملساء خالية من الارتفاع، والانخفاض، وأنواع الانحراف، والاعوجاج.

وقال أيضا في تفسير ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، أي لم يبق على وجهها شيء من العمارات، ولا شيء من الجبال، ولا شيء من الأشجار، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها.

قال وهو المراد بقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

فائدة في تبديل الأرض [١٢١/أ].

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآية. ما المراد بالتبديل؟ هل هو تبديل ذات أو تبديل صفات؟

قال العلامة البيضاوي: التبديل يكون في الذات كقولك: بدلت الدراهم بالدنانير.

وعليه قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وفي الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتمًا إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] والآية تحتملهما.

قال: الحافظ السيوطي: اختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدلة، وقد وقع الخلاف قديمًا للسلف في ذلك. وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط؟ انتهى.

فالقائلون بأنه تبديل ذات منهم ابن مسعود، وكعب الأحبار، وابن جبير وغيرهم.

واختلفت أقوالهم فقال ابن مسعود: تبدل الأرض كلها نارًا يوم القيامة.

وقال كعب الأحبار، وأبي بن كعب: تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر نارًا، وتبدل الأرض غيرها، أي مما لم يكن بحارًا.

فقد ورد أن ما صار نارًا من البحار يعود على بقية الأرض، فيدعها جمرة واحدة من نار. وعن علي: تبدل الأرض من فضة، والسموات من ذهب.

وقال ابن جبير، ومحمد بن كعب: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، لحديث الشيخين من مرفوع أبي سعيد الخدري: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة[١]".

قال: ابن برجان في الإرشاد: تبدل الأرض خبزة فيأكل المؤمن من بين رجليه ويشرب من الحوض.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد: (ص ٢٩٨، رقم ٩٦٢)، والبخاري: (٢٣٨٩/٥، رقم ٦١٥٥)، ومسلم: (٢١٥١/٤، رقم ٢٧٩٢).

قال عكرمة: تبدل الأرض أرضا بيضاء مثل الخبزة، يأكل منها أهل الإسلام، حتى يفرغوا من الحساب. قال ابن حجر: ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول [١٢١/ب] زمن الموقف.

والقائلون بأنه تبديل صفة؛ منهم ابن عباس وغيره قالوا: إن تبديل السماء ذهاب شمسها وقمرها وانكدار نجومها. وتبديل الأرض ذهاب جبالها وأنهارها وأشجارها.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. قال: يزاد فيها وينقص، وتذهب أكمامها من أماكنها، وجبالها، وأوديتها، وشجرها، وما فيها، وتمد مد الأديم العكاظي أرضًا بيضاء مثل الفضة، لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها.

ويؤيد هذا حديث أبي هريرة: تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها[(١)]، وهذا ظاهر ما مر في صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد: " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد"[(٢)].

والعفر بياض يقرب إلى الحمرة، والنقي بكسر القاف وهو الحوارى، ومعنى ليس فيها علم لأحد أي ليس فيها علامة سكنى أو بناء أو أثر لأحد.

واختلفوا في وقت التبديل فقيل: إن ذلك قبل يوم الحساب، وقاله ابن مسعود.

وقيل: إن تبديلها والناس على الصراط. لحديث مسلم عن عائشة قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. أين الناس؟ قال: "على الصراط؟"[(٣)].

---

(١) انظر: التذكرة: ٥٠٣/١، وعزاه للثعلبي في التفسير.

(٢) أخرجه البخاري: (٢٣٩٠/٥، رقم ٦١٥٦)، ومسلم: (٢١٥٠/٤، رقم ٢٧٩٠)، وابن حبان: (٣١٢/١٦، رقم ٧٣٢٠)، وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٥٤٣/١٣، رقم ٧٥٤٩).

(٣) أخرجه الحميدي: (٢٧٤)، والترمذي: (٣١٢١) من طريق سفيان، ومسلم: (٢٧٩١)، وابن ماجه: (٤٢٧٩)، والبغوي في تفسير الآية المذكورة من سورة إبراهيم من طريق علي بن مسهر، والدارمي: (٢٨٠٩)، والطبري في تفسير الآية المذكورة من طريق خالد بن عبد الله، =

وفي الترمذي عن عائشة قلت يا رسول الله فأين الناس يومئذ؟ قال: "على جسر جهنم"[(١)].

وفي حديث آخر لمسلم جاء حبر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٢٢/أ] فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: "هم في الظلمة دون الجسر"[(٢)].

قلت: هذا حاصل ما قاله كل من الفريقين، والجمع بين القولين هو ما أشار إليه صاحب الإفصاح من أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسموات تبدل كرتين.

الأولى: أنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنثر أولا كواكبها، وتكسف شمسها وقمرها، وتصير كالمهل، ثم تكشط عن رؤوسهم، ثم تسير الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيرانًا، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر، فتصير الهيئة غير الهيئة، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء والأرض، وبدلت السماء سماء أخرى، وبدلت الأرض، وتمد مد الأديم العكاظي، وأعيدت كما كانت فيها القبور، والبشر على ظهرها، وفي بطنها، وتبدل أيضا تبديلا ثانيا، وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها: الساهرة يحاسبون عليها.

وهي أرض عفراء وهي البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط على متن جهنم، وهي كالهالة جامدة، وهو لا يسع جميع الخلائق، وإن كان قد يروى أن مسافته ألف سنة صعودًا، وألف سنة هبوطًا، وألف سنة استواء لأن الخلق أكثر من ذلك.

=

والطبري كذلك من طريق عبد الرحيم بن سليمان وإسماعيل بن زكريا، وابن حبان: (٣٣١) من طريق حفص بن غياث، و(٧٣٨٠) من طريق عبيدة بن حميد، والحاكم: ٣٥٢/٢ من طريق محبوب بن الحسن، ثمانيتهم عن داود بن أبي هند، بهذا الإسناد. قالوا الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح، ورُوي من غير هذا الوجه عن عائشة، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي: برقم (٣٢٤١) وقال حسن غريب، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه مسلم بطوله، برقم (٣١٥).

فيقوم من فضل منهم عن الصراط على متن جهنم وهي كالهالة الجامدة، وهي الأرض التي قال عبد الله: إنها أرض من نار يعرف فيها البشر.

فإذا حوسب الناس على الساهرة، وجازوا الصراط، وحصل أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النيران في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بدلت الأرض كقرصة النقي، فأكلوا من تحت أرجلهم.

وعند دخولهم الجنة تكون خبزة [١٢٢/ب] واحدة؛ أي قرصًا واحدًا يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة، وأدمهم زيادة كبد ثور الجنة، وزيادة كبد النون[١].

وقال الحافظ ابن حجر: لا تنافي بين تبديل الأرض، وأحاديث مدها والزيادة فيها والنقص منها، لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا.

لكن أرض الموقف غيرها فإنهم يزجرون من أرض الدنيا بعد تغييرها بما ذكر إلى أرض الموقف. قال: ولا تنافي أيضًا بين أحاديث مصيرها خبزة ونارًا، بل يجمع بأن بعضها يصير خبزة وبعضها [نارا][٢]، وهو أرض البحر خاصة.

لكن قد مر أن الأرض كلها تكون نارًا يوم القيامة، وقد يجاب بأن أرض البحر نارًا في الابتداء بطريق الأصالة، ثم البقية بالتبعية. والله [سبحانه][٣] أعلم.

---

(١) الذي في الحديث في البخاري موقوفا، ومسلم من حديث ثوبان مرفوعا: (قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا». مسلم، برقم (٣١٥).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من الأصل.

الأمر الثالث: فيما يصيب السماء

وفيها آيات منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨].

فقيل: المهل عكر الزيت.

وقيل: القار المذاب. وقيل: ما أذيب من الفضة والنحاس.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] قال: مجاهد تدور دورا.

وقال قتادة: مورها تحركها.

وقال الضحاك: مورها استدارتها، وتحركها لأمر الله، وموج بعضها في بعض.

وقال ابن عباس: (مورها) تشققها، وقيل: إن معنى (تمور): تتكفا كما تتكفا السفينة حتى تذهب ولا تكون شيئا.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] قال بعض المفسرين: إنه انشقاقها في المحشر، وإنها تصير أبوابًا لنزول الملائكة. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

وقال مكي في تفسير: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وذلك يوم القيامة: كان لونها لون الورد الأحمر. وهو تفسير ابن عباس.

وقال قتادة: إنها اليوم خضراء، وسيكون لونها أحمر.

وقال ابن جريج: تدور السماء فتصير ذائبة حمراء كالدهن الذائب حتى يصيبها حر جهنم.

وأما (الدهان) [١٢٣/أ] فقال مجاهد، والضحاك: إن الدهان والدهن شيء واحد.

وقيل: الدهان الجلد الأحمر، والدهان جمع دهن.

قال زيد بن أسلم: تكون كعكر الزيت.

وقال أبو الجوزاء: تكون كصفاء الدهن.

وقال الزمخشري: كدهن الزيت كما قال: كالمهل، وهو دردي الزيت[1].

---

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا الْمُؤْمِنُ الْمَوْتُ"، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، قَالَ: "كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ". وَفِي قَوْلِهِ: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣]، =

ومنها قوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] أي ضعيفة مسترخية بعد إحكامها وقوتها.

قال الفراء: وهي تشققها ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٧]: أي على جوانبها وحافاتها، واحدها رجا مقصور، وذلك أن السماء مسكن الملائكة فإذا انشقت انتقلوا إلى جوانبها.

وقال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها.

=

قَالَ: "جَوْفُ اللَّيْلِ" وَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا ذَهَابُ الْعِلْمِ؟" قَالَ: " هُوَ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الأَرْضِ". أخرجه أحمد: ٤١٦/٣.

إسناده ضعيف، قابوس- وهو ابن أبي ظبيان الجنبي الكوفي- ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. جرير: هو ابن عبد الحميد، وأبو ظبيان: اسمه حصين ابن جندب بن الحارث الجنبي.

وأخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" (١٢٢٨)، عن يحيى بن المغيرة، عن جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: "آناء الليل" قال: هو جوف الليل. ونسبه السيوطي في "الدر المنثور" ٢٩٧/٢ لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن نصر.

وقوله: "كدردي الزيت" نسبه السيوطي في "الدر المنثور" ٢٨١/٨ للطستي. ودردي الزيت: عكارته التي ترسب في أسفله.

وقول ابن عباس: ذهاب العلم هو ذهاب العلماء من الأرض، هو بمعنى حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً عند البخاري (٧٣٠٧) وغيره"إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم".

الأمر الرابع فيما يصيب الشمس والقمر

قال الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] أي: كسفت وذهب ضوءها.

ففي حديث أبي هريرة أن ذلك بعد نفخة الفزع، وقبل قيام الساعة، وهو قول أبي ابن كعب وبه قال: الغزالي.

وظاهر كلام جمع من المفسرين أن ذلك إنما هو يوم القيامة.

قال ابن عباس: تكويرها إدخالها في العرش.

ولا شك أن ذلك لا يكون إلا في يوم القيامة، فهي موجودة فيه، ثم يذهب بها بعد ذلك إما إلى إدخالها في العرش كما قال ابن عباس، والضحاك، وإما إلى حيث شاء الله، وإما إلى النار كما قال: الزمخشري.

يروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى: ﴿[إِنَّكُمْ][١] وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآية.

قال: بعضهم: يؤخذ بالشمس والقمر فيلقيان ويرمى بهما دليله قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩].

وقال عطاء بن يسار: يجمع بينهما يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى [١٢٣/ب].

وقال علي، وابن عباس: يدخلان في نور الحجب.

---

(١) في الأصل: (فإنكم) والمثبت الصواب.

الأمر الخامس فيما يصيب النجوم

قال: الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

ومعناها سقوط الكواكب إلى الأرض، وقد جاء أنها تسقط عند موت الملائكة الذين كانوا يحبسونها، وهي معلقة بين السماء والأرض.

وفي حديث أبي هريرة: "إذا سارت السماء كالمهل تتناثر النجوم ويسقط شمسها وقمرها".

الأمر السادس فيما يصيب البحار

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي فاضت وملئت.

قال الضحاك، والربيع بن خيثم وغيرهما: تفجيرها فيضها.

قال الغزالي: قد تفجر بعضها في بعض حتى امتلأ عالم الهواء ماء.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. وهو بمعنى الأول عند الضحاك والربيع.

وقيل: معنى (سجرت): فجر بعضها على بعض، العذب والمالح، فصارت كلها بحرًا واحدًا. قاله مجاهد والضحاك ومقاتل.

وقيل: معنى (سجرت): يبست حتى لا يبقى من ماءها قطرة. قاله الحسن وقتادة.

وقيل: معنى (سجرت) أضرمت نارًا. قاله ابن عباس، ووهب، وسفيان، وابن عطية، وابن زيد.

وفي الثعلبي قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحار، فيبعث الله عليها ريحًا دبورًا فتنفخها حتى تصير نارًا.

قلت: ويمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة بأن يقال: إن البحار تفيض أولًا، ولكثرة فيضها تصير بحرًا واحدًا، ثم تنشف حتى لا يبقى منها قطرة، ثم بعد ذلك يضرم مكانها نارًا.

وفي ذلك آيات دالات على كمال قدرته ووجوب وحدانيته، لا إله إلا هو الفعال لما يريد. وفي مكي قال ابن عباس: جهنم في البحر الأخضر تكور الشمس والقمر فيه انتهى.

فإن قلت: قد مر عن ابن عباس، ومن وافقه أنه يذهب بالشمس إلى العرش أو الحجب. وكلامه هنا مخالف لما مر. وهو قول الزمخشري قلت: يمكن الجمع بأن يقال: تكور في النار أولًا، [١٢٤/أ] ليراها من عبدها تبكيتًا له، ثم يذهب بها إلى العرش. فتأمل.

فصل

في ذكر نفخة الصعق

وفيها هلاك كل شيء قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد فسر المفسرون الصعق بالموت.

قال الفخر: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] أنه لا شبهة عند أهل الإسلام في أن الله خلق قرنًا ينفخ فيه ملك من الملائكة، وذلك القرن يسمى بالصور على ما ذكره الله في مواضع من القرآن.

وأما سرعة زمن وقوعها فقال تعالى:﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

قال الفخر: هذا يدل على كمال القدرة.

وقال: معناه إن لمح البصر عبارة عن انتقال الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، والحدقة مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ، فلمح البصر عبارة عن المرور على تلك الأجزاء التي تألفت منها الحدقة، ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة، والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من آنات متعاقبة، والله قادر على إقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات، فلهذا قال تعالى: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

وقال الزجاج: لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الامتثال بها، وأخبر أن البعث والإحياء في قدرته ومشيئته كلمح البصر: نزلت في الكفار الذين استعجلوا قيام الساعة.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. فمقتضى هذه الآية هلاك كل شيء إلا وجهه وهو قول في المسألة.

قالوا: إن الله يُفني كل شيء حتى الجنة والنار ولا يبقى شيء سواه، وهو معنى قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

قال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته، أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] واقع عليه سبحانه خاصة، ولو كان [١٢٤/ب] هناك أحد لأجابه سبحانه حين يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فيقول: لك يا واحد يا قهار.

وقيل: إن هناك أشياء لا تفنى لأن الله خلقها للبقاء فمنها الجنة والنار لا يفنيان أبدًا. قلت: وهو الحق في المسألة، نص عليه الإمام أحمد.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أي ما هو قابل للهلاك، ولم يخلق للبقاء، أو ما من شيء إلا هو قابل للهلاك، فيهلك إن أراد الله به ذلك، إلا وجهه سبحانه. وفي الثعلبي قال الضحاك: كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى، والجنة والنار، والعرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والأرواح.

وفي التذكرة: لم يبلغنا في خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله. وأما قوله تعالى:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]. فالضمير عائد على الأرض ومقتضاها هلاك كل من عليها.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض. فنزلت ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فأيقنت الملائكة بالهلاك.

إذا تقرر هذا فقد اختلف العلماء في المستثنى في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فقيل: الملائكة، جبريل، وميكائيل، وحملة العرش.

وقيل: الأنبياء.وقيل: الشهداء.وقيل: موسى.

وقال الحسن: استثنى طوائف من السماء يموتون بين النفختين.

قال بعضهم: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل.

قال الحليمي مستشكلًا: من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل أو ميكائيل أو ملك الموت، أو زعم أنه لأجل الولدان والحور العين، أو لموسى فإنه لا يصح شيء منها لأن حملة العرش وجبريل وميكائيل ليسوا من سكان السموات والأرض، لأن العرش فوق السموات وحملته كذلك.

وأما جبريل، وميكائيل، وملك الموت، فمن الصافين المسبحين حول العرش، وكذلك الحور والولدان [١٢٥/أ] في الجنة، وهي فوق السماء دون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء.

وصرفه إلى موسى لا وجه له، لأنه قد مات حقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية، وأطال صاحب التذكرة الكلام على هذا ولم يأت عنه بجواب سديد.

قلت: والذي يزيل هذا الإشكال أن قوله تعالى ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] ليس المراد به السموات والأرض بخصوصهما بل هو كناية عمن هو فوق ومن هو أسفل، فدخل في ذلك العالم بأسره، فصح حينئذ الاستثناء، وإنما خصص سبحانه السموات والأرض بالذكر لأنها هي المشاهدة عندنا والمرئية لنا، كما قال في الجنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] مع أنها أعظم من ذلك قطعًا، فليس ذلك إلا كناية عن سعتها. ولم يقل العرش والكرسي مع أنهما أعظم من السموات والأرض لما علمت فتأمل.

وقال يحيى بن سلام، في تفسيره: بلغني أن آخر من يبقى من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ثم يموت جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ثم يقول الله عز وجل لملك الموت: مت فيموت.

وهذا قد جاء مرفوعًا، في حديث أبي هريرة.

وفي الثعلبي، من حديث أبي هريرة: أنه إذا لم يبق أحد إلا الله، فكان أولًا كما كان آخرًا. طوى السماء كطي السجل للكتاب، ثم قال: أنا الجبار لمن الملك اليوم؟! فلا يجيبه أحد. ثم يقول الله الواحد القهار، ثم تبدل الأرض غير الأرض والسموات.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟"(١). وفي مسلم يقول: "أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟!(٢)".

وفي الدرة الفاخرة: ثم يثني الله سبحانه [١٢٥/ب] على نفسه بما شاء، ويفتخر بالبقاء المستمر، والعز الدائم، والملك الباقي، والقدرة الظاهرة، والحكمة الباهرة. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢١٤٨/٤، رقم ٢٧٨٨)، وأبو داود: (٢٣٤/٤، رقم ٤٧٣٢).

وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص ٢٤١، رقم ٧٤٢).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر.

فصل

في ذكر نفخة البعث

وقد جاء في القرآن آيات كلها تدل على نفخة البعث منها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١] الآية.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨].

قال الكلبي وغيره: هي نفخة البعث.

و(الناقور) فاعول من النقر، كأنه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت.

وقوله: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ [ق: ٤١-٤٢] الآية.

قال المفسرون: المنادي هو إسرافيل، ينفخ في الصور، وينادي: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وقيل: إن إسرافيل ينفخ، وجبريل ينادي، والمكان القريب هو صخرة بيت المقدس.

قاله جماعة من المفسرين: وهي وسط الأرض.

قال كعب: وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا.

والصيحة المذكورة هي نفخة البعث.

إذا علمت هذا فقد اختلف العلماء في مقدار ما بين نفخة الصعق، ونفخة البعث، فورد في الخبر أن بين النفختين أربعين عامًا.

وقال الحليمي: اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة.

وفي مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون". قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟! قال: أبيت قالوا: أربعون شهرًا قال: أبيت قالوا: أربعون عامًا قال: أبيت. الحديث[١].

وقول أبي هريرة أبيت فيه تأويلان، [١٢٦/أ] فقيل: أبيت، أي امتنعت من بيان ذلك لكم وتعبيره.

وقيل: أبيت أي أبيت أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

قال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته، أن سر ذلك وأمره لا يعلمه إلا الله تعالى، لأنه من أسرار الربوبية.

وفي مسلم، وابن ماجه، عن أبي هريرة قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة[٢]". وفي رواية أخرى: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب"[٣].

قال أهل اللغة: يقال: عجم، وعجب بالميم والباء لغتان، وهو جزء لطيف في أصل الصلب. وقيل: هو رأس العصعص.

وفي الثعلبي في تفسير سورة الزمر، أن من حديث أبي هريرة الطويل: أن الله تعالى يرسل مطرًا على الأرض فينزل عليها أربعين يومًا، حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعًا، فيأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى: ليحيا حملة العرش، ليحيا جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ثم يأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعًا، ثم يلقيها في الصور ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء

---

(١) أخرجه البخاري: (١٨٨١/٤، رقم ٤٦٥١)، ومسلم: (٢٢٧٠/٤، رقم ٢٩٥٥).

(قال أبيت) معناه أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوما أو سنة أو شهرا بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة.

(٢) أخرجه ابن ماجه: (١٤٢٥/٢، رقم ٤٢٦٦).

(٣) أخرجه مسلم: (٢٢٧١/٤، رقم ٢٩٥٥)، وأبو داود: (٢٣٦/٤، رقم ٤٧٤٣)، والنسائي: (١١١/٤، رقم ٢٠٧٧).

والأرض ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها.

فتدخل الأرواح في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد مشي السم في اللذيغ، ثم تشقق الأرض عنكم سراعًا، فأنا أول من تنشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون.

وفي الثعلبي أيضًا، في تفسير سورة الأعراف، وفي تفسير ابن عطية قال: أبو هريرة، وابن عباس: [١٢٦/ب] إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أمطر عليهم أربعين عامًا ماء كمني الرجال من ماء تحت العرش، يدعى ماء الحيوان، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم تلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية، قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم، كما يجده النائم إذا استيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

وأما قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

ففي كونه من كلام الكفار، أو من كلام الملائكة قولان للمفسرين.

وقال مجاهد: إن للكافرين هجعة قبل يوم القيامة، يجدون فيها طعم النوم، فإذا أصيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينتظرون ما يراد بهم.

وقال عكرمة: إن للذين يغرقون في البحر، وتقتسم لحومهم الحيتان، ولا يبقى منهم شيء إلا العظام، فتلقيها الأمواج إلى الساحل فتمكث حينًا، ثم تصير نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعرها، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر، فيوقدونه، ثم تخمد تلك النار، فتجيء الريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون، يخرج أولئك وأهل القبور سواء.

وقال العلماء: إن الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع، وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس وذرته الرياح، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها، ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح في الصور، وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح إلى جسدها، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] فإذا هم قيام ينظرون.

تنبيه: قيام الناس من [١٢٧/أ] الأجداث لرب العالمين قد جاء في غير موضع

من القرآن قال: تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

والمراد بالقيام: قيامهم من مصارعهم حيث كانوا في سائر أقطار الأرض، وأول من ينشق عنه القبر النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع[(١)]".

وفي البخاري: "أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة"[(٢)]. وفي بعض ألفاظ البخاري: "فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور"[(٣)]. وأخرج الترمذي الحكيم، عن ابن عمر قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبي بكر، وشماله على عمر. فقال: "هكذا نبعث يوم القيامة[(٤)]".

وفي الثعلبي وغيره، عن أبي هريرة: ثم تتشقق عنكم الأرض، وأول من تنشق عنه الأرض أنا، فتنسلون سراعًا إلى ربكم عن سن الثلاثين.

وفي لفظ: كأنكم أبناء ثلاث وثلاثين، مهطعين إلى الداعي، فتقفون في موقف واحد، سبعين عامًا، حفاة عراة، غرلًا بُهما، لا ينظر الله إليكم، ولا يقضي بينكم فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ويلجمهم العرق. الحديث.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٣١٧/٦، رقم ٣١٧٢٨)، ومسلم: (١٧٨٢/٤، رقم ٢٢٧٨)، وأبو داود: (٢١٨/٤، رقم ٤٦٧٣). وأخرجه أيضًا أحمد: (٥٤٠/٢، رقم ١٠٩٨٥).

(أنا سيد ولد آدم) قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير، وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدافع عنهم.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٤٨١٣).

(أكذلك كان): أي إنه لم يمت عند النفخة الأولى. (أم بعد النفخة): حيي قبلي بعد النفخة الثانية وتعلق بالعرش.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٩١٧).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٣٦٦٩) وقال: غريب، وَسَعِيدُ بْنُ مَسْلَمَةَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ بِالقَوِيِّ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ أَيْضًا مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وضعفه الألباني.

وفي بعض طرق حديث الصور الطويل، عند علي بن معبد: فتخرجون منها شبابًا كلكم أبناء ثلاث وثلاثين، واللسان يومئذ بالسريانية.

وفي الدرة الفاخرة: إذا استوى كل أحد قاعدًا على قبره، فمنهم العريان، والمكسو، والأسود والأبيض، ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف، ومنهم من يكون له نور كالشمس فلا يزال كل واحد منهم مطرقًا برأسه ألف عام [١٢٧/ب]، حتى تقوم من الغرب نار لها دوي، فتدهش لها رؤوس الخليقة، إنسًا وجنًا وطيرًا ووحشًا، فيؤتى لكل واحد عمله، ويقول له: قم فانهض إلى المحشر.

الباب السابع

في ذكر المحشر والموقف وما يتعلق بذلك

الحشر: لغة الجمع تقول: حشرت الناس إذا جمعتهم، والمراد به في القيامة:جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد موتها.

هذا مذهب الجمهور، وهو أن المعاد للأرواح بأبدانها.

وقيل: المعاد للأبدان فقط، وهو قول كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة القائلين: بأن الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس لا غير.

وقيل: المعاد للأرواح فقط. وهو قول الفلاسفة والملاحدة.

وأجمع أهل السنة أن الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها.

واعلم أن موضع الحشر على الأرض بالكتاب والسنة قال: الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣- ١٤] أي على ظهر الأرض.

والعرب تسمي الفلاة وظهر الأرض ساهرة، لأن فيها نوم الحيوان وسهره.

قال: ابن عباس، والحسن، وعكرمة: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] أي على الأرض.

وأما السنة: ففي مسلم، عن سهل بن سعد، مرفوعًا: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد". أي ليس فيها علامة سكنى أو بناء أو أثر لأحد.

وفي النسائي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ما يدل على أنهم يحشرون إلى أرض الشام. ونقل بعض المفسرين، عن وهب بن منبه: أن الساهرة جبل إلى حيث بيت المقدس.

وقال آخرون: هو موضع جبل حسبان، وجبل أريحا، يمده الله كيف شاء.

وفي الدرة الفاخرة: الذي يحشر الناس عليه هي الأرض الثانية، وهي الساهرة.

وقيل: هي أرض من فضة لم يعص الله عليها [١٢٨/أ].

وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] حكاه مكي في تفسيره.

إذا تقرر هذا فاعلم أن العبد يبعث على حالته عند خروجه من بطن أمه قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال أكثر العلماء: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلًا.

كذلك يوم القيامة نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وفي مسلم، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا". قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: "يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض".

والغرل جميع أغرل: وهو الأقلف.

وفي مسلم أيضًا: "ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] الآية.

لطيفة: أخرج أبو داود، والحاكم وصححه، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها".

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن، عن معاذ بن جبل، أنه دفن أمه في ثياب جدد. وقال: "أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها".

وعن عمر بن الخطاب، قال: "أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يبعثون فيها يوم القيامة".

قال القرطبي: هذه الأحاديث معارضة بحديث الحشر عراة.

فبعضهم قال بظاهرها، والأكثر حملوها على الشهيد الذي أمر أن يدفن بثيابه التي قتل فيها.

وأن أبا سعيد سمع الحديث في الشهيد فحمله على العموم.

وقال البيهقي: يجمع بأن بعضهم يحشر [١٢٨/ب] عاريًا، وبعضهم بثيابه أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر.

قال: وبعضهم حمل حديث أن الميت يبعث في ثيابه على العمل الصالح لقوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وأما الحديث الصحيح: "أن أول من يكسى إبراهيم"[١].

فقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحلة التي يكساها حينئذ من حلل الجنة.

وأخرج الخطيب، عن ابن مسعود قال: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقا لله سقاه، ومن كسا لله كساه ومن عمل لله كفاه.

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٩٨/١، رقم ٣٧٨٧)، والبزار: (٣٣٩/٤، رقم ١٥٣٤)، والطبراني: (٨٠/١٠، رقم ١٠٠١٧)، قال الهيثمي: (٣٦٢/١٠): في أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: الدارمي: (٤١٩/٢، رقم ٢٨٠٠)، والحاكم: (٣٩٦/٢، رقم ٣٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد، وعثمان بن عمير هو ابن اليقظان. وقال الذهبي: لا والله فعثمان ضعفه الدارقطني والباقون ثقات.

فصل

واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه.

ففي مسلم، عن جابر مرفوعًا: "يبعث كل عبد على ما مات عليه"(١).

وقال المفسرون: في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] يبعث المؤمن مؤمنًا والكافر كافرا.

وفي الصحيحين: "أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق في عنقه، والقدح بيده، وهو أنتن من كل جيفة على الأرض، يلعنه كل من يمر به من الخلق"(٢).

وفي الصحيح: "أن المقتول في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه [يشخب](٣) دما؛ اللون لون دم والريح ريح المسك"(٤).

وفي مرفوع ابن عمر: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت، ولا في قبورهم، ولا في منشرهم، كأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم، وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن(٥)".

وفي الثعلبي في تفسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا خرج من قبره

---

(١) حديث جابر: أخرجه عبد بن حميد: (ص ٣١٢ رقم ١٠١٣) ومسلم: (٤/٢٢٠٦ رقم ٢٨٧٨)، وابن حبان: (١٦/٣١١ رقم ٧٣١٩)، والحاكم: (٢/٤٩١، رقم ٣٦٨٨). وأخرجه أيضًا: أحمد: (٣/٣٣١، رقم ١٤٥٨٣).

(٢) لم أعثر له على تخريج.

(٣) في النسائي وغيره: (يَثْعَب).

(٤) أخرجه الترمذي: (٤/١٨٤، رقم ١٦٥٦) وقال: حسن صحيح. والنسائي: (٦/٢٨، رقم ٣١٤٧). وأخرجه أيضًا: البخاري: (٣/١٠٣٢، رقم ٢٦٤٩)، ومسلم: (٣/١٤٩٦، رقم ١٨٧٦)، وأبو يعلى: (١١/١٣٨، رقم ٦٢٦٣)، وأبو عوانة: (٤/٤٥٤، رقم ٧٣١٢) بلفظ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ».

(٥) أخرجه ابن عدي: (٢/٦٥، ترجمة ٢٩٧ بهلول بن عبد الله الكندي)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/١١١، رقم ١٠٠) وقال: غير قوي، وابن عساكر (١١/٤٤).

صور له عمله في صورة حسنة. فيقول من أنت؟ والله إني أراك امرأ صدق. [١٢٩/أ] فيقول له: أنا عملك. فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة. والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة. فيقول له: من أنت؟ فوالله إني أراك امرأ سوء. فيقول له: أنا عملك. فينطلق به إلى النار حتى يدخلها"[١]. وذكر الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] الآية. عن علي رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض؛ لها أجنحة عليها رحال الذهب.

والوفد: القوم الركبان يغدون على الملك، والسوق: القوم يساقون على أرجلهم.

وقال علي أيضًا: ما يحشرون والله على أرجلهم إلا على نوق رحالها ذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن نهموها طارت. وأخرج البيهقي، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] قال: عطاشا.

وفي الترمذي، وأبي داوود، والبيهقي، عن أبي هريرة مرفوعًا: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف؛ ركبانًا ومشاة وعلى وجوههم". فقال رجل: يا رسول الله، أو يمشون على وجوههم؟ قال: "الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم[٢]". وأخرج الشيخان، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا أن يمشيه على وجهه يوم القيامة"[٣].

قال: الغزالي: وفي طبع الآدمي إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشى على بطنها لأنكر المشي من غير رجل، والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، وإياك أن تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير: (٨٨/١١) عن قتادة مرسلا.

(٢) أخرجه أحمد: (١٦٧/٣، رقم ١٢٧٣١)، وعبد بن حميد: (ص ٣٥٦، رقم ١١٨١)، وأخرجه الترمذي، برقم (٣١٤٢) وحسنه، وضعفه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد: (٢٢٩/٣، رقم ١٣٤١٦)، والبخاري: (١٧٨٤/٤، رقم ٤٤٨٢)، ومسلم: (٢١٦١/٤، رقم ٢٨٠٦)، وابن جرير: (١٢/١٩).

وفي الثعلبي وغيره، من حديث معاذ [١٢٩/ب] بن جبل قال: قلت يا رسول الله: أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] فقال عليه الصلاة والسلام: "يا معاذ لقد سألت عن أمر عظيم"، ثم أرسل عينيه بالبكاء وقال: "يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتًا، قد ميزهم الله من جماعات المسلمين، وبدل صورهم، فمنهم على صورة القردة، وعلى صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم أعلا ووجوههم، يسحبون عليها، وبعضهم عمي، وبعضهم صم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم، يقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبين على جذوع النار، وبعضهم أشد نتنًا من الجيف، وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران. فأما الذين على صورة القردة فالنمام من الناس، والذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكث، والمنكسون فأكلة الربا، والعمي الذين يجورون في الحكم، والصم والبكم الذين يعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، والمصلبين على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنًا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم، والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء"[(١)].

وأخرج البزار، عن أبي هريرة مرفوعًا: "يحشر المتكبرون يوم القيامة في صورة الذر[(٢)]".

وأخرج أيضًا عن جابر مرفوعًا: "يبعث الله يوم القيامة ناسًا في صورة الذر تطأهم الناس بأقدامهم فيقال: ما بال هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا[(٣)]".

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي: ١١٥/١٠، والدر المنثور: ٣٠٧/٦.

(٢) أخرجه أحمد: (١٧٩/٢، رقم ٦٦٧٧)، والترمذي: (٦٥٥/٤، رقم ٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني. وأخرجه أيضًا: الحميدي: (٢٧٢/٢، رقم ٥٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد: (ص ١٩٦، رقم ٥٥٧).

(٣) ذكره الهيثمي في كشف الأستار: ١٥٥/٤، وقال: قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ جَابِرٍ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَالْقَاسِمُ فَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ.

وفي الطبراني [١٣٠/أ] مرفوعًا: "ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار[(١)]". وأخرج ابن حبان، والحاكم، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من كانت عنده امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل[(٢)]" وفي لفظ: "ساقط"[(٣)].

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وأبو يعلى، وابن حبان، مرفوعًا: "يبعث الله يوم القيامة قومًا من قبورهم تأجج أفواههم نارًا". فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: "ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]"[(٤)].

وأخرج أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة مرفوعًا: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولًا، لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل[(٥)]".

وفي رواية الطبراني: "ما من أمير عشرة إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فإن كان محسنًا فك عنه، وإن كان مسيئًا زيد غلًا إلى غله[(٦)]".

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٣٤/٦، وقال: لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ سَعْدٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْعُمَرِيُّ.

(٢) أخرجه الطيالسي: (ص ٣٢٢، رقم ٢٤٥٤)، وأحمد: (٤٧١/٢، رقم ١٠٠٩٢)، وأبو داود: (٢٤٢/٢، رقم ٢١٣٣)، والنسائي: (٦٣/٧، رقم ٣٩٤٢)، وابن ماجه: (٦٣٣/١، رقم ١٩٦٩)، والبيهقي: (٢٩٧/٧، رقم ١٤٥١٥). وأخرجه أيضًا: الدارمي: (١٩٣/٢، رقم ٢٢٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (١١٤١) وصححه الألباني، وأخرجه الحاكم: (٢٠٣/٢، رقم ٢٧٥٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه أبو يعلى: (٤٣٤/١٣، رقم ٧٤٤٠)، وابن حبان: (٣٧٧/١٢، رقم ٥٥٦٦)، والطبراني كما في مجمع الزوائد: (٢/٧) قال الهيثمي: فيه زياد بن المنذر وهو كذاب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة: (٤٢٠/٦، رقم ٣٢٥٥٣)، وأحمد: (٢٨٤/٥، رقم ٢٢٥٠٩)، وعبد بن حميد: (ص ١٢٧، رقم ٣٠٦)، والطبراني: (٢٢/٦، رقم ٥٣٨٨) قال الهيثمي (٢٠٥/٥): فيه رجل لم يسم، وبقية أحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٣٦/٢، رقم ١٩٦٩). وأخرجه أيضًا: الحارث (٦٣٠/٢، رقم ٦٠٠). وللحديث أطراف منها: "ما من رجل يلي أمر عشرة"، "ما من آمر عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة".

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٩١/٥، رقم ٤٧٦٣). قال الهيثمي (٢٠٧/٥): رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين وكلاهما فيه ضعف ولم يوثق.

وأخرج أبو يعلى والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعًا: "من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار، ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار[١]".

قلت: وبالجملة فالأحاديث في مثل هذا مما يطول ذكرها، ولا شك أن الناس مختلفون في حشرهم، ومتنوعون أنواعًا كثيرة. نسأل الله العافية.

تنبيه: ورد في الحشر ما ظاهره التعارض منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

وقال تعالى: [١٣٠/ب] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣].

وهو التعارف والسؤال تخاطب مضاد للصمم والبكم والإسراع مخالف للحشر على الوجوه.

والجواب أن الناس ليسوا في ذلك اليوم على حالة واحدة كما مر، فاختلفت الأخبار عنهم لاختلاف أحوالهم، أو أن لهم في القيامة حالات شتى فتارة يكونون هكذا، وتارة هكذا على حسب ما وردت به الأخبار فسبحان القادر على كل شيء.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١٤٥/١١. ولم أعثر على الشطر الثاني من الحديث.

فصل

في ذكر الوقوف بالمحشر

قال: الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] أي زمرًا زمرًا.

قال: أبوهريرة: إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] يحشر كل شيء حتى أن الذباب ليحشر.

والحاصل أن الله سبحانه يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام.

ففي تفسير مكي: يحشر الناس يوم القيامة على أرض قد مدها الله تعالى مد الأديم العكاظي، فهم في ضيق مقامهم فيها، كضيق سهام اجتمعت في كنانتها، فالسعيد يومئذ من وجد لقدمه مقامًا.

قال: وأكثر الأقدام يومئذ بعضها على بعض.

واختلف العلماء في مقدار الوقوف بالمحشر.

قال: مكي: في تفسير: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

روي أن الناس يقومون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق فيقومون مقدار أربعين عامًا، وهذا أخرجه البيهقي، من حديث أبي هريرة: "يحشر الناس حفاة عراة مشاة غرلًا قيامًا أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء". قال: "فيلجمهم العرق من شدة الكرب"(١). الحديث [١٣١/أ].

وعن ابن مسعود أنه قال: يمكثون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد، قد ألجم العرق كل بر وفاجر: قال: فينادي مناد: أليس عدلًا من ربكم

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٣٦١/٩. وقال الهيثمي: رَوَاهُ كُلَّهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طُرُقٍ، وَرِجَالُ أَحَدِهَا رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ أَبِي خَالِدٍ الدَّالَانِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.

أنه خلقكم ثم صوركم، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره أن يولى كل عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ فيقولون: بلى.

وقيل: يقومون مائة سنة. حكي ذلك عن ابن عمر.

وقيل: يقومون مقدار سبعين عامًا، حكي ذلك عن أبي هريرة.

وقيل: إن مقدار الوقوف: ثلاثمائة سنة. قاله كعب وغيره، وورد به الحديث.

روى أبو هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبشر الغفاري: "كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس لرب العالمين، مقداره ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، لا يأتيهم خبر من السماء، ولا يؤمر فيهم بأمر؟". فقال بشر: الله المستعان يا رسول الله. الحديث. وقيل: إن مقداره ألف سنة.

أخرج الطبراني، أن ابن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال له: "أما مقام الناس بين يدي رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم[(١)]".

وأخرج البيهقي، عن ابن عمر، مرفوعًا "يمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يكلمون".

وقيل: مقداره خمسون ألف سنة.

أخرج الحاكم، وصححه، والبيهقي، عن ابن عمر قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. قال: "كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم[(٢)]".

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي بسند حسن، عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم. فقال: "والذي نفسي بيده إنه ليخففه على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا"[(٣)].

---

(١) قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ هِشَامُ بْنُ بِلَالٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ وُثِّقُوا.

(٢) أخرجه الحاكم: ٦١٦/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وصححه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد: ٢٤٦/١٨، بإسناد ضعيف، لضعف ابن لهيعة: وهو عبد الله، وأخرجه أبو يعلى (١٣٩٠) من طريق حسن بن موسى، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبري في التفسير: ٧٢/٢٩، وابن حبان (٧٣٣٤) من طريق عمرو بن الحارث، عن دراج، به. وأورده الهيثمي في مجمع =

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة، قال: ما قدر طول يوم [١٣١/ب] القيامة على المؤمن إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر[١].

وأخرج ابن المبارك، والطبراني، وابن حبان، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تجمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة، ومساكينها؟ فيقومون فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتليتنا فصبرنا، ووليت الأمور والسلطان غيرنا. فيقول الله: صدقتم فيدخلون الجنة قبل الناس بزمن، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان. قالوا: فأين المؤمنون يومئذ. قال: يوضع لهم منابر من نور، ويظلل عليهم بالغمام ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار"[٢].

وبالجملة فالأحاديث في هذا كثيرة شهيرة، وسيأتي الكلام آخر الكتاب إن شاء الله تعالى على معنى قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

[وقوله تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]][٣].

وأخرج ابن عساكر، أن عكرمة سأل ابن عباس عن يوم القيامة أمن الدنيا هو؟ أو من يوم الآخرة؟ قال: صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة.

=

الزوائد: ١/٣٣٧٠، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه! وحَسن الحافظ إسناده في الفتح: ١١/٤٤٨.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٣٠٤٩.

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد: (١٠/٣٣٧) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٧/١٢٨، رقم ٣٤٧١٥).

(٣) ساقط من (ر).

فصل

فيما يلقاه الناس في الموقف من الأهوال

أخرج ابن المبارك، عن كعب، قال: لو أن رجلًا كان له مثل عمل سبعين نبيًا يخشى أن لا ينجو من شر ذلك اليوم.

وأخرج البيهقي، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] تشخص فيه فلا ترد إليهم مهطعين إلى الداعى عامدين إليه مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء.

قالوا: انتزعت قلوبهم حتى صارت في حناجرهم، لا تخرج من أفواههم ولا ترجع إلى أماكنها. وأخرج ابن المبارك: أن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن.

والسعيد الذي يجد لقدمه موضعًا يضعهما عليه، وإن الشمس تدني من رؤوسهم أما قال: ميل أو ميلان، ثم يزاد في حرها بضعة وستون ضعفًا.

وفي [١٣٢/أ] الصحيحين، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: "يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه[(١)]". وعند الشيخين مرفوعًا: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعًا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم[(٢)]".

وفي مسلم، عن المقداد بن الأسود مرفوعًا: "تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا[(٣)]". وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه.

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٣٩٣/٥، رقم ٦١٦٦)، والترمذي: (٤٣٤/٥، رقم ٣٣٣٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (١٤٣٠/٢، رقم ٤٢٧٨)، وأخرجه أيضًا: أحمد: (١٢٥/٢، رقم ٦٠٧٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٣٩٣/٥، رقم ٦١٦٧).

(٣) أخرجه مسلم: (٢١٩٦/٤، رقم ٢٨٦٤). وأخرجه أيضًا: الطبراني: (٢٥٥/٢٠، رقم ٦٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢٤٣/١، رقم ٢٥٨).

قال: العلماء: وهذا من الخوارق الواقعة يوم القيامة.

وأخرج أحمد، والطبراني، عن أبي إمامة مرفوعًا: "تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي منها الهام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم[١]". الحديث. وأخرج أحمد، والطبراني، بسند جيد عن أنس يرفعه قال: "لم يلق ابن آدم شيئًا منذ خلقه الله أشد عليه من الموت، ثم إن الموت أهون عليه مما بعده، وأنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة، حتى يلجمهم العرق حتى إن السفن لو أجريت فيه لجرت"[٢].

وأخرج الطبراني، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي، عن ابن مسعود قال: الأرض يوم القيامة نار كلها، والجنة من ورائها، ترى كواعبها وأكوابها فيعرق الرجل حتى يسيح عرقه في الأرض قدر قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه، وما مسه الحساب.

وأخرج البزار، والحاكم، عن جابر مرفوعًا: "إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول: يا رب إرسالك بي إلى النار أهون علي مما أجد". وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب.

وأخرج البيهقي عن ابن عمرو قال: يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق. قيل [١٣٢/ب] له: فأين المؤمنون؟ قال: على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام. وأخرج هناد عن ابن مسعود قال: إن الفجار ليلجمهم العرق يوم القيامة قبل الحساب. قيل: فأين المؤمنون؟ قال: على كراسي قد ظلل عليهم الغمام. ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كساعة من نهار.

وأخرج ابن المبارك، والبيهقي، عن أبي موسى الأشعرى قال: الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم.

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل

---

(١) أخرجه أحمد: (٢٥٤/٥، رقم ٢٢٢٤٠)، والطبراني: (١٨٨/٨، رقم ٧٧٧٩). قال الهيثمي: (٣٣٥/١٠): رجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن، وقد وثقه غير واحد.

(٢) أخرجه الحاكم: (٦٤٨/٤ رقم ٨٧٩١) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٥٠/٧، رقم ٣٤١٣١) وأبو نعيم في الحلية: (٢٦١/١)، والخطيب: (٤٤٧/٥).

قلبه متعلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"(١).

قال صاحب مطامح الأفهام: إظلال الله عز وجل لهم عبارة عن أنه يقيهم أهوال المحشر، ويعصمهم من حر الشمس حينئذ، ويحميهم من شدة العطش الذي يصيب الخلق حينئذ من طول الوقوف.

وأخرج أحمد، والحاكم، عن سهل بن حنيف مرفوعًا: "من أعان مجاهدًا في سبيل الله، أو غارمًا في عثرته، أو مكاتبًا في رقبته، أظله الله يوم لا ظل إلا ظله(٢)".

وأخرج الطبراني، عن جابر، مرفوعًا: "من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه".

وأخرج الأصبهاني، والديلمي، عن أنس مرفوعًا: "التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة"(٣).

وأخرج الطبراني، عن جابر مرفوعًا: "أظله الله في ظله يوم القيامة من أنظر معسرًا(٤)".

وأخرج أيضًا عن جابر مرفوعًا: "من كفل يتيمًا أو أرملة أظله الله في ظله يوم القيامة"(٥).

---

(١) أخرجه أحمد: (٤٣٩/٢، رقم ٩٦٦٣)، والبخاري: (٢٣٤/١، رقم ٦٢٩)، ومسلم: (٧١٥/٢، رقم ١٠٣١)، والنسائي في الكبرى: (٤٦١/٣، رقم ٥٩٢١)، وابن حبان: (٣٣٨/١٠، رقم ٤٤٨٦). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة: (١٨٥/١، رقم ٣٥٨).

(٢) أخرجه أحمد: (٤٨٧/٣، رقم ١٦٠٢٩)، قال الهيثمي: (٢٤١/٤): فيه عبيد الله بن سهل بن حنيف، ولم أعرفه، وبقية رجاله حديثهم حسن. وعبد بن حميد: (ص ١٧٢، رقم ٤٧١)، والطبراني: (٨٦/٦، رقم ٥٥٩٠)، والحاكم: (٢٣٦/٢، رقم ٢٨٦٠) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي: (٣٢٠/١٠، رقم ٢١٤١٠).

(٣) ضعفه المنذري (٣٦٥/٢) وقال: رواه الأصبهاني وغيره.

(٤) لم أعثر في الطبراني على حديث جابر، ففي الأوسط: ٢٥٤/٤، من حديث شداد بن أوس، وعن كعب بن عجرة: ٢٩٤/٤، ومن حديث أبي اليسر: ١٣/٥، ومن حديث عائشة: ١٥٤/٨.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط: (١١٧/٩، رقم ٩٢٩٢). قال الهيثمي: (٢١/٣): فيه الخليل بن مرة وفيه كلام.

وأخرج الطبراني، وابن عدي، والأصبهاني، عن أبي هريرة مرفوعًا: "أوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي، [١٣٣/أ] حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار، وإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي، وأن أسكنه في حضرة قدسي وأدنيه في جواري[(١)]".

وأخرج أحمد، والبيهقي، عن عائشة مرفوعًا: "أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، ويحكمون للناس حكمهم لأنفسهم[(٢)]".

وأخرج الحاكم، وابن أبي الدنيا، عن أبي ذر قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صل على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله[(٣)]".

وأخرج أبو الشيخ، والديلمي، عن أنس مرفوعًا: "ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة: واصل الرحم يزيد الله في رزقه ويمد في أجله، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتامًا صغارًا، فقالت: لا أتزوج أقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله، وعبد صنع طعامًا فأضاف ضيفه وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعمه"[(٤)].

وأخرج الطبراني، والديلمي، عن أبي أمامة مرفوعًا: "ثلاثة في ظل الله يوم

---

(١) ذكره الحكيم: (٩٧/٣). وأخرجه أيضًا: الديلمي: (١٣٩/١، رقم ٤٩٤).

(٢) إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وهو عبد الله، وقد تفرد به، وهو ممن لا يحتمل تفرده، وبقية رجاله ثقَات رجال الصحيح.

وأخرجه الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة: ص١١٣ من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد. وقال: هذا حديث غريب، ولم أره إلا من حديث ابن لهيعة، وخالدٌ معروف.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ٦/١ و١٨٦/٢-١٨٧، والحافظ في الأمالي: ص٢٠٢-٢٠٣ من طريق يحيى، به. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب، تفرد به ابن لهيعة عن خالد. أخرجه أحمد: ٤٠/٤٤٠.

(٣) أخرجه الحاكم: (٥٣٣/١، رقم ١٣٩٥) وقال: رواته عن آخرهم ثقات. والبيهقي في شعب الإيمان: (١٥/٧، رقم ٩٢٩١) وقال: يعقوب بن إبراهيم هذا أظنه المدني المجهول وهذا متن منكر.

قال المناوي: (٦٢/٤): قال الذهبي: منكر ويعقوب واه ويحيى لم يدرك أبا مسلم فهو منقطع، أو أن أبا مسلم رجل مجهول.

(٤) أخرجه الديلمي: (٩٩/٢، رقم ٢٥٢٦).

القيامة: رجل حيث توجه علم أن الله تعالى معه، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل يحب الناس لجلال الله"(١).

وأخرج الديلمي، عن علي مرفوعًا: "حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه(٢)".

وأخرج ابن شاهين، والديلمي، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا: "يصيح صائح يوم القيامة أين الذين عادوا المرضى في الدنيا، فيجلسون على منابر من نور يحدثون الله، والناس في الحساب(٣)". وأخرج الطبراني، عن أبي أمامة مرفوعًا: "بشر المدلجين في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزعون(٤)".

وأخرج مسلم، عن ابن عمر مرفوعًا: "أن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور [١٣٣/ب] عن يمين العرش؛ هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا(٥)".

وأخرج مسلم، عن أبي هريرة مرفوعًا: "يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي(٦)".

وأخرج أحمد، وابن حبان، والترمذي، عن معاذ بن جبل مرفوعًا: "المتحابون في

---

(١) قال الهيثمي: ٢٧٩/١٠: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ بِشْرُ بْنُ نُمَيْرٍ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

(٢) أخرجه الديلمي: (٢٤/١/١) كما في الضعيفة للألباني: (١٨١/٥، رقم ٢١٦٢).
قال المناوي: (٢٢٦/١): ضعيف لأن فيه صالح بن أبي الأسود له مناكير، وجعفر الصادق، قال في الكشاف عن القطان: في النفس منه شيء انتهى. والحديث موضوع كما قال الغماري في المغير (ص ١٢).

(٣) أخرجه ابن عساكر: (١٤٨/٥).

(٤) أخرجه الطبراني: (١٤٢/٨، رقم ٧٦٣٣) قال المنذري: (١٣٤/١): في إسناده نظر. وقال الهيثمي: (٣١/٢): فيه سلمة العبسي، عن رجل من أهل بيته، ولم أجد من ذكرهما.

(٥) أخرجه أحمد: (١٥٩/٢، رقم ٦٤٨٥)، ومسلم: (١٤٥٨/٣، رقم ١٨٢٧)، والنسائي: (٢٢١/٨، رقم ٥٣٧٩) وأخرجه أيضًا: الحاكم: (١٠٠/٤، رقم ٧٠٠٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والخطيب: (٣٦٧/٥).

(٦) أخرجه أحمد: (٢٣٧/٢، رقم ٧٢٣٠)، ومسلم: (١٩٨٨/٤، رقم ٢٥٦٦)، وابن حبان: (٣٣٤/٢، رقم ٥٧٤). وأخرجه أيضًا: مالك: (٩٥٢/٢، رقم ١٧٠٨)، وابن المبارك: (٢٤٧/١، رقم ٧١١).

الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء[(١)]".

وأخرج الطبراني بسند جيد، عن ابن عباس، مرفوعًا: "إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش على منابر من نور، وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين، قيل من هم: قال: المتحابون لجلال الله[(٢)]".

وأخرج أيضًا بسند لا بأس به، عن أبي أيوب مرفوعًا: "المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش[(٣)]".

وفي مرفوع ابن عمر: "إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور، عليها قباب من در، ثم ينادي مناد: أين الفقهاء؟ وأين الأئمة والمؤذنون؟ اجلسوا على هذه، فلا روع عليكم، ولا خوف حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب".

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن عمر مرفوعًا: "إن لله عبادًا استخصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس، وآلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة أجلسوا على منابر من نور يحادثون الله، والناس في الحساب".

قلت: وبالجملة فالأحاديث في مثل هذا مما يطول ذكرها.

وإذا تأملت وجدت المسلمين ولله الحمد بخير، نسأل الله سبحانه أن يميتنا على الإسلام في خير وعافية آمين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٢٨/٥، رقم ٢٢٨٣٤)، وابن حبان: (٣٣٨/٢، رقم ٥٧٧)، والحاكم: (١٨٧/٤، رقم ٧٣١٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وابن عساكر: (٤٢٦/٥٨). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٦٤/٧، رقم ٨٦٠).

(٢) أخرجه الطبراني: (١٣٤/١٢، رقم ١٢٦٨٦). قال الهيثمي: (٢٧٧/١٠): رجاله وثقوا.

(٣) أخرجه الطبراني: (١٥٠/٤، رقم ٣٩٧٣)، قال الهيثمي: (٢٧٧/١٠): فيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي، وقد وثق على ضعف كثير. وأخرجه أيضًا: ابن عدي: (١٥٦/٤، ترجمة ٩٧٩ عبد الله ابن عبد العزيز بن أبي ثابت).

فصل

في الشفاعة العظمى العامة

وستأتي الشفاعة(١) الخاصة. قد مر أن مقدار الوقوف بالمحشر خمسون ألف سنة، وأن الشمس تدني من رؤوس الخلائق مقدار ميل، وأن عرق الخلق ينزل في الأرض سبعين [١٣٤/أ] باعًا حتى قال: بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض، وأذابت الجوامد، ونشفت الأنهار، فإذا حصل ذلك الكرب العظيم لجميع الخلق من إنس وجن ووحش وطير وطال مقامهم واشتد زحامهم؛ احتاجوا لشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وهي الشفاعة الكبرى، التي تعم جميع الخلائق، وتنقذهم من طول الوقوف، وشدة الحر والعطش وكثرة العرق، قال الله سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال علماء التفسير: أن المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه هو الشفاعة.

بل قال: الواحدي: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة.

أخرج الشيخان، وغيرهما عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذاك؛ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذ لهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون. فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه؟وما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم عليه السلام فيأتون آدم عليه السلام، ويقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة

---

(١) الشَّفَاعَةِ: لُغَةً: الْوَسِيلَةُ وَالطَّلَبُ، وَعُرْفًا: سُؤَالُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، كَذَا عَرَّفَهَا بَعْضُهُمْ، وَالْحَقُّ أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّفْعِ الَّذِي ضِدُّ الْوَتْرِ، فَكَأَنَّ الشَّافِعَ ضَمَّ سُؤَالَهُ إِلَى سُؤَالِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، مِنْ شَفَعَ يَشْفَعُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ شَفَاعَةً، فَهُوَ شَافِعٌ وَشَفِيعٌ، وَالْمُشَفِّعُ بِكَسْرِ الْفَاءِ الَّذِي يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ، وَالْمُشَفَّعُ الَّذِي تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَفَاعَاتٍ: الْأُولَى الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَشْفَعُ فِيهَا لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَدَافَعَهَا الْأَنْبِيَاءُ أَصْحَابُ الشَّرَائِعِ آدَمُ إِلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ. لوامع الأنوار البهية: ٥٢/١.

فسجدوا لك فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا. فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا [١٣٤/ب] فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله"، فذكر كذباته "نفسي نفسي. اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله"، ولم يذكر ذنبًا. "اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد. فيأتونني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي فيقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعط، اشفع تشفع. فأقول: يا رب أمتي أمتي[(١)]". الحديث. وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة: أن بين إتيان [١٣٥/أ] أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحًا ألف سنة، وكذا بين كل نبي ونبي.

---

(١) أخرجه الطيالسي: (ص ٢٦٨، رقم ٢٠١٠)، وأحمد (١١٦/٣، رقم ٢١٧٤)، وعبد بن حميد: (ص ٣٥٧، رقم ١١٨٦)، والبخاري: (١٦٢٤/٤، رقم ٤٢٠٦)، ومسلم: (١٨٠/١، رقم ١٩٣)، والنسائي في الكبرى: (٣٦٤/٦، رقم ١١٢٤٣)، وابن ماجه: (١٤٤٢/٢، رقم ٤٣١٢)، وابن حبان: (٣٧٧/١٤، رقم ٦٤٦٤).

قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف لذلك على أصل.

قال: وقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يغتر بشيء منها.

وفي حديث أبي هريرة "ثم يأتونني فإذا جاءوني خرجت حتى آتي قدام العرش فأخر ساجدًا، فلا أزال ساجدًا حتى يبعث الله ملكًا فيأخذ بعضدي فيرفعني". فيقول الله عز وجل: يا محمد. فأقول: نعم وهو أعلم فيقول: ما شأنك؟ فأقول: "يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك واقض بينهم" قال: فيقول "قد شفعتك ائتهم واقض بينهم".

قال عليه الصلاة والسلام: فأنصرف حتى أقف مع الناس فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حسا من السماء شديدًا فهالنا. فينزل أهل سماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الإنس والجن حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض لنورهم فأخذوا مصافهم، فقلنا: أفيكم ربنا؟ فقالوا: لا وهو آت ثم ينزل أهل السموات على قدر ذلك على التضعيف حتى ينزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان الملك ذى الملكوت رب العرش والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت. سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة سبحانه أبدًا أبدًا، فينزل تعالى جل ذكره يحمل عرشه ثمانية يومئذ، وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم فيضع الله جل ذكره كرسيه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي نداء يسمعه الخلائق: يا معشر الجن والإنس إني أنصت من يوم خلقتكم إلى يومكم [١٣٥/ب] هذا أسمع كلامكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا لي، فإنما هي صحائفكم وأعمالكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه(١).

وقال الإمام الفخر: روى الضحاك، عن ابن عباس قال: تشق السموات سماء

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده: ٨٤/١، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة: ٢٨٣/١، وأبو الشيخ في العظمة: ٨٢١/٣، والبيهقي في البعث والنشور: ٣٣٦/١.

سماء، فينزل سكانها فيحيطون بالعالم فيصيرون سبع صفوف حول العالم، ثم يؤتى بجهنم فإذا رآها أهل الأرض ندوا فلا يأتون قطرًا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه. فذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣] أي منصرفين.

وقال زيد: نادين فارين غير معجزين.

وأورد الفخر على نزول الملائكة سؤالًا وهو أنه قال: قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى السماء كحلقة في فلاة من الأرض، فكيف بالقياس إلى العرش والكرسي؟ قال: فملائكة هذه المواضع بأسرها أي شيء يسعها؟ وحكي عن بعض المفسرين جواب ذلك وهو أن الملائكة تكون في الغمام – انتهى.

والأحسن أن يقال إن الله تعالى يزيد في سعة الأرض كيف شاء، لا إله إلا هو على كل شيء قدير.

فصل

في إتيان الله تعالى إلى المحشر

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] الآية.

الظلل: جمع ظلة وهو ما أظل.

والغمام: لا يظل لأنه أرق السحاب وأصفاه وأحسنه، وهو الذي ظلل بني إسرائيل.

والغمام المذكور هنا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

قال المفسرون: غمام أبيض رقيق مثل الضباب.

ولم يكن إلا لبني إسرائيل في التيه، إذا تقرر هذا فاعلم أن ظاهر هذه الآية غير معمول به لاقتضاءه الإتيان وهو الانتقال والحركة.

وقد [١٣٦/أ] أجمع العقلاء من المفسرين وغيرهم أن المجيء والذهاب على الله تعالى محال.

حكاه الإمام الفخر، لأن كل ما صح عليه ذلك وجب أن يكون محدثًا، تعالى الله عن ذلك.

فإذا ثبت صرف الآية عن ظاهرها ففي تأويلها مذهبان:

فمذهب السلف الصالح لا يجوز التأويل خوفا من الوقوع في الخطأ.

قال: الكلبي: هذا من السر المكتوم الذي لا يفسر.

قال الثعلبي، ومالك، والأوزاعي، وأحمد، وإسحاق، وجماعة من المشايخ يقولون في هذه وأمثالها: اقرءوها كما جاءت بلا كيف.

ومذهب الخلف قالوا: يجوز التأويل. وهو قول الجمهور والمتكلمين.

واختلفوا في تأويل هذه الآية فقيل: يقدر آيات أو أمر: أي هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ آيات الله أَوْ أَمْرُ الله.

فجعل مجيء الآيات أو الأمر مجيئًا له على سبيل التفخيم لشأن الآيات أو الأمر كما يقال: جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته.

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ [المجادلة: ٥] أي أولياء الله.

وقيل: تقدير الآية هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب، فحذفه إبهاما عليهم لأنه أبلغ في الوعيد لإنقسام خواطرهم، وذهاب فكرهم، في كل وجه.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢].

وقيل: إن في بمعنى الباء أي بظلل من الغمام فيها عذابهم. وقيل: إن المراد بذلك تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع لشدة ما يكون في يوم القيامة.

وقيل: إن الإتيان في الظلل مضاف إلى الملائكة، والمضاف إلى الله تعالى الإتيان فقط، وتكون الآية على التقديم والتأخير، وهو قول القفال.

قلت: وفيه نظر. وقيل: إن المخاطب بها اليهود والمعنى: لا يقبلون دينك يا محمد إلا أن يأتيهم الله الآية كما سألوا موسى حين قالوا: [١٣٦/ب] ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

فيمكن إجراء الآية على ظاهرها، لأن مذهبهم يجوز المجيء والذهاب على الله تعالى، وكانوا يقولون: إن الله تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام، وطلبوا مثل ذلك من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحح الفخر هذا القول.

وقال على هذا التقدير فالآية حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه، ولا يحتاج حينئذ إلى التأويل، ولا إلى حمل اللفظ على المجاز.

وقال بدر الدين الزركشي: قال: مسلمة بن القاسم: في كتاب غرائب الأصول: حديث تجلي الله يوم القيامة ومجيئه في الظلل محمول على أن الله يغير أبصار خلقه حتى يروه كذلك، وهو على عرشه غير متغير عن عظمته، ولا منتقل عن ملكه. كذلك جاء معناه عند عبد العزيز الماجشون قال: فكل حديث جاء في التنقل والرؤية في المحشر معناه أنه تعالى يغير أبصار خلقه فيرونه نازلا ومتجليًا ويناجي خلقه ويخاطبهم، وهو غير متغير عن عظمته ولا منتقل، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. أي عن أمر عظيم شديد وكثير من العرب، يجعل كشف الساق استعارة عن تفاقم الأمر وشدته.

فيقولون: كشفت الحرب عن ساقها أي عن شدتها وعظمتها.

وقال بعض أهل اللغة: إن الرجل كان إذا وقع في شدة كشف عن ساقه وشمر لها.

وهذا إيذان أن ذلك الوقت في غاية الشدة والصعوبة، ولذلك جاء (بساق) نكرة إذ ليست لها غاية تدرك فتعرف.

قال ابن عباس: هذا أشد ساعة في القيامة، ولو أراد ساقا معهودة لجاء بالألف واللام.

وقيل: المعنى أنه [١٣٧/أ] يكشف عن ساق العرش، أو عن جهنم، بأن يكشف عنها الغطاء.

وقيل: المعنى يوم يشتد الحال.

وعن جعفر يكشف عن الأهوال والشدائد والصراط والحساب، فمن سبقت له العناية والرحمة سلم من تلك الأهوال والشدائد، وليس المراد حقيقة الجارحة المعروفة لغة لإفضائه إلى التركيب والتجسيم والكفر. تعالى الله عن ذلك، بل لا بد من حمل هذا وما شاكله على ما يليق بعظمة الله تعالى وجلاله.

إذا علمت هذا فحكى الثعلبي، عن ابن عباس مرفوعًا. قال: من الغمام طاقات يأتي الله تعالى فيها محفوفة بالملائكة، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال الحسن: في ظلل من الغمام أي في سترة من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض.

وحكى الفخر، عن مقاتل قال: تنشق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر من سكان الأرض، ثم تنشق سماء سماء، ثم ينزل الكروبيون حملة العرش، ثم ينزل الرب جل جلاله.

وفي الثعلبي عن أبي هريرة قال: إذا كان يوم القيامة يأتي الله تعالى في ظلل من الغمام، فيتكلم بكلام طلق ذلق. فيقول: أنصتوا، فطال ما أنصت لكم منذ خلقتكم، أرى أعمالكم، وأسمع أقوالكم، فإنما هي صحائفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وأخرج الطبراني، عن ابن عمرو، مرفوعًا قال: "إن الله يجمع الأمم يوم القيامة،

ثم ينزل عن عرشه إلى كرسيه، وكرسيه وسع السموات والأرض"(١).

وأخرج الدارقطني، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي الدنيا، عن ابن مسعود مرفوعًا قال: " يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا أربعين سنة، شاخصة أبصارهم، ينظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام [١٣٧/ب] من العرش إلى الكرسي، ثم يناد مناد: أيها الناس ألم ترضوا عن ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، أن يولي كل إنسان منكم ما كان يعبد في الدنيا، ويتولى، أليس ذلك عدلًا من ربكم؟" قالوا: بلى. قال: "فلينطلق كل إنسان منكم إلى ما كان يتولى في الدنيا". ويمثل لهم ما كانوا يعبدون. فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة، وأشباه ما كانوا يعبدون، ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير. حتى يمثل لهم الشجر والعود والحجر ويبقى أهل الإسلام، فيمثل لهم الرب تعالى فيأتيهم فيقول: لم لا تنطلقون؟ فيقولون: إن لنا ربًا ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرفون ربكم إذا رأيتموه؟ فقالوا: بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه. قال: وما هي؟ قالوا: الساق فيكشف عن ساق. قال: فيخر كل مؤمن ساجدًا ويبقى قوم ظهورهم كصياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون ثم يؤمرون فيعطون نورهم على قدر أعمالهم. فمنهم من يعطي نوره على قدر الجبل بين يديه ومنهم من يعطي نوره دون ذلك(٢). الحديث.

---

(١) أخرجه الطبراني: (١٨٠/١٠) وقال الهيثمي: (٣٤٣/١٠): فيه عبد الأعلى بن أبي المساور، وهو متروك.

(٢) أخرجه الحاكم: ٤٠٨/٢، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

فصل

في الإتيان بالجنة وجهنم للمحشر

قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١] أزلفت: أي قربت حتى يراها كل أحد من أهل المحشر.

وبروز النار ظهورها في المحشر، وعند ذلك يكون الفزع الأكبر.

لأن الله تعالى يأمر بالجنة فتزخرف، وتزلف، ويؤتى بها ولها نسيم طيب، أعبق ما يكون وأزكى، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، فتبرد النفوس، وتحيى القلوب إلا من كانت أعمالهم خبيثة، فيمنعون من ريحها، فتوضع عن يمين [١٣٨/أ] العرش، ثم يؤمر أن يؤتى بالنار فيؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام؛ في كل زمام سبعون ألف حلقة، لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة، ولها شهيق وزفير ورعد وشرر ودخان يفور، حتى يسد الأفق ظلمته، وتشرد من أيدي الخزنة، ولم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها، حتى يجثو كل من بالموقف على ركبتيه حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش، وكل منهم يقول: نفسي نفسي.

وفي تفسير الثعلبي قال أبو سعيد: لما نزلت ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]. تغير لون النبي صلى الله عليه وسلم، وعرق في وجهه، حتى اشتد على أصحابه ثم قال: أقرأني جبريل ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] إلى قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣].

قال: علي رضي الله تعالى عنه: كيف يجاء بها؟ قال: يجيء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم أتعرض لجهنم فتقول: ما لي وما لك يا محمد، فقد حرم الله لحمك علي. فلا يبقى أحد إلا قال: نفسي نفسي. وإن محمداً يقول: يا رب أمتي أمتي. وفي مسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها[١]".

---

(١) أخرجه مسلم: (٢١٨٤/٤، رقم ٢٨٤٢)، والترمذي: (٧٠١/٤، رقم ٢٥٧٣).

وقال ابن مسعود، ومقاتل في هذه الآية: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، لها تغيظ وزفير، حتى تنصب عن يسار العرش، فيومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى، يقول يا ليتني قدمت لحياتي.

وفي تفسير مكي في قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، من حديث أبي هريرة قال: يأمر الله عز وجل جهنم فيخرج منها عنق من نار ساطع فينطق يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]. قال: فيتميز الناس ويجثون وهي التي [١٣٨/ب] يقول الله عز وجل: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] الآية.

وفي الثعلبي قال سليمان: إن في القيامة ساعة، وهي عشر سنين يحشر الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي.

وقال كعب: تزفر جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه يقول: يا رب نفسي نفسي، ثم إن هذا لفي كتاب الله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] أي تخاصم وتحتج عن نفسها بما أسلفت من خير أو شر، مشتغلة بها، لا تفزع إلى غيرها.

فصل

في عرض الخلق على الله

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

قال الفخر في تفسير الصف وجوه:

أحدها: أن تعرض الخلق على الله تعالى صفا واحدًا، ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضًا. وثانيها: لا يبعد أن يكونوا صفوفا يقف بعضهم وراء بعض، كالصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض.

وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله تعالى ﴿صَفًّا﴾: صفوفا كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أي أطفالا.

وثالثها: المراد به قيامًا، كما قال: تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦]. أي قائمة.

أخرج ابن ماجه، عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: "تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير. وأما الثالثة: فتطاير الكتب في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله[1]".

وأخرج البيهقي، عن ابن مسعود، قال: "تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات. فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فتطاير الكتب في الأيمان والشمائل[2]".

---

(١) أخرجه أحمد: (٤/٤١٤، رقم ١٩٧٣٠)، وابن ماجه: (٢/١٤٣٠، رقم ٤٢٧٧) قال البوصيري: (٤/٢٥٤): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(٢) لم أعثر على رواية للحديث من طريق ابن مسعود.

والحديث من طريق أبي هريرة: أخرجه الترمذي: (٤/٦١٧، رقم ٢٤٢٥) وقال: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

=

قال الحكيم الترمذي: الجدال للأعداء، يجادلون، لأنهم لا يعرفون ربهم، فيظنون أنهم إذا جادلوه [١٣٩/أ] نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله، يعتذر إلى آدم وإلى أنبيائه، ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعث بهم إلى النار.

والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الحياء والخجل، ثم يغفر لهم، ويرضى عنهم.

وأخرج ابن منده في التوحيد، عن معاذ بن جبل مرفوعا. قال: "إن الله ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير قطيع: يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، أحضروا حجتكم، ويسروا جوابا، فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب(١)".

وأخرج أبو داود، وابن حبان، عن أبي الدرداء مرفوعاً: "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسمائكم(٢)".

وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات، عن أبي سعيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة، أقبلت النار يركب بعضها بعضا وخزنتها يكفونها، وهي تقول: وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي، أو لأغشين الناس عنقا واحدة. فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار: فتخرج لسانها فتلقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها، ثم تستأخر ثم تقبل يركب بعضها بعضا، وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقا واحدة. فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل

=

وحديث أبى موسي: أخرجه أحمد: (٤/٤١٤، رقم ١٩٧٣٠)، وابن ماجه: (٢/١٤٣٠، رقم ٤٢٧٧) قال البوصيري: (٤/٢٥٤): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(١) أخرجه الديلمي، وعزاه القرطبى في التفسير (١٠/٤١٧) إلى عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد.

(٢) أخرجه أحمد: (٥/١٩٤، رقم ٢١٧٣٩)، وأبو داود: (٤/٢٨٧، رقم ٤٩٤٨)، وابن حبان: (١٣/١٣٥، رقم ٥٨١٨)، وأبو نعيم في الحلية: (٥/١٥٢)، والبيهقي: (٩/٣٠٦، رقم ١٩٠٩١).

جبار كفور، فتلقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها ثم تستأخر ثم تقبل يركب بعضها بعضا، وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقا واحدة. فيقولون: ومن أزواجك؟ [١٣٩/ب] فتقول: كل مختال فخور، فتلقطهم بلسانها فتقذفهم في جوفها. ثم تستأخر ويقضي الله بين العباد"(١).

وأخرج البزار، واللفظ له، وأحمد، وأبو يعلى، والطبراني، عن أبي سعيد مرفوعا: "يخرج عنق من النار يوم القيامة فيتكلم بلسان طلق ذلق. لها عينان تبصر بهما، ولسان تتكلم به فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبمن قتل نفسا بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام(٢)".

وفي كلام ابن عباس: يخرج عنق من النار فيشرف على الخلائق، له عينان يبصران، ولسان فصيح فيقول: إني وكلت منكم بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن قتل نفسًا بغير نفس، وبمن جعل مع الله إلها آخر، فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيجلس بهم في جهنم، ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله، فيلقطهم لقط الطير حب السمسم، فيجلس بهم في جنهم، ثم يخرج ثالثة فيقول: وكلت بأصحاب التصاوير فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيجلس بهم في جهنم، فإذا أخذ أولئك نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٧٩/٢، رقم ١١٤٥). قال الهيثمي (٣٩٢/١٠): رجاله وثقوا إلا أن ابن إسحاق مدلس. ومن غريب الحديث: "عنقا واحدا": طائفة واحدة أى دفعة واحدة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: (٥١/٧، رقم ٣٤١٤١)، والبزار، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠)، والطبراني في الأوسط: (١٠٣/١، رقم ٣١٨) قال الهيثمي (٣٩٢/١٠): أحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح.

فصل

في الإتيان بالصحف وأخذها باليمين والشمال

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

قال الثعلبي: أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب.

وإنما يؤتى بالصحف إلزاما للعبد.

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

ومعنى طائره: عمله. وما قدر عليه من خير وشر.

قال مقاتل والكلبي: خيره وشره معه لا يفارقه.

وأخرج العقيلي، عن أنس مرفوعًا قال: "الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة بعث الله ريحا فتطيرها بالأيمان والشمائل، أول خط فيها ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] (١)".

قال قتادة: سيقرأ [١٤٠/أ] يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا.

وذكر الغزالي: بينما الناس في الموقف إذ طلعت عليهم سحابة سوداء فأمطرتهم صحفا منشرة، فصحيفة المؤمن ورقة ورد، وصحيفة الكافر ورقة سوداء، ثم تطير الصحف منشورة لأصحابها. فذلك قوله تعالى:﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

ولو أخذه مطويًا لم يجد أين ينشره لكثرة الزحام. وقال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الفخر وغيره في هذا الكتاب: هو صحائف الأعمال توضع في هذا اليوم لكل إنسان في يده، إما في اليمين وإما في الشمال.

قال: والمراد بالكتاب الجنس وهو صحيفة الأعمال.

---

(١) أخرجه العقيلي: ٤٦٦/٤.وفيه يَغْنَمُ بْنُ سَالِمِ بْنِ قَيْسٍ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: ٤٩]. قال: المفسرون: يعني الكتب التي فيها أعمال العباد.

وقال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣] الآية.

قال مكي: في صحف كتبتها الملائكة.

ومعنى ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ [عبس: ١٤] يعني في اللوح المحفوظ.

و(السفرة): جمع سافر وهم الكتبة من الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.

وقيل في هذه الصحف: إنها اللوح المحفوظ.

وقيل: كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] إلى قوله: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

الرقيب: الحافظ، والعتيد: الحاضر، والمتلقيان هما الملكان اللذان يكتبان الأعمال ويثبتانها في صحفها، أحدهما عن اليمين وهو صاحب الحسنات، والآخر عن الشمال وهو صاحب السيئات، فيكتبان على العبد جميع ما يلفظ به من قول، كما قال تعالى. قال مجاهد: يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه.

وقد مر الكلام على هذا في الملائكة الحفظة فراجعه.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] الفتيل: هو القشر الذي في شق النواة.

قال الفخر: وهذا يضرب المثل به للشيء الحقير. وروى مجاهد، عن ابن عباس [١٤٠/ب] أن الفتيل: هو الوسخ الذي يظهر بفتل الإنسان إبهامه بسبابته. وإنما خص القراءة بمن أوتي كتابه بيمينه، دون من أوتيه شماله لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة، والقبائح الكاملة، فيستولي الخوف والدهش على قلوبهم، ويثقل لسانهم، فيعجزوا عن القراءة الكاملة.

وأما أصحاب اليمين فإذا طالعوها ألقوها على الكمال فيقرؤون كتابهم على أحسن الوجوه وأتمها، ثم لا يقنع أحدهم بقراءته وحده بل يقول لأهل المحشر: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. كذا قال الفخر.

وأخرج ابن المبارك قال: عمر لكعب: حدثنا من حديث الآخرة قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا

وهو ينظر إلى عمله، ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش، ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه[١].

وأخرج الديلمي عن أبي هريرة مرفوعا، قال: عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس[٢].

وكذا قال: ابن مسعود: عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة الثناء الحسن.

وفي تفسير مكي في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا نبي الله كيف يحاسب حسابا يسيرا؟ قال: "يعطى العبد كتابه بيمينه فيقرأ سيئاته، ويقرأ الناس حسناته، ثم يحول صحيفته فيحول الله حسناته، فيقرؤها الناس. فيقولون: ما كان لهذا العبد من سيئة. وأما الأهل الذي ينقلب إليهم فهم أهله في الجنة".

وفي الترمذي وحسنه، وابن حبان، والبيهقي، والبزار، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة مرفوعًا. في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] [١٤١/أ] قال: "يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه، ويمد في جسمه ستون ذراعًا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد. فيقولون: اللهم ائتنا بهذا، وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول: أبشروا فإن لكل واحد منكم مثل ذلك.

وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد في جسمه ستون ذراعا، ويجعل على رأسه تاج من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا. اللهم لا تأتينا بهذا. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخره. فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا"[٣].

وأخرج أحمد، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: "أما عند ثلاث فلا: عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف، وعند تطاير

---

(١) أخرجه ابن المبارك بطوله: ١١٧/٢. وفيه راو مبهم (رجل من بني أسد).

(٢) أخرجه الديلمي: (٥٠/٣، رقم ٤١٢٨) قال المناوي: (٣٦٥/٤): فيه محمد بن الحسن الأزدي، قال الذهبي: قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، ومحمد بن كثير المصيصي ضعفه أحمد.

(٣) أخرجه الترمذي: (٣٠٢/٥ رقم ٣١٣٦) وقال: حسن غريب. وأبو نعيم في الحلية: (١٥/٩). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٣/١١، رقم ٦١٤٤)، وابن حبان: (٣٤٦/١٦، رقم ٧٣٤٩).

الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله، وحين يخرج عتق من النار[(١)]" الحديث.

وقال ابن المسيب في الذي يأخذ كتابه بشماله: تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه.

وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠] قال: يجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه.

[ومعنى ﴿يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ١١] أي ينادي بالثبور والهلاك، واثبورا واويلاه][(٢)].

لطيفة: روي أن أول من يأخذ كتابه بيمينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروي أيضا أن أول من يأخذ كتابه بيمينه: أبو سلمة بن عبد الأسد، وهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة، وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة.

وروي أن أول من يأخذ كتابه بشماله الأسود أخو أبي سلمة المذكور.

وروي أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

---

(١) إسناده ضعيف بهذه السياقة، ابن لهيعة: وهو عبد الله، وإن كان يحيى بن إسحاق وهو السيلحيني من قدماء أصحابه، قد تفرد به، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

وأخرجه الآجري في الشريعة: ص٣٨٤ من طريق يحيى بن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأورده الهيثمي في المجمع: (١٠/٣٥٨،٣٥٩)، وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) ساقط من الأصل.

فصل

في ذكر الميزان

والصحيح أن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم وفيه [١٤١/ب] آيات: قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال الفخر في تفسير هذه الآية: إن قول أئمة السلف أنه سبحانه يضع الموازين الحقيقية ليزن بها الأعمال.

قال الحسن: هو ميزان له كفتان، ولسان، وهو بيد جبريل عليه السلام.

وقال الفخر والثعلبي: روي أن داود عليه السلام سأل ربه جل جلاله أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه فلما أفاق، قال: يا إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفة حسناته؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة.

وقال الفخر في تفسير سورة الأعراف: إن عبد الله بن سلام قال: إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس، يستقبل به العرش إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

قلت: وفي كلام ابن سلام أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك ارتضاه الأئمة. وفي الدرة: ينصب الميزان وهو كفتان؛ كفة عن يمين العرش من درة بيضاء، وكفة عن يساره من ظلمة. وفي التذكرة للقرطبي: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغائرهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا، وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترتفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى، فلا يقاومها إظهارًا لفضل المتقين وذل الكافرين.

وأخرج الحاكم في المستدرك، وصححه على شرط مسلم، عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات

والأرض لوسعهن. فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ [١٤٢/أ] فيقول الله: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[(١)]".

وفي الثعلبي وغيره، وأخرجه ابن جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام.

وفي الثعلبي، عن أنس: أن ملكا من ملائكة الله عز وجل موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم. فيؤتى به حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل الأسعد فلان؛ سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإن خفت موازينه نادى الملك الأشقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

ونقل المفسرون، عن مجاهد أن المراد بالميزان: العدل.

قال الفخر: ويروى مثله عن قتادة والضحاك قال: وحكاه ابن جبير عن ابن عباس وبه قال: الأعمش وكثير من المتأخرين، ورده الفخر.

وقال: إن حمل الموازين على مجرد العدل، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب.

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره، من طريق الكلبي، عن ابن عباس قال: الميزان له لسان وكفتان. واختلف العلماء هل الميزان واحد أو أكثر؟

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري: لكل واحد ميزان لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال بعضهم: الأظهر إثبات الموازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨].

قال: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، وللجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان ولم يرض ابن عطية هذا القول.

---

(١) أخرجه الحاكم: (٦٢٩/٤، رقم ٨٧٣٩) وقال: صحيح على شرط مسلم. وتعقبه ابن رجب في التخويف من النار: (ص ١٦٩) فقال: المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله.
حديث سلمان الموقوف: أخرجه أيضًا: الحسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك: (٤٧٨/١، رقم ١٣٥٧).

وقال: إن الناس على خلافه [١٤٢/ب] وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد.

وأجاب بعضهم: إنما جمع الموازين في الآية لكثرة من توزن أعمالهم، أو هو جمع تفخيم.

واختلف العلماء في الموزون. فقيل: يوزن العبد مع عمله.

وقيل: يجسد العمل ويوزن.

والصواب ما صححه ابن عبد البر، والقرطبي وغيرهما أن الموزون الصحائف.

قال الفخر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يوزن يوم القيامة فقال: "الصحف". وهو مذهب المفسرين لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨] فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال.

وحكاه ابن عطية، عن أبي المعالي قال ابن عطية: وهذا أقربها.

ونقل المفسرون، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وصححه البيهقي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه. فيقول أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر أوحسنة؟ فيقول: لا يارب. فيقول الله: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات !؟ فيقال: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء[١]".

فثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو صحائف الأعمال.

قال النسفي: إن الإيمان لا يوزن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى، لأن ضده الكفر.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (١٤٣٧/٢ رقم ٤٣٠٠)، والحاكم: (٧١٠/١، رقم ١٩٣٧) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: الترمذي (٢٤/٥، رقم ٢٦٣٩) وقال: حسن غريب.

والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان [١٤٣/أ] الواحد.

قلت: وورد أيضًا أن البكاء من خشية الله لا يوزن لعظمه عند الله.

أخرج أحمد مرفوعًا، أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي. فقال: من هذا؟ قال: فلان. قال: جبريل عليه السلام: "إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله يطفئ بالدمعة الواحدة بحورًا من نار جهنم".

وفي مرفوع البيهقي: "لو أن باكيًا بكى في أمة من الأمم لرحموا، وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة، فإنها تطفأ بها بحار من نار"(١).

وأخرج البزار، والطبراني، والدارقطني، والأصبهاني عن أنس مرفوعًا. قال: "يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي الله. فيقول الله: ألقوا هذه واقبلوا هذه. فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل. فيقول عز وجل: إن هذا كان لغير وجهي وإني لا أقبل اليوم إلا ما أبتغي به وجهي"(٢).

والأحاديث في هذا وأمثاله كثيرة فلا تليق بهذا المختصر، (وراجع البدور السافرة للحافظ السيوطى).

لطيفة: اختلف العلماء ما الحكمة في وزن الأعمال، مع أن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وزنه.؟!

قال الثعلبي: لأجل أربعة أشياء.

- إما تعريف الله تعالى العباد ما لهم عنده من جزاء على خير وشر.
- أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا.
- أو جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى.
- أو إقامة الحجة عليهم. انتهى.

قلت: الأحسن أن يقال: الحكمة في إظهار العدل، وبيان الفضل، حيث إنه تعالى

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٤٩٤/١، رقم ٨١١).

(٢) أخرجه الطبرني في الأوسط: ٩٧/٣، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ إِلَّا الْحَارِثُ ابْنُ عُبَيْدٍ.

قال الهيثمي: ٣٥٠/١٠: وَفِي رِوَايَةٍ: «فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ، مَا كَتَبْنَا إِلَّا مَا عَمِلَ! قَالَ: صَدَقْتُمْ إِنَّ عَمَلَهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ.

يزن مثاقيل الذر من أعمال العباد. ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

لطيفة: جاء ما يقتضي تضعيف الحسنات إلى عدد معلوم. قال: تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، [١٤٣/ب] وذلك يقتضي أن الحسنة إلى سبعمائة حسنة.

وجاء أيضًا ما لا يقتضي العدد المعلوم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

وعن أبي عثمان النهدي قال: قدمت إلى مكة حاجًا أو معتمرًا فلقيت أبا هريرة. فقلت: بلغني عنك أنك تقول: الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف حسنة. فقال: لم أقل ذلك ولكني قلت: إن الحسنة تضاعف بألفي ألفي ضعف ثم قال: قال: الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال الحسن: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. أحب إلي من قول العلماء من أن الحسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة، لأن التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلوما، وأما على هذه العبارة التي في كتاب الله تعالى فغير معلوم.

لطيفة في حبط أعمال الكافرين

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] إلى غير ذلك من الآيات، هذا كله بالنسبة إلى الآخرة.

وأما في الدنيا: فإن الله يجازيهم بها.

ففي مسلم، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عامل بها الله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها(١)".

وفي طريق آخر(٢): "إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يؤخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته".

قلت: لكن لو أسلم الكافر [١٤٤/أ] فإنه يعتد بحسناته التي سلفت في حال كفره، كما هو ظاهر الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٨٠٨).

قال النووي: ١٧/١٥٠: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ لَا ثَوَابَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنْ يُطْعَمَ فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَيْ بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا لَا يَفْتَقِرُ صِحَّتُهُ إِلَى النِّيَّةِ كَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ وَالضِّيَافَةِ وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ وَنَحْوِهَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُدَّخَرُ لَهُ حَسَنَاتُهُ وَثَوَابُ أَعْمَالِهِ إِلَى الْآخِرَةِ وَيُجْزَى بها مع ذلك أيضا في الدنيا ولا مانع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ فَيَجِبُ اعْتِقَادُهُ قَوْلُهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً مَعْنَاهُ لَا يَتْرُكُ مُجَازَاتِهِ بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَالظُّلْمُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى النَّقْصِ وَحَقِيقَةُ الظُّلْمِ مُسْتَحِيلَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ وَمَعْنَى أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ صَارَ إِلَيْهَا وَأَمَّا إِذَا فَعَلَ الْكَافِرُ مِثْلَ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَإِنَّهُ يُثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ.

(٢) قال مسلم: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ... الحديث.

وقد اختلف العلماء هل توزن أعمال الكافرين أو الوزن خاص بأعمال المؤمنين؟

فقال بعضهم: توزن أعمال الكافرين لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩] أي يجحدون. قاله مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩].

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] كما استدل به من قال: بعدم وزن أعمالهم أي وزنًا يعتد به فلا نكرمهم ولا نعطيهم، وهذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم كذا قيل.

قال القرطبي: فإن قيل: إذا وزن عمل الكافر بما يقابله في الكفة الأخرى، قلنا: ما كان منه من صلة الأرحام وأفعال البر ونحو ذلك، غير أن الكفر إذا قابلها رجح عليها.

وقال أيضا: الميزان لا تكون في حق كل أحد، فإن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا ينصب لهم ميزان، وكذلك من يعجل به إلى النار لا يقام لهم وزن، وبقية الكفار ينصب لهم الميزان. انتهى.

قلت: فظهر من هذا أن قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] محمول على من يعجل به للنار والآيات الأخر في حق بقية الكافرين، فإذا لا تعارض بين الآيات ولا مجاز في الآية فتأمل.

وقال بعضهم: خيرات الكافر توزن ويجزى بها إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة، فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبي طالب.

وورد أيضا آيات بحسابهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] أي حساب من كفر.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨].

فصل

في ذكر الحساب

وقد ورد به في التنزيل آيات [١٤٤/ب] قال الثعلبي: ومعنى الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه من ذلك، يدل عليه ذلك عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال بعضهم: معنى كونه تعالى محاسبًا لخلقه أنه تعالى يُعلمهم ما لهم وما عليهم.

قال الفخر: بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية، وكيفياتها بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب.

وقال بعضهم: إنه تعالى يكلم عباده في أحوال أعمالهم، وكيفية ما لها من الثواب والعقاب، لما في البخاري مرفوعاً: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه[١]". قال الفخر: فمن قال إن كلامه ليس بصوت ولا حرف قال: إن الله تعالى يخلق في أذن المكلف سمعًا يسمع به كلامه القديم كما أنه يخلق في عينيه رؤية يرى بها ذاته القديمة.

ومن قال: إنه صوت قال: إن الله تعالى يخلق كلامًا يسمعه كلُّ مُكلَّف، إما أن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم أو جسم يقرب من أذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت أن تمنع الغير من فهم ما كلف.

---

(١) أخرجه أحمد: (٢٥٦/٤، رقم ١٨٢٧٢)، والبخاري: (٢٧٠٩/٦، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم: (٧٠٣/٢، رقم ١٠١٦)، والترمذي: (٦١١/٤، رقم ٢٤١٥) وقال: حسن صحيح.

وأخرجه أيضًا: ابن ماجه: (٦٦/١، رقم ١٨٥)، والطبراني: (٩٥/١٧، رقم ٢٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٧٦/٤، رقم ٧٥٣٣)، وفي شعب الإيمان: (٢٤٥/١، رقم ٢٥٩)، وابن منده: (٧٧٥/٢، رقم ٧٨٧) وقال: إسناده صحيح. والرافعي: (١٠٤/٤).

وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ: قَالَ ابن بَطَّالٍ: مَعْنَى رَفْعُ الْحِجَابِ إِزَالَةُ الْآفَةِ مِنْ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَانِعَةِ لَهُمْ مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَيَرَوْنَهُ لِارْتِفَاعِهَا عَنْهُمْ بِخَلْقِ ضِدِّهَا فِيهِمْ.

قال: وهذا هو المراد من كونه تعالى محاسِبًا لخلقه.

ونقل ابن عباس: أن لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله تعالى يعطَوْن كتبهم بأيمانهم ويقال: هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها، ثم يعطون حسناتهم ويقال: هذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم.

وهذا معارض بالأحاديث الصحيحة، والآيات الصريحة، ففي مسلم(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، [١٤٥/أ] وعن عمله ما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه(٢)".

وأخرج ابن المبارك، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، يقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى صلاة عبدي، أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان ينقص منها شيئًا قال الله تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع. قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك(٣)".

---

(١) لم أجده في مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي: (٦١٢/٤، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى: (٤٢٨/١٣، رقم ٧٤٣٤)، وأبو نعيم في الحلية: (٢٣٢/١٠) من حديث أبي برزة.

وأخرجه الطبراني: (١٠٢/١١، رقم ١١١٧٧). وأخرجه أيضًا: في الأوسط: (١٥٥/٩، رقم ٩٤٠٦). قال الهيثمي: (٣٤٦/١٠): فيه حسين بن الحسن الأشقر وهو ضعيف جدا، وقد وثقه ابن حبان مع أنه يشتم السلف. من حديث ابن عباس.

وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٧٤/٥، رقم ٤٧١٠). قال الهيثمي: (٣٤٦/١٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف جدا. من حديث أبي الدرداء.

(٣) أخرجه الترمذي: (٢٦٩/٢، رقم ٤١٣) وقال: حسن غريب، والنسائي: (٢٣٢/١، رقم ٤٦٥)، وابن ماجه (٤٥٨/١، رقم ١٤٢٥) عن أبي هريرة.

وأخرجه أحمد: (٤٢٥/٢، رقم ٩٤٩٠)، وأبو داود: (٢٢٩/١، رقم ٨٦٤)، والنسائي: (٢٣٣/١، رقم ٤٦٦)، والبيهقي: (٣٨٦/٢، رقم ٣٨١٣). وأخرجه أيضًا ابن المبارك: (٣٢٠/١، رقم ٩١٥)، والحاكم: (٣٩٤/١، رقم ٩٦٥) وقال: صحيح الإسناد.

وفي النسائي عن ابن مسعود مرفوعًا: "أول ما يحاسب عليه العبد صلاته وأول ما يقضى بين الناس في الدماء[١]".

فإن قيل قد ورد في التنزيل ما يدل على عدم سؤالهم قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

قال الحسن، وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة.

أجيب بأنهم لا يسألون سؤال استفهام، لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم، وإنما يسألون سؤال التقرير.

فيقال لهم: فعلتم كذا أو يقال: إنهم يسألون في موطن دون موطن.

رواه عكرمة، عن ابن عباس نظير قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥].

وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

فللناس يوم القيامة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات.

واختلفوا في المسؤول عنه، ومن المسؤول؟

فقال ابن عباس: عن لا إله إلا الله.

وقال الضحاك: عن خطاياهم.

وقال القرطبي: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال [١٤٥/ب] ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]. فهذه الآية تقتضي سؤالهم أجمعين عن كل شيء.

قال الفخر: ولا معنى لقول من يقول: إن السؤال إنما يكون عن الكفر، وعن

---

(١) أخرجه الترمذي: (٤/١٧، رقم ١٣٩٦) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا أحمد: (١/٤٤٠، رقم ٤٢٠٠).

الإيمان، بل السؤال واقع عنهما، وعن جميع الأعمال لأن اللفظ عام، يتناول الكل.

والضمير من قوله تعالى: ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ عائد على جميع المكلفين الأنبياء وغيرهم.

ومما يدل على سؤالهم أجمعين صريحًا قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

قال الفخر: هذه الآية تدل على أنه تعالى يحاسب كل عباده، لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين أو مرسلا إليهم(١).

ويبطل قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء عليهم السلام ولا الكفار. انتهى.

ويمكن الجواب أن يقال لا حساب علي الأنبياء حساب مناقشة.

قال النسفي في بحر الكلام: الأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، والعشرة المبشرة بالجنة، هذا في حساب المناقشة.

أما حساب العرض فلا، وهو أن يقال: فعلت كذا وعفوت عنك.

وحساب المناقشة، لم فعلت كذا؟

وقال القرطبي وغيره: وهذا العموم مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب كما سيأتي.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] قال: الأمن والصحة.

وعن مجاهد في الآية، قال: كل شيء من لذة الدنيا.

وعن قتادة في الآية: إن الله سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه.

وعن علي في الآية قال: من أكل خبز البُرِّ وكان له ظل، وشرب الماء الفرات مبردًا. وفي مرفوع ابن مسعود: "ما من عبد يخطو خطوة إلا ويُسأل عنها ما أراد بها؟(٢)".

---

(١) قال الطبري: ٣٠٦/١٢ في تأويل الآية: ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم: هل بلغتهم رسالاتي، وأدَّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم، أم قصّروا في ذلك ففرَّطوا ولم يبلغوهم؟.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٣٧٦/١).

وفي مرفوع أبي هريرة: "إن أول ما يسأل [١٤٦/أ] عنه يوم القيامة أن يقال له: ألم أُصِحَّ جسمك، وأرويك من الماء البارد، والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد"(١).

وأخرج البزار وأبو نعيم بسند حسن، عن ابن عباس مرفوعًا: "ما فوق الإزار وجلف الخبز وظل الحائط، وحرِّ الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يُسأل عنه"(٢).

وأخرج أحمد، والبيهقي، وأبو نعيم، عن الحسن مرفوعًا: "ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خُصٍّ يستظل به، وكِسرة يَشد بها صلبه، وثوب يواري به عورته"(٣).

ويروى: أشد الناس حسابا الصحيح الفارغ، وما كثر مال رجل إلا كثر حسابه.

قلت: وبالجملة فالأخبار في هذا الباب كثيرة، والحاصل أن العبد يُسأل عن كل شيء.

ولقد أحسن من قال: شعر

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونُسأل بعده عن كل شي

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٣٦٩، وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البزار، كما في كشف الأستار: ٢٤٧/٤، وقال: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ.

(٣) أخرجه الديلمي: (٩٢/٢، رقم ٢٤٩٤).

فصل
في ذكر حساب البهائم

عن يحيى بن جعدة، قال: إن أول خلق الله يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام، حتى يقضى بينها، حتى لا يذهب شيء بظُلامَة ثم يجعلها ترابًا، ثم يبعث الثقلين الإنس والجن فيحاسبهم فيومئذ يتمنى الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وأخرج الحاكم، عن ابن عمرو قال: إذا كان يوم القيامة مُدت الأرض مد الأديم، وحَشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب، حتى يقضي للشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كوني ترابا فيراها الكافر فيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [١٤٦/ب][1]. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجَمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا. فذلك حين يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[2]. وبعضهم جعل مؤمني الجن كالبهائم، في أنه إذا حاسبهم يعودون ترابًا.

والصواب لا، وقد مر الكلام على تفصيل هذا في آخر فصل خلق الجن.

وأخرج أحمد، وأبو نعيم، عن [أبي][3] عمران الجوني. قال حدثت: أن البهائم إذا رأت بني آدم قد تصدعوا من بين يدي الله صنفين صنفًا إلى الجنة، وصنفًا إلى النار، تناديهم البهائم يا بني آدم: الحمد لله الذي لم يجعلنا اليوم منكم، لا جَنة نرجو، ولا عقابا نخاف[4].

---

(١) أخرجه الحاكم: ٦١٩/٤، وقال: رُوَاتُهُ عَنْ آخِرِهِمْ ثِقَاتٌ غَيْرَ أَنَّ أَبَا الْمُغِيرَةِ مَجْهُولٌ، وَتَفْسِيرُ الصَّحَابِيِّ مُسْنَدٌ.

(٢) أخرجه الحاكم: ٣٤٥/٢، وقال: جَعْفَرٌ الْجِذْرِيُّ هَذَا هُوَ ابْنُ بُرْقَانَ، قَدِ احْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٣) ساقط من الأصل، و(ر).

(٤) أخرجه أحمد: ٢٦٩/٢٠، وإسناده صحيح على شرط مسلم. أبو عمران الجوني: هو عبد الملك بن حبيب.

=

وأخرج ابن وهب، عن أبي ذر قال: والذي نفس محمد بيده ليسئلن الشاة فيم نَطَحَتْ صاحبتها، وليسألن الجماد فيم نكب اصبع الرجل.

وأخرج البخاري. عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض[1]".

=

وأخرجه الضياء في "المختارة" (٢٠٧٦) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو يعلى (٣٧٣٦) عن إبراهيم بن الحجاج، والضياء (٢٠٧٥) من طريق موسى بن إسماعيل، كلاهما عن حماد، به.

وأخرجه أبو يعلى: (٤١٨٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: (١٩٦١)، وابن حبان: (٥٤) من طريق أبي نصر التمار، عن حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني وحده، به.

(١) أخرجه أحمد: (٢٦٩/٢، رقم ٧٦٣٥)، والبخاري: (١٢٠٥/٣، عقب رقم ٣١٤٠)، ومسلم: (٢١١٠/٤، رقم ٢٦١٩)، وابن ماجه: (١٤٢١/٢، رقم ٤٢٥٦). وأخرجه أيضًا: ابن حبان: (٤٣٨/١٢، رقم ٥٦٢١).

ومن غريب الحديث: "خشاش": أي هوام الأرض وحشراتها.

فصل

في حساب الناس والإتيان بالشهود

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

قال ابن عباس في هذه الآية: يُسأل الناس جميعًا عما أجابوا المرسلين والمرسلين عما بلغوا.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال مجاهد وقتادة: بنبيهم، واختاره الطبري فيما حكى عنه مكي.

وقال جماعة من المفسرين: المراد بالإمام هنا الكتاب.

قال الثعلبي: رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى علي مرفوعًا، في هذه الآية: يدعون بإمام [١٤٧/أ] زمانهم، وكتاب رسولهم، وسنة نبيهم.

قلت كلا القولين صحيح لوقوع كل منهما ذلك اليوم.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

قال المفسرون: يعني الكتب التي فيها أعمال العباد، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ [الزمر: ٦٩] ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم.

وأما الشهداء هنا فقال ابن عباس: هم الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة إذا جحد أممهم.

وقيل هم الحفظة الموكلون بالعبد.

وقال السدي: هم الذين يستشهدون في طاعة الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

قال مكي: المراد بها في قول أكثر العلماء البر والفاجر.

وقال الضحاك: المراد بها المشركون.

واختلفوا في السائق فقيل: إنه من الملائكة، وهو قول جمهور المفسرين كابن عباس وغيره.

وقيل إنه قرينها من الشياطين. وفي الصحيح عن ابن مسعود مرفوعًا: "ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن"، قالوا: وإياك يا رسول الله قال: "وإياى، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير"(١).

والشهيد: قال: ابن عباس وجمع من المفسرين إنه العمل.

وقال الضحاك: إنه من أنفسهم الأيدي والأرجل.

وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان. إذا تقرر هذا، فقد ذكر العلماء أن أول من يُسأل ويحاسب اللوح المحفوظ، ثم إسرافيل، ثم جبريل، ثم أصحاب الشرائع.

أخرج أبو الشيخ: أول من يحاسب يوم القيامة: اللوح المحفوظ، يدعى به ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقول الله: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل فيدعى إسرافيل ترعد فرائصه فيقال له: هل بلغت اللوح المحفوظ؟ فإذا قال: نعم. قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب.

وأخرج أيضًا قال: إذا كان يوم القيامة [١٤٧/ب] دُعي إسرافيل ترعد فرائصه فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل. فيدعى جبريل ترعد فرائصه. فيقال: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل. فيؤتى بالرسل فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون بلغنا الناس. فهو قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

وأخرج البخاري، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٨١٤).

(فأسلم) برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه أسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمنا لا يأمرني إلا بخير واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح وهو المختار لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يأمرني إلا بخير واختلفوا على رواية الفتح قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم فاستسلم وقيل معناه صار مسلما مؤمنا وهذا هو الظاهر

قال القاضي واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان.

فيقول نعم. فتدعى أمته. فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا أحد. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته". فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية(١).

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه"(٢).

والكوم: هو الشيء المرتفع.

وقال جمع من المفسرين في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] أن أمة محمد تشهد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ.

فيقول الله لهم: شهدتم على من لم تحضروا فيقولون: أي ربنا - وأنت أعلم - جاءنا رسولك ونزل إلينا كتابك فنحن نشهد بما عهدت إلينا، وأعلمتنا به. فيقول الله: صدقتم.

وفي مرفوع ابن مسعود. قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ" فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] الآية. دَمَعَتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال:"حسبنا الله"(٣). [١٤٨/أ].

وأخرج مسلم، عن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: "أنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: "اللهم اشهد(٤)".

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/٣٢، رقم ١١٣٠١)، وعبد بن حميد: (ص ٢٨٦، رقم ٩١٣)، والبخاري: (٣/١٢١٥، رقم ٣١٦١) والترمذي: (٥/٢٠٧ رقم ٢٩٦١) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى: (٦/٢٩٢ رقم ١١٠٠٧) وابن ماجه: (٢/١٤٣٢، رقم ٤٢٨٤)، وابن حبان: (١٤/٣٩٧، رقم ٦٤٧٧). وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان: (١/٢٤٨، رقم ٢٦٤).

(٢) أخرجه ابن جرير: ١٧/٥٣٠.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٤٥٨٢) دون قوله: حسبنا الله.

(٤) أخرجه مسلم، برقم (١٢١٨) وأبو داود: (٢/١٨٢، رقم ١٩٠٥)، وابن ماجه: (٢/١٠٢٢، رقم ٣٠٧٤).

فصل

في شهادة الأعضاء والأزمنة والأمكنة

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]. الآيات.

أخرج مسلم، عن أنس، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: "هل تدرون مما أضحك؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة"، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم. فيقول: بلى. قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه. ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعمالهم. فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسحقًا. "فعنكن كنت أفاضل" أي: أجادل وأخاصم وأدافع[(١)].

وأخرج أحمد، والطبراني، عن عقبة بن عامر مرفوعًا: "إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذُه من الرجل الشمال"[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه أحمد: ٦٠٢/٢٨، وقال محققه: حسن لغيره دون قوله: "من الرِّجل الشمال"، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الرجل الذي روى عن عقبة بن عامر، وقد رُوي عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شُريح بن عُبيد، عن عقبة بن عامر، فأسقط الواسطة المبهمة، وقد نقل ابن أبي حاتم في "العلل" ٨٧/٢ أن أبا زُرعة سئل عن هذا الحديث، فقال عن الرواية التي فيها ذكر الرجل بين شريح وعقبة: هذا أصحُّ. قلنا: وإسماعيل بن عياش وضمضم بن زرعة مختلف فيهما، وشريح بن عبيد ثقة لكنه كثير الإرسال.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الأوائل" (٥٣)، والطبري في "تفسيره" ٢٤/٢٣ و١٠٧/٢٤، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٩٢١) من طرق عن إسماعيل ابن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة بن عامر - فلم يذكر الرجل بين شريح وعقبة.

وله شاهد من حديث معاوية بن حَيْدة، سيأتي ٤/٥ و٥. وإسناده حسن.

ويشهد لمعنى الحديث قوله تعالى: ﴿اليومَ نَختِمُ على أفواههم وتكلِّمُنا أيديهم وتشهدُ أرجلُهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس: ٦٥].

وفي ابن جرير، عن أبي موسى الأشعري: يدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول: أي رب، وعزتك لقد كتب علي هذا المَلك ما لم أعمل. فيقول له المَلك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك، فإذا فعل ذلك خُتم على فيه[١]. قال أبو موسى: فإني أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى، ثم تلا:﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾. وقال المفسرون، في قوله تعالى، حكاية عن المشركين، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] أنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله، وتجاوزه عن أهل التوحيد، قال بعضهم [١٤٨/ب] لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيقول الله تعالى لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] أنهم شركاء. ثم يختم على أفواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالكفر.

وأخرج أبو يعلى، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري، مرفوعًا قال: "إذا كان يوم القيامة عَيَّر الكافرُ بعمله فجحد وخاصم. فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك. فيقول: كذبوا. فيقول: أهلك وعشيرتك. فيقول: كذبوا. فيقول: احلفوا فيحلفون ثم يُصْمِتُهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم فيدخلهم النار"[٢].

وأخرج أحمد، والترمذي، وصححه، والنسائي، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال: "أتدرون ما أخبارها"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد، أو أمة، بما عمل على ظهرها. تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا. فذلك أخبارها"[٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير: ٥٤٤/٢٠

(٢) أخرجه الحاكم: ٦٤٨/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي: (٢٤٢٩) و(٣٣٥٣)، والنسائي في الكبرى: (١١٦٩٣)، وابن حبان: (٧٣٦٠)، والحاكم: ٢٥٦/٢، والبيهقي في الشعب: (٧٢٩٨)، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٠٨)، وفي التفسير: ١٥/٤ من طرق عن ابن المبارك، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.
وأخرجه الحاكم: ٥٣٢/٢ من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ، عن سعيد بن أبي أيوب، به. وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي قائلاً: يحيى هذا منكر الحديث، قاله البخاري.

=

وأخرج الطبراني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا إلا وهي مخبرة"(١).

وأخرج أبو نعيم، عن معقل بن يسار مرفوعًا: "ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا يُنَادى فيه: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك غدًا شهيد، فاعمل فيَّ خيراً أشهد لك به غدًا، فإني لو قد مضيت لم ترني أبدًا(٢)". ويقول الليل مثل ذلك.

وعن عطاء الخُراساني: ما من عبد يسجد سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت. وعن ابن عمرو: من سجد في موضع عند شجر أو حجر شهد له يوم القيامة [١٤٩/أ] عند الله تعالى. وأخرج البخاري، عن أبي سعيد الخدري، أنه قال لعبد الرحمن: "إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنُتَ في غنمك أوباديتك فَأَذَّنْتَ للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع صوت المؤذن جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"(٣).

وأخرج الأصبهاني في الترغيب، عن أنس مرفوعًا: إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه، ومعالمه من الأرض، حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب.

=

وفي الباب عن أنس بن مالك عند البيهقي في الشعب: (٧٢٩٦). وفي إسناده يحيى بن أبي سليمان، راوي حديث أبي هريرة.

والحديث عند أحمد: ٤٥٦/١٤: إسناده ضعيف، يحيى بن أبي سليمان، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، ليس بالقوي، يكتب حديثه -يعني للمتابعات-، وقال ابن خزيمة: لا أعرفه بعدالة ولا جرح، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن إسحاق - وهو الطالقاني -، فقد روى له مسلم في مقدمة "صحيحه"، وأبو داود والترمذي، وهو صدوق.

(١) أخرجه الطبراني: (٦٥/٥، رقم ٤٥٩٦). وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في المعرفة: (١٠٩٦/٢، رقم ٢٧٦٦). قال المنذري: (٩٨/١): رواه الطبراني في الكبير من رواية ابن لهيعة، وربيعة الجرشي مختلف في صحبته. وقال الهيثمي (٢٤١/١): رواه الطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٣٠٣/٢) وقال: غريب.

(٣) أخرجه مالك: (٦٩/١، رقم ١٥١)، والشافعي: (٣٣/١)، وأحمد: (٤٣/٣، رقم ١١٤١١)، وعبد ابن حميد: (ص ٣٠٦ رقم ٩٩٣)، والبخاري: (٢٢١/١، رقم ٥٨٤)، والنسائي: (١٢/٢، رقم ٦٤٤)، وابن ماجه: (٢٣٩/١، رقم ٧٢٣)، وابن حبان: (٥٤٦/٤، رقم ١٦٦١).

فصل

في حساب المؤمنين ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

قال ابن عباس في هذه الآية: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا ولا شرًا في الدنيا إلا أراه الله إياه: فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته فيغفر له سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته، فيرد عليه حسناته، ويعذبه بسيئاته.

وأخرج مسلم، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه صغارها، ويُخَبَّأُ عنه كبارها، فيقول: عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا، وهو يقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء. فيقال: اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة. فيقول: إن لي ذنوبًا لا أراها هنا[1]". فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. وعن أبي هريرة: ليأتين ناسٌ يوم القيامة ودوا أنهم استكثروا من السيئات قيل: مَنْ هم؟ قال: الذين بدَّل الله سيئاتهم حسنات.

وأخرج الشيخانِ، عن ابن عمر، أنه سئل كيفَ سمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى: "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملتَ كذا وكذا. [١٤٩/ب] فيقول: نعم. فيقول: عملت كذا وكذا. فيقول: نعم. ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فينادى به على رؤوس الأشهاد[2]: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]".

---

(١) أخرجه أحمد: (١٥٧/٥، رقم ٢١٤٣٠)، ومسلم: (١٧٧/١، رقم ١٩٠)، والترمذي: (٧١٣/٤، رقم ٢٥٩٦) وقال: حسن صحيح. وابن حبان: (٣٧٥/١٦، رقم ٧٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٧٠).

وأخرج البيهقي، عن أبي موسى، قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيستره ربه بينه وبين الناس، فيرى خيرًا فيقول: قد قبلتُ، ويرى شرًا فيقول: قد غفرتُ، فيسجد عند الخير والشر، فيقول الناس: طوبى لهذا العبد الذي لم يعمل شرًا قط(١).

وأخرج أبو نعيم، عن بلال بن سعد قال: إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة، وإن تاب منها.

وأخرج الشيخان، عن عدي بن حاتم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب يحجبه، ولا ترجمان يترجم له. فيقول: أولم أوتك مالاً؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أرسل إليك رسولا؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار، فليتقِ أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة(٢)". قال العلماء: ذلك يكون على الصراط والنار محيطة به.

وأخرج البيهقي، عن أبي هريرة، قال أعرابي: يا رسول الله مَنْ يحاسب الخلقَ يوم القيامة؟ قال: "الله". قال: نجونا ورب الكعبة. قال: "وكيف يا أعرابي؟" قال: لأن الكريم إذا قَدَرَ عفا(٣). وقال القرطبي: عند الحساب يكلم الله المؤمنين من غير ترجمان إكرامًا لهم، ولا يكلم الكفار بل تحاسبهم الملائكة إهانة لهم وتمييزًا عن أهل الكرامة.

وأخرج الشيخان عن أبي [١٥٠/أ] هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم. رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابنَ السبيلِ، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفى له، وإلا لم يفِ له، ورجل يبايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أُعطي بها كذا، قصدقه ولم يعط بها(٤)".

(١) أخرجه البيهقي في البعث وقال: هذا موقوف ولا يقوله إلا توقيفا.

(٢) أخرجه البخاري: (٥١٢/٢، رقم ١٣٤٧)، وأخرجه أيضًا: الطبراني: (٩٤/١٧، رقم ٢٢٤). وأخرجه الترمذي: (٢٠٢/٥، رقم ٢٩٥٣) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضًا: الطبراني: (٩٨/١٧، رقم ٢٣٦).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٢٤٦/١، رقم٢٦٢).

(٤) أخرجه أحمد: (٤٨٠/٢، رقم ١٠٢٣١)، والبخاري: (٨٣١/٢، رقم ٢٢٣٠)، وأبو داود: (٢٧٧/٣، رقم ٣٤٧٤)، والترمذي: (١٥٠/٤، رقم ١٥٩٥) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: =

وأخرج مسلم، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر[(١)]".

وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه"[(٢)].

وأخرج أحمد، والطبراني، بسند جيد عن معاذ بن جبل، مرفوعًا: "من ولي من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة[(٣)]".

=

(٧٤٤/٢، رقم ٢٢٠٧). وأخرجه أيضًا: مسلم: (١٠٣/١، رقم ١٠٨)، والنسائي: (٢٤٦/٧، رقم ٤٤٦٢).

(١) أخرجه الطيالسي: (ص٦٣، رقم ٤٦٧)، وأحمد: (١٤٨/٥، رقم ٢١٣٥٦)، ومسلم: (١٠٢/١، رقم ١٠٦)، وأبو داود: (٥٧/٤، رقم ٤٠٨٧)، والترمذي: (٥١٦/٣، رقم ١٢١١) وقال: حسن صحيح. والنسائي: (٨١/٥، رقم ٢٥٦٣)، وابن ماجه: (٧٤٤/٢، رقم ٢٢٠٨)، والدارمي: (٣٤٥/٢، رقم ٢٦٠٥)، وابن حبان: (٢٧٢/١١، رقم ٤٩٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني: (٢٤٦/٦، رقم ٦١١١)، قال المنذري: (٣٦٧/٢): رواه الطبراني في الكبير، وفي الصغير والأوسط، وقال الهيثمي (٧٨/٤): رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الصغير والأوسط ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فذكره ورجاله رجال الصحيح. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٠/٤، رقم ٤٨٥٢). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٣٦٧/٥، رقم ٥٥٧٧)، وفي الصغير: (٨٢/٢، رقم ٨٢١).

(٣) أخرجه أحمد: ٣٩٤/٣٦، وقال محققه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ شريك.
أبو حصين: هو عثمان بن عاصم، والوالبي: هو أبو خالد، واسمه هرمز، وقيل: هرم.
وأخرجه الطبراني ٢٠/ (٣١٦) من طريق حنيفة بن مرزوق، عن شريك، بهذا الإسناد.

فصل

في ذكر سرعة الحساب ومن نوقش فيه هلك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] وصف سبحانه وتعالى نفسه بسرعة حساب الخلائق، مع كثرة عددهم، وكثرة أعمالهم، ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه.

روي أنه تعالى يحاسبُ الخلقَ في قدر حلب شاة.

وروي في مقدار فواق ناقة. وروي في مقدار لمحة كذا.

حكاه الزمخشري في تفسيره. والله تعالى على ما يشاء قدير.

قال الحسن: حسابه أسرع من لمح البصر. حكاه الثعلبي عنه.

وقال ابن عطية: قيل لعلي بن أبي طالب: كيف يحاسبُ الله الخلائق يوم القيامة؟ فقال: كما يرزقهم في يوم. وفي الحديث: "لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار(١)".

وقد قيل: إنه سبحانه [١٥٠/ب] إذا حاسب واحدًا فقد حاسب جميع الخلائق.

قال بعضهم: من غريب حكم الآخرة أن الرجل يؤتى به إلى الله فيوقفه وتوزن حسناته وسيئاته، وهو يظن أن الله تعالى ما حاسب أحدًا سواه، وقد حوسب في تلك اللحظة آلاف ألوف، وما لا يمكن حصره.

قلت: ولعل السر في هذا وتقريبه للعقول، أن معنى الحساب ما قال المفسرون: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه، وهذا قريب للعقل جدًا بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب، في لحظة واحدة.... (تأمل).

وقيل معنى الآية: سريع مجيء الحساب. والقصد بالآية: الإنذار يوم القيامة. حكاه ابن عطية.

---

(١) ذكره الطبري في التفسير: ٢٥٩/١٩.

وحكي أيضًا أنه قيل: الحساب هنا: المجازاة.

وقال مكي (في الهداية): معنى كونه سبحانه سريع الحساب أنه يغفر السيئات، ويضاعف الحسنات، لمن عمل ذلك ولا كُلْفَةَ. والله أعلم.

أخرج البزار، والطبراني، عن ابن الزبير مرفوعًا: "من نوقش الحساب هلك(١)".

وأخرج الشيخان، عن عائشة، رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نوقش الحساب عذب".

فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] قال: ليس ذلك الحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب(٢).

وأخرج أحمد، وابن جرير، والحاكم بسند صحيح، [١٥١/أ] عن عائشة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حسابا يسيرًا"، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر عنه من سيئاته حتى الشوكة يشاكها(٣)".

وأخرج ابن المبارك، وأحمد بسند صحيح، عن محمد بن أبي عميرة الصحابي، - أحسبه رفعه -. قال: "لو أن عبدًا جُرَّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا في طاعة الله لحقره ذلك اليوم، وَلَوَدَّ أنه رد كيما يزداد من الأجر والثواب(٤)".

وأخرج أحمد في (الزهد): أوحى الله إلى داود أنذر عبادي الصديقين، فلا يعجبوا بأنفسهم، ولا يتكلوا على أعمالهم، فإنه ليس أحد من عبادي أنصبه للحساب، وأقيم عليه عدلًا، إلا عذبته من غير أن أظلمه.

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن

---

(١) قال الهيثمي في كشف الأستار: قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُهُ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٥٣٦) أخرجه مسلم: (٢٢٠٥/٤، رقم ٢٨٧٦). وأخرجه أيضًا: القضاعي: (٢٢١/١، رقم ٣٣٨).

(٣) أخرجه الحاكم: (٣٨٥/١، رقم ٩٣٦) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في شعب الإيمان: (٢٥٢/١، رقم ٢٧٠). وأخرجه أيضًا: إسحاق بن راهويه: (٣٦٧/٢، رقم ٩٠٩)، وأحمد: (٤٨/٦، رقم ٢٤٢٦١)، وابن خزيمة: (٣٠/٢، رقم ٨٤٩)، وابن حبان: (٣٧٢/١٦، رقم ٧٣٧٢).

(٤) أخرجه الطبراني: ٢٤٩/١٩.

ينجى أحدًا منكم عمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"(١).

وأخرج الشيخان، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل الجنة أحداً عمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة"(٢).

ولمسلم من حديث جابر: "لا يدخل أحدًا منكم عمله الجنةَ، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا برحمة من الله(٣)".

واستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وأجيب بحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأما أصل دخولها والخلود فيها فبفضل الله ورحمته، بدليل ما روي عن ابن مسعود قال: تجوزون على الصراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم.

وأخرج الترمذي، وحسنه، والحاكم، وصححه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعونه رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال،. فيقول للقارئ: ألم أعلمك [١٥١/ب] ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ فقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم

---

(١) أخرجه أحمد: (٤٩٥/٢، رقم ١٠٤٣٠)، ومسلم: (٢١٧٠/٤، رقم ٢٨١٦)، وابن ماجه: (١٤٠٥/٢، رقم ٤٢٠١)، وابن حبان: (٦٠/٢، رقم ٣٤٨). أخرجه أيضًا: ابن ماجه: (١٤٠٥/٢، رقم ٤٢٠١).

(٢) أخرجه أحمد: (٢٧٣/٦، رقم ٢٦٣٨٦)، والبخاري: (٢٣٧٣/٥، رقم ٦١٠٢)، ومسلم: (٢١٧١/٤، رقم ٢٨١٨).

(٣) أخرجه مسلم: (٢١٧١/٤، رقم ٢٨١٧).

وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله: فيماذا قتلت؟ فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت فيقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك، فأولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة[(١)]".

وأخرج الطبراني، عن واثلة بن الأسقع، مرفوعًا: "يبعث الله عبدًا لا ذنب له فيقول الله: بأي الأمرين أحب إليك أن أجزيك، بعملك أو بنعمتي عندك؟ قال: رب أنت تعلم أني لم أعصك قال: خذوا عبدي بنعمة من نعمي، فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة. فيقول: رب بنعمتك ورحمتك[(٢)]".

وفي الطبراني، من حديث ابن عمر، مرفوعًا "والذي نفسي بيده إن الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل، لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفذ ذلك كله، لولا ما يتفضل الله من رحمته[(٣)]".

والأخبار في هذا كثيرة. والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن المبارك: (١/١٥٩، رقم ٤٦٩)، والترمذي: (٤/٥٩١، رقم ٢٣٨٢) وقال: حسن غريب. والحاكم: (١/٥٧٩، رقم ١٥٢٧) وقال: صحيح الإسناد. وابن جرير في تفسيره: (١٣/١٢). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة: (٤/١١٥، رقم ٢٤٨٢)، وابن حبان: (٢/١٣٥، رقم ٤٠٨). ومن غريب الحديث: "جمع القرآن": حفظه. "جواد": سخي كريم. "جريء": شجاع. "تسعر": توقد.

(٢) ذكره الحكيم: (٢/٧٨)، وأخرجه الطبراني: (٢٢/٥٩، رقم ١٤٠) قال الهيثمي: (١٠/٣٤٩): فيه بشر بن عون، وهو متهم بالوضع.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢/١٦١، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَطَاءٍ إِلَّا أَيُّوبُ، تَفَرَّدَ بِهِ: عَفِيفٌ، وَلَا يُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

فصل

في من يدخل الجنة بغير حساب

وذلك قبل حساب الخلق، ووضع الموازين، وأخذ الصحف.

أخرج الشيخان، عن ابن عباس، [١٥٢/أ] قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: "عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سوادًا كثيرًا، فرجوت أن يكون أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه. ثم قيل: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا فقيل لي: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب". فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر أصحابه فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكن قد آمنا بالله ورسوله، هؤلاء أبناؤنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون". فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: "نعم" ثم قام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال: "سبقك بها عكاشة(١)".

وأخرج الترمذي وحسنه، عن أبي أمامة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي(٢)".

وأخرج أحمد، والبزار، والطبراني، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن ربي أعطاني سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب". فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته. قال: "قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً".

---

(١) أخرجه البخاري: (٥٧٥٢) ومسلم، (٢٢٠).

(٢) أخرجه أحمد: (٢٦٨/٥، رقم ٢٢٣٥٧)، والترمذي: (٦٢٦/٤، رقم ٢٤٣٧) وقال: حسن غريب. والطبراني: (١١٠/٨، رقم ٧٥٢٠)، وابن حبان: (٢٣٠/١٦، رقم ٧٢٤٦)، والدارقطني في الصفات: (٣٧/١، رقم ٥٠). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (١٤٣٣/٢، رقم ٤٢٨٦)، والمحاملي: (٢٦٥/١، رقم ٦٠)، والديلمي: (٣٨٢/٤، رقم ٧١١٣).

قال عمر فهلا استزدته قال: "قد استزدته فأعطاني هكذا، وفرج بين يديه، وبسط باعيه وحثى". قال هشام: هذا من الله لا يدرى ما عدده[١].

وأخرج البزار، عن أنس، مرفوعًا: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب". فقال أبو بكر: [١٥٢/ب] يا رسول الله زدنا. قال: "وهكذا" فقال عمر: يا أبا بكر إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة[٢].

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم، كأحسن كوكب دري في السماء، أضاءت قلوبهم على قلب واحد، لا تباغض بينهم، ولا تحاسد، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم"[٣].

وأخرج الطبراني بسند حسن، عن أنس مرفوعًا قال: "إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دمًا، فازدحموا على باب الجنة. فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء، كانوا أحياءً يرزقون. ثم ينادي منادٍ: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم ينادي مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم ينادي الثانية، ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. قال: ومن الذي أجره

---

(١) ذكره الحكيم: (٣٠١/١). وأخرجه أيضًا: أحمد (١٩٧/١، رقم ١٧٠٦)، والبزار: (٢٣٤/٦، رقم ٢٢٦٨). قال الهيثمي: (٤١١/١٠): في أسانيدهم القاسم بن مهران، عن موسى بن عبيد، وموسى بن عبيد هذا هو مولى خالد بن عبد الله بن أسيد، ذكره ابن حبان في الثقات، والقاسم ابن مهران ذكره الذهبي في الميزان، وذكر أنه لم يرو عنه إلا سليم بن عمرو النخعي، وليس كذلك فقد روى عنه هذا الحديث هشام بن حسان، وباقي رجال إسناده محتج بهم في الصحيح.

(٢) أخرجه البزار: ٤٣٩/١٣، قال الهيثمي: قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُ أَحَدًا تَابَعَ أَبَا هِلالٍ عَلَى رِوَايَتِهِ، وَإِنَّمَا يَرْوِيهِ قَتَادَةُ عَنْ غَيْرِ أَنَسٍ.

وأخرجه أحمد: ٣١١/٢٠، وقال محققه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد، أبو هلال - وهو محمد بن سُلَيم الراسبي- حسن الحديث في المتابعات والشواهد.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: (٢٧١/٧، رقم ٣٥٩٩٦)، والبخاري: (١١٨٦/٣، رقم ٣٠٧٤)، ومسلم: (٢١٧٨/٤، رقم ٢٨٣٤). وأخرجه أيضًا أحمد: (٢٣٠/٢، رقم ٧١٥٢).

على الله؟ قال: العافون عن الناس، ثم ينادي الثالثة: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. فقام كذا وكذا ألفًا فدخلوها بغير حساب(١)".

وفي مرفوع أسماء بنت يزيد: "يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. فيقوم منادٍ ينادي: أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء؟ فيقومون" - وهم قليل - "فيدخلون الجنة بغير حساب. ثم يعود فينادي: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون" - وهم قليل - "فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. فيقومون" - وهم قليل - "فيدخلون الجنة بغير حساب. ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون(٢)".

وأخرج البزار، عن زيد بن أرقم [١٥٣/أ] مرفوعًا: "ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من بصره، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله لقي الله ولا حساب عليه(٣)".

وفي حديث جابر: "من مات في طريق مكة ذاهبا أو راجعًا لم يعرض ولم يحاسب(٤)". وفي حديث أبي هريرة، يا رسول الله، هل فينا رجل يدخل الجنة بغير حساب؟ قال: "نعم كل رحيم صبور".

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا: "طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه، يدخلون الجنة بغير حساب(٥)".

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٢٨٥/٢، رقم ١٩٩٨) قال الهيثمي: (٢٩٥/٥): في إسناده الفضل بن يسار، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وبقية رجاله ثقات. وقال في (٤١١/١٠): رجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في الحلية: (١٨٧/٦) وقال: غريب من حديث الحسن. وابن أبي عاصم في الديات: (٥٢/١).

(٢) أخرجه هناد: (١٣٤/١، رقم ١٧٦) ومحمد بن نصر في الصلاة، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) أخرجه البزار: ٢٤٤/١٠.

(٤) أخرجه الحارث كما في بغية الباحث: (٤٣٦/١، رقم ٣٥٣)، وابن عدي (٣٥٤/٥، رقم ١٥١٣ عائذ بن بشير).

(٥) أخرجه الرافعي: (٢٥٥/١).

وحديث أبي هريرة مرفوعًا: "أن شدة الحساب لا تصيب الجائع إذا احتسب[(١)]".

وفي حديث أنس مرفوعًا: "من مشي في حاجة أخيه المسلم، كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة. فإن قضيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب"[(٢)].

وحديث عائشة مرفوعًا: "من ربى صبيًا حتى يقول: لا إله إلا الله لم يحاسبه الله[(٣)]".

وحديث عطاء مرفوعًا: "ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، إلا وقي عذاب القبر، وفتنة القبر، ولقي الله لا حساب عليه، وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له أو طائع".

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١٠٩/٧)، والخطيب: (١٥٥/٣)، وابن عساكر: (١٣٣/٢٣)، وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان: (٣١٤/٧، رقم ١٠٤٢٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى: (١٧٥/٥، رقم ٢٧٨٩)، وابن عدي: (١٩٩/٣، ترجمة ٦٩٩ زيد بن الجوزي العمي)، والخطيب: (٨٣/١١)، وابن عساكر: (١٥/٥٠). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٣٤٤/٣، رقم ٣٣٥٢) قال الهيثمي: (١٩١/٨): فيه عبد الرحيم بن زيد العمي وهو متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات

(٣) أخرجه ابن عدي: (٢٩٨/٣ ترجمة ٧٦٥ سليمان بن داود الشاذكوني) وقال: حافظ ماجن عندي ممن يسرق الحديث، والطبراني في الأوسط: (١٢٩/٥، رقم ٤٨٦٥). قال الهيثمي: (١٥٩/٨): فيه سليمان بن داود الشاذكوني، وهو ضعيف.

فصل

في دخول الفقراء قبل الأغنياء

أخرج مسلم، عن ابن عمرو، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن فقراء أمتي يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا[(١)]".

وأخرجه الطبراني، وزاد: فقيل: صفهم لنا: قال: "الدنسة ثيابهم، الشعثة رؤوسهم، الذين لا يؤذن لهم على السُّدات، ولا ينكحون المتنعمات، يعطون كل الذي عليهم، ولا يعطون كل الذي لهم"[(٢)].

وأخرج أحمد، وأبو نعيم، عن عبيد بن عمير، قال: يجيء فقراء المهاجرين يوم القيامة تقطر رماحهم وسيوفهم [١٥٣/ب] دمًا فيسألون أن يدخلوا الجنة، فيقال لهم: انتظروا حتى تحاسبوا، فيقولون: وهل أعطيتمونا شيئًا تحاسبونا عليه؟ فينظر في ذلك فلا يوجد إلا أكوارهم التي هاجروا عليها. فيقول الله: أنا أحق من أوفى بعهده، ادخلوا الجنة فيدخلون الجنة قبل الناس بخمسمائة عام[(٣)]. وأخرج أحمد، عن بعض الصحابة، مرفوعًا: "تدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بأربعمائة عام[(٤)]".

قال السيوطي: إن هذه الأحاديث غير متعارضة، وإن الفقراء متفاوتوا الحال.

قال القرطبي: فقراء المهاجرين يسبقون سباق الأغنياء منهم بأربعين خريفًا، ويسبقون غير سباق الأغنياء بخمسمائة عام، وكذلك فقراء كل قرن يسبقون سباق أغنيائهم بأربعين، وغير سباقهم بخمسمائة.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٢٨٥/٤، رقم ٢٩٧٩). وأخرجه أيضًا: أحمد (١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٨)، وابن حبان: (٤٥٣/٢، رقم ٦٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٣٦/٧، رقم ١٠٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٩/٤، وقال: لَا يُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ.

(٣) أخرجه الطبراني: (٥٨/٦، رقم ٥٥٠٨). قال الهيثمي: (٢٦١/١٠): فيه يزيد بن أبي زياد وقد وثق على ضعفه. وقال المنذري: (٦٤/٤): رواه الطبراني وأبو الشيخ بن حبان في الثواب ورواتهما ثقات إلا يزيد بن أبي زياد.

(٤) أخرجه أحمد: ٥١١/١٥، بإسناد حسن.

وفي مرفوع ابن المسيب: "الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فتخرج، إليهم منها ملائكة فيقولون: ارجعوا إلى الحساب. فيقولون: على ما نحاسب؟ والله ما أفيضت علينا الأموال في الدنيا فنقبض فيها، ونبسط، وما كنا أمراء نعدل ونجور، ولكن جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين"(١).

وأخرج أحمد بسند جيد، عن ابن عباس، مرفوعًا: "التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غني، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير فقال: يا أخي ما حبسك؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك. فيقول: يا أخي إني حبست بعدك محبسا فظيعًا كريهًا، ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق، ما لو ورده ألف بعير لصدرت عنه رواء"(٢).

وأخرج أحمد، مرفوعًا قال: "اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت، والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة [١٥٤/أ] المال أقل للحساب(٣)".

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد: ٢/٨٠.

(٢) أخرجه أحمد: ٤/٤٩٢، وقال محققه: إسناده ضعيف، دويد: هكذا جاء غير منسوب، ونسبه الحسيني في "الإكمال" فقال: دويد الخراساني عن عمرو بن شعيب وأبي سهل وسلم بن بشير، وعنه علي بن عاصم وغيره: مجهول، وسلم -ويقال له أيضاً: سالم- بن بشير، روى عنه جمع، وقال ابن معين: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٦/٤٢٠، وقال الحسيني: مجهول، وباقي رجال الإسناد ثقات.

وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٠/٢٦٣-٢٦٤، وقال: رواه أحمد، وفيه دويد غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عنه سفيان! فقد ذكره العجلي في كتاب "الثقات" وإن كان غيره لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير سلم بن بشير وهو ثقة.

وأخرج نحوه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٥٥٦) عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني، قال: حدثنا ضمرة والمهاصر بن حبيب وحكيم بن عمير، رفعوه. وهذا إسناد ضعيف، أبو بكر بن أبي مريم، قال الحافظ في "التقريب": ضعيف، وكان قد سرق بيته فاختلط، والثلاثة الذين روى عنهم في طبقة التابعين، فهو مرسل.

(٣) أخرجه أحمد: (٥/٤٢٧، رقم ٢٣٦٧٤، ٢٣٦٧٥). قال المنذري: (٤/٧٣): رواه أحمد بإسنادين، رواة أحدهما محتج بهم في الصحيح، ومحمود له رؤية، ولم يصح له سماع فيما أرى. وقال الهيثمي (١٠/٢٥٧): رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. وقال أيضًا (٢/٣٢١): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في معرفة الصحابة: (٥/٢٥٢٥، رقم ٦١١٤)، وأبو عمرو الداني في الفتن: (١/٢٣٦، رقم ٣٦).

وأخرج الإسماعيلي في معجمه، بسند ضعيف، عن أبي هريرة مرفوعًا: "إذا كان يوم القيامة يقول الله: أين الجبارون والمتكبرون فيأتون فيقومون قدام ربهم".

فقال ابن عباس: يا رسول الله كم يقفون؟ قال: "يقفون مثل الدنيا مرتين ثم يقول: أين أصحاب الخير والمعروف واليقين والرحمة؟ فيقومون شاخصين إلى ربهم. فيقول الله لهم: ادخلوا الجنة برحمتي ادخلوها بسلام".

فصل

في ذكر بعث النار

وهو أنه إذا تردد الناس إلى الأنبياء، ووقعت الشفاعة العظمى من النبي صلى الله عليه وسلم، أمر الله تعالى آدم عليه السلام بأن يخرج بعث النار قبل الحساب والميزان.

أخرج البخاري، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول من يدعى يوم القيامة آدم فيتراء ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج من بعث النار من ذريتك فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: من كل مائة تسعة وتسعين فقالوا: يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعين فماذا يبقى؟ قال: إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود[1]".

قال: ابن حجر: هذا أول شيء يقع يوم القيامة.

وأخرج الحاكم، وأبو يعلى، عن أنس قال: لما نُزِلت ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له، رفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال: "أتدرون في أي يوم هذا؟ يوم يقول الله لآدم: يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين". فكبر ذلك على المسلمين فقال: "سددوا وقاربوا وأبشروا، فو الذي نفسي بيده ما أنتم في الناس [١٥٤/ب] إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، فإن معكم الخليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس[2]".

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة مرفوعًا: "يقول الله: يا آدم لولا أني لعنت

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٣٩٢/٥، رقم ٦١٦٤).

(٢) أخرجه عبد بن حميد: (ص ٣٥٨، رقم ١١٨٧)، وأبو يعلى: (٤٣٠/٥، رقم ٣١٢٢)، قال الهيثمي (٣٩٤/١٠): رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن مهدي، وهو ثقة. والحاكم: (٦١٠/٤، رقم ٨٦٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٣٥٢/١٦، رقم ٧٣٥٤)، والضياء: (٧٣/٧، رقم ٢٤٨٣).

الكـذابين، وأبغـضت الكـذب، والخلـف، وأوعـدت عليـه، لرحمـت اليـوم ولـدك أجمعين، ولكن حق القول مني لئن كُذبت رسلي وعصي أمري لأملأن جهنم من الجِنة، والناس أجمعين، ويقول الله: يا آدم إني لا أدخل النار أحدا ولا أعذب أحدًا إلا من علمت بعلمي، أني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر ما كان فيه، ويقول الله: يا آدم قد جعلتك حكمًا بيني وبين ذريتك، قم عند الميزان وانظر ما يرفع إليك من أعمالهم، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى تعلم أني لا أدخل النار منهم إلا ظالمًا[(١)]".

وأخرج الشيخان، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجاء بالكفار يوم القيامة" وفي لفظ: يقول الله لأهون أهل النار عذابًا: "أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقال له: أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي[(٢)]".

---

(١) أخرجه ابن عساكر: (٤٥٣/٧) وأخرجه أيضًا: الطبراني في الصغير: (٩٩/٢، رقم ٨٥٥) قال الهيثمي: (٣٤٨/١٠): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو كذاب.

(٢) أخرجه أحمد: (١٢٧/٣، رقم ١٢٣١١)، والبخاري: (٢٣٩٩/٥، رقم ٦١٨٩)، ومسلم: (٢١٦٠/٤، رقم ٢٨٠٥)، وابن حبان: (٣٤٨/١٦، رقم ٧٣٥١).

فصل

في الحوض والكوثر

وكلاهما ثابت بإجماع أهل السنة والجماعة.

قال الحافظ السيوطي في البدور السافرة: قد ورد ذكر الحوض من رواية بضع وخمسين صحابيًا، منهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجابر، وأبو هريرة، وعائشة، وأم سلمة، إلى أن عد الجميع.

قال القرطبي: ذهب صاحب [١٥٥/أ] القوت، وغيره: إلى أن الحوض بعد الصراط، والصحيح أنه قبله. وهكذا قال الغزالي. ذهب بعض السلف إلى أن الحوض يورد بعد الصراط. وهو غلط من قائله.

قال القرطبي: والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا فناسب تقديمه.

قال ابن عباس: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: إي والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء. وقد ورد عند الترمذي أن "لكل نبي حوضًا[١]".

ويقال: إن حوض صالح ضرع ناقته.

قال القرطبي: والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين، أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً.

والكوثر من كلام العرب: الخير الكثير.

قال السيوطى: وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره، بأن الحوض بعد الصراط، ورجحه القاضي عياض.

قال السيوطي: فإن قيل إذا خلصوا قرب دخول الجنة فلم يحتج إلى الشرب منه.

---

(١) أخرجه الترمذي: (٦٢٨/٤، رقم ٢٤٤٣)، وقال: غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. والطبراني (٢١٢/٧، رقم ٦٨٨١).

قلت: كلا بل هم محبوسون هناك لأجل المظالم، فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم، وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب، حتى يذهبوا منها على الصراط. ولعل هذا أقوى. انتهى.

قلت: هذا كلام في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق.

قال القرطبي: ولا يخطر ببالك، أو يذهب وهمك، إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة وهي أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها [١٥٥/ب] دم ولم يظلم عليها أحد قط. حيث تقرر هذا.

ففي البخاري، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن، لهو أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه". قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: "نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم، لتردون عليَّ غرًا محجلين من أثر الوضوء"(١).

وأخرج ابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري، مرفوعًا: "إن لي حوضًا ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة(٢)".

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٤٧): (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن) أي بعد ما بين طرفي حوضي أزيد من بعد أيلة من عدن وهما بلدان ساحليان في بحر القلزم أحدهما وهو أيلة في شمال بلاد العرب والآخر وهو عدن في جنوبها هو آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند يصرف بالتذكير ولا يصرف بالتأنيث. (وأحلى من العسل باللبن) أي المخلوط به (ولآنيته) اللام لكهي في لهو للابتداء والآنية جمع إناء قال في المصباح الإناء والآنية كالوعاء والأوعية وزنا ومعنى والأواني جمع الجمع (لكم سيما) السيما العلامة مقصورة وممدودة لغتان ويقال السيمياء بياء بعد الميم.

(٢) أخرجه ابن ماجه: (١٤٣٨/٢، رقم ٤٣٠١) قال البوصيري: (٢٥٩/٤): هذا إسناد فيه عطية العوفي وهو ضعيف.

"حوضي ما بين عمان وايلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته مثل عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبدًا(١)".

وأخرج ابن حبان، والحاكم، وصححه، والبيهقي عن أبي برزة(٢)، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء، مسيرة شهر عرضه كطوله، فيه ميزابان من الجنة، أحدهما ورق، والآخر ذهب أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، فيه أباريق عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة(٣)".

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: "والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء في الليلة المظلمة المصحية، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من [١٥٦/أ] اللبن وأحلى من العسل(٤)".

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعًا قال: "حوضي كما بين عدن وعمان، فيه أكاويب عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا، وإن ممن يرده عليَّ من أمتي الشعثة رؤوسهم، الدنسة ثيابهم، لا ينكحون المتنعمات، ولا يحضرون السدد". يعني أبواب السلاطين "الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم(٥)".

---

(١) أخرجه أحمد: (٤/٤٢٤، رقم ١٩٨١٧) قال الهيثمي (١٠/٣٦٧): رجاله رجال الصحيح. والحاكم: (١/١٤٨، رقم ٢٥٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضًا: البزار (٩/٢٩٧، رقم ٣٨٤٩). أخرجه الطبراني في الأوسط: (٦/٣٣٦ رقم ٦٥٦٢) قال الهيثمي: (١٠/٣٦١) فيه محمد بن عبيد الله العرزمي وهو متروك.

(٢) لعله من طريق أبي برزة.

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٤٢٤، رقم ١٩٨١٧) قال الهيثمي: (١٠/٣٦٧): رجاله رجال الصحيح. والحاكم: (١/١٤٨، رقم ٢٥٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضًا: البزار (٩/٢٩٧، رقم ٣٨٤٩).

(٤) أخرحه أحمد: (٥/١٤٩، رقم ٢١٣٦٥) ومسلم: (٤/١٧٩٨، رقم ٢٣٠٠)، والترمذي: (٤/٦٣٠، رقم ٢٤٤٥) وقال: حسن صحيح غريب.

(٥) أخرجه الطبراني: (٨/١١٩، رقم ٧٥٤٦)، قال الهيثمي: (١٠/٣٦٦): رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

والأكاويب: جمع كوب، وهو كوز لا عروة له.

وأخرج الحاكم، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا فرطكم على الحوض، وإن سعته ما بين الكوفة إلى الحجر الأسود، آنيته عدد النجوم[(١)]".

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

قال القرطبي: ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، وتارة أخرى يقدر بالزمان، فيقول: مسيرة شهر.

والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب.

وكان من حضره ممن يعرف تلك الجهات يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها.

وأما الكوثر: فأخرج الشيخان، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر قلت: ما هذا يا جبريل؟! قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله[(٢)]".

وأخرج مسلم، عن أنس، قال: غفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا فقال: "إنه أنزل علي آنفا سورة" فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: [١٥٦/ب] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها. قال: "هل تدرون ما الكوثر"؟! قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "هو نهر أعطانيه ربي في

---

(١) أخرجه الحاكم: (١٥٠/١، رقم ٢٥٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه الطيالسي: (ص ٢٦٧، رقم ١٩٩٢)، وأحمد: (١٠٣/٣، رقم ١٢٠٢٧)، والبخاري: (٢٤٠٦/٥، رقم ٦٢١٠) والترمذي: (٤٤٩/٥، رقم ٣٣٦٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى: (٥٢٣/٦، رقم ١١٧٠٦)، وابن حبان: (٣٩٠/١٤، رقم ٦٤٧٢).

الجنة، عليه خير كثير، ثم ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب[(١)]". الحديث.

وفي الترمذي وصححه، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الكوثر نهر في الجنة حافتاه من الذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج[(٢)]".

لطيفة: أخرج ابن أبي الدنيا، عن ابن مسعود، قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن عمل لله أغناه الله، ومن عفا لله أعفاه الله[(٣)].

وأخرج ابن خزيمة، والبيهقي، عن سلمان، مرفوعًا: "من سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة[(٤)]".

وأخرج الحاكم، عن أبي هريرة، مرفوعًا قال: "من أتاه أخوه متنصلًا فليقبل ذلك منه محقًا كان أو مبطلًا، فإن لم يفعل لم يرد عليَّ الحوض". التنصل - الاعتذار[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد: (١٠٢/٣، رقم ١٢٠١٥)، ومسلم: (٣٠٠/١، رقم ٤٠٠)، وأبو داود: (٢٠٨/١، رقم ٧٨٤)، والنسائي: (١٣٣/٢، رقم ٩٠٤). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٤٠/٧، رقم ٣٩٥١)، وأبو عوانة: (٤٤٨/١، رقم ١٦٥٥)، والبيهقي: (٤٣/٢، رقم ٢٢٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي: برقم (٣٣٦١) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف: ٦٩/١، وقضاء الحوائج: ٤١/١.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، والأصبهاني في الترغيب عن سلمان.

قال الحافظ ابن حجر في أطرافه: مداره على عليِّ بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، ويوسف ابن زياد الراوي عنه ضعيف جدا، وتابعه إياس بن عبد الغفار، عن علي بن زيد عند البيهقي في شعب الإيمان قال ابن حجر: وإياس ما عرفته انتهى.

والحديث أخرجه ابن خزيمة: (١٩١/٣، رقم ١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٠٥/٣، رقم ٣٦٠٨). وأخرجه أيضًا: الحارث كما في بغية الباحث: (٤١٢/١، رقم ٣٢١)، وابن عدي (٢٩٣/٥ ترجمة ١٤٣٢ عبد العزيز بن عبد الله) وقال: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات.

(٥) أخرجه الحاكم: (١٧٠/٤، رقم ٧٢٥٨) وقال: صحيح الإسناد. قال المنذري (٣٢١/٣): رواه الحاكم من رواية سويد، عن قتادة، عن أبي رافع عنه وقال: صحيح الإسناد، قال المنذري: بل =

وأخرج الطبراني، عن عائشة، مرفوعًا قال: "من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض[١]".

=

سويد هذا هو ابن عبد العزيز واه. وقال المناوي (٣١٩/٤): قال الحاكم: صحيح، ورده الذهبي فقال: بل سويد ضعيف.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٨٣/٨، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ إِلَّا أَبُو عَمْرٍو الْعَبْدِيُّ، وَلَا عَنْ أَبِي عَمْرٍو إِلَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَعْيَنَ، تَفَرَّدَ بِهِ: اللَّيْثُ.

وقال الهيثمي: فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَعْيَنَ وَهُوَ ضَعِيفٌ. ولفظه: «مَنِ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ فَلَمْ يَعْذُرْ، أَوْ لَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ مَكْسٍ».

فصل

في ذكر الصراط

وقد أخبر به الصادق المصدوق، والإيمان به واجب، وهو جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف، يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار. وأنكره أكثر المعتزلة لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين.

والجواب: أن الله تعالى على ما يشاء قدير، فالقادر على إمساك [١٥٧/أ] الطير في الهواء، قادر على أن يمسك عليه المؤمنين.

وذكر بعضهم أن الصراط خلق من حين خلقت جهنم.

أخرج أحمد، عن عائشة، مرفوعًا "لجهنم جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف، عليه كلاليب وحُسك، تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطير، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب والملائكة، يقولون: رب سلم رب سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه(١)".

وأخرج ابن ماجة، وابن خزيمة، والحاكم، عن أبي سعيد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يسحب الناس، فناج مسلم، ومخدوش به ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها(٢)".

وأخرج ابن جرير، والبيهقي، عن ابن مسعود قال: الصراط على جهنم مثل حد

---

(١) أخرجه أحمد/ (١١٠/٦، رقم ٢٤٨٣٧) قال الهيثمي (٣٥٩/١٠): فيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد: (١١/٣، رقم ١١٠٩٦) وابن ماجه: (١٤٣٠/٢، رقم ٤٢٨٠)، وابن حبان: (٣٧٧/١٦، رقم ٧٣٧٧)، والحاكم: (٦٢٨/٤، رقم ٨٧٣٨) وقال: صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه أيضًا: ابن المبارك في الزهد: (٤٤٨/١، رقم ١٢٦٨)، وابن أبي شيبة: (٥٨/٧، رقم ٣٤١٩٢)، وأورده ابن أبي حاتم في العلل (٢٢٥/٢، رقم ٢١٦٣).

وللحديث أطراف منها: "هل تضارون في رؤية".

ومن غريب الحديث: "حسك": الشوكة الصلبة.

السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم تمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم[١].

وأخرج هناد، عن ابن مسعود، قال: يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم، فتمر الناس على قدر أعمالهم، أولهم كلمح البصر، ثم كمر الريح، ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيًا، وحتى يمر الرجل مشيًا، ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه، يقول: رب لما أبطأت بي؟ فيقول: لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك[٢]. وأخرج البيهقي، عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الصراط كحد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي، وإني لأقول: يا رب سلم سلم: فالزالات والزالون يومئذ كثير". [١٥٧/ب].

وأخرج الحاكم وصححه، عن عبد الله بن سلام، قال: "إذا كان يوم القيامة يبعث الله الخليقة أمة أمة، ونبيا نبيا، حتى يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزاً، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادي مناد أين أحمد وأمته؟ فيقوم فتتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائهم، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه[٣]" - الحديث -.

وفي الطبراني من حديث ابن عباس مرفوعًا: "وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورًا، وكل منافق نورًا، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات. فقال المنافقون: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]. وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] فلا يذكر عند ذلك أحداً أحدًا"[٤].

وأخرج ابن شاهين بسند ضعيف، عن أبي أمامة، أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٢/١٨.

(٢) أخرجه أحمد نحوه: (٤٣٤/١، رقم ٤١٤١)، والترمذي (٣١٧/٥، رقم ٣١٥٩) وقال: حسن. والحاكم (٦٢٩/٤، رقم ٨٧٤١) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضًا: الدارمي (٤٢٤/٢، رقم ٢٨١٠).

(٣) أخرجه الحاكم: ٦١٢/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ وَلَيْس بِمَوْقُوفٍ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي مَعْرِفَةٍ قَدِيمَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَسْنَدَهُ بِذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ» وقال الذهبي: صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني: (١٢٢/١١، رقم ١١٢٤٢)، قال الهيثمي: (٣٥٩/١٠): رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك.

وسلم قال: "يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من الله، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا". قالت عائشة: يا رسول الله: ويكون يوم لا يغني عنا من الله شيء. قال: "نعم في ثلاثة مواطن: عند الميزان، وعند النور، والظلمة من شاء أتم نوره، ومن شاء تركه في ظلمه، وعند الصراط من شاء سلمه وأجازه إياه، ومن شاء كبكبه في النار". فقالت عائشة: يا رسول الله قد علمت الموازين وقد علمنا النور والظلمة فما الصراط؟ قال: "طريق بين الجنة والنار، وهو مثل حد الموسى، والملائكة صافون يمينا وشمالا، يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السعدان، وهم يقولون: رب سلم سلم، وأفئدتهم هواء، من شاء سلمه، ومن شاء كبكبه(١)".

وأخرج الترمذي، وحسنه والبيهقي عن أنس، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة. [١٥٨/أ] فقال: "أنا فاعل". قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: "اطلبني أول ما تطلبني على الصراط". قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: "فاطلبني عند الميزان". قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: "فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن(٢)".

قال: السيوطي: هذا الحديث يدل على أن الميزان على الصراط، وعلى أن الحوض ليس قبل الصراط بل بعده وبعد الميزان.

لطيفة: أخرج ابن عساكر، عن الفضيل بن عياض، قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله.

وقال مجاهد، والضحاك، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١٢] إنه الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، مسيرة ثلاثة آلاف عام سهلًا وصعودًا وهبوطًا. وفي الحديث، عن ابن عمر، مرفوعًا: "من مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام(٣)". وفي مرفوع أبي هريرة: "علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين، حتى

(١) أخرجه الطبراني: ٢٢٥/٨، وقال الهيثمي: فِيهِ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَلْهَانِيُّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

(٢) أخرجه الترمذي: (٢٤٣٣) عن عبد الله بن الصباح، عن بدل بن المحبَّر، عن حرب بن ميمون، بهذا الإسناد. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج: (ص ٤٧، رقم ٣٦).

تدخل الجنة، فلا تحدث في دين الله برأيك[(١)]".

وروى البيهقي، والطبراني مرفوعًا: "أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة على الصراط[(٢)]".وعن وهب، قال داود: يا رب من أسرع مرًّا على الصراط؟ قال: الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري.

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة، مرفوعًا: "من فرج عن مسلم كربة جعل الله له يوم القيامة شعبتين [١٥٨/ب] من نور على الصراط، يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة[(٣)]". وأخرج الشيخان، عن ابن عمر، ومسلم، عن جابر، والحاكم، عن أبي هريرة، وابن عمرو، والطبراني، عن الهرماس بن زياد، قالوا: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظلم فإنه هو الظلمات يوم القيامة[(٤)]".

---

(١) أخرجه الخطيب: (٣٨٠/٤) وأبو نصر السجزي في الإبانة، وقال غريب. والدارقطني، وابن النجار.

(٢) الطبراني عن أبي الدرداء، قال المناوي: وفيه من لا يعرف.

(٣) أخرجه الخطيب: (٥٢/١٢). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (٣٨٦/٤، رقم ٤٥٠٤)، قال الهيثمي: (١٩٣/٨): فيه العلاء بن سلمة بن عثمان وهو ضعيف. والديلمي: (٥٢٨/٣، رقم ٥٦٥٢).

(٤) حديث الهرماس: أخرجه الطبراني في الكبير: (٢٠٤/٢٢، رقم ٥٣٨)، وفي الأوسط: (١٩٧/١، رقم ٦٢٩) قال المنذري: (١٢٧/٣): له شواهد كثيرة. وقال الهيثمي (٢٣٥/٥): فيه عبد الله بن عبد الرحمن بن مليحة، وهو ضعيف.أخرجه الطبراني في الكبير: (٢٥/٢٠، رقم ٢٩). وأخرجه أيضًا: في الأوسط: (٣٤٧/٦، رقم ٦٥٨٧) قال الهيثمي (٢٣٥/٥): فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف، عن المسور بن مخرمة.
وعن ابن عمرو: أخرجه الطيالسي: (ص ٣٠٠، رقم ٢٢٧٢)، وأحمد: (١٩٥/٢، رقم ٦٨٣٧)، وابن حبان: (٥٧٩/١١، رقم ٥١٧٦)، والبيهقي: (٢٤٣/١٠، رقم ٢٠٩٢٨)، والحاكم: (٥٥/١، رقم ٢٦). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد: (١٧١/١، رقم ٤٨٨)، والطبراني في الأوسط: (٢٧/٧، رقم ٦٧٥٠)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: (٩٩/٢)، والضياء: (٢١٠/٥، رقم ٢٧٣٩).
وعن جابر: أخرجه أحمد: (٣٢٣/٣، رقم ١٤٥٠١)، والبخاري في الأدب المفرد: (١٧٠/١، رقم ٤٨٣)، ومسلم: (١٩٩٦/٤، رقم ٢٥٧٨). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد: (ص ٣٤٦، رقم ١١٤٣)، والطبراني في الأوسط: (٢٥٦/٨، رقم ٨٥٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩٣/٦، رقم ١١٢٨١)، وفي شعب الإيمان: (٤٢٤/٧، رقم ٢).
وعن أبي هريرة: أخرجه أحمد: (٤٣١/٢، رقم ٩٥٦٥)، والحاكم: (٥٦/١، رقم ٢٨). وأخرجه أيضًا: ابن حبان: (٥٨٠/١١، رقم ٥١٧٧)، والحميدي: (٤٩٠/٢، رقم ١١٥٩).

فصل

في الخصام والقصاص بين الناس

وذلك بعد المرور على الصراط، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]. أخرج أحمد، والترمذي، والحاكم، وصححه والبيهقي، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: لما نزلت قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]، قال الزبير: يا رسول الله أيكون علينا ما بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: "نعم ليكون عليكم ذلك حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه". قال الزبير: والله إن الأمر لشديد(١).

وأخرج البخاري، والإسماعيلي، في مستخرجه واللفظ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، قال: "يخلص المؤمنين من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله في الدنيا(٢)".

---

(١) أخرجه أحمد: ٤٥/٣، وقال محققه: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن عمرو- وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي المدني- فقد روى له البخاري مقرونا ومسلم متابعة، وهو صدوق حسنُ الحديث.

وأخرجه البزار: (٩٦٤)، وأبو يعلى: (٦٦٨)، والطبري: ٢٤/١-٢، والشاشي: (٣٢)، وأبو نعيم في الحلية: ٩١/١-٩٢، والحاكم: ٤٣٥/٢ من طرق عن محمد بن عمرو، بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه أحمد: (٦٣/٣، رقم ١١٦٢١)، وعبد بن حميد: (ص ٢٩١، رقم ٩٣٥)، والبخاري: (٨٦١/٢، رقم ٢٣٠٨)، وابن حبان: (٤٦٠/١٦، رقم ٧٤٣٤)، والحاكم: (٣٨٥/٢، رقم ٣٣٤٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٤٠٤/٢، رقم ١١٨٦).

ومن غريب الحديث: "قنطرة": الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة. "فيقتص": من القصاص، والمراد به: تتبع ما بينهم من =

قال ابن حجر: واختلف في القنطرة المذكورة فقيل: إنها تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة.

وقيل: إنها صراط آخر.

وبه جزم القرطبي، وقال: إن في الآخرة صراطين، صراط لعموم الخلق، وصراط [١٥٩/أ] للمؤمنين.

والأول هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط.

نعم صرح ابن برجان في (الإرشاد): بأن الكفار لا يمرون على الصراط.

وفي أحاديث ما يشهد له، وفي أحاديث أُخر ما يقتضي خلاف ذلك، وأنهم يمرون فحملت على المنافقين.

وعلى قول القرطبي لا إشكال، وأخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط، حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا، ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل".

وأخرج أحمد، والبخاري في (الأدب) والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلا بهما" قلنا: وما بهما؟ قال: "ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد، كما يسمعه من قرب. أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة". قلنا: وكيف؟ وإنما نأتي عراة غرلا بهما؟ قال: "بالحسنات والسيئات" وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] (١).

=

المظالم، وإسقاط بعضها ببعض. "نقوا": من التنقية، والنقاء: هو الشيء الخالص. "وهذبوا": خلصوا من الآثام بمقاصة بعضها ببعض.

(١) أخرجه أحمد: ٤٣٣/٢٥، وقال محققه: إسناده حسن، القاسم بن عبد الواحد المكي، سئل عنه أبو حاتم فقال: يُكتب حديثُه، ثم سُئل: يحتج بحديثه؟ قال: يحتج بحديث سفيان، وشعبة.

=

=

قلنا: وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال الذهبي: وثق.
قلنا: ولا نعلم فيه جرحاً. وعبد الله بن محمد بن عَقِيل قال الحافظ في "التلخيص": أما إذا انفرد فيُحَسَّن، وأما إذا خالف فلا يُقبل، وقال الذهبي في "الميزان": حديثه في مرتبة الحسن، قلنا: وقد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه عبد الله بن أنيس قد أخرج له أبو داود والترمذي. همّام بن يحيى: هو العَوْذي.
وأخرجه الحافظ في "تغليق التعليق" ٣٥٥/٥ من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد.
وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٣٣/١، ونسبه إلى أحمد والطبراني في "الكبير" وضعفه بعبد الله بن محمد بن عقيل.
وأخرجه الحارثُ بنُ أبي أسامة (٤٥) "زوائد"، والحاكم ٤٣٧/٢، و٥٧٤/٤، والبيهقي مختصراً في "الأسماء والصفات" ص ٧٨ و٢٧٣، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (١٧٤٨)، وفي "الرحلة" (٣١)، وابنُ عبد البر في "بيان العلم" ص ١٢٢ من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وجاء عند البيهقي والحاكم في الموضع الأول: رحل جابر إلى مصر بدل: الشام. وعند الحاكم في الموضع الثاني: الشك بين مصر أو الشام. زاد الحاكم في الموضع الأول: وتلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿اليوم تُجْزَى كل نفس بما كسبت لا ظُلْمَ اليوم﴾ [غافر:١٧].
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحسَّن الحافظ في "الفتح" ١٧٤/١ إسناد قسم الارتحال منه.
وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٩٧٠) عن موسى بن إسماعيل التبوذكي، وفي "خلق أفعال العباد" ص ٩٢، وفي "التاريخ" ١٦٩/٧- ١٧٠ (مختصراً) عن داود بن شبيب البصري، والحارث بن أبي أسامة (٤٤) "زوائد"، وابن عبد البر في "بيان العلم" ص ١٢٢ من طريق هدبة بن خالد، وابنُ أبي عاصم في "السنة" (٥١٤)، وفي "الآحاد والمثاني" (٢٠٣٤)، والخطيب في "الرحلة" (٣١)، وابن عبد البر في "بيان العلم" ص ١٢٣، والمزي في "تهذيب الكمال" في ترجمة القاسم بن عبد الواحد، وابن حجر في "تغليق التعليق" ٣٥٥/٥ من طريق شيبان بن فروخ، أربعتهم عن همام، بهذا الإسناد.
وزادوا فيه: وأومأ بيده إلى الشام، بعد قوله: "يحشر الناس يوم القيامة".
وأخرجه الخطيب في "الرحلة" (٣٢) من طريق عبد الوارث بن سعيد التنوري، والطبراني بنحوه في "الأوسط" (٨٥٨٨) من طريق داود بن وازع، كلاهما عن القاسم بن عبد الواحد، به.
وأخرجه مطولاً الطبراني في "مسند الشاميين" (١٥٦) عن الحسن بن جرير الصوري، عن عثمان بن سعيد الصيداوي، عن سليمان بن صالح، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن الحجاج بن دينار، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، به. قال الحافظ في "الفتح" ١٧٤/١: وإسناده صالح.

=

=

وأخرجه مطولاً الخطيب في "الرحلة" (٣٣) من طريق مقاتل بن حيان، عن أبي جارود العنسي- وهو بالنون الساكنة-، عن جابر، قال: بلغني حديث في القصاص. ولم يسم الصحابي، وسمى المكان: مصر. قال الحافظ في "الفتح" ١/١٧٤: وفي إسناده ضعف.

وعلقه البخاري في "صحيحه" ١/١٧٣ قال: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله ابن أنيس في حديث واحد. وعلقه أيضاً في موضع آخر ١٣/٤٥٤ قال: ويُذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "يحشُرُ اللهُ العبادَ فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديَّان".

وقد وصله الحافظ في "التغليق"، كما سلف في التخريج.

وقال الحافظ في "الفتح" ١/١٧٤: وادعى بعض المتأخرين أن هذا ينقض القاعدة المشهورة أن البخاري حيث يعلق بصيغة الجزم يكون صحيحاً، وحيث يعلق بصيغة التمريض يكون فيه علة، لأنه علقه بالجزم هنا، ثم أخرج طرفاً من متنه في كتاب التوحيد بصيغة التمريض... وهذه الدعوى مردودة، والقاعدة بحمد الله غير منتقضة، ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا، فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به، لأن الإسناد حسن واعتضد. وحيث ذكر طرفاً من المتن لم يجزم به، لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها، ولو اعتضدت، ومن هنا يظهر شفوف علمه، ودقة نظره، وحسن تصرفه رحمه الله.

وقال البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٧٣: وهذا حديث تفرد به القاسم بن عبد الواحد، عن ابن عقيل. والقاسم بن عبد الواحد بن أيمن المكي لم يحتج بهما الشيخان أبو عبد الله البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ولم يخرجا هذا الحديث في الصحيح بإسناده، وإنما أشار البخاري إليه في ترجمة الباب، واختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت صفة الصوت- في كلام الله عز وجل أو في حديث صحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيرُ حديثه، وليس بنا ضرورة إلى إثباته.

وفي الباب في حشر الناس عراة غرلاً عن ابن عباس، وعن عائشة، وفي باب القصاص: عن عثمان، وعن أبي هريرة، وعن أبي سعيد الخدري، وعن أبي ذر، وعن عائشة.

وفي الصوت أورد البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٧٤-٢٧٦ أحاديث توهم إثبات الصوت لله تعالى، وردها، فانظرها.

"غُرْلا" ضبط بضم معجمة فسكون راءٍ، أي: غير مختونين.

"بُهْماً" ضبط بضم فسكون.

"الديان" يُجازي العباد على أعمالهم.

"حتى أُقِصّه" ضُبِط من الإقصاص.

وأخرج أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقتص للخلق بعضهم من بعض، حتى للجماء من القرناء، وحتى للذرة من الذرة[(١)]".

وأخرج الشيخان، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء[(٢)]".

وأخرج الترمذي [١٥٩/ب] وحسنه، وابن ماجه والطبراني، واللفظ له، وابن مردويه، عن ابن عباس، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي المقتول متعلقا رأسه بإحدى يديه متلببًا قاتله باليد الأخرى، تشخب[(٣)] أوداجه دما، حتى يأتي العرش فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني فيقول الله للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار[(٤)]".

وأخرج البخاري، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات يؤخذ من سيئات أخيه، فطرحت عليه[(٥)]".

وأخرج مسلم والترمذي، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون من المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة

---

(١) أخرجه أحمد: ٣٦٥/١٤، وقال محققه: صحيح دون قوله: "وحتى للذرة من الذرة"، وهذا إسناد حسن، رجاله رجال الصحيح، إلا واصلًا -وهو مولى أبي عيينة- ويحيى بن عقيل، فإنهما يَقصُران عن رتبة الثقات وأهل الضبط.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: (٤٥٧/٥، رقم ٢٧٩٤٨)، وأحمد: (٣٨٨/١، رقم ٣٦٧٤)، والبخاري: (٢٥١٧/٦، رقم ٦٤٧١)، والنسائي في الكبرى: (٢٨٥/٢، رقم ٣٤٥٥)، وابن ماجه: (٨٧٣/٢، رقم ٢٦١٥، ٢٦١٧).

(٣) جاءت: (تشجب) أيضا.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: (٣٠٦/١٠، رقم ١٠٧٤٢). وأخرجه أيضًا: في الأوسط (٢٨٦/٤، رقم ٤٢١٧). قال الهيثمي (٢٩٧/٧): رجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه الطيالسي: (ص ٣٠٦، رقم ٢٣٢٧)، والبخاري: (٢٣٩٤/٥، رقم ٦١٦٩)، والترمذي: (٦١٣/٤، رقم ٢٤١٩) وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٤١٣/١١، رقم ٦٥٣٩).

ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فيطرح عليه ثم طرح في النار(١)".

وأخرج النسائي، عن ابن مسعود، مرفوعًا: "أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء(٢)".وأخرج الشيخان، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها، وولده، وهي مسؤولة [١٦٠/أ] عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته(٣)". وأخرج ابن حبان، وأبو نعيم، عن أنس مرفوعًا: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته(٤)".

وأخرج الطبراني، عن ابن عباس، مرفوعًا: "ما من أمير على عشرة إلا سئل عنهم يوم القيامة(٥)".

وأخرج أحمد، وابن حبان، عن عائشة، مرفوعًا: "يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط(٦)".

(١) أخرجه أحمد: (٣٣٤/٢، رقم ٨٣٩٥)، ومسلم: (١٩٩٧/٤، رقم ٢٥٨١)، والترمذي: (٦١٣/٤، رقم ٢٤١٨)، وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط: (١٥٦/٣، رقم ٢٧٧٨)، والديلمي (٦٠/٢، رقم ٢٣٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي: (١٧/٤، رقم ١٣٩٦) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: أحمد (٤٤٠/١، رقم ٤٢٠٠).

(٣) أخرجه أحمد: (٥/٢، رقم ٤٤٩٥)، والبخاري: (٨٤٨/٢، رقم ٢٢٧٨)، ومسلم: (١٤٥٩/٣، رقم ١٨٢٩)، وأبو داود: (١٣٠/٣، رقم ٢٩٢٨)، والترمذي: (٢٠٨/٤، رقم ١٧٠٥)، وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١٩٧/٢.

(٥) أخرجه الطبراني: (٤١١/١١، رقم ١٢١٦٦) قال الهيثمي: (٢٠٨/٥): فيه رشدين بن كريب، وهو ضعيف.

(٦) أخرجه أحمد: ٤١/١١، وقال محققه: إسناده ضعيف، صالح بن سرج، من رجال التعجيل، لم يذكروا في الرواة عنه سوى اثنين، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان على عادته في توثيق =

وأخرج الدينوري، عن محمد بن واسع، قال: بلغني أن أول من يدعى للحساب يوم القيامة القضاة.

وأخرج ابن ماجه، والبزار، عن ابن مسعود يرفعه: "يؤتى بالقاضي يوم القيامة فيوقف على شفير جهنم، فإن أمر به دفع فيها، فهوي فيها سبعين خريفا[(١)]".

وعن ابن عمر مرفوعًا: "لا يلي أحد من أمر الناس شيئا إلا أوقفه الله على جسر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة، فناج أو غير ناج، لا يبقى منهم عظم إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج ذهب به في جب مظلم كالقبر في جهنم، لا يبلغ قعره سبعين خريفا".

وأخرج الطبراني، بسند حسن، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة، لقيه المظلوم فيعرفه، وعرف ما ظلمه به، فما برح الذين ظلموا يقتصون من الذين

=

المجاهيل، وقد انفرد به. وعمرو بن العلاء الشني - وهي نسبة إلى شن، وهو بطن من عبد قيس - من رجال التعجيل كذلك، وقد روى عنه جمع، وذكره ابنُ حبان في الثقات، وبقية رجاله ثقات، سليمان بن داود: هو الطيالسي، وقد أخرج له مسلم، وعمران بن حطان أخرج له البخاري في المتابعات، وهو صدوق.

وهو عند الطيالسي (١٥٤٦) ومن طريقه أخرجه البيهقي: ٩٦/١٠.

وجاء عندهما: عمر بن العلاء اليشكري: قال البيهقي: كذا في كتابي: عمر ابن العلاء.

وأخرجه البخاري في تاريخه: ٢٨٢/٤، ووكيع محمد بن خلف، في أخبار القضاة: ٢٠/١ - ٢١، وابن حبان: (٥٠٥٥)، والطبراني في الأوسط: (٢٦٤٠)، والعقيلي في الضعفاء: ٣/ ٢٩٨ - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية: (١٢٦٠) — والبيهقي: ٩٦/١٠ من طرق عن عمرو بن العلاء، به.

وجاء عند ابن حبان: لم يقض بين اثنين في عمره. قال المنذري في الترغيب: (٣٢٠٩): تمرة، وعمره، متقاربان في الخط، ولعل أحدهما تصحيف. والله أعلم.

وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن عائشة إلا بهذا الإسناد، تفرد به عمرو بن العلاء.

وقال العقيلي: عمران بن حطان عن عائشة، ولا يتابع على حديثه.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع: ١٩٣/٤، وقال: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: " «أَرْبَعِينَ خَرِيفًا» ".
رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ مُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ وَثَّقَهُ النَّسَائِيُّ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ.

ظلموا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات، فإن لم يكن له حسنات رد عليهم من سيئاتهم، حتى يورده الدرك الأسفل من النار[(١)]".

وأخرج الحاكم، والبيهقي، وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ترفع للرجل الصحيفة [١٦٠/ب] يوم القيامة حتى يرى أنه ناج، فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما تبقى حسنة، ويزداد عليه من سيئاتهم[(٢)]".

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي قال: إن في جهنم جسرًا له سبع قناطر فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل له: ماذا عليك من الدين؟ فيقول: يا رب علي كذا وكذا. فيقال له: اقض دينك. فيقول: ما لي شيء. فيقول: خذوا من حسناته حتى ما يبقى له حسنة، حتى إذا فنيت حسناته قيل: قد فنيت فيقال: خذوا من سيئات من يطلبه فركبوا عليه[(٣)].

وأخرج ابن المبارك، وأبو نعيم، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة فينصبان على رؤوس الأولين والآخرين، فينادي مناد: هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على ابنها أو أخيها أو زوجها، ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيغفر الله من حقه ما يشاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئا. فيقول: يا رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟ قال: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق بقدر طلبته، فإن كان وليًا لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله الجنة، ثم قرأ علينا ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وإن كان عبدًا شقيًا قال الملك: رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثيرون. قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكًا إلى النار.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن مسعود، مرفوعًا: "إنه يكون للوالدين على

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١١٨/٦، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَيُّوبَ إِلَّا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ. وقال الهيثمي: وَرِجَالُهُ وُثِّقُوا.

(٢) أخرجه الحاكم: (٤٥/٢، رقم ٢٢٦٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الطبراني: ١٠٠/٨، وقال الهيثمي: فِيهِ كُلْثُومُ بْنُ زِيَادٍ، وَبَكْرُ بْنُ سَهْلٍ الدِّمْيَاطِيُّ، وَكِلَاهُمَا وُثِّقَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

ولدهما دين، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول أنا ولدكما فيودان لو كان أكثر من ذلك[(١)]".

وأخرج الشيخان، [١٦١/أ] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قذف مملوكه وهو بريء مما قال؛ أقيم عليه الحد يوم القيامة[(٢)]".

وأخرج أبو يعلى، والطبراني بأسانيد جياد، عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، دعا وصيفة له فأبطأت حتى استبان الغضب في وجهه، فَخَرَجْتُ فوجدتها تلعب ببهمة فدعوتها وبيده سواك فقال: "لولا مخافة القصاص لأوجعتك بهذا السواك[(٣)]".

وأخرج الطبراني، عن واثلة مرفوعًا قال: "من قذف ذميًا حُد له يوم القيامة بسياط من نار[(٤)]".

وأخرج أبو داود، عن عدة من الصحابة مرفوعًا قال: "ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه من حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة[(٥)]".

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يقولون: إذا قال: الرجل للرجل: يا كلب يا حمار يا خنزير قال الله يوم القيامة: أتراني خلقته كلبًا أو خنزيرًا أو حمارًا؟

وأخرج الأصبهاني، عن ابن عمر مرفوعًا قال: "كم من جار متعلق بجاره، يقول:

---

(١) أخرجه الطبراني: (٢١٩/١٠، رقم ١٠٥٢٦) قال الهيثمي: (٣٥٥/١٠): رواه الطبراني عن عمرو ابن مخلد عن زكريا بن يحيى الأنصاري، ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٢) أخرجه أحمد: (٤٣١/٢، رقم ٩٥٦٣)، والبخاري: (٢٥١٥/٦، رقم ٦٤٦٦)، وأبو داود: (٣٤١/٤، رقم ٥١٦٥)، والترمذي: (٣٣٥/٤، رقم ١٩٤٧) وقال: حسن صحيح.

(٣) ذكره الهيثمي: ٢٥٣/١٠، وقال: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيِّ.

(٤) أخرجه الطبراني: (٥٧/٢٢، رقم ١٣٥). وأخرجه أيضًا: الديلمي: (٤٨٢/٣، رقم ٥٤٩٦) قال الهيثمي: (٢٨٠/٦): فيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك.

(٥) أخرجه أبو داود: (١٧٠/٣، رقم ٣٠٥٢)، والبيهقي: (٢٠٥/٩، رقم ١٨٥١١).

يا رب سل هذا لِمَ أغلق عني بابه ومنعني فضله[(١)]".

وأخرج البزار، عن أنس مرفوعًا قال: "ويلٌ للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للغني من الفقير، وويل للفقير من الغني، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد[(٢)]".

وبالجملة فالأحاديث في هذا مما يطول ذكرها، والحاصل أن الله تعالى لا يترك لأحد عند أحد مثقال ذرة. بل ورد عن علي مرفوعًا قال: "إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه". أخرجه الأصبهاني.

وأخرج أبو نعيم، عن سعيد بن جبير قال: من عطس عنده أخوه المسلم فلم [١٦١/ب] يشمته كان دَيْنًا يأخذه به يوم القيامة.

قلت: هذا محمول عند العلماء فيما إذا حمد العاطس.

لطيفة: أخرج الحاكم، عن أبي أمامة مرفوعًا: "من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه، ثم مات، تجاوز الله عنه، وأرضى غريمه بما شاء، ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه، ثم مات، اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة[(٣)]".

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به[(٤)]".

سئل سفيان بن عينية، عن معنى هذا الحديث، فقال: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم، فيتحمل الله تعالى ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة.

وأخرج سعيد بن منصور، والحاكم، والبيهقي، عن أنس مرفوعًا قال: رجلان من

---

(١) أَخْرَجَهُ البخاري في (الأدب المفرد) ١١١ قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا عبد السلام، عن لَيْث، عن نافع، فذكره.

(٢) حديث أنس: أخرجه أيضًا: أبو يعلى (٨٠/٧، رقم ٤٠٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤٧/٦، رقم ٧٤٦٠).

(٣) أخرجه الحاكم: ٢٨/٢، وفيه بشر بن نمير، وهو متروك.

(٤) أخرجه أحمد: (٤٧٧/٢، رقم ١٠١٧٨)، ومسلم: (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١)، وابن ماجه: (٥٢٥/١، رقم ١٦٣٨)، والنسائي: (١٦٤/٤، رقم ٢٢١٨).

أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال: أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله: أعط أخاك مظلمته فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء. فقال الله للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب يتحمل من أوزاري. وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال: "إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم(١)". فقال الله للطالب: ارفع رأسك فانظر في الجنان. فرفع رأسه. فقال يا رب: أرى مدائن من فضة مرتفعة، وقصورًا من ذهب مكلفة باللؤلؤ، لأي نبي هذا، أو لأي صديق، أو لأي شهيد [١٦٢/أ] هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن. قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: بما يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب: أني قد عفوت عنه. قال الله: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عند ذلك اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة".

وأخرج الطبراني بسند حسن، عن أنس مرفوعًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا التقى الخلائق يوم القيامة، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادياً يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم، وثوابكم علي(٢)".

وأخرج أيضًا عن أم هانئ، مرفوعًا قال: "إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش، يا أهل التوحيد إن الله عز وجل قد عفا عنكم، فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلمات، فينادي مناد يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلي الثواب(٣)".

قال الغزالي: هذا محمول على من تاب من الظلم، ولم يعد إليه، وهم الأوابون في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] قال: القرطبي وهذا تأويل حسن.

---

(١) أخرجه الحاكم: ٦٢٠/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٢٢/٥، وقال الهيثمي: فِيهِ الْحَكَمُ بْنُ سِنَانٍ: أَبُو عَوْنٍ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: عِنْدَهُ وَهْمٌ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَمَحَلُّهُ الصِّدْقُ، يُكْتَبُ حَدِيثُهُ، وَضَعَّفَهُ غَيْرُهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٨٧/٢، رقم ١٣٣٦) قال الهيثمي: (٣٥٦/١٠): فيه أبو عاصم الربيع بن إسماعيل منكر الحديث قاله أبو حاتم.

فصل

في الانصراف من الموقف إلى ما أعد الله للسعداء والأشقياء

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦]. قال المفسرون: يصدرون من موقف الحساب، فيأخذ أهل الجنة ذات اليمين، وأهل النار ذات الشمال.

وحكى الثعلبي في تفسير: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

[١٦٢/ب] عن علي رضي الله عنه عنه مرفوعًا قال: "إذا حان الانصراف من بين يدي الله تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها، وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كل مؤمن حلته، ثم يستوون على مراكبهم، فتهوى بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]". وقد مر قول علي رضي الله عنه ما يحشرون - والله - على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها من ذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن نهموها طارت.

وأما ما يجدون من ريح الجنة قبل الوصول إليها، ففي حديث أبي هريرة: "أن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام[١]".

وفي حديث جابر: "ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام[٢]".

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: (١٥٩/٥، رقم ٤٩٣٨). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الصغير (٢٥٠/١، رقم ٤٠٨)، قال الهيثمي: (١٤٨/٨): فيه الربيع بن بدر وهو متروك. وأبو نعيم في الحلية: (٣٠٧/٣). وفي رواية مسلم: صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا.

أخرجه أحمد: (٣٥٥/٢، رقم ٨٦٥٠)، ومسلم: (١٦٨٠/٣، رقم ٢١٢٨). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٤٦/١٢، رقم ٦٦٩٠)، وابن حبان: (٥٠٠/١٦، رقم ٧٤٦١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: (١٨/٦، رقم ٥٦٦٤). قال الهيثمي: (١٤٩/٨): فيه محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جدًّا.

وأما اغتسالهم عند باب الجنة

فعن علي رضي الله عنه قال: يساقون إلى أبواب الجنة فيجدون عند بابها شجرة، يخرج من تحت ساقها عينان، يعمدون إلى إحداهما فيتطهرون، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير نضارتهم بعدها أبدا، كأنما دهنوا بالدهن، ثم يعمدون إلى الأخرى فيشربون منها، فأذهب ما في بطونهم من أذى أو قذى، وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: سلام عليكم. وأما كونهم يجدونها مفتحة فقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].

قال بعضهم: والحكمة في أنهم يجدونها مفتحة حتى لا يقفوا هناك، لأن دار الفرح والسرور لا تغلق بخلاف أهل النار، فإنهم يجدونها مغلقة الأبواب، كما هي حال [١٦٣/أ] السجون، فيقفون هناك حتى يفتح لهم إهانة لهم.

قال بعضهم: ويرد على هذا قوله عليه السلام: "أنا أول من يفتح باب الجنة(١)". الحديث. انتهى.

قلت: ويمكن الجواب بأن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام يسبقهم إلى الجنة، فيفتحها لهم، فيأتي أهلها بعد ذلك، فيجدونها مفتحة.

وأما ازدحامهم على أبواب الجنة

ففي الترمذي، والبيهقي، عن ابن عمر مرفوعًا: "باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول(٢)".

وأخرج مسلم، عن عُتبة بن غزوان، قال: ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام(٣).

---

(١) أخرجه أبو يعلى: (٧/١٢، رقم ٦٦٥١) قال الهيثمي: (١٦٢/٨): فيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال يخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أيضًا: الديلمي: (٣٤/١، رقم ٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي: (٦٨٤/٤، رقم ٢٥٤٨)، وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٤٠٧/٩، رقم ٥٥٥٤)، والديلمي: (٢٩/٢، رقم ٢١٨٣).

(٣) أخرجه أحمد: (١٧٤/٤، ١٧٧١٧) و(٦١/٥، ٢٠٨٨٥) قال: حدَّثنا وَكِيع، حدَّثنا قُرَّة بن خالد، عن حُمَيْد بن هِلاَل العَدَوِي، عن رجل منهم، يقال له: خالد بن عمير، فقال أبو نعامة: سمعتُه من خالد =

وأما تلقي الغلمان لهم

ففي الثعلبي، من قول علي رضي الله عنه: أنهم إذا اغتسلوا من أحد العينين اللتين عند باب الجنة، وشربوا من الأخرى، تلقتهم الملائكة.

قال: وتلقى كل غلمان صاحبهم، يطوفون به ويقولون: أبشر قد أعد الله لك كذا وكذا، فينطلق غلام من غلمانه، فيسعى إلى أزواجه من الحور العين. فيقول: هذا فلان باسمه الذي كان في الدنيا، قد قدم فيستخفهن الفرح، حتى يخرجن إلى أسكفة الباب، فيجيء فيدخل الدار، فإذا سرر موضونة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه، فإذا هو قد أسس على جبل من اللؤلؤ، ما بين أخضر وأصفر وأبيض، من كل لون، ثم يتكئ على [١٦٣/ب] أريكة من أرائكه، ثم يرفع طرفه إلى سقفه، وذكر أنه كالبرق. قال: فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال: فتناديهم

=

ابن عمير. وفي: ١٧٤/٤ (١٧٧١٨) قال: حدَّثنا بَهْز بن أَسَد، حدَّثنا سُلَيمان بن المُغِيرة، حدَّثنا حُمَيْد، يعني ابن هِلاَل. وفي: ٦١/٥ (٢٠٨٨٦) قال: حدَّثنا إِسْماعِيل، حدَّثنا أَيُّوب، عن حُمَيْد بن هِلاَل. و"مسلم": ٢١٥/٨ (٧٥٤٥) قال: حدَّثنا شَيْبَان بن فَرُّوخ، حدَّثنا سُلَيمان بن المُغِيرة، حدَّثنا حُمَيْد بن هِلاَل. وفي ٢١٦/٨ (٧٥٤٦) قال: وحدَّثني إِسْحاق بن عُمَر بن سَلِيط، حدَّثنا سُلَيمان بن المُغِيرة، حدَّثنا حُمَيْد بن هِلاَل. وفي (٧٥٤٧) قال: وحدَّثنا أبو كُرَيْب، مُحَمد بن العَلاَء، حدَّثنا وَكِيع، عن قُرَّة بن خالد، عن حُمَيْد بن هِلاَل. و"ابن ماجة": ٤١٥٦ قال: حدَّثنا أبو بَكْر بن أَبي شَيْبَة، حدَّثنا وَكِيع، عن أَبي نَعَامَة. و"النَّسائي" في "الكبرى" عن سُوَيْد بن نَصْر، عن عَبْد الله بن المُبَارك، عن سُلَيمان بن المُغِيرة، عن حُمَيْد بن هِلاَل.

كلاهما (حُمَيْد بن هِلاَل، وأبو نَعَامَة) عن خالد بن عُمَيْر، فذكره.

- في رواية أحمد (١٧٧١٨): خالد بن عمير، قال: خطب عتبة بن غزوان، قال بهز: وقال قبل هذه المرة: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- قال أبو عَبْد الرَّحْمان، عَبْد الله بن أحمد، عقب رواية وكيع: سَمِعْتُ أَبي يقول: ما حَدَّثَ بهذا الحديث غير وَكِيع، يعني أنه غَرِيبٌ.

- قال أحمد بن حَنْبل: أبو نَعَامة هذا عَمرو بن عِيسَى، وأبو نَعَامة السَّعْدِي آخر، أقدم من هذا، وهذا أكبر من ذاك.

الملائكة: ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمة الكلام على هذا، وذكر نعيمهم، وما أعد الله لهم فيها بعد دخولهم.

وأما أهل النار

فقال الله تعالى: فيهم ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشًا مشاة على أرجلهم، قد تقطعت أعناقهم من العطش.

والورد: جماعة يردون الماء، اسم على لفظ المصدر. قاله الثعلبي.

وقال الإمام الفخر: في هذه الآية ما يدل على أنهم يساقون إلى النار إهانة لهم واستخفافًا بهم، كنعم عطاش، تساق إلى الماء، والورد العطاش.

وفي مسلم، من حديث أبي سعيد الخدري: "إن أهل الأصنام والأنصاب إذا تساقطوا في النار، ولم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، وغير أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار[(١)]". الحديث.

ثم يدعى النصارى فيقال لهم: "ماذا كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا [١٦٤/أ] فاسقنا فيقال لهم: ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار". الحديث

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] أي يساقون سوقا عنيفا، يسحبون على وجوههم إلى النار زمرًا، أفواجًا بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة، بعد أن يقفوا على بابها، حتى تفتح أبوابها، لأنها لا تفتح إلا بعد مجيئهم، وفي وقوفهم حينئذ مذلة. وهكذا حال السجون، بخلاف أهل الجنة.

---

(١) أخرجه الطيالسي: (ص ٢٨٩، رقم ٢١٧٩)، وأحمد: (١٦/٣، رقم ١١١٤٣)، والبخاري: (١٦٧١/٤، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم: (١٦٧/١، رقم ١٨٣)، وابن ماجه: (٦٣/١، رقم ١٧٩).

ثم إذا دخلوا أهل النار النار، دفعتهم الزبانية إليها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣] أي يدفعون دفعا، فإذا وقفوا على النار قالوا: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧]، والواحد من خزنة النار يسوق الأمة وحده، وعلى رقبته جبل يرميهم في النار، ويرمى بالجبل عليهم.

قال عمرو بن دينار: إن الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

وقال الثعلبي وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] (تغيظًا) أي صوتا يغيظ، (وزفيرا) أى غليانًا يفور كالغضبان، إذا غلا صدره من الغضب.

وقال مطرف التغيظ: لا يسمع، والمعنى رأوا لها تغيظًا، وسمعوا لها زفيرًا.

وقال مكي في قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧] أي صوت الشهيق، والشهيق الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة، كصوت الحمار، [١٦٤/ب] ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧] بهم كما تغلى القدور.

قال مجاهد: تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير.

ومعنى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي تكاد جهنم تتفرق، وتتقطع، من الغيظ على الكفار. وسيأتي الكلام على صفة النار وصفة العذاب وما أعد الله لأهلها فيها.

تنبيه: في ورود النار قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] الآية.

اختلف العلماء ما المراد بالورود في هذه الآية:

فقيل: المراد به الدخول حقيقة، أخرج أحمد، والحاكم، وصححه والبيهقي، عن أبي سمية، قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن. وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا، ثم ينجي الله الذين اتقوا.

فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه: صمتا، إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها،

فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا[١]".

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق، ابن عباس فقال ابن عباس: الورود: الدخول[٢]. وقال نافع: لا فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقال: وردوا أم لا؟ وقرأ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] أوردوها أم لا؟ أما أنا [١٦٥/أ] وأنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟ وبذلك قال ابن مسعود، وعكرمة، وكثير من المفسرين، ورجحه القرطبي.

وقيل: المراد بالورود المرور على الصراط. ورجحه النووي.

أخرج هناد، عن الكلبي، قال: ورودها الممر عليها.

وأخرج البيهقي، عن الحسن، قال: الورود الممر عليها من غير أن يدخلها.

وأخرج الطبراني، والبيهقي، عن خالد بن معدان قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ربنا ألم تعدنا أن نرد النار؟ قال: بلى، ولكنكم مررتم عليها وهي خامدة.

وأخرج ابن جرير، عن غنيم بن قيس، قال: ذكروا ورود النار. فقال كعب: تمسك النار الناس كأنها متن إهالة، حتى تستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي. قال: فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم.

وقيل: المراد بالورود: الإشراف عليها، والاطلاع إليها، والقرب منها، لأنهم يحضرون موضع الحساب، وهو بقرب جهنم، فيرونها وينظرون إليها حالة الحساب،

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٢٨/٣، ١٤٥٧٤). وعَبْد بن حُمَيْد: (١١٠٦). كلاهما (أحمد، وعَبْد بن حُمَيْد) عن سُلَيْمَان بن حَرْب، قال: حدَّثنا غالب بن سُلَيْمَان، أبو صالح، عن كَثِير بن زِيَاد البُرْسَانِي، عن أَبي سُمَيَّة، فذكره.

(٢) أخرجه أحمد: (٣٢٨/٣، رقم ١٤٥٦٠) قال الهيثمي: (٥٥/٧): رجاله ثقات. وعبد بن حميد: (ص ٣٣٣، رقم ١١٠٦) والحاكم: (٦٣٠/٤، رقم ٨٧٤٤) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٣٦/١، رقم ٣٧٠) وقال: إسناده حسن. وأخرجه أيضًا: الحارث كما في بغية الباحث: (١٠٠٥/٢، رقم ١١٢٧).

ثم ننجي المتقين بالأمر بهم إلى الجنة، ونذر الظالمين فيها جثيا بالأمر بهم إلى النار، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] أي أشرف عليه ولم يدخله.

لطيفة:

أخرج أحمد، وسعيد بن منصور، والحاكم، والبيهقي، عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبد الله بن رواحة فقالت له امرأته: ما يبكيك؟ قال: إني أنبئت أني وارد النار ولم أنبأ أني صادر عنها.

وأخرج [١٦٥/ب] أحمد، عن الحسن قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها. قال: لا. قال: ففيم الضحك إذاً؟ فما رؤي ضاحكاً حتى مات والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

في ذكر الشفاعة الخاصة

وهي في من استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفي من دخل النار أن لا يخرج منها، وهي التي تكذب بها المبتدعة - قبحهم الله -. واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وذهبت المعتزلة أيضًا إلى أن من دخل النار فهو خالد فيها، لأنه إما كافر، أو صاحب كبيرة، مات بلا توبة، وهذا مذهب باطل بإجماع أهل السنة.

أخرج البخاري، عن عمر بن الخطاب، أنه خطب فقال: سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا.

وعن أنس قال: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب. وقيل له: إن قوما يكذبون بالشفاعة. قال: فلا تجالسوا أولئك.

وأخرج البيهقي، قال: ذكروا عند عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة. فقال رجل: يا أبا نجيد، إنكم لتحدثونا أحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن. فغضب عمران بن حصين وقال للرجل: أقرأت القرآن؟ [١٦٦/أ] قال: نعم. قال: هل وجدت صلاة العشاء أربعًا، وصلاة المغرب ثلاثًا، والفجر ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا قال: فعمن أخذتم هذا؟ ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم؟ ووجدتم في كل أربعين درهما درهما، وفي كل كذا شاة، وفي كل بعير كذا، أوجدتم في القرآن هكذا؟ قال: لا. قال ووجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. أوجدتم طوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم هذا في القرآن؟ عمن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا بلى. قال: أوجدتم في القرآن لا جلب، ولا جنب ولا شغار في الإسلام؟ قالوا لا. قال: فإن الله تعالى قال: في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وإنا أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم.

وأخرج البزار، والطبراني، وأبو نعيم بسند حسن، عن علي بن أبي طالب مرفوعًا قال: "أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى أرضيت يا محمد؟ فأقول: أي رب رضيت[(١)]".

وأخرج أحمد، والطبراني، والبزار بسند جيد، عن معاذ بن جبل، وأبي موسى مرفوعًا قال: "إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة؟ فاخترت لهم الشفاعة، وعلمت أنها أوسع لهم، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا[(٢)]".

وأخرج الطبراني مثله عن أنس، وأخرج أحمد، والطبراني، والبيهقي بسند صحيح، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف [١٦٦/ب] أمتي الجنة فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفأ، أترونها للمتقين، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين[(٣)]".

وأخرج الحاكم، والبيهقي وصححاه، عن أم حبيبة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُرِيتُ ما تلقى أمتي من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض، فأحزنني، وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل[(٤)]".

وأخرج أحمد، والبيهقي، والطبراني، عن بريدة مرفوعًا: "إني أشفع

---

(١) أخرجه البزار: (٢٣٩/٢، رقم ٦٣٨)، والطبراني في الأوسط: (٣٠٧/٢، رقم ٢٠٦٢). قال الهيثمي: (٣٧٧/١٠): فيه محمد بن أحمد بن زيد ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٢) أخرجه أحمد: (٢٣٢/٥، رقم ٢٢٠٧٨). وأخرجه أيضًا: البزار (١١٩/٧، رقم ٢٦٧٤)، والطبراني: (١٦٣/٢٠، رقم ٣٤٣). قال الهيثمي: (٣٦٨/١٠): رجال أحمد والطبراني، رجال الصحيح غير عاصم بن أبي النجود، وقد وثق وفيه ضعف، ورواه البزار باختصار، ولكن أبا المليح وأبا بردة لم يدركا معاذ بن جبل.

(٣) أخرجه ابن ماجه: (٤٣١١) قال: حدَّثنا إسماعيل بن أسد، قال: حدَّثنا أبو بدر، قال: حدَّثنا زياد ابن خيثمة، عن نعيم بن أبي هند، عن ربعي بن حراش، فذكره.

(٤) أخرجه أحمد: (٤٢٧/٦، رقم ٢٧٤٥٠)، والطبراني في الأوسط: (٥٢/٥، رقم ٤٦٤٨)، وفي الكبير: (٢٢٢/٢٣، رقم ٤١٠) قال الهيثمي: (٢٢٤/٧): رجالهما رجال الصحيح، والحاكم: (١٣٨/١، رقم ٢٢٧) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين. وذكره المنذري: (٢٣٣/٤، رقم ٥٤٩٧) وقال: رواه البيهقي في البعث وصحح إسناده.

يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من شجر ومدر[(١)]".

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "أَتِي جهنم فأضرب بابها فيفتح لي، فأدخلها، فأحمد الله بمحامد ما حمده أحد قبلي مثله، ولا يحمده أحد بعدي، ثم أخرج منها من قال: لا إله إلا الله مخلصًا، فيقوم إلي أناس من قريش فينتسبون إلي فأعرف نسبهم، ولا أعرف وجوههم فأتركهم في النار[(٢)]".

وأخرج البخاري، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد، ويدخلون الجنة ويُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ[(٣)]".

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أبي أمامة مرفوعًا قال: "نعم الرجل أنا لشرار أمتي". قيل: كيف يا رسول الله؟ قال: "أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم[(٤)]".

وفي رواية غير واحد أن شفاعته عليه الصلاة والسلام "لأهل الكبائر من أمته[(٥)]".

وأخرج ابن أبي عاصم، عن أنس، يرفعه قال: "ما زلت أشفع إلى ربي ويشفعني

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٤٧/٥، رقم ٢٣٠٠٧). وأخرجه أيضًا: الخطيب (٣٢٩/١٢)، والديلمي: (٦٠/١، رقم ١٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: (١٥١/٤، رقم ٣٨٤٥). قال ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار: (ص ٦٣): إسناده ضعيف. وقال الهيثمي (٣٧٩/١٠): فيه علي بن سعيد الرازي فيه لين، وفيه من لم أعرفه.

(٣) أخرجه أحمد: (٤٣٤/٤، ٢٠١٣٩). والبُخَارِي: (١٤٥/٨، ٦٥٦٦) قال: حدَّثنا مُسَدَّد. وأبو داود: (٤٧٤٠) قال: حدَّثنا مُسَدَّد. وابن ماجة: (٤٣١٥) قال: حدَّثنا مُحَمد بن بَشَّار. والتِّرمِذي: (٢٦٠٠) قال: حدَّثنا مُحَمد بن بَشَّار.

(٤) أخرجه الطبراني: (٩٧/٨، رقم ٧٤٨٣) قال الهيثمي: (٣٧٧/١٠): فيه جميع بن ثوب الرجبي قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن عدي: رواياته تدل على أنه ضعيف وبقية رجاله رجال الصحيح. وأبو نعيم في الحلية: (٢١٩/١٠). وأخرجه أيضًا: الديلمي: (٢٤٩/٤، رقم ٦٧٣٨).

(٥) أخرجه أحمد: (٢١٣/٣، رقم ١٣٢٤٥)، وأبو داود: (٢٣٦/٤، رقم ٤٧٣٩)، والترمذي: (٦٢٥/٤، رقم ٢٤٣٥) وقال: حسن صحيح غريب، وابن أبي عاصم: (٣٩٩/٢، رقم: ٨٣١)، وأبو يعلى: (٤٠/٦، رقم ٣٢٨٤)، وابن حبان: (٣٨٧/١٤، رقم ٦٤٦٨)، والطبراني: (٢٥٨/١، رقم ٧٤٩)، والحاكم: (١٣٩/١، رقم ٢٢٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان: (٢٨٧/١، رقم ٣١٠)، والضياء: (٣٨٢/٤، رقم ١٥٤٩).

[١٦٧/أ] وأشفع ويشفعني، حتى أقول: أي ربي شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله" فيقول: هذا ليس لك يا محمد، ولا لأحد، هذه لي وعزتي وجلالي، ورحمتي، لا أدع في النار أحدا يقول لا إله إلا الله[١].

لطيفة:

أخرج الطبراني، عن ابن عمر، مرفوعًا: "أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، والأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، وأول من أشفع له أولوا الفضل[٢]".

وفي رواية: "أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطائف[٣]".

وأخرج البيهقي بسند جيد، عن عثمان بن عفان، مرفوعًا: "من غش العرب لم يدخل في شفاعتي[٤]".

---

(١) أخرجه أبو يعلى: (١٧٢/٥، رقم ٢٧٨٦).

(٢) قال الهيثمي: فيهم من لم أعرفهم.

(٣) عن عبد الله بن جعفر، أخرجه الضياء: (١٨٦/٩، رقم ١٦٧). وعن عبد الملك أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد: (٥٤/١٠) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم. وأخرجه أيضًا: الفاكهي في أخبار مكة: (٧١/٣، رقم ١٨١٧).

(٤) أخرجه أحمد: (٧٢/١، رقم ٥١٩)، وابن أبي شيبة: (٤١٠/٦، رقم ٣٢٤٧١)، والترمذي: (٧٢٤/٥، رقم ٣٩٢٨) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: البزار (١٦/٢، رقم ٣٥٤)، وعبد بن حميد: (ص ٤٨، رقم ٥٣)، والديلمي: (٥٣٣/٣، رقم ٥٦٦٥).

فصل

في شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين والمؤذنين والأولاد

ففي حديث البيهقي، من حديث ابن مسعود، "لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء".

وأخرج ابن ماجه، والبيهقي، عن عثمان بن عفان مرفوعًا قال: "يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء[(١)]". وأخرجه البزار، وزاد في آخره (ثم المؤذنون).

وفي رواية للبيهقي، عن ابن مسعود، مرفوعًا: "ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين[(٢)]".

وأخرج الديلمي، من حديث ابن عمر مرفوعًا: "يقال للعالم اشفع في تلامذتك، ولو بلغت عدد نجوم السماء". وأخرج أبو داود، وابن حبان، عن أبي الدرداء مرفوعًا: "الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته[(٣)]". وأخرج [١٦٧/ب] البزار، والبيهقي، بسند صحيح عن أنس مرفوعًا: "أن الرجل يشفع في الرجل والرجلين والثلاثة".

وأخرج الترمذي، والحاكم، وصححاه، والبيهقي، عن عبد الله بن أبي الجدعاء، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي، أكثر من بني تميم"، قالوا: سواك يا رسول الله. قال: "سواي"[(٤)].

---

(١) أخرجه الخطيب: (١١/١٧٧)، والديلمي: (٥/٥١٩، رقم ٨٩٤٦). وقال الهيثمي: قُلْتُ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِاخْتِصَارِ الْمُؤَذِّنِينَ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ عَنْبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ.

(٢) أخرجه الطبراني: (١٠/٢١٤، رقم ١٠٥٠٩). قال الهيثمي: (١٠/٣٧٩): فيه من لم أعرفهم.

(٣) أخرجه أبو داود: (٣/١٥، رقم ٢٥٢٢)، والبيهقي: (٩/١٦٤، رقم ١٨٣٠٨). وأخرجه ابن حبان: (١٠/٥١٧، رقم ٤٦٦٠).

(٤) أخرجه الطيالسي: (ص ١٨١، رقم ١٢٨٣)، وأحمد: (٥/٣٦٦، رقم ٢٣١٥٤)، والدارمي: (٢/٤٢٣، رقم ٢٨٠٨)، وابن ماجه: (٢/١٤٤٣، رقم ٤٣١٦)، وأبو يعلى: (١٢/٢٨٠، رقم =

قال: بعضهم: يقال إنه عثمان بن عفان.

وأخرج البيهقي، عن الحسن، مرفوعًا: "يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر[(١)]". وصحح الحاكم رواية: "إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر، وإن من أمتي من سيعظم النار حتى يكون أحد زواياها[(٢)]".

وأخرج الطبراني، عن ابن مسعود، قال: "لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار، حتى إن إبليس الأبالس، ليتطاول لها رجاء أن تصيبه[(٣)]".

وأخرج الطبراني، عن جابر، مرفوعًا قال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، إني لأشفع فاشفع حتى أن من أشفع له فيشفع، حتى إن إبليس ليتطاول في الشفاعة[(٤)]".

وأخرج أبو يعلى، والبيهقي، عن أنس مرفوعًا قال: "إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجل من أهل النار، يا فلان أما تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا، فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك. قال: قد عرفتك. قال: فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله فيشفعه فيه ويخرج من النار[(٥)]".

=

٦٨٦٦)، وابن حبان: (٣٧٦/١٦، رقم ٧٣٧٦)، والحاكم: (١٤٢/١، رقم ٢٣٦)، والضياء: (١٤٠/٩، رقم ١٢١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٣٩٧/٦، رقم ٣٢٣٤٣)، والحاكم: (٤٥٧/٣، رقم ٥٧٢١)، وابن عساكر: (٤٣٨/٩).

(٢) أخرجه الحاكم: ٦٣٥/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(٣) أخرجه الطبراني: ٢١٥/١٠، وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مَوْقُوفًا، وَفِيهِ كَثِيرُ بْنُ يَحْيَى صَاحِبُ الْبَصْرِيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٢٠٢/٥ رقم ٥٠٨٢) قال الهيثمي: (٣٧٦/١٠): رجاله وثقوا على ضعف كثير في عبيد بن إسحاق العطار والقاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل.

(٥) أخرجه أبو يعلى: (٢١٠/٦، رقم ٣٤٩٠)، وقال الهيثمي: (٣٨٢/١٠): فيه علي بن أبي سارة، وهو متروك. وأخرجه أيضًا: ابن عدي (٢٠٢/٥، ترجمة ١٣٥٥ علي بن محمد بن أبي سارة الشيباني) وقال: قال البخاري: فيه نظر.

وأخرج أبو [١٦٨/أ] يعلى، والطبراني، عن أنس مرفوعًا قال: "تعرض أهل النار يوم القيامة صفوفًا، فيمر بهم المؤمنون، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين، قد عرفه في الدنيا فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استعنتني في حاجة كذا وكذا، فيذكر ذلك المؤمن، فيشفع له إلى ربه، فيشفعه فيه(١)".

وفي لفظ البيهقي: "أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفًا".

وفي لفظ ابن ماجه: "يمر الرجل على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني بحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له(٢)".

وفي مسند إسحاق بن راهويه مرفوعًا: "ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، أطفال لم يبلغوا الحدث، إلا جيء بهم حتى يقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون: أندخل ولم يدخل أبوانا؟ فيقال لهم: في الثانية أو الثالثة ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم(٣)".

تنبيه:

أخرج الشيخان، والحاكم، والدارقطني، من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمنين الفائزين إذا رأوا أنهم قد نجوا، وبقي إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا(٤)".

---

(١) قال الهيثمي: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ يُوسُفُ بْنُ خَالِدٍ السَّمْتِيُّ، وَهُوَ كَذَّابٌ.

(٢) أخرجه ابن ماجه: (١٢١٥/٢ رقم ٣٦٨٥) قال البوصيري: (١٠٥/٤): هذا إسناد ضعيف. وهناد: (١٤٢/١ رقم ١٨٧)

(٣) أخرجه أحمد: (١٥٣/٥، رقم ٢١٣٩٦)، والنسائي (٢٥/٤، رقم ١٨٧٦)، وأبو عوانة: (٥٠١/٤، رقم ٧٤٨٤)، وابن حبان: (٥٠١/١٠، رقم ٤٦٤٣)، والبيهقي: (١٧١/٩، رقم ١٨٣٤٥). والطبراني وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَأَعَادَهُ بِإِسْنَادٍ آخَرَ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَلَيْس فِيهِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) أخرجه البخاري: ١٢٩/٩، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر في الجامع: (٤٠٩/١١، رقم ٢٠٨٥٧)، وأحمد: (٩٤/٣، رقم ١١٩١٧)، وابن ماجه: (٢٣/١، رقم ٦٠)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة: (٢٩٤/١، رقم ٢٧٦).

زاد الحاكم: "ويحجون معنا، ويجاهدون معنا، قد أخذتهم النار. فيقول الله: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان، فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه، وإلى أنصاف ساقيه[1]".

زاد الحاكم: "وإلى ركبتيه، وإلى حقويه، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقال: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه [١٦٨/ب] مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا".

وقال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار جل جلاله وعز سلطانه ولا إله غيره: "بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا".

زاد الحاكم: "لم يعملوا له عمل خير قط، فيلقون في نهر يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافيته كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن جل وعلا، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه".

لطيفة:

وردت الأحاديث بشفاعة الإسلام، والقرآن، والأعمال الصالحة، ولا يقال: إنها أعراض، فكيف يصح تصورها بصورة الأجسام؟ لأنا نقول الأعمال والمعاني كلها مخلوقة لله تعالى، ولها صور عند الله، وإن كنا لا نشاهدها.

وقد نص أرباب الحقيقة على أن من أنواع الكشف الوقوف على حقائق المعاني، وإدراك صورها بصورة الأجسام، والأحاديث شاهدة لذلك، وهي كثيرة، وأقواها ما أخرجه الحاكم، وابن خزيمة، عن أبي موسى الأشعري، مرفوعًا: "إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس، تهدي إلى كريمها، تضيء لهم، يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج [١٦٩/أ] بياضا،

(١) أخرجه الحاكم: ٨٢٦/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ.

وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان، لا يطرفون تعجبًا، حتى يدخلون الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون[(١)]".

وفي حديث مسلم: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو ظلتان، سوداوتان، بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن صاحبهما[(٢)]". والأحاديث في هذا كثيرة.

(١) أخرجه الحاكم: ٤١٢/١، وقال: حَدِيثٌ شَاذٌّ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ «فَإِنَّ أَبَا مُعَيْدٍ مِنْ ثِقَاتِ الشَّامِيِّينَ الَّذِينَ يُجْمَعُ حَدِيثُهُمْ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الشَّامِ غَيْرَ أَنَّ الشَّيْخَانِ لَمْ يُخَرِّجَاهُ عَنْهُمَا، وقال الذهبي: خبر شاذ صحيح السند.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨)، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦)، والطبراني (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢)، والحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧١)، والبيهقي (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢). وأخرجه أيضاً: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤)، والطبراني في الأوسط: (١٥٠/١، رقم ٤٦٨)، والروياني (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤).

فصل

في سعة رحمة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية.

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] إلى غير ذلك من الآيات.

أخرج الشيخان، عن أبي هريرة، سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار[١]". وأخرج البزار، والطبراني بسند حسن، عن ابن عباس مرفوعًا: "أن الله عز وجل خلق مائة رحمة، رحمة منها قسمها بين الخلائق، وتسعة وتسعون إلى يوم القيامة[٢]".

وأخرج الطبراني، عن عبادة بن الصامت، مرفوعًا: "قسم ربنا رحمته مائة جزء، فأنزل منها جزءًا في الأرض، فهو الذي تتراحم به الناس، والطير، والبهائم، وبقيت عنده مائة رحمة، إلا رحمة واحدة لعباده يوم القيامة[٣]".

وأخرج أحمد، والبزار، وأبو يعلى، بسند صحيح عن أنس [١٦٩/ب] قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم، ونفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أم الصبي القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته. فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٧٤/٥، رقم ٦١٠٤)، ومسلم (٢١٠٨/٤، رقم ٢٧٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني (٣٧٤/١١، رقم ١٢٠٤٧). قال الهيثمي (٢١٤/١٠): رواه الطبراني والبزار، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢١٤/١٠) قال الهيثمي: فيه إسحاق بن يحيى لم يدرك عبادة، وبقية رجاله غير إسحاق رجال الصحيح.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا الله، لا يلقى حبيبه في النار[(١)]".

وأخرج الشيخان نحوه، عن عمر بن الخطاب، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها[(٢)]".

وأخرج البزار بسند صحيح، عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض مغازيه، فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير فأقبل أحد أبويه، حتى سقط في يد الذي أخذه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعجبوا فإن هذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم، فوالله لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه[(٣)]".

وأخرج البزار أيضا بسند حسن، عن أبي سعيد، مرفوعًا: "لو تعلمون قدر رحمة الله لاتَّكَلْتُم عليها".

وأخرج البيهقي، عن حذيفة بن اليمان، مرفوعًا: "والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر، والذي نفسي بيده ليغفرن يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه[(٤)]".

وأخرج أبو القاسم، عن عكرمة، عن ابن عباس، مرفوعًا: "إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش، إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين. قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة" قال: وأكثر ظني

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥/٣، رقم ١٣٤٩٢)، قال الهيثمي (٢١٣/١٠): رواه أحمد، والبزار، ورجالهما رجال الصحيح. وأبو يعلى (٣٩٧/٦، رقم ٣٧٤٧)، والحاكم (١٩٥/٤، رقم ٧٣٤٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٣٥/٥، رقم ٥٦٥٣)، ومسلم (٢١٠٩/٤، رقم ٢٧٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٢٨/٣). وأخرجه أيضًا: البزار (٤١١/١، رقم ٢٨٧).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٨٣/١٠، وقال: رَوَاهُ الْبَزَّارُ مِنْ طَرِيقَيْنِ، وَرِجَالُ إِحْدَاهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور: ٨٢/١، والطبراني في الأوسط: ٢٥٠/٥، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ حَمَّادٍ إِلَّا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي الْمُسَاوِرِ، وَسَعْدٌ أَبُو غَيْلَانَ.

وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً لَا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». وَفِي إِسْنَادِ الْكَبِيرِ سَعْدُ بْنُ طَالِبٍ: أَبُو غَيْلَانَ، وَثَّقَهُ أَبُو زُرْعَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ الْكَبِيرِ ثِقَاتٌ.

أنه قال مثل أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء [١٧٠/أ] الله[١].

وأخرج البيهقي، عن أبي هريرة، مرفوعًا: أمر الله بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنًا فقال الله: "ردوه أنا عند ظن عبدي بي[٢]".

لطيفة: أخرج الطبراني، والحاكم، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحشر هذه الأمة يوم القيامة على ثلاثة أصناف، فصنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابًا يسيرًا، ويدخلون الجنة، وصنف يجيئون على حمائلهم كأمثال الجبال الراسية، فيقول الله للملائكة وهو أعلم بهم، من هؤلاء؟ فيقولون: ربنا عبيد كانوا يعبدونك لا يشركون بك شيئًا، وعلى ظهورهم الخطايا والذنوب، فيقول: حطوها عنهم وضعوها على اليهود والنصارى، وادخلوا الجنة برحمتي[٣]".

وأخرج ابن ماجه، والبيهقي، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه أمة مرحومة، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين. فيقال: هذا فداؤك من النار[٤]".

(١) أخرجه البخاري: ٧٤٢٢، بلفظ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي".

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٧/٤، رقم ٢٦٧٥)، والترمذي (٥٩٦/٤، رقم ٢٣٨٨) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أحمد (٣٩١/٢، رقم ٩٠٦٥) قال الهيثمي (٣١٩/٢): فيه ابن لهيعة وفيه كلام. وابن حبان (٤٠٥/٢، رقم ٦٣٩).

(٣) أخرجه الحاكم: ٦٤٩/٤، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.
وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عُثْمَانُ بْنُ مَطَرٍ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ.

(٤) أخرجه أبو حنيفة في مسنده، برقم: (٤)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٥٣٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٢٩٢)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (٤٦٧)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٤٩٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٩٧٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٨٨).

وأخرج مسلم، عن أبي موسى، رفعه "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود[(١)]".

وأخرج أيضًا من وجه آخر بلفظ: "إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا، أو نصرانيًا، فيقول: هذا فداؤك من النار[(٢)]".

قال القرطبي: ومعنى يضعها على اليهود والنصارى، أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم، وجرم مذنبي المسلمين، لو أخذوا بذلك [١٧٠/ب] لأنه تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] وله أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشيئته. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٧٧٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٩٠).

(٢) أخرجه أبو حنيفة في مسنده، برقم: (٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٩١٠٢)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٥٣٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٢٩٢)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٣١٠١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٧٢٦٧)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (٤٦٧)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٥٥٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٨٧).

الباب الثامن

في ذكر الجنة ونعيمها

رزقنا الله سبحانه وتعالى إياها بمنه وكرمه.

وقد جعلتها ثامن أبواب هذا الكتاب، لأن لها ثمانية أبواب، وقد مر سابقاً أن دخولها ليس بالأعمال ولا غيرها، وإنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، وإن الفقراء يسبقون الأغنياء إليها بخمسمائة عام على ما مر، وتقدم قريبًا أنهم يجدونها مفتحة لهم الأبواب، وأنهم يزدحمون على أبوابها، مع عظم اتساعها، وأن الغلمان تتلقاهم، وأن أزواجهم من الحور العين يستخفن الفرح حتى يخرجن من القصور لملاقاتهم.

وسنشرع فيما وعدنا به سابقًا فنقول: أخرج مسلم، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول من يقرع باب الجنة[1]".

وفي رواية أخرى لمسلم: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح[2]" فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: "محمد". فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك.

وأخرج أبو يعلى، والأصبهاني، عن أبي هريرة، مرفوعًا: "أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني[3]" فأقول: "ما لك" أو "من أنت؟" فتقول: "أنا امرأة قعدت على أيتامي".

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن عمر بن الخطاب، مرفوعًا قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٦٨٥٩)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣٩٦٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦٤٨١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٢٠٦٠)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١٢٧١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٩٨)، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، برقم: (٢٦٨)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٧٦٤٣)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٥٤)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤١٨)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (١١٩١)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٢٠٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٠).

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٦٥١)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٥٥٠).

"الجنة حرمت على الأنبياء، حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي[1]". وفي حديث جابر، [١٧١/أ] يا رسول الله، أي الخلق أول دخولًا الجنة يوم القيامة؟ قال: "الأنبياء". قال: ثم من؟ قال: "الشهداء". قال: ثم من؟ قال: "مؤذنو الكعبة" قال: ثم من؟ قال: "مؤذنو بيت المقدس". قال: ثم من؟ قال:"ثم مؤذنو مسجدي هذا". قال: ثم من؟ قال: "ثم سائر المؤذنين على قدر أعمالهم".

وفي حديث صححه البيهقي: "أول من يدعى إلى الجنة الحمادون، الذين يحمدون الله في السراء والضراء[2]".

وأما صفة أهل الجنة

ففي الشيخين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستين ذراعًا في السماء[3]".

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٩٤٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء، برقم: (١٧٦٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١٠٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٠٣٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٣٤٥).

(٣) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٢٠٠٥)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٦٦)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٥٨٥)، وأخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٧٠٠٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٦٤٥١)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٤٦٠)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٢٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٤٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٠٨٤)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٣٧٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٣٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٣٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم:
=

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن عمر مرفوعًا قال: "والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام[(١)]".

وأخرج أحمد، والطبراني، وابن أبي الدنيا بسند حسن، عن أبي هريرة مرفوعًا: "يدخل الجنة أهل الجنة جردًا مردًا بيضًا جعدًا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم، وطوله ستون ذراعًا، في عرض سبعة أذرع".

وأخرج الترمذي، وأبو يعلى، وابن أبي الدنيا، عن أبي سعيد، مرفوعاً قال: "من مات من أهل الدنيا من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار".

وأخرج الطبراني، عن المقداد بن الأسود، مرفوعًا: "يحشر الناس ما بين [١٧١/ب] السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم، وحسن يوسف، وقلب أيوب، مكحلين ذوي أفانين[(٢)]" أي شعور وجمم.

ولعل المراد بقوله يحشر: أي عند دخول الجنة، والأطفال يأتون الموقف كهيئتهم، وعند الدخول يكونون في الجنة كالبالغين.

قال القرطبي: تكون الآدميات في الجنة على سن واحد.

وأما الحور فأصناف مصنفة، صغار وكبار، على ما اشتهت أنفس أهل الجنة.

وأخرج أبو الشيخ، وابن عساكر، عن جابر مرفوعًا: "ليس أحد يدخل الجنة إلا جردًا مردًا إلا موسى بن عمران، فإن لحيته تبلغ سرته، وليس أحد يكنى في الجنة إلا آدم عليه السلام، له لحية سوداء إلى سرته". قال الحفاظ: حديث إن لإبراهيم الخليل، ولأبي بكر الصديق لحية في الجنة لم يصح.

=

(١٩٣٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٧٨٢)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦٠٧)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥٢٥)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٠٥).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٣٥٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٦٦٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٢١).

وكذا ما ورد في الطبراني، من أن أهل الجنة جردًا مردًا إلا موسى فإن له لحية تضرب إلى سرته.

وما ذكر القرطبي: أن ذلك ورد في حق هارون أخيه أيضًا، وبعضهم أنه ورد في حق آدم، ولا يعلم ثبوت شيء من ذلك أصلا.

وأخرج ابن المبارك، عن ابن شهاب، قال: لسان أهل الجنة عربي.

قال القرطبي: ولسانهم إذا خرجوا من القبور سرياني.

وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا أدخلوا الجنة تكلموا بالعربية. انتهى.

قلت: وفيه بحث فإن القرآن ناطق بتكلمهم بالعربية قبل دخول الجنة.

قال تعالى حكاية عنهم: [١٧٢/أ] ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: ٥٢].﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وكذلك لسان أهل النار.

قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

اللهم إلا أن يكون ذلك من باب حكاية المعنى جمعًا للقولين، فليتأمل.

وذكر المفسرون، والبيهقي، وابن أبي حاتم، من طريق عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب، في قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]. قال: يساقون حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها، وجدوا عنده شجرة، يخرج من تحت ساقها، عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها، فذهب ما في بطونهم من أذى، أو قذى، أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم بعدها أبدًا، ولن تشعث أشعارهم، كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة، فقالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف أهل الدنيا بالحميم، يقدم من غيبته، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة، ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا. فتقول: أنت رأيته. فيقول: أنا رأيته. فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه، فإذا

جزل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ثم رفع [١٧٢/ب] رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، لولا أن الله قدره له لألـم أن يذهب ببصره ثـم طأطأ رأسه، فنظر إلى أزواج وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، فنظر إلى تلك النعمة ثم تلوا وقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] الآية. ثـم ينـادي منـادٍ: تحيـون فـلا تموتـون أبـدًا، وتقيمـون فـلا تظعنـون أبـدًا، وتـصحون فـلا تمرضون أبدًا. هكذا أخرجوه من هذا الطريق موقوفًا.

قال الحافظ: وهو أصح وأشهر، وروي من وجه آخر مرفوعًا.

وأخرج ابن أبي الدنيا، من طريق الحارث الأعور، عن علي قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

قلت: يا رسول الله ما الوفد إلا الركب؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض، لها أجنحة، عليها رحال الذهب، شرك نعلهم نور، يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت وجوههم بنضرة النعيم، وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدًا، فيضربون الحلقة بالصحيفة، فلو سمعت طنين الحلقة يا علي فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عرفه نفسه لخر له ساجدًا لما يرى من النور والبهاء. فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفو أثره فيأتي زوجته فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة فتعانقه، [١٧٣/أ] وتقول: أنت حبي، وأنا حبتك، وأنا الراضية فلا أسخط أبدًا، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدًا، وأنا الخالدة فلا أظعن أبدًا، فيدخل بيتًا من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع، بني على جندل اللؤلؤ والياقوت، على طرائق حمر، وطرائق خضر، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير، على السرير سبعون فراشا، عليها سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يُرى مخ ساقها من باطن الحلل، يفضى جماعهن في مقدار ليلة، تجري من تحتهم الأنهار، أنهار مطردة، أنهار من ماء غير

آسن، صافٍ ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض، فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها، من أي الألوان شاؤوا، ثم تطير فتذهب فيها ثمارها متدلية، إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم، فيأكلون من أي الثمار شاؤوا، وإن شاء قائمًا، وإن شاء قاعدًا، وإن شاء، متكئًا وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ. وذكر المفسرون وحكاه الثعلبي عن الضحاك في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون.

قال: فيبعث الله ملكًا من الملائكة معه هدية من رب العالمين، فيكسوه من كسوة الجنة فيلبسه.

قال: فيريد أن يدخل الجنة. فيقول الملك: [١٧٣/ب] كما أنت فيقف ومعه عشرة خواتم من خواتم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها في أصابعه مكتوب في أول خاتم منها: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وفي الثاني: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]. وفي الثالث: (رفعت عنكم الأحزان والهموم)، وفي الرابع: (وزوجناكم الحور العين)، وفي الخامس: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]. وفي السادس: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [المؤمنون: ١١١]، وفي السابع: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]، وفي الثامن: (صرتم آمنين لا تخافون أبدًا)، وفي التاسع: (رافقتم النبيين والصديقين والشهداء)، وفي العاشر: (سكنتم في جوار من لا يؤذي الجيران)، ثم يقول الملك: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾، فلما دخلوا بيوتًا ترفع قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] الآية.

وأخرج الطبراني، والبيهقي، عن سلمان الفارسي مرفوعًا: "لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة

عالية قطوفها دانية[1]".

وأخرجه أيضًا المقدسي، في صفة الجنة من وجه آخر عن سلمان بلفظ: "يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية".

وذكر المفسرون، وأخرجه البيهقي، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، قال: هو استئذان الملائكة عليهم لا يدخل عليهم إلا بإذن.

وعن أبي سليمان في الآية قال: الملك [١٧٤/أ] الكبير: إن رسول رب العزة يأتيه بالتحف واللطف فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليهم، فيقول للحاجب: استأذن عليَّ وليَّ الله، فإني لست أصل إليه. فيعلم ذلك الحاجب حاجبًا آخر، وحاجب بعد حاجب، فيأذن له، ومن داره إلى دار السلام، باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وعن الحسن البصري، مرفوعًا: "إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين، على خيل من ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب، إذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا".

وقيل في الآية غير ذلك، وسيأتي الكلام مفصلا على نعيم أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١١٩١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٩٨٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٦١٩١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٤٧).

فصل

في ذكر صفة أهل الجنة

قد مر في صدر هذا الكتاب أنها مخلوقة الآن خلافًا للخوارج، وأنها فوق السماء السابعة تحت العرش، خلافًا لابن حزم حيث قال: إنها في السماء السادسة، وتقدمت الأدلة على ذلك، وها نحن نشرع في بيان صفتها، وما أعد الله فيها لأوليائه قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. أخرج الحاكم وصححه، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ قال: "أرأيت الليل الذي قد التبس كل شيء منه فأين جعل النهار(١)؟" قال: الله أعلم. قال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]. [١٧٤/ب].

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر(٢)". قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٦).

(٢) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٧٤)، وأخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢١)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٧٠)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٦٨٨)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٢٨)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٤٧٧٩)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٢٩٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٢٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٢٨)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٠١٩)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٢٧٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٣٦٩)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٣٢٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٢٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٠٠)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٧٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٦٤).

وأخرج الطبراني بسند جيد، عن ابن عباس، مرفوعًا قال: "لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل[(١)]".

وأخرج البزار، والطبراني، والبيهقي، عن أبي سعيد، مرفوعًا قال: "خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلمي. فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. فقالت الملائكة: طوبى لك منزلة الملوك[(٢)]".

وأخرج ابن أبي شيبة، والطبراني، وابن أبي الدنيا، بسند حسن عن ابن عمر، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي؟ قال: "من يدخل الجنة يحيى لا يموت، وينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه". قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: "لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها مسك أذفر، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران". وأخرج أحمد، والترمذي، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: "لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت، وملاطها المسك، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا [١٧٥/أ] يفنى شبابه". الملاط بكسر الميم: الطين الذي يجعل بين اللبن في البناء.

وأخرج البزار، والبيهقي، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ومجامرهم الألوة، وأمشاطهم الذهب، ترابها زعفران، وطينه مسك[(٣)]".

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٣٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١١٤٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٥٢٩)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (٢٠٠٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٥٣٢)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٧).

(٣) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٦٦)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٥٧٥)، وأخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٩٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٧٣٨٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٤٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، =

وأخرج البزار، والبيهقي، عن أبي سعيد مرفوعًا قال: "إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ثم شقق فيها الأنهار، وغرس فيها الأشجار، فلما نظرت الملائكة إلى حسنها وزهرتها قالت: طوبى لكِ منازل الملوك[1]". وأخرج مسلم، عن أبي سعيد الخدري، أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال: "درمكة بيضاء مسك خالص". أصل الدرمك: الدقيق الأبيض.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عن أبي زميل، أنه سأل ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة. قال: فقلت: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها طلوع الشمس فذلك نورها، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير. قلت: فما أنهارها أفي أخدود؟ قال: لا ولكنها تجري على وجه الأرض، لا تفيض هاهنا ولا هاهنا. قلت: فما حلل الجنة؟ قال: فيها الشجر فيها ثمر كأنه الرمان، فإذا أراد ولي الله منها كسوة، انحدرت إليه من غصنها، فانقلبت له عن سبعين حلة، ألوانًا بعد ألوان ثم تتطبق فترجع كما كانت.

وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات، وأبو الشيخ عن سهل بن سعد مرفوعًا قال: "إن في الجنة مراغًا من مسك مثل مراغ دوابكم في الدنيا[2]".

وأخرج أبو نعيم، عن سعيد بن جبير، قال: أرض الجنة فضة [١٧٥/ب].

وأخرج ابن المبارك، وابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة قال: حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ودرجها اللؤلؤ والياقوت، ورضراضها اللؤلؤ، وترابها الزعفران الرضراض، - بفتح الراء -، وبضاضين - معجمتين - صغار الحصى.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "أرض الجنة بيضاء، عرصتها

=

برقم: (٢٨٣٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٠٨٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٣٧)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٣٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٢٧٣)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦٠٧)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٠٥).

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢١٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (١٧٦١).

صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فتجتمع فيها أهل الجنة أولهم وآخرهم، فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة، فتهيج عليهم المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته، وقد ازداد حسنًا وطيبًا، فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجابًا".

وأخرج أبو الشيخ عن مغيث بن سمي قال: إن في الجنة قصورًا من ذهب، وقصورًا من فضة، وقصورًا من ياقوت، وقصورًا من زبرجد، ترابها المسك والزعفران.

وأخرج ابن المبارك، والطبراني، وأبو الشيخ، والبيهقي، عن عمران بن حصين، وأبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢] قال: "قصر من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشًا من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونًا من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفًا ووصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع[(١)]".

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن عمر بن الخطاب، قال: في الجنة قصر له أربعة آلاف مصراع، على كل باب خمس وعشرون ألف من [١٧٦/أ] الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد.

وأخرج الشيخان، من مرفوع سهل: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها[(٢)]".

---

(١) أخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٣٥٦٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٢٧٣)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم: (١٧٧٧)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٨٥٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٥٣)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦٠٩)، وأخرجه البيهقي في فضائل الأوقات، برقم: (٤٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٢٩٢٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٥١٣٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٤١٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٠١٣)، =

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أنس مرفوعًا: "خلق الله جنة عدن بيده، بناؤها لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زمردة خضراء، ملاطها المسك، وحشيشها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، وترابها العنبر، ثم قال: لها: انطقي". فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. فقال: "وعزتي وجلالي لا يجاورني فيكِ بخيل[١]".

وفي حديث آخر: قال: "وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث". قالوا: يا رسول الله ما الديوث؟ قال: "الذي يقر السوء في أهله".

وأخرج ابن ماجه، وابن حبان، والبيهقي، وأبو داود، والبزار، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عن أسامة بن زيد، مرفوعًا قال: "ألا هل مشمر للجنة[٢]؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطردة، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية". قالوا: يا رسول الله نحن المشمرون لها. قال: "قولوا: إن شاء الله"[٣]. قال القوم: إن شاء الله.

وأخرج الترمذي، وابن أبي الدنيا، عن سعد بن أبي وقاص، مرفوعًا قال: "لو أن ما يقل ظفرًا مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو

=

وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٧٥١٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٨٨٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٢٩٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٩: ص١٥٨).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٥١٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٧٢٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٨١)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٤٢١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٩١).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣٢)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٢٥٩١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٨١)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٤٢١)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦٠١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٩١).

أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم[(١)]".

وفي الترمذي، من حديث أبي هريرة، قلت: يا رسول الله ما الجنة، ما بناؤها؟ قال: "لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك [١٧٦/ب] الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يَبْأَس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم[(٢)]". الحديث.

وأخرج البيهقي، عن عبد الملك بن أبي بشر، رفع الحديث قال: "ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب قد طابت ثمرتي، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، عجل إلي بأهلي. وتقول النار: اشتد حري، وبعد قعري، وعظم جمري، عجل إلي بأهلي[(٣)]".

وأخرج الأصبهاني في الترغيب: أوحى الله تعالى إلى عيسى، يا عيسى لو رأت عينك ما أعددت لعبادي الصالحين لذاب قلبك، وزهقت نفسك اشتياقا إليه.

لطيفة:

أخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "تراح رائحة الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر[(٤)]".

وأخرج الطبراني، عن جابر مرفوعًا قال: "ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجد ريحها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌّ إزاره خيلاء".

وأخرج أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة،

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٥)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٤٥٢)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٠٨٨).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٢٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٢٥)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٨٢)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤١٨).

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٧٤).

(٤) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق، برقم: (٢٦٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١٤٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٩٣٨).

مرفوعًا: "من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليُصِيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة".

وأما عدد الجنات ودرجاتها

فقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، وقال: ﴿جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، وقال: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥]، وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، وقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قال القرطبي: قيل الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، ودار الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة نعيم، والفردوس، وزاد بعضهم: (عليين).

في حديث البراء مرفوعًا: "إن عليين تحت العرش".

وقيل: [١٧٧/أ] إن أهل عليين ينظرون إلى الجنة، فإذا أشرف رجل أشرقت له الجنة. وقالوا: قد طلع علينا رجل من أهل عليين. فعلى هذا: الجنان ثمان.

وقيل أربع فقط واختاره الحليمي.

لما أخرج أحمد، والطيالسي، والبيهقي، عن أبي موسى مرفوعًا قال: "جنان الفردوس أربع: جنتان من ذهب، حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، حليتهما وآنيتهما وما فيهما(١)". الحديث.

وهذه الأربع توصف بالمأوى، والخلد، والعدن، والسلام.

وقال ابن زيد: هي أربع: جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين.

وأخرج الشيخان، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن".

وأخرج البيهقي، عن ابن عباس، قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٩٢٣١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢١٧).

جنة، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة" وقال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]. قال: وهي التي لا يعلم الخلائق ما فيهما. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، فإن حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها[(١)]". قالوا: يا رسول الله: أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، [١٧٧/ب] فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة[(٢)]". المراد بوسط الجنة: خيارها وأفضلها.

وقال ابن حبان: وسطها في العرض وحوله الجنان وأعلاها في الارتفاع.

وأخرج الترمذي، والحاكم، والبيهقي، عن عبادة بن الصامت مرفوعًا قال: "إن

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٥٣٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٢١٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٢٧٩٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٢٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٥٣٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥٠٧٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢١٥٨١)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١٨٢)، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، برقم: (٤٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٢٧٩٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣١)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٤٣٢٥)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (١٥٣)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (١٢٣٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٩٠)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٢٠٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٧٤٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٢٧)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٧٥)، وأخرجه أبو بكر بن المقرئ في معجمه، برقم: (٣٥٧)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٦١١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٩٣)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٩: ص١٥٨)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص٩٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٣٨).

في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها يكون العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس[(١)]".

وعن أبي هريرة: الفردوس جبل في الجنة من مسك من أصله تتفجر أنهار الجنة.

وأخرج الترمذي، عن أبي سعيد، مرفوعًا قال: "إن في الجنة مائة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم[(٢)]".

وفي حديث آخر قال: "في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، أول درجة منها دورها، وبيوتها، وأبوابها، وسررها، ومغاليقها من فضة، والدرجة الثانية دورها وبيوتها، وأبوابها، وسررها، ومغاليقها، من ذهب، والدرجة الثالثة دورها، وبيوتها، وأبوابها، وسررها، ومغاليقها من ياقوت، ولؤلؤ، وزبرجد، وسبع وتسعون درجة، لا يعلم ما هي إلا الله".

وأخرج البيهقي، عن عائشة، مرفوعًا: "عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة".

قال الخطابي: من استوفى جميع القرآن استوفى أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك.

وأخرج أبو داود وصححه، والترمذي، وابن ماجه، [١٧٨/أ] وابن حبان، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها[(٣)]".

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥٠٧٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٢١٨٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٠)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٦١٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٧٦٢٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٩٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٦٧٦٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٦٦)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (١٠٠٥).

تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، أي درجاتها، ونعيمها، لا نفس دخولها، فإنما هو بفضل الله تعالى ورحمته كما مر. وفي الحديث: من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة.

وأخرج ابن المبارك في (الزهد) عن أبي المتوكل الناجي مرفوعًا: إن الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك. فيقال: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول: أخي فلان كنا نعمل في الدنيا جميعًا، وقد فضل علي هكذا!. فيقال: إنه كان أفضل منك عملًا، ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى.

وأخرج ابن المبارك، وأبو نعيم، عن عوف بن عبد الله قال: إن الله ليدخل خلقاً الجنة فيعطيهم حتى يتملوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلى، فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون: يا ربنا إخواننا كنا معهم فبم فضلتهم علينا؟ فيقال: هيهات هيهات، إنهم كانوا يجوعون حين تشبعوا، ويظمأون حين ترون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون.

وأخرج أبو يعلى بسند جيد، عن أبي هريرة، مرفوعًا: "إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة الرفيعة فما يبلغها بعمل، فما يزال الله [١٧٨/ب] يبتليه بما يكره حتى يبلغها[(١)]". وأخرج الديلمي، عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم".

وأخرج الأصبهاني، عن أبي هريرة، مرفوعًا: "إن في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة: إمام عادل، وذو رحم وصول، وذو عيال صبور".

وأخرج هناد، عن ابن عباس، قال: يرفع الله للمسلم ذريته وإن كانوا في العمل دونه، ليقر الله عينه ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] الآية.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٠٩٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٢٩٠٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٤٤)، وأخرجه البيهقي في الآداب، برقم: (١٠٤٨).

وأخرج أبو نعيم، عن سعيد بن جبير، أنه سئل عن أولاد المؤمنين. فقال: هم مع خير آبائهم إن كان الأب خيرًا من الأم فهو مع الأب، وإن كانت الأم خيرًا من الأب فهو مع الأم.

وأخرج ابن مردويه، مرفوعًا: "إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده. فيقال إنهم: لم يبلغوا درجتك أوعملك. فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم(١)".

وأخرج أبو نعيم، عن سلمان مرفوعًا قال: "ما من عبد يحب أن يرفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة درجة أكبر منها، وأطول، ثم قرأ". ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا بسند صحيح، عن ابن عمر، قال: لا يصيب عبد من الدنيا شيئًا إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عليه كريمًا.

وأخرج الحاكم، عن أبي بن كعب، مرفوعًا قال: "من سره أن يشرف له البنيان، وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه(٢)".

وأما أبواب الجنة وسعتها

فأخرج الشيخان، عن سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في الجنة ثمانية أبواب، باب يسمى الريان، لا يدخله [١٧٩/أ] إلا الصائمون(٣)".

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٢٢٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٢٤٨).

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١٤٧٧)، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، برقم: (٥٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٢٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٣٣٨١)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٧١٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٥٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٥٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٧٠)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٢٤٢)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (١٤٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٥٩٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه، برقم: (٤٦)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (١٠٣٤)، وأخرجه أبو عوانة في =

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد[1]". فقال أبو بكر: يا رسول الله: ما على من أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم". قال القرطبي: قيل: الدعاء من جميعها دعاء تنويه وإكرام، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل. وأخرج أحمد، عن أبي هريرة، مرفوعًا: "لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون منه بذلك العمل[2]".

=

مسنده، برقم: (٦٠٥)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١٤٣)، وأخرجه الطبراني في الدعاء، برقم: (٧٣٣)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٧٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٦٢٨٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٩١٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٦٠)، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير، برقم: (٥٥)، وأخرجه البيهقي في فضائل الأوقات، برقم: (٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ١: ص٧٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٢٩).

(١) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٠٥٢)، وأخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٩١٠)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٣٢٧)، وأخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (٧٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٠٩٠٣)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٤٠٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (١٨٩٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٦٧٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٠٢٩)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٣٩٠٩)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٣١٨٤)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٨٠٥٤)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم: (٢٣٢٣)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٣٤١٩)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٠٦٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (١٣٦٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٦٤٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٨٦)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٢٢٩٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٩: ص١٧١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٨٩٨٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٥٠٨).

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة، مرفوعًا: "إن في الجنة بابًا يقال له: (الضحى) فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم. فادخلوه برحمة الله[(١)]".

وأخرج الديلمي، عن ابن عباس، مرفوعًا: "للجنة باب يقال له: باب الفرح لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان".

وأخرج مسلم، عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[(٢)]".

وأخرج أحمد، والبيهقي، عن عتبة بن عبد السلمي مرفوعًا: "ما من عبد يموت له ثلاثة من [١٧٩/ب] الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل[(٣)]".

وفي حديث جابر: "من سقى عطشانًا فأرواه، فتح له باب من أبواب الجنة، فقيل له: ادخل منه، ومن أطعم جائعاً فأشبعه، وسقى عطشاناً فأرواه، فتحت له أبواب الجنة كلها فقيل له: ادخل من أيها شئت". إسناده ضعيف.

وفي البخاري قيل لوهب: أليس مفتاح الجنة (لا إله إلا الله)، قال: بلى، ولكن

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٠٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٦٨٦٣)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (٢٥١)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٩٢٤)، وأخرجه أبو بكر بن المقرئ في معجمه، برقم: (٦١٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٣٩٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٠٨٥١)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (١٣٨١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (١٦٠٦)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (١٨٧٣)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٧٤٨٣)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (١٣٨٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٤٦٤٣)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٤٥٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٤٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٩٦٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٠٩)، وأخرجه البيهقي في الآداب، برقم: (١٠٦١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٦٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٣٦).

ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وأما سعة الأبواب

ففي مسلم: "أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام[١]". أي ممتلئ.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: "ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين سنة[٢]".

وأخرج ابن المبارك، عن الحسن مرفوعًا: "للجنة ثمانية أبواب بين كل مصراعين من أبوابها مسيرة أربعين سنة[٣]". وأخرج الشيخان، عن سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف". - شك في أحد العددين - "متماسكين آخذ بعضهم بيد بعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر[٤]".

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٢٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٣٤٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٢١١٧٠).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، برقم: (٢٤١٩)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٣٠٧)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٨٩٤٣)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨١٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٠١٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٤٧٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٢٦١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٣٠٥).

(٤) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (١١٤٥)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٢٥)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٥٧٦)، وأخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٧٩٥)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢١٩١١)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٤٦٠)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٤٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٢١)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٢١٢٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٧٥١٢)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (٧٤)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (١٩٥)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٣٧١)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٢٧٤)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١٤٣٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٢٤٤)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٨٨٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، =

وأما غرف الجنة

فقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وأخرج الشيخان، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف فوقهم، كما تراؤون الكوكب الغائر من [١٨٠/أ] الأفق من المشرق، أو المغرب لتفاضل ما بينهم(١)" قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

وأخرج الشيخان، عن سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة ليتراؤون الغرف في الجنة كما تتراؤون الكواكب في السماء".

وأخرج الحكيم الترمذي، عن سهل بن سعد، في هذه الآية قال: الغرفة من ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها قصمٌ ولا وصمٌ.

وأخرج أبو نعيم، عن أبي جعفر، في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾

=

برقم: (٩١٦٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٢٦)، وأخرجه أبو بكر بن المقرئ في معجمه، برقم: (٩١٨)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥٢٠)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٩: ص٣٤١)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم: (٥٧٥٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٣٤).

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (١٠٩)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٢٦٦)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٣٠)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٥٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٥٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٧٥٢٨)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (١٠٢٨)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٦٢٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٩٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٩٤٨٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٩٩٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٤٩).

[الفرقان: ٧٥]. قال: على الفقر في دار الدنيا.

وأخرج هناد، عن عبيد بن عمير، مرفوعًا: "إن أدنى أهل الجنة منزلًا لرجل له دار من لؤلؤة، واحدة منها غرفها وأبوابها(١)".

وعن أبي هريرة قال: دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة، وسطها شجرة، تنبت الحلل، يأخذ بإصبعيه سبعين حلة، ممنطقة باللؤلؤ والمرجان.

وأخرج زاهر بن طاهر، عن أنس مرفوعًا قال: "إن في الجنة لغرفًا ليس لها معاليق من فوقها، ولا عماد من تحتها" قيل: يا رسول الله وكيف يدخلها أهلها؟ قال: "يدخلونها أشباه الطير" قيل: يا رسول الله لمن هي؟ قال: "لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى".

وأخرج الطبراني، عن بريدة، مرفوعًا قال: "إن في الجنة غرفًا يرى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها، أعدها الله للمتحابين فيه، والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه(٢)".

وأخرج البزار، وأبو الشيخ، عن أبي هريرة، مرفوعًا قال: "إن في الجنة لعمدًا من ياقوت عليها [١٨٠/ب] غرف من زبرجد، لها أبواب مفتحة، تضيء كما يضيء الكوكب الدري". قلنا: يا رسول الله من يسكنها؟ قال: "المتحابون في الله، والمتباذلون في الله والمتلاقون في الله(٣)".

وأخرج أحمد، بسند صحيح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المتحابين في الله، لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل(٤)".

وأخرج أحمد، والحاكم، وصححه، والبيهقي، عن ابن عمرو، عن رسول الله

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٩٠٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٤٨١).

(٤) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع، برقم: (١٦٣)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٤٣٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٤٧).

صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة غرفًا، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها[(١)]". قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قانتًا، والناس نيام[(٢)]". وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن علي مرفوعًا قال: "إن في الجنة غرفًا، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها[(٣)]".

فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: "لمن طيب الكلام، وأفشى السلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام[(٤)]".

---

(١) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٨٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٦٥٧٨)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٧٠٢)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم: (٢٠٠٠)، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، برقم: (١٥٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٠٩)، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، برقم: (١٦٧)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٨٧٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٤٦٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٢١)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (١٤٥١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٣٠٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٣٤٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٢٦)، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، برقم: (١٥٢)، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، برقم: (١٦٧)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٢٤٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٢١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٦٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٢٦)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤٣٨)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم: (١٩٩٩)، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، برقم: (١٥١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٦١٣٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٣٤٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٢٦)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٧٠٢)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤٢٨)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم: (٢٠٠٠)، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، برقم: (٣٣٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٠٩)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٨٧٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٤٦٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (١٤٥١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٣٠٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٣).

وأخرج البيهقي، وأبو نعيم، عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بغرف الجنة؟" قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "إن في الجنة غرفًا من أصناف الجوهر، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات، والشرف ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت"، قلنا: يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: "لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام". قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: "أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك، من لقي أخاه فسلم عليه، أو رد عليه السلام، فقد أفشى السلام، ومن [١٨١/أ] أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم، فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة، وصلى الغداة في جماعة، فقد صلى بالليل والناس نيام[1]". اليهود والنصارى والمجوس. قال: البيهقي إسناده غير قوي إلا أنه يقوى بما قبله.

وأما أنهار الجنة وعيونها

فقال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: ١٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨].

وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

أخرج ابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، عن أبي هريرة، مرفوعاً قال: "أنهار الجنة تفجر من جبل مسك".

وأخرج ابن المبارك، والبيهقي، عن مسروق قال: "أنهار الجنة تجري من غير أخدود". وأخرج أبو نعيم، وابن مردويه، والضياء، عن أنس مرفوعًا قال: "لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، حافتاه خيام اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر". قلت: يا رسول الله ما الأذفر؟ قال: "الذي لا خلط معه".

وأخرجه ابن أبي الدنيا، عن أنس مرفوعاً. قال الترمذي: وهو أشبه بالصواب،

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٥٣).

وأخرج الترمذي وصححه، والبيهقي، عن معاوية بن جندب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد[١]".

وقال المفسرون: في قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]: أي غير متغير، منتن.

وقال كعب في تفسير هذه الآية: نهر دجلة نهر مائهم، ونهر [١٨١/ب] الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار تخرج من نهر الكوثر.

وقيل عن كعب غير هذا: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥] يعني كلبن الدنيا يتغير إذا بقى أيامًا ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] احترز من غير المصفى، لأن المصفى أسوغ وأعذب وألذ.

وأخرج ابن أبي الدنيا، بسند رجاله ثقات، عن ابن عباس، قال: إن في الجنة نهرًا يقال له: البيدخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جواري نابتات، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أُعجب رجلٌ منهم بجارية مس معصمها، فتتبعه وينبت مكانها أخرى.

وأخرج أحمد، والدارقطني، عن المعتمر بن سليمان، قال: إن في الجنة نهرًا ينبت الجواري الأبكار. وأخرج ابن عساكر، عن أنس مرفوعًا: "فى الجنة نهر يقال له: الريان، عليه مدينة من مرجان، لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة، لحامل القرآن".

وأما العيون

فقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨]. أي حديدة الجرية.

قال: مقاتل: تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم، تنبع من أصل العرش، من جنة عدن

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (٨٣٩٣)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٤١٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٧١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٠٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٣٢).

إلى أهل الجنان، وشراب أهل الجنة من برد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك.

وقال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]، أي فائضتان بالماء لا ينقطع.

والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة.

قال ابن عباس: ينضخان بالخير [١٨٢/أ] والبركة على أهل الجنة.

وقال ابن مسعود: ينضخان على أولياء الله بالمسك والكافور.

وقال أنس: نضاختان بالمسك والعنبر، ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا.

وقال سعيد بن جبير: ينضخان بألوان الفاكهة.

وقال البراء بن عازب: في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، هما خير من النضاختين.

قال ابن عباس: يجريان بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة.

قال مكي: روي أن حصباها الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، وترابها الكافور، وحماتها المسك، وحافتاها الزعفران.

قال الثعلبي: قيل يجريان من جبل من مسك.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] قال: معهم قطبان من ذهب، يفجرونها بها، تتبع قطبانهم، بمعنى يفجرونها أي يفجرون تلك العين كيف شاؤوا في منازلهم وقصورهم والتفجير: الإسالة للماء والإجراء له.

وعن الحسن مرفوعًا: "أربع عيون في الجنة، عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ والأخرى: الزنجبيل، و﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ من فوق إحداهما التي ذكر الله ﴿سَلْسَبِيلا﴾ والأخرى (التَّسْنِيم)".

وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧]، سُمي تسنيمًا لأنه يتسنم فينصب عليهم انصبابًا من فوقهم من غرفهم، ومنازلهم، يجري من جنة عدن إلى أهل الجنة.

وقال ابن عباس وابن مسعود: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة.

وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين.

وقال ابن مسعود تسنيم: عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفًا.

وقال المفسرون في قوله تعالى: [١٨٢/ب] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، الأبرار: هم الذين برون الله في أداء فرائضه، واجتناب محارمه.

وقال محارب بن دثار: إنما سموا أبرارًا لأنهم بروا الآباء والأبناء، فكما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حقٌّ.

وفسَّر مكي الكأس بالقدح، الذي فيه الخمر. قال: لا يقال له: كأس حتى يكون فيه الخمر، فإن كان فارغًا فهو زجاجة، ومعنى كون مزاجها كافورًا، أي أن طيب رائحة الشراب كالكافور.

وقيل: الكافور هنا اسم لعين ماء في الجنة، فعلى هذا يكون عينا بدلًا من الكافور.

قال الثعلبي: هي عين في دار النبي صلى الله عليه وسلم تتفجر إلى دور الأنبياء والمرسلين والمؤمنين.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]، أي يمزج بالزنجبيل.

وقال ابن جبير: الزنجبيل، اسم للعين التي يشرب منها المقربون صرفًا، ويمزج لأهل الجنة.

والعرب تضرب المثل بالخمر إذا مزجت بالزنجبيل، وكانوا يستطيبون ذلك، فخوطبوا على ما يعرفون.

وقال المفسرون، كابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، ومجاهد، والحسن، في قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥]، الآية. أي يسقون من الخمر.

وقال أهل اللغة: هو صفو الخمر.

وقال أبو عبيد: الخالص من الشراب.

وقيل: هي الخمرة البيضاء، ومعنى (مختوم) يعني مخلوطًا. قاله ابن مسعود وغيره.

ومعنى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]: أي خلطه مسك، وليس بخاتم يختم به.

وقال علقمة: طعمه وريحه مسك.

وقال ابن عباس طيب الله شرابه، وكان ختمه بالمسك.

وقال [١٨٣/أ] قوم: يمزج لهم بالكافور، ويختم لهم بالمسك.

وقال أبو الدرداء: هو شراب أبيض مثل الفضة، يختمون به شرابهم، ولو أن رجلا من أهل الجنة أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح من أهل الدنيا، إلا وجد طيبها.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨]. قال: الخمر.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]. قال: ليس فيها صداع.

(ولا ينزفون)[١]: قال: لا تذهب عقولهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، قال: ممتلئا.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣] فقال قتادة: لا لغو: لا باطل.

وقال مقاتل: لا فضول فيها.

وقال ابن المسيب: لا رفث فيها.

وقال ابن زيد: لا سباب فيها ولا تخاصم.

وقال العتبي: لا تذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا.

وقال ابن عطاء: أي لا لغو يكون في مجلس جنات عدن، الساقي فيه الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم تحية من عند الله، والقوم أضياف الله.

وقال ابن عباس: (لا تأثيم): أي لا بغي ولا كذب.

وقال الضحاك: لا يكذب بعضهم بعضا.

وفي تفسير مكي، عن النخغي قال: إن الرجل من أهل الجنة تقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم، ونهمتهم، فإذا أكل سقي شرابا طهورًا، فيصير رشحًا يخرج من جلده أطيب من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته ويتلذذون بشرب خمر الجنة. كما قال تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦].

---

(١) هكذا بالأصل: وهو يقصد ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧].

وأخرج أحمد، والنسائي، وهناد، والبيهقي بسند صحيح، عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة [١٨٣/ب] يأكلون ويشربون فقال: "والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة[(١)]"، قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة. قال: "حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فإذا كان ذلك ضم له بطنه[(٢)]".

وحديث جابر مرفوعًا: "أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، ولا يبزقون، ولا يمخطون، طعامهم جشًا، ورشح كرشح المسك[(٣)]".

والآثار في هذا كثيرة.

لطيفة:

أخرج أحمد، عن أبي سعيد الخدري، رفعه: "أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم".

وأخرج الشيخان، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٩٠)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٢٦٣)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٢٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٤١٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (١٧٢٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٠٠٩)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦٠٨)، وأخرجه أبو بكر ابن المقرئ في معجمه، برقم: (٥١٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣١٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٨٧٨٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٢٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣١٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٩٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٤٥٠٥)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١٠٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣٧)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٠٥٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٨٦٦)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٨١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٨٤).

شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة[١]".

وأخرج البيهقي، من حديثه مرفوعًا: "من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب، لم يشربها في الآخرة وإن دخل الجنة[٢]".

وأما شجر الجنة

فهي كثيرة لا يحيط بها إلا خالقها، وها نحن نذكر بعضها فمنها شجرة طوبى.

قال الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن طوبى شجرة غرسها الله بيده، تنبت

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (١٩٦٨)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (١٧٠٥٦)، وأخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (١١٨٠)، وأخرجه مالك في الموطأ، برقم: (١٨٤٠)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٤٤١٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٥٨١١)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٧٧٠)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٠٩٠)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٥٥٧٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٠٠٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٣٣٧٣)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٥٦٧٣)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٥١٦٤)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (١٤٣٠)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١٧٤١)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٩٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٨٥٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص١٤٥)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (٣٦٢٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٨: ص٢٨٧)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم: (١٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (١١٨٠)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٤٤١٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٤٧١٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (١٨٦١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٠٠٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٣٣٧٣)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٣٦٧٩)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٥٦٧٣)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٦٨٤٠)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (١٤٣٠)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٧٩٦١)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١٧٤١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٣٦٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٢٢٠)، وأخرجه الدارقطني في سنن الدارقطني، برقم: (٤٥٦٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص١٤٥)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (٣٦٥٢)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٨: ص٢٨٨).

الحلي والحلل، وأن أوراقها ترى من وراء سور الجنة". وحكى الأصم، أن هذه الشجرة في دار النبي صلى الله عليه وسلم، وفي دار كل مؤمن منها غصن.

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، ما يقطعها، اقرؤوا إن شئتم[(١)]: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]. [١٨٤/أ]". وأخرجه أحمد، وزاد في آخره: "وأن ورقها ليخمر الجنة[(٢)]".

وأخرجه هناد، وزاد في آخره: فبلغ ذلك كعبًا فقال: والذي أنزل التوراة على موسى، والقرآن على محمد، لو أن رجلا راكبًا على حقةٍ أو جزعة، ثم دار بأصل تلك الشجرة، ما بلغه حتى تسقط هرمًا، إن الله غرسها بيده، وإن أفنانها من وراء سور الجنة، وما في الجنة نهرٌ إلا وهو يجري في أصل تلك الشجرة.

وأخرج ابن حبان، عن أبي سعيد أن رجلا قال: يا رسول الله ما طوبى؟ قال: "شجرة مسيرة ظلها مائة سنة، ثياب أهل الجنة، تخرج من أكمامها[(٣)]".

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها: طوبى. يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتنفتق عن فرس بلجام، وسرجه وهيئته كما يشاء، وتنفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيأتها كما شاء.

وعن الثياب:

وقال مغيث بن سمي: طوبى شجرة في الجنة، لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة، ثم دار بها لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه، حتى يموت هرمًا، وما من الجنة أهل إلا وغصن من تلك الشجرة، متدل عليهم منها، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلت لهم، فأكلوا منها ما شاؤوا، وعليها طير مثل البخت، فيجيء الطير

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٩٩٠)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١١٨٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٥١)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٢٩٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣٠٣٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٩٩٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٢٧٦)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٧٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٣).

فيأكل منه قديد أو شواءً ثم يطير.

وقال عبيد بن عمير: هي شجرة في جنة عدن، في دار النبي صلى الله عليه وسلم، لم يخلق الله عز وجل لونًا ولا زهرة إلا وفيها منها، إلا السواد، ولا يخلق الله عز وجل فاكهةً ولا ثمرةً إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عين الكافور، والسلسبيل، كل ورقة منها تظل [١٨٤/ب] أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح.

وسأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أفي الجنة فاكهة؟ قال: "نعم فيها شجرة طوبى هي بطابق الفردوس".

قال: أي شجر أرضنا تشبه بها؟ قال: "ليس تشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن هل أتيت الشام؟[(١)]" قال: لا يا رسول الله. قال: "فإنها شجرة تشبه شجرة بالشام، تدعى الجوز، تنبت على ساق واحد ثم تنتشر من أعلاها[(٢)]".

قال: وما عظم أصلها؟ قال: "لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتاها هرماً" قال: هل فيها عنب؟ قال: "نعم[(٣)]". قال: ما عظم العنقود منه؟ قال: "مسيرة شهر للغراب ألا يقع ولا يفتر[(٤)]".

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٩٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٠٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٣١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٩٠)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٨٦٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣١٢)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٩٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٠٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٢٣١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٩٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٨٦٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٤٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣١٢)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٤).

قال: وعظم الحبة منه؟ قال: "وهل ذبح أبوك تيسًا من غنمه عظيمًا قط؟[1]". قال: نعم. قال: "فسلخ إهابه فأعطاه أمك. فقال: ادبغي هذا ثم أفرغي لنا منه دلوًا نروي به ما شيئنا". قال: نعم. قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي قال: "نعم وعامة عشيرتك[2]".

أخرجه أحمد، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، عن عتبة بن عبد السلمي.

وقال: وهب بن منبه: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: زهرها رياض، وورقها برود، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، وحشيشها مسك، يخرج من أصلها أنهار الجنة: الماء والخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة.

وفي تفسير مكي في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

روي عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال: في تفسير هذه الآية: إنها شجرة على ساق، يسير الراكب في ظلها من نواحيها [١٨٥/أ] كلها مائة عام للراكب المجد. قال: فينزل أهل الغرف وأهل الجنة فيجلسون مجالس في ظلها فيتحدثون، ويذكرون لهو الدنيا، فيأمر الله ريحًا في الجنة فتحرك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

وفي مسلم، عن سهل بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها[3]".

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٩٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧١٩٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤١٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٨٦٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٠٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣١٢)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٤).

(٣) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٧٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٧١٩)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١١٨٣)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٣٩)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٥١)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: =

قال: أبو حازم فحدثت به النعمان، فقال: حدثني أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها[(١)]".

ومنها سدرة المنتهى:

أخرج الترمذي، وصححه، عن أسماء بنت أبي بكر، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى قال: "يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة، أو يستظل بظلها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأنما ثمرها القلال". الفنن- بفتح الفاء والنون-: الغصن. وقد مر الكلام عليها في صدر الكلام بأحسن من هذا فراجعه.

ومنها النخل:

وهي مذكورة في القرآن في مواضع. قال أبو عبيدة: إن نخل الجنة نضيد، ما بين أصله إلى فرعه وثمرها كأمثال القلال، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى.

وقال مطرف: نخل الجنة عروقها فضة، وجذوعها ذهب، وسعفها حلل، وقنوانها در، وهي أحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس لها عجم.

وعن ابن عباس: نخل الجنة ذهب أحمر، وعروقها زمرد أخضر، وثمرها كالقلال، أحلى من الشهد، وألين من الزبد، لا عجم لها.

وقال ابن جبير: نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وفروعها من زمرد، وسعفها كسوة [١٨٥/ب] لأهل الجنة، وثمرها كالدلاء، أشد بياضا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس لها عجم.

=

(٢٥٢٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣٠٣٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٥١٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٩٣٩)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٧٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧٠).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٧١).

قلت: ولا تعارض بين كلام المفسرين، فإن منها هكذا وهكذا.

وأخرج البيهقي بسند حسن، عن سلمان، أنه أخذ عودًا صغيرًا ثم قال: لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تبصره. قيل: فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ، والذهب، وأعلاه الثمر.

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن حبان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب[1]".

ومنها الرمان والعنب:

قال: الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢].

وقال المفسرون يعني كرومًا وأعنابًا.

قال: مسروق: العنقود اثنا عشر ذراعًا.

وأخرج هناد، عن ابن عمرو، قال: العنقود في الجنة أبعد من صنعاء، وهو بعمان بالشام. عمان - بفتح العين والميم المشددة -: قرية قديمة بالشام، من أرض البلقاء.

ومنها السدر: وهو النبق.

قال الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨] أي لا شوك له، كأنه خضد شوكه، أي قطع.

ومنه الحديث في المدينة: "لا يخضد شوكها ولا يعضد شجرها".

قاله ابن عباس وعكرمة، وقال الضحاك، ومقاتل: هو الموقر حملا.

قال ابن جبير: ثمرها أعظم من القلال. وقال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه، وليس شيء من ثمر الجنة في غلفه، كما يكون في الدنيا مثل الباقلاء وغيره، بل هو كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه.

وأخرج البيهقي، عن أبي أمامة، قال أعرابي: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٢٤).

[١٨٦/أ] شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال عليه السلام: "وما هي؟" قال: السدر فإن لها شوكا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]، "يخضد الله شوكه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، أنها تنبت، ثم ينفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونًا من الطعام، ما منها لون يشبه الآخر(١)".

وأخرج الطبراني مثله، من حديث عتبة بن عبيد.

ومنها الطلح:

قال الله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩].

قال أكثر المفسرين كابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم: هو الموز، ومعنى منضود: أي بعضه على بعض. قاله ابن عباس.

وقال قتادة: شجر موقر بالحمل من أسفله إلى أعلاه.

وفسر أهل اللغة الطلح بأنه عند العرب شجر عظام لها شوك.

قال السدي: يشبه طلح الدنيا، ولكن ثمره أحلى من العسل.

وبالجملة فأنواع الغرس والفواكه كثيرة، وقد جمع الله الفواكه بقوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. ففسر لنا منها ما فسر، وبقي منها ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال سبحانه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥].

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي، عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]. قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة، قيامًا وقعودًا ومضطجعين على أي حالة شاؤوا.

وأخرجا أيضًا عن مجاهد قال: أرض الجنة من وَرِق، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والورق، والثمار بين ذلك، فمن أكل قائمًا لم تؤذه، ومن أكل مضطجعًا لم تؤذه، ومن أكل جالسًا لم تؤذه. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

وقال المفسرون [١٨٦/ب] في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٤٧٦).

[الرحمن: ٤٦]، أي بستانان من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، ترابها الكافور والعنبر، ودقاقهما المسك الأذفر، طول كل بستان مائة سنة، وفي وسط كل بستان دار من نور جنة لخوف ربه، وجنة لترك شهوته.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، قال: ما في الدنيا ثمرة حلوة، ولا مرة، إلا وهي في الجنة حتى الحنظل.

لطيفة:

أخرج الترمذي، والحاكم وصححه، عن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال سبحان الله العظيم، غرست له نخلة في الجنة(١)".

وأخرج الحاكم وصححه، وابن ماجه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسًا فقال: "هل أدلك على غرس خير لك منه(٢)". قلت: ما هو؟ قال: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة(٣)".

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة، قال: ما من عبد يسبح الله تسبيحة، أو يحمده تحميدة، أو يكبره تكبيرة، إلا غرس الله له بها شجرة في الجنة، أصلها من ذهب، وأعلاها من جوهر، مكللة بالدر والياقوت، ثمارها كثدي الأبكار، ألين من الزبد، وأحلى من العسل، كلما جنى منها شيئًا عاد مكانه، ثم تلا: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

وأما طيور الجنة

فقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]. ففي الترمذي، عن أنس

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٤٦٥)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٢٣٣)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٨٢٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٤٤٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٥٠١)، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير، برقم: (١١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٥١٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٣٨٠٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٥١٢).

ابن مالك، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر؟ فقال: "نهر أعطانيه الله في الجنة، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كالجذر". قال عمر: إن هذه لناعمة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكلها أنعم منها(١)".

وذكر ذلك مكي في تفسير قوله تعالى [١٨٧/أ] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١].

وروي عن ابن مسعود مرفوعًا أنه قال: "ما هو إلا أن تشتهي الطائر في الجنة، وهو يطير فيقع بين يديك مشويًا(٢)".

قال: ويروى أن الرجل من أهل الجنة، يجني الفاكهة فيخطر على قلبه غيرها، وهي في يده فتحول التي جنى إلى جنس التي خطرت بقلبه، ويخطر بقلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى.

وفي الثعلبي، عن أبي سعيد الخدري، مرفوعًا: "إن في الجنة لطيرًا فيه سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة، ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون مثل الثلج، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه ثم يذهب فيطير".

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٣٠٦٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٤٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٥٣٧)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٢٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٤٥٢)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٢٠٣٢)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٨٥٨).

فصل

في ذكر الحور العين

رزقنا الله منهن أزواجًا بمنه وكرمه.

حكى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] عن أنس مرفوعًا قال: خلق الله الحور العين من تسبيح الملائكة، فليس فيهن أذى.

وحكاه الثعلبي أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥].

وروي في الحديث: أنهن خلقن من المسك الذي هو على ساحل بحر الحيوان. وأخرج الطبراني، عن أبي أمامة مرفوعًا: "خلق الحور العين من الزعفران[1]". وأخرج البيهقي مثله عن أنس مرفوعًا، وعن ابن عباس موقوفًا، وعن مجاهد كذلك.

وأخرج ابن المبارك، عن زيد بن أسلم، قال: إن الله لم يخلق الحور العين من تراب، إنما خلقن من مسك وكافور وزعفران.

واختلف المفسرون في تسميتهن بالحور العين، فقال مجاهد: سميت حورًا لأنه يحار فيها الطرف، بادٍ مخ ساقها من وراء ثيابها، فينظر الناظر وجهه [١٨٧/ب] في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال مكي: سمى نساء الجنة بالحور لبياضهن. ومنه قيل للدقيق: الحواري، ومنه الحواريون لبياض ثيابهم. قال: والحور في العين: هو شدة سواد الحدقة مع بياض ما حولها، والعين: هن الكبيرات الأعين. يقال: امرأة عيناء ورجل أعين كبير العين.

وقد وصفهن الله تعالى في كتابه بأوصاف فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] أي كأنهن الياقوت في صفائه، يرى مخها من فوق اللحم، وحللها كما يرى السلك في داخل الياقوت.

ففي الترمذي عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا: "أن المرأة من نساء الجنة ليرى

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٨٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٨١٣).

بياض ساقها من وراء سبعين حلة، حتى يرى مخها، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] (١)".

"فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه(٢)".

وأخرج أحمد، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: "ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوبًا، ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك(٣)".

وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]. قال: مجاهد محبوسات في الخيام لا يبرحنه.

وقال الحسن: محبوسات ليس بطوافات في الطرق.

والخيام: جمع خيمة، قال: ابن عباس: الخيمة لؤلؤة واحدة، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

وفي مسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة، مجوفة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون [١٨٨/أ] يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضًا(٤)".

وأخرج البيهقي، عن أنس مرفوعًا قال: "لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعًا يسمى البيدخ، عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر" فقلن: السلام عليك يا رسول الله قلت: "يا جبريل ما هذا النداء؟" قال: هؤلاء المقصورات في الخيام، واستأذن ربهن في السلام عليك، فأذن لهن، وطفقن يقلن: نحن الراضيات

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٩٦)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٩٦)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٨٤).

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٣٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥١٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٣٧).

فلا نسخط أبدًا، ونحن الخالدات فلا نظعن أبدًا. وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨-٤٩].

قال مجاهد: قاصرات الطرف على أزواجهن، فلا يبغين غير أزواجهن.

وقال ابن عباس: قاصرات الطرف عن غير أزواجهن، والبيض اللؤلؤ المكنون.

وقال تعالى: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

ففي الحديث: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه".

وقال المفسرون: ليس بذربات، ولا دفرات، ولا فجرات، ولا متطلعات، ولا متشرقات، ولا متسلطات، ولا مائلات، ولا طوافات في الطرق، ولا يغرن ولا يؤذين.

قال ابن مسعود: لا مرحات، ولا طماحات، ولا بخرات، ولا ظفرات، حور عين كأنهن بيض مكنون.

وقال الأوزاعي: خيرات ليس بذربات اللسان، ولا يغرن ولا يؤذين.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٧] أي من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والمخاط، والبزاق، والمني، والقيء، والولد، وكل قذر، وكل دنس.

وقال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]. قال: الحسن: العرب المعشقات لبعولتهن.

وقال ابن عباس: العرب العواشق لأزواجهن [١٨٨/ب].

وقال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك، وجعلك زوجي.

وقال ابن عباس أيضًا: العروب المملقة لزوجها.

وقال أيضًا: العروب الغنجة يقال: غنجت الجارية، غنجًا: حسن شكلها.

وفي القاموس كالصحاح: الغنج الشكل.

وقال بعض أهل اللغة: العروب في قول أهل المدينة الشكلة.

وفي قول أهل العراق: الغنجة.

وقال الحسن: الأتراب المستويات بسن واحد، والأتراب جمع ترب، فهن مستويات على ميلاد امرأة واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وأخرج الطبراني، عن أم سلمة، قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] قال: حور: بيض، عين: ضخام العيون، شفر الحوراء، بمنزلة جناح النسر".

قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: "صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف، الذي لا تمسه الأيدي". قلت: فأخبرني عن قول الله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] قال: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه".

قلت: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] قال: "رقتهن كرقة الجلدة التي في داخل البيضة مما يلي القشر" قلت: يا رسول الله ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]. قال: "هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطًا، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى". قال: "عربًا معشقات محببات أترابًا على ميلاد واحد". قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: "نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة". قلت: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: "بصلاتهن وصيامهن، ألبس الله وجوههن [١٨٩/أ] النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدرُّ، وأمشاطهن الذهب، يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كنا له وكان لنا". قلت: يا رسول المرأة تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها من يكون زوجها منهم؟ قال: "إنها تخير فتختار أحسنهم خلقًا، فتقول: يا رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقًا في دار الدنيا، فزوجنيه، فقال عليه الصلاة والسلام: "يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا

والآخرة[(١)]".

وقال حذيفة لامرأته: إنْ سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تتزوجي من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

وخطب معاوية أم الدرداء فأبت، وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المرأة لآخر أزواجها في الآخرة".

وقال: إن أَرَدتِي أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي من بعدي.

وقال عبد الغافر: نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض، ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن خيرات حسان، خبئنا لأزواج كرام.

قالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا، نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات [١٨٩/ب] وما تصدقتن، فغلبنهن والله.

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] قال: هن نساء الدنيا خلقهن الله في الخلق الآخر كما قال: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥]. قال: "عجائز كن في الدنيا عمشاً رمصًا[(٢)]". وأخرج البيهقي، وابن المنذر عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١٢١٢)، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، برقم: (٥٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣١٤١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٤١١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٢٩٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٤٤).

الجنة عجوز[١]"، فبكت عجوز، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز، إنها يومئذ شابة"، إن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الحور العين بأوصاف تتشوق لها النفوس.

أخرج الطبراني، والبيهقي، عن ابن مسعود، قال: إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم، من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أنس مرفوعا، قال: "لو أن حورًا بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها".

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن ابن عباس، قال: "لو أن حورًا أخرجت كفها بين السماء والأرض، لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس، لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض".

وأخرج أيضا، عن ابن عباس، قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل.

وأخرج عن كعب، قال: [١٩٠/أ] لو أن يدًا من الحور العين دليت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا.

وأخرج أحمد، وأبو يعلى - بسند حسن - عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة، قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة تمسكها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه، فيرد عليها السلام ويسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب[٢]".

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٣١٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٩٧).

وأخرج البزار، والطبراني، عن سعيد بن عامر بن جذيم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت، لملأت الأرض ريح مسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر(١)".

وأخرج الطبراني بسند حسن، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولأضاءت ما بينهما، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها(٢)".

وأما عدد الأزواج في الجنة

فأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، أنهم تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما في الجنة أحد إلا وله زوجتان، إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة ما فيها عذب". وأخرج الترمذي وصححه، والبزار عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يزوج العبد في الجنة بسبعين زوجة". قيل: يا رسول الله، [١٩٠/ب] أيطيقها؟ قال: "يعطى قوة مائة(٣)".

وأخرج أحمد، والترمذي، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ، وياقوت، وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء(٤)".

وأخرج البيهقي، عن عبد الله بن أبي أوفى، مرفوعًا، قال: "إن الرجل من أهل

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٥١٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٢٠٨٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣٧٧٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٣٩٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣١٤٨).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢١٢٤)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٣٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٥١٧)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦٠٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٦٣).

(٤) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٧)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٧٣٢٣)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٦٢)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٤٠٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٠١).

الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء، أو أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره من الدنيا".

ثم أخرجه عن عبد الرحمن بن سابط موقوفًا عليه، وصححه، وأخرج أبو نعيم في صفة الجنة، وأبو الشيخ عن أبي أوفى مرفوعًا، قال: "يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان، لم يسمع الخلائق بمثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له".

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أنس قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حدثني جبريل، قال: يدخل الرجل على الحوراء، فتستقبله بالمعانقة، والمصافحة[(١)]" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فبأي بنان تعاطيه؟ !" لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوءه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينما هو متكئ معها على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فيظن أن الله أشرف على خلقه، فإذا حوراء تناديه، يا ولي الله أما [١٩١/أ] لنا فيك دولة؟ فيقول: من أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فيتحول عندها فإذا عندها من الجمال والكمال، ما ليس مع الأولى، فبينا هو متكئ على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، وإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله، أما لنا فيك من دولة؟، فيقول: ومن أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. "فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة".

وأخرج أبو نعيم، عن كثير بن مرة، قال: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطر لكم؟ فلا يتمنون شيئا إلا مطروا.

قال كثير: إن أشهدني الله ذلك لأقولن أمطرينا جواري مزينات.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٨٧٧).

وأما قوة جماع أهل الجنة

فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥].

قال ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، والأوزاعي في افتضاض الأبكار.

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أنس مرفوعا قال: "يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة في الجماع". وأخرج البزار، والطبراني بسند صحيح، عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: "إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء[١]".

وأخرج أبو يعلى، والبيهقي بسند حسن، عن ابن عباس، قال: قيل يا رسول الله، أنفضي إلى نسائنا في الجنة، كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: "والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء[٢]".

وأخرج الحارث بن أبي أسامة، وابن أبي حاتم، عن الهيثم الطائي، وسليم بن عامر، أن النبي صلى الله عليه وسلم [١٩١/ب] سئل عن البضع في الجنة، فقال: "نعم بقبل شهي، وذكر لا يمل، وإن الرجل ليتكئ فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا تتحول عنه، ولا تمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه". مرسل رجاله ثقات. وأخرج هناد، والبيهقي، عن أبي هريرة، أنه سئل هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: نعم بذكر لا يمل، وفرج لا يحفى، وشهوة لا تنقطع. وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والبزار مصرحًا برفعه.

وأما صفة جماعهم

فأخرج أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي، عن أبي أمامة، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال: "دحاما دحاما لا مني ولا منية[٣]".

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٢٦٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧١٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٦٥).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٦١٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٤٧٩).

وأخرج الطبراني، عن أبي أمامة، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: "نعم، بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع، دحما دحما[(١)]".

وأخرج الطبراني، عن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مسك[(٢)]".

وأخرج الأصبهاني، عن أبي الدرداء قال: "ليس في الجنة مني ولا منية".

وأخرج هناد، عن إبراهيم النخعي، قال: جماع ما شئت ولا ولد.

وأخرج أيضا عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أنطأ في الجنة؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده دحما دحما، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا[(٣)]". وأخرج البزار، والطبراني، وأبو الشيخ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا قال: "أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا[(٤)]".

وأخرج عبد الله بن أحمد، عن ابن عمرو قال: "إن المؤمن كلما أراد زوجته وجدها عذراء، وأما كون لهم أولاد". فأخرج الترمذي؛ [١٩٢/أ] وحسنه والبيهقي، وأبو الشيخ عن أبي سعيد الخدري مرفوعا قال: "المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله، ووضعه، وسنه في ساعة كما يشتهي[(٥)]".

قال الترمذي: اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم: في الجنة جماع ولا يكون ولد. هكذا يروى عن طاووس، ومجاهد، والنخعي.

وقال محمد يعني البخاري قال: إسحاق بن إبراهيم في هذا الحديث. إذا اشتهى

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٩٥٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٦٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٧٤١).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٠٢)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٩٥٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٦٧٤).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٩١)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٨٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٣٥٥)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٣٤)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٦٣)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٨٥).

ولكن لا يشتهي. وكذا روي في حديث لقيط: أن أهل الجنة لا يكون لهم ولد. انتهى.

وقال جماعة: بل فيها الولد إذا اشتهاه الإنسان ورجحه الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، وقواه الحافظ السيوطي. وقال: المنفي ترتب الولادة على الجماع غالبا كما هو في الدنيا، والمثبت هنا حصول الولد عند اشتهائه، كما يحصل الزرع عند اشتهائه، ولا زرع في الجنة في سائر الأوقات. انتهى.

لطيفة:

أخرج الترمذي وحسنه، وابن ماجه، عن معاذ بن جبل، مرفوعا قال: "لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: قاتلك الله فإنما هو عندك خيل يوشك أن يفارقك إلينا".

وأخرج ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: يقال للمرأة من نساء أهل الجنة وهي في السماء أتحبين أن نريك زوجك في الدنيا؟ فتقول: نعم فيكشف لها عن الحجب، وتفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر، حتى تستبطئ قدومه، وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب، ولعله يكون بينه وبين زوجته ما يكون بين النساء وأزواجهن، فيشق ذلك عليها، وتقول: ويحك دعيه من شرك، إنما هو معك ليال قلائل [١٩٢/ب]. وأخرج الطبراني، عن عائشة مرفوعا قال: "ما من عبد يصبح صائما إلا فتحت له أبواب السماء، وسبحت أعضاؤه، واستغفر له أهل السماء، فإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعا، أضاءت له السموات نورا، قلن أزواجه من الحور العين: اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته[١]".

وأما فرش أهل الجنة

فقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

أخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن حبان، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٢٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٧٤٩).

[الواقعة: ٣٤] قال: "ما بين الفراشين كما بين السماء إلى الأرض".

ولفظ الترمذي قال: "ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة".

قال الترمذي: قال بعض أهل العلم في تفسير معناه: أن الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي أمامة في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفا.

وأخرجه الطبراني عنه مرفوعا بلفظ: "لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف(١)".

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر؟ قال الثعلبي: البطائن ما يلي الأرض.

وقال ابن عباس: الظهائر من نور جامد.

وقال ابن عباس أيضا في قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥] أي مرمولة بالذهب.

وقال أبو عبيد: موضونة: منسوجة قد دخل بعضها بعضا.

وعن عكرمة: مشتبكة بالدر والياقوت، قد دخل بعضها بعضا، كما توضع حلق الدرع بعضها في بعض [١٩٣/أ].

قال الكلبي: طول كل سرير مائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١]، الأرائك من لؤلؤ وياقوت.

قال ابن عباس: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإن كان سرير بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، فإذا اجتمعا كانت أريكة.

والأرائك جمع أريكة، وفسرها أكثر المفسرين بالأسرة في الحجال.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٩٤٧).

وأخرج البيهقي من طريق أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥] قال: مصفوفة.

وفي قوله: ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قال: المجالس: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قال: الزرابي. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥] قال: المرافق.

وقال الحسن: (الرفرف): البسط، وقال أيضا: هو مرافق خضر.

وقال مجاهد، وابن جبير: هو رياض الجنة جمع رفرفة.

وقال مجاهد: الزرابي الديباج، وقال ابن جبير: العبقري: عتاق الزرابي، وهي الطنافس الثخان التي لها خمل رقيق.

قاله ابن عباس: واحدتها زربية.

وقال أبو عبيد: الزرابي البسط.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥] هي الوسائد، جمع نمرقة بضم النون والراء، والإستبرق هو ما غلظ من الديباج وحسن، والسندس هو الديباج الرقيق.

وأما لباس أهل الجنة

فقال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

قال الفخر وغيره: السندس: الديباج الرقيق، والإستبرق الديباج الغليظ.

وأخرج النسائي، والطيالسي، والبزار، والبيهقي، بسند جيد، عن ابن عمرو [١٩٣/ب] قال: قال رجل: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة، أخلق يخلق، أم نسيج ينسج؟ فضحك بعض القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مم تضحكون؟ ! من جاهل يسأل عالما". ثم قال: "بل تتشقق عنها ثمر الجنة مرتين[١]".

وأخرج البزار، وأبو يعلى، والطبراني مثله، من حديث جابر بسند صحيح، وأخرج البيهقي، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله، قال: في الجنة شجرة تنبت

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٣٩١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٩٥).

السندس منه تكون ثياب أهل الجنة. وأخرج ابن المبارك، عن أبي هريرة قال: إن أراد المؤمن درة مجوفة فيها أربعون بيتًا، في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيذهب فيأخذ بإصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان. وأخرج مسلم، عن أبي هريرة مرفوعا قال: "من يدخل الجنة ينعم فيها لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه".

وعن عكرمة: أن الرجل من أهل الجنة ليلبس الحلة فتلون من ساعته سبعين لونا.

وعن كعب قال: لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم.

لطيفة:

أخرج الشيخان، عن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة[1]".

وأخرج الطيالسي بسند صحيح، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لبس الحرير في الدنيا لم

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢١٧٣)، وأخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٩٧٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٥٠١٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٧١)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٥٨٣٣)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٨١٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٠٧٦)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٣٥٨٨)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٥٣٠٦)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٩٥١١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٧٥١)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (٢٤٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٤٣٥)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٢٢٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٦٧٨٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٧١)، وأخرجه أبو بكر بن المقرئ في معجمه، برقم: (٩٢٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص١٩١)، وأخرجه البيهقي في الآداب، برقم: (٧١١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٣: ص٢٦٦).

يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه[1]".

وأخرج الحاكم وصححه، عن أبي رافع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كفن ميتا كساه الله من سندس وإستبرق الجنة[2]".

وأخرج الطبراني، عن جابر [١٩٤/أ] مرفوعا قال: "من عزى مصابا كساه الله حلتين من حلل الجنة لا تقوم لهما الدنيا[3]".

وأما حلية أهل الجنة

فقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

اختلف المفسرون في الجمع بين الآيتين. فقيل: إن الأساور التي من الفضة للرجال، والتي من الذهب للنساء.

وقيل: إن الرجال يحلون تارة بالفضة، وتارة بالذهب، ليجمعوا بين محاسن الحلية.

وقيل: إنهم يحلون سوارا من ذهب، وسوارا من فضة.

قال القرطبي: قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ.

قالوا: ولما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان، جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٣٣١)، وأخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٩٧٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٩٥٣٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٤٣٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص١٩١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (١٢١٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (١٠٧٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (١٦٠٢)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٦٣٢)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٤٤٠)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (٨٤١)، وأخرجه الطبراني في الدعاء، برقم: (١٢٢٤)، وأخرجه الشهاب في مسنده، برقم: (٣٧٨)، وأخرجه البيهقي في الآداب، برقم: (٣٧٥)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (١١٦٠)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٥٩).

وأخرج الترمذي، والحاكم، وصححه البيهقي، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

فقال: إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب.

وأخرج الطبراني، والبيهقي بسند حسن، عن أبي هريرة مرفوعا قال: "لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعا، لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا[(١)]".

وأخرج أبو الشيخ، عن كعب الأحبار، قال: إن لله ملكا يصوغ حلى أهل الجنة من يوم خلق إلى أن تقوم الساعة، ولو أن حليا أخرج من حلى أهل الجنة لذهب بضوء الشمس.

لطيفة:

أخرج الشيخان، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٩٤/ب] قال: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء[(٢)]".

وأخرج النسائي، والحاكم، عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنع أهل الحلية والحرير ويقول: "إن كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسونهما في الدنيا[(٣)]".

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٨٧٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٦٢٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٥٣)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١٤٢)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥٨٤)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ١: ص٥٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٦٨٥٩)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٥١٣٦)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٩٣٧٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٤٨٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٨٣٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص١٩١).

وأما أواني أهل الجنة

فقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقال: ﴿بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥]. وأخرج البيهقي، عن ابن عمرو، في قوله: ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب، كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] قال: آنية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦]. قال: قدرت للكف.

وقال أيضا لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها، ولكن قوارير الحنة بياض الفضة، في صفاء القوارير.

وقال أيضاً: ليس في الجنة شيء إلا وقد أعطيتم في الدنيا شبهه، إلا قوارير من فضة.

وقال أيضا: الأكواب الجرار من الفضة.

وقال مجاهد: الآنية الأقداح، والأكواب المكوبات، وتقديرها أنها ليست بالملأى التي تفيض ولا ناقصة تقدر. وأما مراكب أهل الجنة فأخرج الطبراني والبيهقي بسند جيد، عن عبد الرحمن بن ساعدة، قال: كنت أحب الخيل. فقلت: يارسول الله هل في الجنة خيل؟ قال: "إن أدخلك الله الجنة كان لك فيها فرس من ياقوت، له جناحان يطير بك حيث شئت[(١)]".

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن بريدة، أن رجلا قال: يا رسول الله هل في الجنة خيل؟ قال: "إن يدخلك الله الجنة فلا تشأ أن تركب على فرس من [١٩٥/أ] ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت[(٢)]".

قال آخر: يارسول الله هل في الجنة إبل؟ فلم يقل له مثل الذي قال لصاحبه.

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٩٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٨٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٤٣).

فقال: "إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك، ولذت عينك(١)".

وأخرج ابن المبارك، وابن أبي الدنيا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في يوم الجمعة بخيل مسرجة، ملجمة، لا تروث ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث يشاء الله".

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ والأصبهاني، عن علي مرفوعا قال: "إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيول بلق من ذهب، سرجها وزمامها الدر والياقوت، وهن ذوات الأجنحة، خطوها مد البصر، لا تروث ولا تبول، فيركبها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم: يا رب قد أطفئوا نورنا من هؤلاء؟ فيقال: إنهم كانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون".

وأخرج أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة، قال: الغنم من دواب الجنة.

وأما غلمان أهل الجنة

فقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] أي في بياضه وصفائه.

قال مكي: يطوف عليهم غلمان في الجنة بكؤوس الشراب المتقدم ذكره.

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلا قال: يا نبي الله هذا الخادم فكيف بالمخدوم قال: "والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب". حكاه مكي.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٨٧)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٢٤٧٢)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣١٩٨)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٩١)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤٢٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٢٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٩٨٩)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦١١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٦٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٢٩).

وأخرج ابن المبارك، وهناد، والبيهقي، [١٩٥/ب] عن ابن عمرو قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل، ليس عليه صاحبه" وتلا هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أنس، مرفوعا قال: "إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم(١)".

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة، قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، وليس فيهم دني، من يغدو ويروح عليه خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة، ليس مع صاحبه". وقد نبه غير واحد أن الولدان والحور جنس غير جنس بني آدم.

وقال الثعلبي: قالت عائشة رضى الله عنها قال: النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أدنى أهل الجنة، من ينادي الخادم من خدمته فيجيبه ألف كل يقول: لبيك لبيك".

وقال أيضا عن أنس بن مالك أنه تلى هذه الآية ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣] إلى قوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] ثم قال: إنها قبة من درة مجوفة، طولها في الهواء ستون ميلا، ليس فيها صدع ولا وصل، وفي كل زاوية منها أهل.

وقال: لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، يقوم على كل باب منها سبعون ألفا من الملائكة، مع كل ملك هدية من الرحمن، ليس مع صاحبه مثلها، ولا يدخلون إلا بإذنه، بينه وبينهم حجاب. وقد مر أول الباب أن المراد بالملك الكبير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] قال مجاهد: هو استئذان الملائكة عليهم، لا يدخل عليهم إلا بإذن. فراجعه.

وأما سماع أهل الجنة

فقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال: يلذذون بالسماع. وبه قال [١٩٦/أ] يحيى بن كثير، والأوزاعي، وغيرهما.

قال الأوزاعي: ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٥٣٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٦٧٤).

وفي الثعلبي: قال إبراهيم: إن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحًا من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا.

وقال أبو هريرة: لأهل الجنة سماع شجرة أصلها من ذهب، وثمرها اللؤلؤ والزبرجد، يبعث الله ريحا فيحرك بعضه بعضا، فما سمع أحد شيئًا أحسن منه.

وأخرج أبو نعيم، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: "إن في الجنة شجرة جزوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح، فتصفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه".

وأخرج الأصبهاني، عن أبي هريرة، قال: قال رجل يا رسول الله، هل في الجنة سماع فإني أحب السماع؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده إن الله ليوحى إلى شجر الجنة، أن أسمع عبادي الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكري، فيسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها قط بالتسبيح والتقديس".

وأخرج ابن عساكر، عن الأوزاعي قال: "إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا أوحى الله إلى رياح يقال لها: الهفافة، فدخلت في أجام قصب اللؤلؤ الرطب، فحركته فضرب بعضه بعضا، فتطرب الجنة، فإذا طربت لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت".

وأخرج ابن أبي الدنيا، والضياء، بسند صحيح عن ابن عباس قال: في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام، فيخرج أهل الجنة من الغرف وغيرهم [١٩٦/ب]، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

قلت: وهذه الشجرة شجرة طوبى كما مر ذلك عن مكي. أخرج البيهقي، عن أبي هريرة، قال: إن في الجنة نهرًا طول الجنة، حافتاه العذارى قياما متقابلات، يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق، حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها. قيل: يا أبا هريرة: وما ذاك الغناء؟ قال: التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الرب.

وأخرج الطبراني، والبيهقي، عن أبي أمامة مرفوعا قال: "ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه، وعند رجليه، ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت

سمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتحميد الله وتقديسه[(١)]".

وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام". وإن مما يغنين: "نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنه[(٢)]".

وأخرج أحمد، والبيهقي، عن مالك بن دينار قال: مقام داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول الرب: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا. فيقول: يا رب كيف وقد سلبتنيه؟ فيقول: إني سأرده عليك اليوم فيندفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنة.

لطيفة:

أخرج ابن أبي الدنيا، والأصبهاني، عن محمد بن المنكدر قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ [١٩٧/أ] أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: اسمعوا حمدي وثنائي وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وأخرج الدينوري، عن مجاهد قال: ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أصواتهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشياطين؟ قال: فيجعلهم الله في رياض الجنة من مسك. فيقول للملائكة: أسمعوا عبادي تحميدي وتمجيدي، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما سوق أهل الجنة

فأخرج مسلم، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة لسوقا فيها كثبان من المسك، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنا وجمالًا، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا، فيقولون: وأنتم

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٧٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٢٥٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٩١٧).

والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا[(١)]". وفي الترمذي، عن سعيد بن المسيب، أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبوهريرة أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. قال سعيد أفيها سوق؟ قال: نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا[(٢)]".

وفيه قال: ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره [١٩٧/ب] الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب تغفر لي؟ فيقول: بلى فسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك، هذه فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط. ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا. قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم من دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبا وأهلا، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول: إنا جالسنا اليوم وربنا الجبار. الحديث. وأخرج الترمذي، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، عن على مرفوعا قال: "إن في الجنة لسوقا ما فيها

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٤٨٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٥٠)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٧٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٤٩)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٣٨)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة، برقم: (١٢٠٠).

لا بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها[١]". قال الترمذي: حديث غريب. وأخرج الطبراني، عن جابر، مرفوعا قال: "إن في الجنة لسوقا لا بيع فيه ولا يشترى ليس فيها إلا الصور، [من الرجال والنساء][٢] [فإذا اشتهى الرجل الصورة][٣] دخل فيها". قال الترمذي: حديث غريب. وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعا قال: "إن في الجنة لسوقا لا يباع فيه ولا يشترى ليس فيها إلا الصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها"[٤].

وأما زرع أهل الجنة

فأخرج البخاري، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن رجلا من أهل الجنة استأذن [١٩٨/أ] ربه في الزرع فقال له: ألست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع. قال: فبذر فبادر الطرف نباته واستواه واستحصاده، فكان أمثال الجبال فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء[٥]".

وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ، عن أبي هريرة مرفوعا قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قام رجل فقال: يا رب ائذن لي في الزرع، فيأذن له، فبذر حبة فلا يلتفت حتى يكون طول كل سنبلة اثنى عشر ذراعا، ثم لا يبرح مكانه حتى يكون منه ركام أمثال الجبال[٦]".

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٤٨٧)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٤٩٦٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٥٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٦٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٧٦).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) في الأصل: (فمن أحب صورة من رجل أو امرأة).

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٢٦٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٢٣٤٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٩٢).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٢٧٢)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٥٩١).

وأما زيارة أهل الجنة إخوانهم

فأخرج البزار، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ بسند حسن، عن أنس مرفوعا، قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء بسرير هذا، حتى يحاذي سرير هذا، فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا ويتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان أتدري يوم غفر الله لنا، يوم كنا في موضع كذا، وكذا فدعونا الله فغفر لنا". وأخرج الطبراني، وابن أبي الدنيا، عن أبي أيوب، مرفوعا قال: "إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض، كأنهن الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الإبل والطير[1]". وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة، قال: "إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون، عليها رجال ملس، تثير مناسمها غبار المسك، خطام أحدها خير من الدنيا وما فيها".

العيس: إبل في بياضها ظلمة خفيفة.

والمناسم بنون وسين مهملة: جمع منسم، وهو باطن خف البعير.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، والضياء وحسنه، عن عائشة قالت: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، [١٩٨/ب] فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، ومن أهلي ومن ولدي وإني لا أكون في البيت فأذكرك وما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، فإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وسيأتي زيارة أهل الجنة ربهم، ونظرهم إليه، آخر الكتاب وهي الخاتمة.

---

(١) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠١١٤)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (٣١٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان، برقم: (١١٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٣٠٩٤)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٤٤٥)، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، برقم: (٣٦٢)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (٢٠٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٣٦٧)، وأخرجه البيهقي في الزهد الكبير، برقم: (٩٨١).

فصل

في أدنى أهل الجنة منزلة

أخرج أحمد بسند حسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلاثمائة خادم، ويغدو عليه كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ آخره كما يلذ أوله. وإنه ليقول: يا رب، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم ولم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض". وأخرج أحمد، والترمذي، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، كما بين الجابية وصنعاء[1]". وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة، قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني، من يغدو أو يروح [١٩٩/أ] عليه خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليس مع صاحبه. وفي الثعلبي: أن أدنى أهل الجنة من ينادي الخادم من خدمته، فيجيبه ألف كل يقول: لبيك لبيك.

وعن الحسن البصرى مرفوعا: "أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين، على خيل من ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب": ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وأخرج مسلم، عن المغيرة بن شعبة رفعه قال: سأل موسى ربه فقال: يا رب أخبرني بأدنى أهل الجنة منزلة. قال: "هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة". فيقول: إى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وقد أخذوا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٧)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٧٣٢٣)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٦٢)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٤٠٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٠١).

أخذاتهم؟ فيقال له: "أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟" فيقول: رضيت. فيقول: "لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله[1]". فقال في الخامسة: رضيت يا رب. فيقول: "هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك[2]". قال: رب فأعلاهم منزلة قال: "أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر[3]".

وأخرج مسلم، أيضا عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها مَلْأَى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها مَلْأَى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها مَلْأَى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها مَلْأَى، فيرجع فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه إنها ملأى، فيرجع فيقول: [١٩٩/ب] يا رب وجدتها مَلْأَى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، فيقول أتسخر بي وأنت الملك؟[4]" فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٢٩).

(٢) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٥٦)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٢٦٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥٠١٠)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٧٢٢٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٨٠٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣١٩٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٨٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٣٦٠)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٩١)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤١٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦٤٧٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٠٧٢)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٥٥)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٥٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٢٧).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٩١)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤٢٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦٢١٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٩٨٩)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٦١١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٦٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٢٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٤٣٧٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٧١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٨٨)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٣٩)، =

بدت نواجذه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة. وأخرج مسلم أيضا، عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها[1]" فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: إي رب ادنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها. فيقول الله: "يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها تسألني غيرها[2]" فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي ربي ادنني من هذه لأشرب منها من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها فيقول: "يا بن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها"، فيدنيه منها، ثم يرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين، فيقول: أي رب ادنني من هذه لا أسألك غيرها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة. فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول: "أيرضيك إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها؟" قال: يا رب أتستهزئ بي وأنت رب العالمين. فيقول: "إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر".

وفي الترمذي، عن ابن عمر، مرفوعا قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جناته، وأزواجه، ونعيمه، وخدمه، [٢٠٠/أ] وسرره، مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على

=

وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥١٣٩)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٨٠)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤٢٨)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٧٨٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٧٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٣٣٩)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٦٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٩٥).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٣٧٠٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٩٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤٩٨٠)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٣٧٣)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٢٦٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٣٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٩٧٧٥)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٩٦).

(٢) أخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٤٤٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٩٧٧٥)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٩٦).

الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية[١]" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وفي مسلم، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال في الجنة فضل حتى يُنْشِئُ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة[٢]". وفي طريق آخر قال: "يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم يُنْشِئُ الله لها خلقا ما شاء".

وأخرج الدارقطني، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي الدنيا، من طرق حديث ابن مسعود الطويل وفيه قال عن الذي يمر: ونوره على إبهام قدمه، فيجثو على وجهه ويديه ورجليه، تخر يد وتعلو يد، وتخر رجل وتعلق رجل، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها، فقال: الحمد لله الذي نجاني منك فقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا، فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة، فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة، وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلل فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله أتسألني الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها، فيدخل الجنة ويرفع له منزل أمام ذلك فيقول: يا رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله له: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره فيقول: لا، وعزتك يا رب. وأي منزل يكون أحسن منه فيعطى ويسكت. فيقول الله: مالك لا تسأل؟ فيقول: يا رب قد سألتك حتى استحيتك، وأقسمت حتى استحييتك فيقول الله: ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها، وعشرة أضعافها فيقول: أتهزأ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب تعالى من قوله فيقول: لا [٢٠٠/ب] ولكني على ذلك قادر سل. فيقول: ألحقني بالناس فيقول الحق بالناس، فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنى من الناس رفع له قصر من درة مجوفة، فيخر ساجدا فيقال: ارفع رأسك مالك؟ فيقول: رأيت ربي. فيقال: إنما هذا منزل من منازلك فينطلق فيستقبله رجل، فيقول أنت ملك؟ فيقول: إنما أنا خازن

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٣٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٣٠٤٥)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٧٣٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٥٠)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٥٠٠).

من خزانك، وعبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، فينطلق أمامه فيفتح له القصر وهو من درة مجوفة، سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، فتستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، سبعون ذراعاً، فيها ستون باباً، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء، مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضي إلى جوهرة، على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر، وأزواج، ووصائف، فيدخل فإذا هو بحوراء عيناء عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته، وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا عما كان قبل ذلك، فيقول: لقد ازدادت في عيني سبعين ضعفاً. وتقول له مثل ذلك، فيقال له: أشرف، فيشرف. فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك.

فقال عمر رضي الله عنه، عند ذلك: يا كعب ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم؟ قال: يا أمير المؤمنين: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله خلق دارا جعل فيها ما شاء من الأزواج، والثمرات، والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه، لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وخلق دون ذلك [٢٠١/أ] جنتين وزينهما بما شاء، وجعل فيهما ما ذكر من الحرير، والسندس، والإستبرق، وأراهما من شاء من خلقه من الملائكة، فمن كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها، من ضوء نور وجهه، حتى إنهم يستنشقون ريحه ويقولون: واها لهذه الريح الطيبة، لقد أشرف علينا اليوم رجل من أهل عليين.

فقال عمر: ويحك يا كعب، إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها.

فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن لجهنم زفرة ما من ملك مقرب، ولا نبي إلا يخر لركبتيه حتى يقول إبراهيم الخليل نفسي نفسي، وحتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أن لا تنجو منها. قال الحاكم: هذا صحيح، وطريق الحق.

قال ابن راهويه صحيحة متصلة، رجالها ثقات.

لطيفة:

أخرج الشيخان، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: وما أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا(١)".

وفي مسلم، عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحييوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا(٢)".

فذلك قوله تعالى [٢٠١/ب]: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأخرج الطبراني، والضياء وصححه، عن جابر يرفعه: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله: يا عبادي هل تسألوني شيئا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربنا ما خير مما أعطيتنا. قال: رضواني أكبر(٣)". نسأله سبحانه أن يرضى عنا آمين.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١١٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٤٢٥)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٤٩)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٧٧٠٢)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٧٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٩٣٩)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٩٤٢)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٢٤٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٣٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٧٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٩٠٢٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٨٢).

الباب التاسع
في ذكر النار وعذابها

أعذانا الله تعالى منها بمنه وكرمه.

أخرج الترمذي، عن أبي هريرة مرفوعا: "ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها[1]". وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحاجت النار والجنة". فقالت النار: أوثرت بالجبارين والمتكبرين، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، فقال الله للنار: "إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء"، وقال للجنة: "إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها[2]"، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تعالى رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ، وينزوي بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله يُنْشِئُ لها خلقا.

وأخرج الشيخان، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة[3]".

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (٢٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٠١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (١٦٣٨)، وأخرجه الشهاب في مسنده، برقم: (٧٩١).

(٢) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٩٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٤٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٢٩٠)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (١٢٠)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤٦٤)، وأخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق، برقم: (٦٠٢)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٣٥٥)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١ :ص١٢٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٩٧٢)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٧٣٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٥٠)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (١٢٧)، =

وأخرج الشيخان، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء(١)".

وأخرج الشيخان، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم [٢٠٢/أ] قال: "قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء(٢)".

وأخرج مسلم، عن حارثة بن وهب، سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بأهل الجنة؛ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل حواظ مستكبر(٣)".

=

وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٣٥٥)، وأخرجه الدارقطني في الصفات، برقم: (٥)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة، برقم: (١٢٩٧)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٥٠١).

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٨٧٢)، وأخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٣٠٤٤)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٦١٠)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٩٤٢٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٥١٩٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٠٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٧٤٠)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٩٢١٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٨٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٢٧٨)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٤٤٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢١٢٧٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٥١٩٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٧٣٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (١٣٣٤)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٦١٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٨٢٥٥)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٤٧٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٤٩١٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٥٦)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤١١٦)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٥٥١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣٩٨٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٦٧٩)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١١٩٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط،

=

قال القرطبي: يعني ضعيفا في أمور الدنيا قويا في أمر دينه.

والعتل: الجافي الشديد الخصومة.

وقيل: الأكول الشروب الظلوم.

وقيل: الفظ الغليظ الذي لا ينقاد لخير.

والحواظ الجموع المنوع.

وقيل: الجافي القلب.

وقيل: الكثير اللحم.

وأخرج البزار عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثر أهل الجنة البله[1]".

قال العلماء: المراد البله في أمر دنياهم، لقلة اهتمامهم بها، وهم في الآخرة أكياس.

قال الأزهري: الأبله: الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه.

وقال القتبي: البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس.

=

برقم: (٤٢٦٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٢٥٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٣: ص٢٩١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ١٠: ص١٩٤)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص٢٤٤).

(١) أخرجه الشهاب في مسنده، برقم: (٩٩٠).

فصل

في صفة النار

أخرج الطبراني، عن عمر بن الخطاب، قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا جبريل مالي أراك متغير اللون؟" قال: ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح النار. فقال: "يا جبريل صف لي النار(١)". قال: إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام، حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام، حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام، حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها، ولا يطفئ لهيبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره، ولو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه، ومن [٢٠٢/ب] نتن ريحه، ولو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه، وضعت على جبال الدنيا لأرفضت، وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] هي حجارة في النار من كبريت، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا، فأعدها للكافرين. قال القرطبي: خصت حجارة الكبريت بذلك؛ لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب؛ سرعة الاتقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وقيل في هذه الأحجار: إنها الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآية.

وحكى الثعلبي في هذه الحجارة: أن أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشأ سحابة فيفرحون ويرفعون رؤوسهم إليها، فتمطر حجارة عظاما كحجارة الرحا، فتزداد النار التهابا وإيقادًا كنار الدنيا إذا زيد حطبها زاد لهبها.

وذكر بعضهم أن ذلك خاص بنار الكافرين.

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نار

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٥٨٣).

بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم[(١)]". قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: "فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها[(٢)]".

وأخرج أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم[(٣)]".

وأخرج الحاكم وصححه، عن أنس، سمعت رسول الله [٢٠٣/أ] صلى الله عليه وسلم يقول: "ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، ولو أنها غمست في البحر مرتين ما استمتعتم بها، وايم الله إن كانت لكافية، وإنها لتدعو الله أو تستجير الله أن لا يعيدها في النار أبدا[(٤)]".

وحديث ابن مسعود: إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من تلك النار، ولو أنها ضربت في البحر مرتين ما انتفعتم منها بشيء.

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضى بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٢٠٩٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٨٤٥)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٤٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٣٢)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٩٠)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣١٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٣٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٦٢)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٢٧٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٣)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٩٧).

(٢) أخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٩٧)، وأخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٢٠٩٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٨٤٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٤٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٦٢)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٤٣)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٩٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٧٧٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٨٤٥)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٤٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٩٠)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣١٨)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٨٦٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٣٤)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٨٢٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٦٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٣)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٠٠).

ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من حرها، وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها[(١)]".

وأما شررها

فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣]. قال ابن عباس، وابن مسعود: مثل القصور والبنيان والمدائن في العظم. وقيل: الخشب العظام المقطعة، وقيل: أصول النخل والشجر العظام.

وأما دخانها

فقال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤].

قال الثعلبي وغيره: دخان شديد السواد. وقال ابن زيد: هو جبل في جهنم يشعب إليه أهل النار. وقال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]، قال الثعلبي وغيره: يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب ثلاث شعب. فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي على رؤوس الكافرين.

لطيفة:

أخرج البيهقي، عن أبي سعيد، وأبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم حار فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم! اللهم أجرني من

(١) أخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٣٩)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥١٣٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٩٦٣٩)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٤٥)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٦٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٩٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٦١٩)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣١٩)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٥٧٦)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤٣٠٣)، وأخرجه السراج في مسنده، برقم: (١٠٠٤)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (١٠١٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦٤٦٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٠٣٨)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (١٣٧٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ١: ص٤٣٧)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم: (٦٦٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٠٢).

حر جهنم قال الله لجهنم: إن [٢٠٣/ب] عبدى استجار بي منك، وإني قد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم! اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم: إن عبدي استجار بي من زمهريرك وإني قد أجرته". قالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: "جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض".

وأما أبواب النار

فقال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤].

قال ابن عباس في هذه الآية: جهنم، والسعير، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي السفلى.

وقال ابن جريج: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. حكاه الفخر وابن جرير.

وفي الإحياء للغزالي خلاف هذا الترتيب فقال: الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الهاوية، ثم الجحيم.

قال القرطبي: الباب الأول يسمى جهنم، وهو أهون عذابا من غيره، وهو مختص بعصاة هذه الأمة وسمى بذلك؛ لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فتأكل لحومهم والهاوية آخرها وهي أبعدها قعرا. قال الإمام الفخر: الظاهر أن جهنم والعياذ بالله طبقات، والظاهر أيضا أن شرها أسفلها.

وحكى الزمخشري والثعلبي، والفخر أن أصحاب الطبقة الأولى أهل التوحيد، يعذبون على قدر أعمالهم، ثم يخرجون. والثانية للنصارى، والثالثة لليهود، والرابعة للصابئين، والخامسة للمجوس، والسادسة للمشركين، والسابعة للمنافقين.

وحكى الزمخشري، عن ابن عباس، أنه قال: جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى لعبدة النار، والحطمة لعبدة الأصنام، وسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين، [٢٠٤/أ] والهاوية للمنافقين.

واختلف المفسرون في هذه الطبقات هل بعضها فوق بعض؟ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. أو قرار جهنم مقسوم على سبعة أقسام، لكل قسم باب معين قولان: قال: الليث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] الدرك أقصى قعر جهنم.

قال الضحاك: الطبق إذا كان بعضه فوق بعض، والدرك إذا كان بعضه أسفل من بعض.

وأخرج هناد، وابن المبارك، وأحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أبواب جهنم هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى، وفرج بين أصابعه، يعني بابا، فوق باب سبعة أبواب، فيملأ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس، ثم السادس، ثم السابع.

وفي حديث لقيط بن عامر، مرفوعا: "إن الجنة لها أبواب، ما منهن بابان إلا وبينهما مسيرة الراكب سبعين عاما، وأن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا وبينهما مسيرة الراكب سبعين عاما(١)". أخرجه عبد الله بن أحمد، والطبراني، والحاكم وصححه.

وأخرج مسلم، عن أبي هريرة، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة. فقال: "أتدرون ما هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: "إن هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حتى انتهى إلى قعرها(٢)".

وأخرج الطبراني، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل فقال: "ما هذا الصوت يا جبريل؟" فقال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما، فهذا [٢٠٤/ب] حين بلغت قعرها، فأحب الله أن يسمعك صوتها، فما رُئِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه، حتى قبضه الله.

وأخرج الترمذي، عن عتبة بن غزوان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم، فتلقى فيها سبعين عاما، ما تفضي إلى

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٦٢٢)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٨٢).

قرارها[١]".

قال: وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد.

لطيفة:

أخرج الشيخان، عن أبي هريرة، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب".

وفي الترمذي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة، لا يرى بها بأسًا، يهوي بها سبعين خريفا في النار[٢]".

وعن عطاء الخراساني: إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غما، وكربا، وحرا، وأنتنها ريحا، للزناة الذين ركبوا بعد العلم.

وأما أودية جهنم وجبالها ونحوها

فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٧٥).

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع، برقم: (٢٩٤)، وأخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٢٠٧٢)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٣٩٣)، وأخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (٤٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٥٥٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٥١٤)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٣٥٨)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٤٧٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٣١٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٩٩٠)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٣٩٦٩)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٧٣٢)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٧٧٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٢٣٥)، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، برقم: (٤٠٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٧٠٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١١٣٤)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٧٢٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٧)، وأخرجه البيهقي في الآداب، برقم: (٥٠٤)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٨: ص١٦٥).

أخرج أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، وهناد، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ويل وادي في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره[١]".

والصعود: "جبل في النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي وهو كذلك أبدا[٢]".

وأخرجه البيهقي من وجه آخر، عن أبي سعيد موقوفا.

وقال ابن مسعود: ويل وادى في جهنم يسيل فيه صديد أهل [٢٠٥/أ] النار جعل للمكذبين.

وقال النعمان بن بشير: الويل وادٍ من قيح في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لانماعت من حره.

وأخرج ابن جرير، عن عثمان بن عفان، مرفوعا قال: "الويل جبل في النار".

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] الغي: وادٍ في جهنم. وقيل: نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم.

وقيل: نهر حميم في النار، يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات.

وفي حديث أبي أمامة قلت: وما غي وآثام؟ قال: نهران في أسفل جهنم، يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللذان ذكر الله في كتابه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وفي تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢] قال أنس بن مالك: هو واد في جهنم، من قيح ودم.

وعن عكرمة: هو نهر في جهنم يسيل نارا، على حافته حيات مثل البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار.

وأخرج ابن المبارك، عن شفي الأصبحي قال: إن في جهنم جبلا يدعى صعودا، يطلع فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يرقاه، وإن في جهنم قصرا يقال له: (هوى)

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٨٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٦٥).

يرمى الكافر من أعلاه فيهوي أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١] وإن في جهنم واديًا يدعى (آثاما) فيه حيات في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من السم، والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة، وإن في جهنم واديا يدعى (غيا) يسيل قيحًا ودمًا.

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]. قال: سحق: وادٍ [٢٠٥/ب] في جهنم.

واختلف المفسرون في الفلق، فأخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، عن كعب قال: الفلق بيت في جهنم، إذا فتح صاح أهل النار من شدة حره.

وقال ابن عباس: الفلق سجن في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من حره.

وقال الكلبي: الفلق واد في جهنم.

وقال ابن عمر: شجرة في النار.

وقال السدى: جب في جهنم.

وحكى مكى، عن أبي هريرة مرفوعا قال: الفلق جب في جهنم مغطى.

وقيل: الفلق اسم من أسماء جهنم.

وقال جابر بن عبد الله، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والقرطبي، وأبو زيد: الفلق هو الصبح. وقال عمر بن عبسة: الفلق بئر في جهنم، إذا سعرت جهنم فمنه تسعر، وإن جهنم لتتأذى بها كما يتأذى بنوا آدم من جهنم.

وأخرج البيهقي، عن على مرفوعا قال: "تعوذوا بالله من جب الحزن! قيل: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين[(١)]".

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: "تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا: وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٣٨٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٢٥٦)، وأخرجه الطبراني في الدعاء، برقم: (١٣٩١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٠٩٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٨١).

مرة[١]".

ولفظ ابن ماجه: (أربعمائة) قيل: يا رسول الله من يدخله؟ قال: "القراء المراؤون بأعمالهم، نعوذ بالله من ذلك".

وأخرج ابن المبارك، والضياء، عن أبي هريرة مرفوعا، قال: "إن في جهنم واد يقال له: ململم، إن أودية جهنم تستعيذ بالله من حره[٢]".

وأخرج البخاري في التاريخ، والبيهقي، وابن عساكر، وابن منده، عن الحجاج الثمالي الصحابي، أن نفير بن مجيب حدثه، وكان من قدماء الصحابة قال: إن في جهنم سبعين [٢٠٦/أ] ألف وادٍ، في كل وادٍ سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف بئر، في كل بئر سبعون ألف ثعبان، في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله.

وأخرج أبو نعيم، عن حميد بن هلال، قال: حدثت أن في جهنم تنانير، ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض، تضيق على أقوام بأعمالهم.

وأخرج ابن وهب، عن كعب قال: إن في النار بئرا ما فتحت أبوابها بعدما غلقت، ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله، إلا وتستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر، مخافة أن يكون فيها من عذاب الله، ما لا طاقة لها به، ولا صبر لها عليه، وهي الدرك الأسفل من النار.

وفي الثعلبي، عن عبد الله بن مسعود: إن في الدرك الأسفل من النار توابيت من حديد تطبق عليهم ولن تجد لهم نصيرا.

وأما سرادق النار

فقال تعالى: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]. واختلف المفسرون في تفسير

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٣٨٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٠٩٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٦١٨٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٦).

السرادق على أقوال، أحدها لابن زيد: أنه حائط من نار محيط بهم كسرادق الفسطاط.

وقال ابن عباس، ونحوه للكلبي قال: هو عنق يخرج من النار محيط بالكفار كالحظيرة.

وثانيها لمعمر: هو دخان محيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠].

وثالثها: هو البحر المحيط الذي في الدنيا.

﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]: أى بحرها المحيط بها.

قال مكي: وقد روي، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "البحر هو جهنم[(١)]". وتلا هذه الآية. وقال: "لا أدخله أبدا ما دمت حيا، ولا تصلني منه قطرة".

وأخرج أحمد والبيهقي بسند رجاله [٢٠٦/ب] ثقات، عن يعلى بن أمية، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البحر هو جهنم". وأخرج البيهقي، عن ابن عمر، مرفوعًا قال: "لا يركب البحر إلا غازٍ، أو حاج، أو معتمر، فإن تحت البحر نارًا[(٢)]". وأخرج أحمد، والترمذي، والحاكم، وصححه، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لسرادق النار أربعة جدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة[(٣)]".

وأما حيات النار وعقاربها

فقال تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨].

قال المفسرون في هذه الآية: زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال. صحح

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧٥٠٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٦)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٣٣٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٥١).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، برقم: (٢٣٩٣)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٢٤٨٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٣٣٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٥٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٣١)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٩٩٩٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٨٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٦٠٠).

ذلك الحاكم عن ابن مسعود.

وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي، عن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في النار لحيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا، وإن في النار عقارب أمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا[١]".

وأخرج ابن المبارك، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، من طريق مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: إن لجهنم جبابًا في ساحل كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي، وعقارب كالبغال، فإذا سأل أهل النار التخفيف. قيل: أخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك، فتكشطها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النار، ويسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم. فيقال: يا فلان هل يؤذيك؟ فيقول: نعم. فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين.

وأخرج الحاكم، عن ابن عمرو، مرفوعا: "الأرض الرابعة فيها كبريت [٢٠٧/أ] جهنم". قالوا يا رسول الله أللنار كبريت؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت، لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت[٢]".

والخامسة: "فيها حيات جهنم، إن أفواهها كالأودية، تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على عظم[٣]".

والسادسة: فيها عقارب جهنم، إن أدنى عقربة منها كالبغال الموكفة، تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حر جهنم. نسأل الله العافية.

لطيفة:

أخرج أبو يعلى بسند جيد، عن أنس مرفوعا، قال: "الذباب كله في النار إلا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧٢٦٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٤).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٤).

النحل[1]". وفي الحديث: "كل مؤذ في النار".

قال القرطبي: وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أن كل من أذى الناس في الدنيا فهو معذب في النار يوم القيامة.

والثاني: أن كل ما يؤذي من السباع والهوام وغيرهما في النار معد لعقوبة أهل النار.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن حذيفة بن اليمان قال: أسر إليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا حذيفة إن في جهنم لسباعا من نار، وكلابا من نار، وكلاليب من نار، وسيوفا من نار، وأنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم، ويقطعونهم بتلك السيوف عضوًا عضوًا، ويلقونهم إلى تلك السباع والكلاب، كلما قطعوا عضوا عاد مكانه عضوًا جديدا".

وأما السلال والأغلال، والقيود، والمقامع

فقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ [غافر: ٧١].

وقال تعالى:﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١]. أخرج أحمد، والترمذي، وحسنه، والبيهقي، عن ابن عمرو قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ [غافر: ٧١]. إلى قوله [٢٠٧/ب]: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢]. فقال: "لو أن رصاصة من هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل[2]".

"ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار، قبل أن

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه، برقم: (١٣٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٤٨٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٤٨٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٦٨١٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٨٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٤٣٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٢٩).

تبلغ أصلها أو قعرها[1]". قال أبو عيسى: هذا إسناد صحيح.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢]. الذراع: سبعون باعا، والباع ما بينك وبين مكة. وهو يومئذ بالكوفة.

وأخرج أبو نعيم، عن محمد بن المنكدر، قال: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها، وما بقي ما عدل حلقة من حلق جهنم.

وأخرج ابن المبارك، عن كعب، قال: إن حلقة من السلسلة التي ذكر الله في كتابه مثل جميع حديد الدنيا.

وفي الثعلبي، عن سويد بن نجيح: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها.

وقال ابن عباس: لو وضعت منها حلقة على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص.

وأخرج البيهقي، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]. قال: يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب.

وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره.

قال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠].

يروى أنه يجتمع على شخص واحد من أهل النار مائة ألف من الزبانية، فينقطع على أيديهم فلا يرى على أيديهم منه إلا الودك، ثم يعاد خلقا جديدا.

وأما معنى قوله: ﴿فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠] فهو اجمعوا يديه إلى عنقه في الحديد.

ومعنى: ﴿صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١] أي: اجعلوه يصلى النار العظمى.

ومعنى: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] [٢٠٨/أ] أدخلوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا على ما مر.

فعن ابن عباس السلسلة تدخل في استه، ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٦٨١٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٨٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٢٩).

تنظم الجراد في العود، ثم يشوى قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

قال الثعلبي: مشدودين بعضهم إلى بعض.

وقيل: مقرنين بالشياطين، بيانه قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]. يعني: قرناؤهم من الشياطين.

وقال ابن زيد: مقرونة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم.

بالأصفاد: بالقيود والأغلال وواحدها صفد، والأصفاد أيضا: القيد.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١].

فقال الإمام الفخر: المقامع: السياط.

قال: وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها.

قال الثعلبي: مقامع من حديد واحدها (مقمعة) سميت بذلك؛ لأنها تقمع المضروب: أي تذله.

أخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت[1]".

وأخرج البيهقي، عن أبي صالح، قال: إذا ألقي الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلاها، وما على عظامه مزحة لحم فتضربه الملائكة بالمقامع فتهوى به في قعرها فلا يزال كذلك.

قال الفخر في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] الإعادة ما تكون إلا بعد الخروج، والمعنى هنا أن أهل النار يرفعهم لهبها حتى إذا [٢٠٨/ب] كانوا في أعلاها ضربوا فهووا فيها سبعين خريفا. وقيل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٧٦٢٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٨٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٦٠٠).

لهم: ذوقوا عذاب الحريق. والحريق: الغليظ من النار العظيمة الإهلاك، والحريق المحرق مثل الأليم والوجيع.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن أبي حاتم، عن يعلى بن منبه مرفوعا قال: "ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة، ويقال لأهل النار: أي شيء تطلبون؟ فيذكرون سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب، فتمطرهم أغلالا يزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمرا يلهب عليهم[1]".

وأخرج الدينوري عن صالح المري قال: بلغني أن أهل النار يعذبون بأنواع العذاب، فكلما عذبوا بنوع من العذاب نقلوا إلى نوع أشد منه. فيقولون: ربنا عذبنا كيف شئت بما شئت، ولا تغضب علينا؛ فإن غضبك أشد علينا من النار، إذا غضبت ضاقت علينا الأكبال والقيود والسلاسل والأغلال.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]. قال: الكبول.

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ [المزمل: ١٢]. قال: الأنكال: قيود من نار.

وأخرج أبو نعيم، عن الحسن بن يحيى، قال: ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه.

وأما ثياب أهل النار وفرشهم

فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج: ١٩].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] السرابيل: جمع سربال، وهو القميص قاله الفخر.

والقطران: من شجر يسمى الأسل يطبخ ويطلى به الإبل الجربة، فتحرق الجرب حرارته، وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف. قاله الإمام الفخر.

ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو منتن الرائحة، أسود اللون، فتطلى [٢٠٩/أ] به جلود أهل النار، حتى يصير ذلك الطلى كالسرابيل وهي القمص.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤١٠٣).

قال: فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب: لذع الحرقة، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح.

قال: وأيضا: التفاوت بين قطران القيامة، وقطران الدنيا، كالتفاوت بين النارين.

وفي قراءة من قطران: وهو النحاس المذاب الشديد الحرارة. كذا أخرجه ابن جرير، عن ابن عباس، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

وأخرج هناد، عن محمد بن كعب في قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]. قال: فراش. ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] قال: اللحف.

وأخرج أحمد، والبزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي بسند صحيح، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده، وهو ينادى يا ثبوراه[١]". فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤].

وأخرج أبو نعيم، عن وهب بن منبه قال: كُسي أهل النار والعري كان خيرا لهم، وأعطوا الحياة والموت كان خيرا لهم.

وأخرج مسلم، عن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب[٢]". ورواه ابن ماجه بلفظ: "إن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران، ودرعا من لهب النار[٣]".

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٦٩١٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٢١٥٠)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٢٤٠٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٩٣٦)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٥٧٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٤٢٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٨٣)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٤: ص٦٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (٦٦٨٦)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (١٥٨١).

وأما طعام أهل النار

فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وهي شجرة الزقوم على قول أكثر [٢٠٩/ب] المفسرين قاله الإمام الفخر، وقيل: هم اليهود.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥] قال: يعني الشياطين بأعيانهم وشبهها بهم لقبحها؛ لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان، وإن كان الشيطان لا يرى؛ لأن قبح صورها يتصور في النفس. قاله ابن عباس، والقرطبي.

وقيل: أراد بالشياطين: الحيات؛ لأن العرب تسمى الحية القبيحة الخفيفة الجسم شيطانا.

أخرج الترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: "لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه[١]؟!". وأخرج عبد الله بن أحمد، وأبو نعيم عن أبي عمران الجوني في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ [الدخان: ٤٣] قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٧٦٥)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٣١٢٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٨٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٢٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٠٠٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٧٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٥١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٥٢٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١١٠٦٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٢٩٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٤٣).

[الغاشية: ٦-٧].

اختلف المفسرون في الضريع، فقال عكرمة: الضريع: الشبرق شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، فهو شوك تسميه قريش الشبرق، ولا يقربه دابة، ولا ترعاه إذا كان رطبا، فإذا يبس فهو ضريع، وهو سم، وهو أخبث الطعام وأشنعه. قاله ابن عباس، وحكاه مكي، عن عطاء أنه الشبرق. قال: وروي عن مجاهد، وقتادة.

قال مكي: وعلى هذا القول كثير من أهل اللغة.

والشبرق: شجر كثير الشوك تعافه الإبل، وأهل الحجاز تسمونه الضريع [٢١٠/أ] إذا يبس، وغيرهم يسمونه الشبرق.

وقال ابن جبير: الضريع: هو الحجارة أخرجه ابن جرير، وهو قول لعكرمة.

وقال الحسن: الضريع: الزقوم وهو قول لابن جبير، أخرجه ابن أبي حاتم.

وفي قول لابن عباس: هو شيء تطرحه الأرض المالحة تسميه العرب من أهل اليمن: الضريع.

وقال ابن زيد: الضريع: هو الشوك اليابس، وهو في الآخرة شوك من نار. أخرجه ابن جرير.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق أبي طلحة، عن ابن عباس قال: الضريع: شجر من نار.

وأخرج عبد الله بن أحمد، من طريق نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعا: "الضريع شيء يكون في النار أشبه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حرا من النار، إذا طعمه صاحبه لا يدخل البطن، ولا يرتفع إلى الفم فيبقى بين ذلك، لا يسمن ولا يغني من جوع".

وأخرج ابن جرير، وابن أبي الدنيا، والحاكم، والبيهقي، من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]. قال: له شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج. وأخرج الحاكم وصححه، من طريق مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]. قال: شجر الزقوم.

وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] قولان:

فقيل: إن الغسلين صديد أهل النار، مأخوذ من الغسل، كأنه غسالة فروجهم

وجوارحهم. وقيل: إنه شجر يأكله أهل النار. قاله الضحاك والربيع.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق مجاهد، عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين، ولكني أظنه الزقوم.

وأخرج من طريق عكرمة: [٢١٠/ب] الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم.

وأخرج من طريق أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: الغسلين: صديد أهل النار.

وأما شراب أهل النار

فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] الآية.

اختلف المفسرون في المهل: فقيل هو دردي الزيت.

وقيل: الذائب من الفضة والنحاس.

وقيل: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقيل: هو القيح والدم.

وقيل: ماء أسود، وإن جهنم سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود. قاله الضحاك.

وقيل: هو ضرب من القطران. حكاه الإمام الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧] الآية.

أخرج أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] قال: يقرب إلى جوفه فيكره فإذا دنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره.

يقول الله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]. فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه، ولو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ بِمَاءٍ

كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]. قال: أسود [٢١١/أ] كعكر الزيت.

وفي قوله: ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥] قال: شرب الإبل العطاش.

وأخرج البيهقي، عن مجاهد، في قوله: ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥] قال: هو داء يكون في الإبل فلا تروى.

وفي قوله: ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١١] قال: القيح والدم.

واختلف المفسرون في الغساق. فقال مجاهد: الغساق: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده. أخرجه عنه هناد.

وقال عطية: الغساق: الذي يسيل من صديدهم. أخرجه هناد أيضا.

وأخرج مثله عن إبراهيم، وابن رزين.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والضياء، عن كعب قال: غساق: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك، فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيه غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده عن العظام، ويعلق في كعبيه فيجر جلده ولحمه كما يجر الرجل ثوبه.

وقال الفخر وغيره من المفسرين في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠] الحميم: الماء الحار.

قال ابن عباس: لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها.

ومعنى يصهر: أي يذاب إذا صب الحميم على رؤوسهم فيذيب أمعائهم.

وفي الترمذي وصححه، عن أبي هريرة مرفوعا قال: "إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم، حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر ثم يعاد كما كان[(١)]".

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] أن انتهى حرها فليس فوقه حر. قال: الحسن: كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحر منه [٢١١/ب]: قد أنى حره. فقال الله: ﴿ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٦٤٧)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٨٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٣٨٧)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٢٧).

[الغاشية: ٥] قد أوقد عليها في جهنم منذ خلقت فأنى حرها.

أخرجه البيهقي،وأخرج الطبراني،وابن أبي الدنيا،عن أنس مرفوعا قال: "و أن غربا من ماء جهنم جعل في وسط الأرض لأذى نتنه، وشدة حره ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شرارة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب".

أخرج هناد،عن مغيث بن سمي قال: إذا جيء بالرجل إلى النار قيل له: انظر حتى نتحفك فيؤتى بكأس من سم الأفاعي، والأساود إذا أدناها إلى فيه ميزت اللحم عن حدة، والعظم عن حدة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: إذا جاع أهل النار استغاثوا شجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلودهم ووجوههم، ولو أن مارًا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره وجوههم، التي سقطت عنها الجلود، ويصهر به ما في بطونهم يمشون، وأمعائهم تساقط وجلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور.

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أبي الدرداء، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بالطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا [٢١٢/أ] دنت من وجوههم شوتها، وإذا دخلت بطونهم قطعت بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم فيدعوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم أن يخفف عنا يوما من العذاب[(١)]" فيقولون: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠] الحديث. وسيأتي تتمته.

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٤٧).

فصل

في صفة الزبانية

قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] أي ملكا بأعيانهم.

قال الثعلبي: وعلى هذا أكثر المفسرين، ولا يستبعد هذا، فإنه إذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر ملكا، يقدرون على عذاب بعض الخلق. قال قتادة: والزبانية في كلام العرب الشرط، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

وقال الثعلبي: غلاظ في أخذهم أهل النار، شداد عليهم.

ويقال: غلاظ في الأخلاق، شداد في القول، فظاظ أقوياء، لم يخلق الله فيهم الرحمة، وهم الزبانية تسعة عشر وأعوانهم من خزنة النار.

وفي حديث أنس مرفوعا قال: "والذي نفسي بيده خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام".

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن خزنة جهنم تسعة عشر، ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل فيتركه طحينا من لدن قرنه إلى قدمه.

وقال ابن جريج: وصف النبي صلى الله عليه وسلم خزنة النار فقال: "كأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي، يجرون شعورهم، لأحدهم [٢١٢/ب] مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة، وعلى رقبته جبل فيرميهم بالنار، ويرمي بالجبل عليهم".

وقال عمرو بن دينار: إن واحدًا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

وأخرج ابن جرير، عن كعب قال: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة مائة سنة، مع كل واحد منهم عمود وشعبتان يدفع به الدفع، يصدع به في النار سبعمائة ألف.

وأخرج هناد، عن كعب، قال: يؤمر بالرجل إلى النار فيبتدره مائة ألف ملك، ورئيس الزبانية هو مالك عليه السلام، وقد ذكر الله تعالى في كتابه.

قال القتبي، عن طاوس: إن الله خلق مالكًا، وخلق له أصابع على عدد أهل النار، فما من أهل النار معذب إلا ومالك يعذبه بأصبع من أصابعه، فوالله لو وضع مالك إصبعا من أصابعه على السماء لأذابها.

فصل

في صفة أهل النار

وأخرج أبو يعلى، والبزار، والبيهقي، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيه رجل من أهل النار، فتنفس، فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه[١]".

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن ابن عمرو، قال: لو أن رجلا من أهل النار خرج إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا من وحشة منظره، ونتن ريحه.

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: "ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع[٢]".

وأخرجه البيهقي بلفظ: (خمسة أيام).

وأخرج مسلم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر في النار مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث".

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أبي [٢١٣/أ] هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر في النار مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من جهنم ما بين مكة والمدينة، وغلظ جلده إثنان وأربعون ذراعا، بذراع الجبار[٣]".

قال ابن حبان وغيره: هو ملك باليمن له ذراع معروف المقدار.

وقيل: ملك بالعجم حكى ذلك المنذري.

وقال البيهقي: أراد بلفظ (الجبار) التهويل.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٦٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٥٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٥٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٢٧٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٦٤).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٥٠٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٦٥).

قال: ويحتمل أن يريد جبارا من الجبابرة. وأخرج أحمد والترمذي، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان،، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة[(١)]".

وأخرج الترمذي، والبيهقي، وهناد، عن ابن عمر مرفوعا قال: "إن الكافر ليجري لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس"، ولفظ الترمذي: "الفرسخ والفرسخين".

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام، وكل ضرس مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده سوى لحمه وعظامه أربعون ذراعا[(٢)]".

وأخرج أحمد، والحاكم، والبيهقي، عن مجاهد قال: قال لي ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا، تجري فيه أودية القيح والدم. قلت: أنهار قال: لا بل أودية. وأخرج أحمد، والطبراني، والبيهقي، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام [٢١٣/ب]؛ وإن غلظ جلده سبعون ذراعا، وإن ضرسه مثل أحد[(٣)]".

قلت: ولا تعارض بين هذه الأحاديث وإن أجسادهم متفاوتة، في العظم على حسب جرائمهم، فسبحان القادر على كل شيء.

أخرج ابن المبارك، عن أبي هريرة، قال: ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد، يعظمون لتمتلىء منهم وليذوقوا العذاب.

وأخرج ابن ماجه، والحاكم، وصححه والبيهقي، عن الحارث بن قيس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون أحد من زواياها".

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨١٤٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٧٨)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٩٥)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٦٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٨٤٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٤٧٨٥)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٨٠٨).

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في فلان: "فخذه في جهنم مثل أحد، وضرسه مثل البيضاء(١)". قلت: لم ذاك يا رسول الله؟ قال: "كان عاقا بوالديه".

وأما قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عمر قال: قريء عند عمر: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ﴾ [النساء: ٥٦]. الآية. فقال معاذ: عندي تفسيرها: تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرجه ابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، من وجه آخر بلفظ: "تبدل في الساعة الواحدة عشرين مرة ومائة مرة".

وأخرجه البيهقي، من وجه ثالث بلفظ: "تحرق وتجدد في مقدار ساعة ستة آلاف مرة".

وأخرج البيهقي، عن الحسن في الآية قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودوا كما كانوا.

وعن ابن عمر في الآية قال: إذا احترقت جلودهم بدلوا جلودا بيضاء، أمثال القراطيس.

وأخرج ابن المبارك، عن خالد بن أبي عمران بسنده، إلى النبي صلى الله عليه وسلم [٢١٤/أ] قال: "إن النار تأكل أهلها حتى إذا طلعت على أفئدتهم انتهت، ثم تعود كما كانت، ثم تستقبله فتطلع فهو كذلك أبدا" فذلك قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٦-٧].

وأما قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] الآية.

أخرج الترمذي وصححه، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: "تشويه النار فتقلص

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٦٨٥٧).

شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته[(١)]".

وأخرج هناد، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: مثل الرأس النضيح بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: "إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقتهم بعنق فلفحتهم لفحة، فلم تدع لحما على عظم، إلا ألقته على العرقوب[(٢)]".

وأخرج أبو نعيم، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: تلفحهم لفحة، فما أبقت لحما على عظم إلا لفحته، فتسيل لحومهم على أعقابهم.

وأخرج ابن مردويه، والضياء، عن أبي الدرداء مرفوعا قال: في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم. وأخرج هناد، عن أبي رزين، في قوله: ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩] قال: غيرت ألوانهم حتى اسودت.

وأما بكاء أهل النار وزفيرهم

فقال: تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]. قال: الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا.

وأخرج ابن ماجه، وأبو [٢١٤/ب] يعلى، والبيهقي، وهناد عن أنس، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٤٢٦)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣١٧٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٢٤٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٧٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥١٠).

تنقطع الدموع، حتى يبكون الدم، حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود، ولو أرسلت فيها السفن لجرت[(١)]".

وأخرج الحاكم وصححه، عن عبد الله بن قيس مرفوعا قال: "إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم[(٢)]".

وأخرج ابن أبي الدنيا، والضياء، كلاهما في صفة النار، عن زيد بن رفيع رفعه: إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانا، ثم بكوا القيح زمانا، فتقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء تركتم البكاء في الدنيا، هل تجدون اليوم من تستغيثون به؟ فيرفعون أصواتهم: يا أهل الجنة يا معشر الآباء والأمهات والأولاد خرجنا من القبور عطاشا، وكنا طول الموقف عطاشا، ونحن اليوم عطاش، فأفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله، فيدعون أربعين سنة ثم يجيبهم إنكم ماكثون، فييأسون من كل خير.

وأخرج هناد، والطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم - وصححه -، والبيهقي، وعبد الله بن أحمد، عن ابن عمرو، قال: إن أهل النار ينادون مالكًا: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فيذرهم أربعين عاما لا يجيبهم، ثم يجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. ثم ينادون ربهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. فيذرهم مثلي الدنيا لا يجيبهم، ثم يجيبهم ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، قال: فما ينبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال: يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] [٢١٥/أ].

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي، عن محمد بن كعب، قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا. يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] فيجيبهم الله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٢٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٦٠٥).

لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] فيجيبهم الله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيجيبهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فيجيبهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبدا.

وأخرج الترمذي، والبيهقي من حديث أبي الدرداء السابق، أنهم إذا استغاثوا بالخزنة ولم تغثهم فيقولون: ادعوا مالكا فيدعون مالكا فيقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فيجيبهم ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. قال: الأعمش: أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم. فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الآية [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]. فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فعند ذلك [٢١٥/ب] ييئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن حذيفة، مرفوعًا قال: "إن الله إذا قال: لأهل النار: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه ولا مناخير تردد النفس في أجوافهم، وإنه ليسقط عليهم حيات من نار، وعقارب من نار، لو أن حية منها نفخت بالمشرق لاحترق من بالمغرب، ولو أن عقربا منها ضربت أهل النار لاحترقوا من آخرهم، وأنها لتسلط عليهم فتكون بين لحومهم وجلودهم، وأنه ليسمع لها هناك كحلبة الوحش في الغياض".

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن ابن مسعود، قال: إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من حديد، فيها مسامير من حديد، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من حديد، ثم قذفوا في أسفل الجحيم،

فما يرى أحدهم أنه يعذب في النار غيره ثم قرأ ابن مسعود: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] قال: صوت شديد وصوت ضعيف.

وعن محمد بن كعب: الزفير من التنفس، والشهيق من البكاء.

أخرجه البيهقي، وأخرج أبو نعيم، والبيهقي، عن سويد بن غفلة قال: إذا أراد الله أن ينسي أهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتا من نار على قدره، ثم أقفل عليه بأقفال من نار، ثم يجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار، ثم يقفل بأقفال من نار، ثم يضرم بينهما نار فلا يرى أحد منهم أن في النار غيره، وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] وقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

وأخرج [٢١٦/أ] ابن أبي حاتم، عن يحيى بن أسيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: ١٣] قال: والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط.

وعن ابن عمرو في الآية مثل الزج في الرمح.

وأخرج ابن المبارك من طريق قتادة في الآية قال: ذكر لنا أن عبد الله كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح.

وأخرج أبو نعيم، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨] قال: مطبقة.

وأخرج هناد، عن الضحاك، في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨] قال: مطبقة حائط لا باب لها.

وأما أهون أهل النار عذابا

فأخرج مسلم، عن النعمان بن بشير، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه

كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا[(١)]".

وفي البخاري، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار[(٢)]".

وفي البخاري أيضا، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان فيغلى منها دماغه كما يغلى المرجل[(٣)]".

وأخرج مسلم، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلى منها دماغه".

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥١٣٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٧١٦)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٧١١)، وأخرجه الدارمي في سننه، برقم: (٢٨٤٨)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٦٢)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٠٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢١٥)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٣٢٣٣)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٢٨٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٧٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٦٢٧١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٨١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥١٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٨٣٥)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (١٨٤٤٧)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٨٩٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥١٣٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٧١٦)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٧١١)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٦١)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٠٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢١٥)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٣٢٣٣)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٢٨٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٨١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥١٥)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٨٣٥)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧٩٤٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٦٢)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٠٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢١٥)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٢٨٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٨١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥١٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٩٣).

وأخرج مسلم أيضا، عن ابن عباس، أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار(١)".

وفي لفظ لمسلم: "وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح(٢)".

وفي مسلم، [٢١٦/ب] عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: "لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك ولا أدخلك النار. فأبيت إلا الشرك(٣)". وفي مسلم أيضا، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة. ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط، فيقول: لا والله يارب، ويؤتي بأشد أهل الدنيا بؤساً من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط(٤)".

وأما أشد أهل النار عذابا

فأخرج الشيخان عن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٦٧٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٨٨٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢١١)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥١٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢١٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٨١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٥٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٠٧)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤١٨٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥٤٠٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٢٦٩٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٠٩)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣٥٢١)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٣٦).

أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون[١]". وأخرج أبو نعيم، عن ابن عباس، مرفوعا قال: " إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من شتم الأنبياء، ثم أصحابي، ثم المسلمين[٢]".

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن مسعود، مرفوعا قال: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيًا، أو قتله نبي، أو إمام جائر، وهؤلاء المصورون[٣]".

وأخرج البخاري في التاريخ، والطيالسي، عن خالد بن الوليد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس في الدنيا[٤]". وفي الثعلبي، عن عبد الله، أن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة؛ المنافق، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

قال صاحب كنز [٢١٧/أ] الأسرار: وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى:

أما أصحاب المائدة:

فقال تعالى: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

وأما آل فرعون:

فقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وأما المنافقون:

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] انتهى.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٢٥٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٣٥٤٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢١١١)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٩٦٤)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٥٣٦٤)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٩٧١٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٢٠٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٣٠٦)، وأخرجه أبو بكر بن المقرئ في معجمه، برقم: (٢٠٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٦٠٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٥١٥).

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (١٢٥٣)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٨٢٤).

وأخرج ابن المبارك، عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] قال: توابيت من حديد تصمت عليهم في أسفل النار.

وعن كعب: إن في النار لبئرا ما فتحت أبوابها بعد - مغلقة ـ، ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله، إلا وتستعيذ بالله من شرها، وهي الدرك الأسفل من النار.

وأخرج مسلم، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون[١]". الحديث.

نسأل الله سبحانه العافية، والوفاة على الإسلام آمين، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٢٦٩)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٣٣٧)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٨٦٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٨٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٠٩)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (١٣٧٠)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٣٩٩)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٤٥٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (١٨٤)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٦٤)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٥٧).

الباب العاشر

في مسائل متفرقة

وهو خاتمة الأبواب من هذا الكتاب، وقد أحببت أن أذكر فيه عدة مسائل، يحمدها كل طالب وسائل.

المسألة الأولى

في خلود أهل الدارين فيهما، وذبح الموت بينهما، وأنهما باقيتان لا يفنيان، ولا يفنى أهلهما

وذهبت الجهمية، إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما. قال التفتازاني: وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وليس عليه شبهة، فضلا عن حجة، وإن أهل النار خالدون فيها، لا ينقطع عنهم العذاب أبدا مؤبدا، خلافا لبعض المعتزلة والخوارج كما سيأتي. أخرج الشيخان، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم [٢١٧/ب] قال: "يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، يا أهل النار لا موت، ويا أهل الجنة لا موت، كل خالد فيما هو فيه[(١)]".

وأخرج البخاري، عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقال لأهل الجنة: خلود ولا موت، ولأهل النار خلود ولا موت[(٢)]".

وأخرج الشيخان، عن [ابن عمر][(٣)]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٥٩٨٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٤٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٢٥٥)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٥٨٥)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (١٤٤٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٧٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٨٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٢٥٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٥٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٣٣٤٦).

(٣) في الأصل: (أبي سعيد) والصواب ما أثبتناه.

"إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلي فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم[(١)]".

وأخرج الشيخان، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون، وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت[(٢)]". ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩].

قوله: فيشرئبون - بفتح أوله، وسكون المعجمة، وفتح الراء، بعدها تحتية مهموزة، ثم موحدة مشددة - أي: يمدون أعناقهم، ويرفعون رؤوسهم للنظر.

وأخرج أبو يعلى، والبزار، والطبراني بسند صحيح، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادى مناديا يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا. فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيذبح كما تذبح الشاة، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء[(٣)]".

وأخرج الحاكم وصححه، وابن ماجه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالموت في هيئة كبش أملح، فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين [٢١٨/أ] وجلين، مخافة أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في مسنده، برقم: (١٢٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٥٩٨٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٤٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٥٣)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (١٤٤٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٧٤٧٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٣٣٣٧)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٠٦٨٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٥١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٣٢٧)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٨٤).

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٨٩٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه، برقم: (٣١١).

هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. فيقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. فيؤمر به فيذبح على الصراط. فيقال للفريقين: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا".

قال في البدور السافرة: الموت معنى وعرض، والأعراض لا تنقلب أجسامًا، فكيف يأتي في صورة كبش فيذبح؟

فنقل الحكيم الترمذي، أن مذهب السلف في هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه، فنؤمن به، ونكل علمه إلى الله.

وذهب جماعة إلى أن الموت جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة كبش، والحياة في صورة فرس، قال: وهذا هو المختار عندي في الجواب. انتهى.

وقد حررت الكلام في هذا، وفي حقيقة الموت في الباب الرابع فراجعه.

وذكر بعضهم أن الذي يتولى ذبحه جبريل، وقيل: يحيى بن زكريا عليهما السلام، فثبت بما قررناه أن كلا من أهل الدارين خالد أبدا، فيما هو فيه من نعيم أو عذاب.

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، وأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وخالف في ذلك أبو الهزيل من المعتزلة وغيره، فقالوا: ينقطع عذاب الكفار وله غاية ونهاية، واحتجوا بالمنقول والمعقول، فاحتجوا من القرآن بآيات الأولى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧] فدل هذا النص على انقطاع عذابهم؛ لأن مدة [٢١٨/ب] السماوات متناهية، فلزم أن تكون مدة العقاب منقطعة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]. استثناء من مدة عقابهم، وذلك يدل على زوال العذاب.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] فبين تعالى أن لبثهم في العذاب لا يكون إلا أحقابا معدودة.

وأما المعقول: فوجهان:

أحدهما: أن معصية الكافر متناهية، ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب ما لا نهاية له ظلم، وهو على الله محال.

وثانيهما: أن العقاب ضرر خال من النفع؛ فيكون قبيحًا لأن ذلك النفع لا يرجع إلى الله تعالى؛ لتعاليه عن النفع والضرر، ولا إلى العبد لأنه ضرر محض، ولا إلى أهل الجنة لأنهم مشغولون بلذاتهم، فلا فائدة لهم في الإلتذاذ بعقاب دائم في حق غيرهم.

وأجاب أهل الحق عن هذه الأدلة المذكورة من وجوه:

فأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] بوجهين:

أحدهما: أن المراد سماوات الآخرة وأرضها بدليل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤]. وكلاهما دائم، فوجب أن يكون خلودهم وعذابهم دائما بدوامهما، ونحو ذلك للضحاك.

وثانيهما: أنه تعالى خاطب العرب على ماجرى به، عرف التخاطب بينهم؛ لأن التأييد والخلود له عندهم ألفاظ كقولهم: هو باق ما أينع الثمر، وأورق الشجر، وما دجى الليل، وسأل سائل، وطرق طارق، وما دامت السموات والأرض.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] بوجوه:

أحدها لابن قتيبة، وابن الأنباري، والفقهاء: أن هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا نعقله البتة؛ فعلى هذا هو من المتشابه.

وثانيها: أنه ليس باستثناء، وإنما إلا بمعنى سوى [٢١٩/أ] كما تقول لي: عليك ألف درهم إلا الألفين التي لي عليك أي سوى الألفين، والمعنى: خالدين فيها قدر مدة دوام السماوات والأرض في الدنيا سوى ما شاء ربك من الزيادة عليها مما لا منتهى له.

وثالثها: أن المراد من هذا الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف؛ فكأنه قال: ففى النار مادامت السماوات والأرض إلا وقت وقوفهم للمحاسبة؛ فإنهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار.

ورابعها: أن هذا الاستثناء راجع إلى قول الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾

[هود: ١٠٦] لأن ذكر الزفير، والشهيق مع الخلود، يقتضي دوام ذلك فاستثناه تعالى من ذلك.

وخامسها: أن المراد بالاستثناء إنما هو انتقالهم من النار إلى البرد، والزمهرير، وسائر أنواع العذاب.

فقد ذكر المفسرون أن الزمهرير: هو البرد الشديد المفرط؛ وأنه يقع به العذاب لأهل النار كما يقع بالنار، وأنهم يخرجون من النار إلى الزمهرير، فيتبادرون من شدة الزمهرير إلى النار.

وسادسها: أن الاستثناء راجع إلى خروج أهل التوحيد من النار، وهو الظاهر من هذه الأقوال، وهو قول ابن عباس، وقتادة، وجماعة، ومال إليه الإمام فخر الدين.

قال الثعلبي: وعلى هذا القول فالاستثناء من غير جنسه.

وأجابوا عن قوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] بوجوه أحدها: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

وثانيها: لا نسلم أن الوقوف على أحقابا، بل المعنى: لابثين فيها أحقابا لا يذوقون في تلك الأحقاب إلا الحميم والغساق من أنواع العذاب.

وثالثها: أن المعنى يلبثون فيها أحقابا، كلما مضى حقب تبعه حقب، وإنما يدل على التوقيت لو نص على العدد [٢١٩/ب] عشرة أحقاب، أو خمسة أو غير ذلك.

ورابعها: أن المراد أحقاب لا انقضاء لها، وحذف للعلم بحال أهل النار على ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

أخرج هناد، عن أبي هريرة، في قوله تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] قال: الحقب: ثمانون سنة، السنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة.

قلت: لعمري إن لبث الحقب الواحد من أعظم المصائب، فكيف بأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع، نعوذ بالله من ذلك.

وأما استدلالهم بالمعقول فالوجه الأول مبني على التحسين والتقبيح العقلي، ونحن لا نقول به لأن الشرع هو الذي يحسن ويقبح، وأيضا فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء؛ لأنه لا حجر عليه فيما يفعله، فأفعاله بالنسبة إليه كلها حسنة جميلة، وإنما يكون الشيء قبيحًا بالنسبة إلينا.

وأما الوجه الثاني: فلم لا يعود النفع لأهل الجنة، ويحصل لهم الالتذاذ بعذاب

الذين يعاندونهم ويعادونهم في دار الدنيا، ويسفكون دمائهم على دين الله تعالى الذي أدخلهم جنات النعيم، وأدخل أعدائهم دار الجحيم؛ فثبت بهذه الأجوبة أن ما استدلوا به غير معين لهم، بل يرد عليهم مع ما تقدم من الأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة.

قلت: ومن أصرح الآيات في الرد عليهم قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ فإن الأبد عبارة عن استغراق الزمن المستقبل الذي لا إنقطاع له. فتأمل. وسنذكر أحاديث أخر غير ما مر.

أخرج الطبراني، والحاكم، وصححه عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال: "يا أيها الناس إني رسول الله إليكم، يخبركم أن [٢٢٠/أ] المرد إلى الله إلى جنة أو نار خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن في أجساد لا تموت". وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، وابن مردويه، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا؛ لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل الله لهم الأبد[(١)]".

وأخرج مسلم، عن ابن شداد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع[(٢)]".

وأخرج الضياء، عن أبي الأخوص، قال: قال ابن مسعود: أى أهل النار أشد عذابا؟ فقال رجل: المنافقون. قال: صدقت. فهل تدري كيف يعذبون؟ قال: لا. قال: يجعلون في توابيت من حديد تصمد عليهم، ثم يجعلون في الدرك الأسفل من النار، في تنانير أضيق من رج يقال له: جب الحزن.

تنبيه:

قال القرطبي: وقد زل هنا بعض من ينتمي إلى العلم والعلماء.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٣٨٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (٩٩٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٧٧٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١٩٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٦٠٨).

فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة، وإنه جائز في العقل إن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه فيقال: وكذا جائز أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها وهذا فاسد مردود.

بل كل من الفريقين خالد فيما هو فيه أبدا بإجماع المسلمين.

لطيفة: قال النسفي في بحر الكلام: سأل قوم هل يعلم الله عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا؟ فإن قلتم: لا، فقد وصفتم الله بالجهل، وإن قلتم نعم لزم أن أهل الجنة والنار [٢٢٠/ب] يفنون.

قال: والجواب أن نقول إن الله يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار ليست بمعدودة، ولا تنقطع فإن قيل: إذا قلتم: بإنهم لا يفنون فقد سويتم بينهم وبين الله.

قلنا: لا؛ لأن الله أول قديم بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، وأهل الجنة محدثون، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله إياهم، والله باق لا بإبقاء أحد فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة الثانية
في صفة عذاب الموحدين

أخرج أبو نعيم، والضياء، عن كعب قال: يقول الله للزبانية: انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد إلى النار، فتأخذ الزبانية بلحى الرجال، وذوائب النساء، فتنطلق بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسودا وجهه، وقد وضعت الأنكال في قدميه، والأغلال في عنقه، إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال: لهم: من أي أمة أنتم؟ فما ورد علي أحسن وجوها منكم. فيقولون: نحن من أمة القرآن. فينادى يا مالك لا تسود وجوههم، فقد كانوا يسجدون في دار الدنيا، يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا حول البيت الحرام، يا مالك: لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك: قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى سرته، ومنهم من تأخذه إلى صدره.

وأخرج مسلم، والحاكم، عن سمرة بن جندب، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أهل النار من [٢٢١/أ] تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته".

وأخرج مسلم، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدخل قوم النار من هذه الأمة فتحرقهم النار إلا دارت وجوههم ثم يخرجون منها".

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن شاهين، عن على بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم، ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين، ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على النار من أجل التوحيد، وحرم صورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم، فمنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى(١)". الحديث.

وأخرج الحكيم في (نوادر الأصول) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم، ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال، ولا يقرنون مع الشياطين ولا يضربون بالمقامع، ولا يطرحون في الأدراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث [٢٢١/ب] فيها يوما ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة".

وقال صاحب مطامح الأفهام: قد ورد في الآثار أن أقصى مكث أهل النار من أهل لا إله إلا الله تسعمائة سنة.

وفي الإحياء للغزالي: أن المعذبين ينقسمون إلى من يعذب قليلا، وإلى من

---

(١) أخرجه أبو حنيفة في مسنده، برقم: (٢٦).

يعذب ألف سنة، إلى سبعة آلاف سنة. قال: وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر.

واعلم: أن العصاة من الموحدين متفاوتون في العذاب، كما مر قريبا، لتفاوت أعمالهم في المعصية.

أخرج الشيخان، عن أسامة بن زيد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه[1]".

الإندلاق: الخروج بسرعة.

والأقتاب: الأمعاء، واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناه الفوقية آخرها باء موحدة.

وأخرج الخطيب، في كتاب (إقتضاء العلم): عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار، فقالوا: بما دخلتم النار، وإنما دخلنا الجنة بتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل".

وأخرج الخطيب، والطبراني، من حديث الوليد بن عقبة، مرفوعا مثله.

وأخرجه أحمد، عن الوليد بن عقبة، موقوفا: ليدخلن أمراء النار، ويدخل من أطاعهم الجنة. فيقولون لهم: كيف دخلتم النار، وإنما دخلنا الجنة بطاعتكم؟ فيقولون: [٢٢٢/أ] إنا كنا نأمركم بأشياء نخالف إلى غيرها.

وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس، مرفوعا قال: "أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا، ولم يطلبه، ورجل علم علما فانتفع به من سمعه دونه".

وأخرج ابن المبارك، عن أبي الدرداء: "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالما لا ينتفع بعلمه[2]".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٢٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٤٣٨).

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه[١]".

فإن قلت: قد مر أن أشد الناس عذابا المنافقون، وورد المصورون، وهنا العلماء فكيف هذا؟

قلت: ليس المراد أن العلماء أشد الناس على الإطلاق عذابا، ولا كذلك المصورون، بل أشد الناس على الإطلاق عذابا المنافقون، فمصوروهم أشد منهم، وكذا مصورو كل فرقة، والعلماء أشد عصاة أهل التوحيد عذابا.

لكن هل الأشد عذابا المصور الموحد، أو العالم العاصي. فتأمل.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟. فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم".

قلت: ولا يلزم من ذلك كونهم أشد عذابا.

وأخرج الدارمي في مسنده، عن عبد الله بن أبي جعفر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار[٢]".

وأخرج ابن المبارك، عن عبد الله بن مسلم، أن ابن عمر سئل عن شيء فقال: لا أدرى ثم أتبعها فقال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم أن تقولوا أفتانا بهذا ابن عمر.

وأخرج أبو داود، والترمذي، والحاكم، عن [٢٢٢/ب] ابن عمرو، وأبي هريرة، قالا: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار[٣]".

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١٨٢).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، برقم: (١٥٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٢٦٦)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٣٦٥٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٥٨٥)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (٧٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٦٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٣٢٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٠٨٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١ :ص١٠١)، وأخرجه الشهاب في مسنده، برقم: (٤٣٣).

وأخرج الأصبهاني، عن أنس، مرفوعًا قال: "من كان ذا لسانين في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة[(١)]".

وأخرج الشيخان، عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في جوفه نار جهنم[(٢)]".

وأخرج الطبراني، وأبو يعلى، وأبو الشيخ، عن أبي هريرة مرفوعا، قال: "من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له: كله ميتًا كما أكلته حيا، فيأكله ويكلح ويضج[(٣)]".

وأخرج البزار، عن بريدة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن فروج الزناة ليؤذي أهل النار نتن ريحها".

وأخرج الشيخان، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال". قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: "عصارة أهل النار[(٤)]".

---

(١) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق، برقم: (٢٩٧)، وأخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب، برقم: (٣٧٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٨٨٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٦٩٧)، وأخرجه الشهاب في مسنده، برقم: (٤٦٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٧١١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه، برقم: (٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٣٤٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (١١٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٣٣٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٠٤٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (١٦٥٦).

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٠١٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٤٤٦٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٠٠٣)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٣٦٨٠)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٤٠٧٤)، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، برقم: (٩٢٢)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (٥٦٧٠)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٥١٦٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٣٦٠)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٧٤٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٤٤٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص١٤٦)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (٣٦٢٩)، وأخرجه =

وأخرج البزار، عن عمران، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم".

وأخرج الطبراني، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة، وهو منها بريء كان حقا على الله أن يدنيه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بنفاذ ما قال".

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: "إن النوائح يجعلن يوم القيامة صفين في جهنم، صف عن يمينهم، وصف عن يسارهم، فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب(١)".

وأخرج أبو نعيم، عن ابن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجلاوزة والشرط وأعوان الظلمة كلاب [٢٢٣/أ] النار". وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن عدى بن حاتم قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "يؤمر يوم القيامة بناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها، واستنشقوا ريحها، نودوا أن اصرفوهم لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا(٢)".

قال: "ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب(٣)".

وأخرج البيهقي، عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة، فيقال لأحدهم: هلم

=

البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٨: ص٢٩١)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم: (٥٢٠٥).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٢٢٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٤٧٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٩٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٩٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٤٧٨).

فيجيء بكربه وغمه، فإذا جاءه أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال له: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه، فإذا أغلق دونه، فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة، فيقال له: هلم فما يأتيه من الإياس".

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا الكلبي، عن أبي صالح، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] قال: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إليها أغلقت دونهم، ويضحك منهم المؤمنون فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٥]. والأخبار في هذا أو نحوه كثيرة، والله سبحانه أعلم [٢٢٣].

المسألة الثالثة
في عدم خلود العصاة من الموحدين في النار، وإن ماتوا من غير توبة

وذلك مذهب أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]. ونفس الإيمان عمل خير لا يمكن أن يرى جزاءه قبل دخول النار، ثم يدخل النار لأنه باطل بالإجماع، فتعين الخروج من النار قاله السعد التفتازاني، وللأحاديث الصحيحة الآتية المصرحة بعدم خلود أهل التوحيد في النار قال السعد: لعل المراد لا يدخلها دخول خلود، وإلا فكثير من عصاة المؤمنين يدخلها. فتأمل ما قاله المؤلف عفى عنه. وذهب المعتزلة: إلى أن من أدخل النار فهو خالد فيها؛ لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة، مات بلا توبة، إذ المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة إذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار، وصاحب الكبيرة بلا توبة مخلد في النار، وهو مذهب باطل معارض بالنصوص الدالة على عدم الخلود.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]. فالجنة إنما هي محرمة على المشرك، ومساواة غير المشرك بالمشرك غلط ظاهر.

أخرج الشيخان، عن عتبان بن مالك الأنصاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله حرم النار على من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله[(١)]".

وأخرج الشيخان، عن أبي ذر، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة[(٢)]". قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: "وإن زنا وإن سرق". قلت: وإن زنا وإن سرق؟. قال: "وإن زنا وإن سرق". قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: "وإن زنا وإن سرق، وإن رغم أنف أبي ذر". وأنا أقول على رغم أنف المعتزلة.

وأخرج أحمد، والبزار، والطبراني، [٢٢٤/أ] مثله سواء، من حديث أبي الدرداء، وأخرجه: "وإن رغم أنف أبي الدرداء".

وأخرج مسلم، عن عبادة بن الصامت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار[(٣)]".

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (١٣٣٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (١١٨٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٦٦٠)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم: (١٥٦٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٢٢٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٧٢)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (١٤٦٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ١٠: ص١٢٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٠٩٥٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٥٨٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٩٦)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٣٩٢٠)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٣٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٠).

(٣) أخرجه أبو حنيفة في مسنده، برقم: (٩)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٦٩٩)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٢١٦٥)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (١٨٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٣٤٣٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٣٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٣٠)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٧٤)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١٠٩٠٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٧٢)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٣٥٩)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (١٣٢٧)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (٣٧٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (١٩٥)، وأخرجه الطبراني في الدعاء، برقم: (١٤٧٤)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (١٦٥٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٦٢)، وأخرجه =

وأخرج عن معاذ بن جبل، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، إلا حرمه الله على النار". قال: يا رسول الله، أفلا أخبر بهذا فيستبشروا؟ قال: "إذن يتكلوا". فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا.

وأخرج أيضًا، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يدخل النار أحد". لعل المراد لا يدخلها دخول خلود، وإلا فكثير من فساق المؤمنين يدخلها. فتأمل. قاله المؤلف عفى عنه.

وأخرج أيضا، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر[1]".

وأخرج أيضا عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة[2]".

=

أبو بكر بن المقرئ في معجمه، برقم: (٣٠٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٣: ص٦٣٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٩).

(١) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٢٦٤٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، برقم: (٣٨٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٢٦٩٩١)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١١٣٩)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٦٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢١٧٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٨٦)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤١٧٣)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٥٨٤)، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، برقم: (٢٦٩)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٠٦٦)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤١٣٧)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٥٤)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (٨٨٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٦٨٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٤١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٩٧٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٠٠٠٠)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (٣٨٦)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٣٦٦)، وأخرجه عثمان بن سعيد الداني في السنن الواردة في الفتن للداني، برقم: (٤٢٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٩: ص١٨١).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، برقم: (٢٩٣١)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢١٥٨٥)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٨٩٠)، وأخرجه البخاري في صحيحه، =

وأخرج أيضا، عن جابر قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار[١]".

وأخرج الحاكم، عن عمر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا الله[٢]".

وأخرج الشيخان، عن عثمان بن عفان، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة[٣]".

=

برقم: (٦٤٤٣)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٦٤٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٩٩٣)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٢٦٢٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١٠٨٩٧)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥١٩٨)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٥٦٢)، وأخرجه الشاشي في مسنده، برقم: (١١٥٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٣٣٢٦)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٧٠١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٤١٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٤٠٤٢)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٢٢٣٥)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٥٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٢٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٨٤٢٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٩٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٢٧٨)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٥٧١)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٣١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٠٥٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٤١٥٢)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٢٦٧)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٥٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٥٠٠)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٣٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٤٦٦)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٥٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١٠٨٨٨)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٥٤١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٢٠١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٥١)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص٢٠).

قال الحافظ السيوطي: والأحاديث في ذلك زائدة على حد التواتر.

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم [٢٢٤/ب] وصححه عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله: "أخرجوا من النار من ذكرني يوما، أو خافني في مقام(١)".

وأخرج هناد، من طريق جويبر، عن الضحاك، عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لجهنم بابين أحدهما يسمى الجوانية، والآخر يسمى البرانية، فأما الجوانية فالتي لا يخرج منها أحد، وأما البرانية فالتي يعذب الله فيها أهل الذنوب من أهل الإيمان ما شاء الله أن يعذبهم، ثم يأذن الله للملائكة والرسل والأنبياء، ولمن شاء من عباده الصالحين، فيشفعون فيخرجون منها، وهم فحم فيلقون على شاطئ نهر الجنة، يسمى نهر الحيوان فينضح عليهم، فينبتون كما تنبت الحبة في الحميل، فإذا استوت أجسادهم قيل: ادخلوا النهر فيدخلون فيشربون منه، ويغتسلون، فيخرجون. فيقال لهم: ادخلوا الجنة". وأخرج الطبراني، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم يقول: وعزتي لا أجعل من آمن بي ساعة من نهار كمن لم يؤمن بي(٢)".

وأخرج أحمد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليتمجدن الله يوم القيامة على أناس لم يعملوا خيرا قط فيخرجهم من النار بعدما احترقوا، فيدخلهم الجنة برحمته بعد شفاعة من يشفع".

وفي مسلم، من حديث أبي سعيد الخدري، في شفاعة أهل الجنة لإخوانهم الذين في النار يقولون: "يا ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٥٩٤)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٥٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٧٠)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٦٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٤١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٩٧٦).

أحدهم إلى [٢٢٥/أ] نصف ساقه، وإلى ركبته، ثم يقولون: يا ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به[(١)]". الحديث.

وقد مر الكلام على الشفاعة آخر الباب السابع قبيل ذكر الجنة.

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي بسند جيد، عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يكون قوم في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يرحمهم الله، فيخرجون منها فيكونون في أدنى الجنة، فيغتسلون في نهر يقال له: الحيوان يسميهم أهل الجنة: الجهنميين، لو ضاف أحدهم أهل الدنيا لفرشهم، وأطعمهم، وسقاهم، وزوجهم، لا ينقصه ذلك شيئا[(٢)]".

وأخرج الطبراني، عن المغيرة بن شعبة، مرفوعا قال: "يخرج قوم من النار فيسمون في الجنة الجهنميين، فيدعون الله أن يحول عنهم ذلك الاسم[(٣)]"... الحديث.

وأخرج الطبراني، وهناد، وأبو نعيم، عن أنس، مرفوعا قال: "إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار، فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة، فيبرؤن من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين". وأخرج البزار، عن ابن عمرو قال: "يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها، ليس فيها أحد" يعني من الموحدين.

قال القرطبي: والمراد بالنار هنا الطبقة العليا التي هي للعصاة من المسلمين، وقد قيل: إنه ينبت على شفيرها الجرجير.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٨٦)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (١٤٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٣٣٨)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٨٦)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٣٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٣٤٢٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٦٦)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٤٧٤٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٨٨٦)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٠٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٥٥٠٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٢٨٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ١٠: ص١٩١)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٥٨).

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار، فيقول المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون [٢٢٥/ب]. فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضله ورحمته.

أخرج الطبراني بسند صحيح، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ناسًا من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم! فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]": ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وأخرج الطبراني، وابن أبي عاصم، والبيهقي، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اجتمع أهل النار في النار، وقوم من شاء الله من أهل القبلة. قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا فما أغنى عنكم الإسلام، وقد صرتم معنا في النار! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين، فنخرج كما خرجوا"، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وأخرج الطبراني، عن أبي سعيد الخدري، أنه سئل هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]؟ قال: نعم سمعته يقول: "يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم الله النار مع المشركين، قال لهم المشركون: تدعون أنكم أولياء الله في الدنيا، فما بالكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة، لهم فتشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، حتى يخرجوا بإذن الله. فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا [٢٢٦/أ] مثلهم، فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٢٠٧).

فيسمون الجهنميين من أجل سواد وجوههم، فيقولون: يا ربنا أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة، فيذهب ذلك الاسم عنهم".

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن شاهين، من حديث علي السابق بعد قوله: وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء، فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشيء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط، فينبتون فيها نبات الطرانيث في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكا، فيمحوه، ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار، فيطبقونها على من بقي فيها، ويسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم، وذلك قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

لطيفة:

أخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي بسند صحيح، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن عبدًا لينادي في النار ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل، فيجد أهل النار منكبين يبكون، فيرجع إلى ربه، فيخبره، فيقول: ائته، فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به، فيوقفه على ربه، فيقول: يا عبدي [٢٢٦/ب] كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن تعيدني فيها، فيقول: دعوا عبدي[١]". وفي الإحياء للغزالي، عن الحسن أنه قال: يخرج ذلك الرجل من النار بعد ألف عام، وليتني كنت ذلك الرجل.

وفي مطامح الأفهام، عن بريدة، عن الحسن، أن اسم هذا الرجل: هناد.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٢٩٩٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤٢١٠)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٧٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤١٥٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٥٣).

وأخرج الدارقطني، والخطيب، عن ابن عمر مرفوعا، قال: "آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له: جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، سلوه هل بقي من الخلائق أحد؟".

تنبيه: أخرج مسلم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل[(١)]".

قال القرطبي: هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية؛ لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريما لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب. قال: فإن قال قائل: فأي فائدة حينئذٍ في إدخالهم النار، وهم لا يحسون بالعذاب؟ قلنا: يجوز أن يدخلهم تأديبا لهم، وإن لم يذوقوا فيها العذاب، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجن، فإن الحبس عقوبة لهم، وإن لم يكن معه غل ولا قيد.

قال: ويحتمل أنهم يعذبون أولا، وبعد ذلك يموتون، ويختلف حالهم في طول التعذيب بحسب [٢٢٧/أ] جرائمهم وآثامهم، ويجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم، غير أن آلامهم تكون أخف من آلام الكفار؛ لأن آلام الكفار المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥] إلي قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم، وهم موتى.

وقال صاحب (مطامح الأفهام): يجوز أن يريد بالإماتة المذكورة أنه أنامهم، وقد سمى الله سبحانه النوم وفاة؛ لأن فيه نوعا من إعدام الحس.

قال: وفي حديث مرفوع: "إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها، فإذا أرادوا أن يخرجوا منها أمسهم العذاب تلك الساعة". والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٨٧)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (٤٢٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (١٨٤)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٤٦٤).

المسألة الرابعة

في أصحاب الأعراف

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦].

الأعراف: جمع عرف: وهو كل شيء مرتفع، ومنه عرف الديك.

وقد اختلف المفسرون في الأعراف، فقيل: إنه أعالي الحجاب المضروب بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣]. وهو قول أكثر المفسرين، قال الفخر: وبه قال ابن عباس.

وقيل: إنه الصراط. قاله الحسن بن الفضل: وهو مروي عن ابن عباس أيضا.

وقيل: إنه جبل أحد لما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدا يحبنا ونحبه، وإنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار، يحبس عليه أقوام يعرفون كلاً بسيماهم، وهم إن شاء الله من أهل الجنة[(١)]".

وقال الحسن البصري، والزجاج: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٦]. أي الذي على معرفة أهل الجنة والنار [٢٢٧/ب] رجال يعرفون من أهل الجنة والنار بسيماهم. قيل للحسن: هم أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم، فضرب على فخذه، فقال: هم قوم جعلهم الله تعالى على تعرف أهل الجنة والنار، يميزون البعض من البعض، والله لا أدري لعل بعضهم الآن معنا.

فإن قيل: في أي حاجة إلى ضرب هذا الصور بين الجنة والنار، وقد ثبت أن الجنة فوق النار، وأن النار أسفل سافلين؟ فالجواب أن يقال: بُعد إحداهما عن الأخرى لا يمنع أن يحصل بينهما سور حجاب.

أشار إليه الإمام فخر الدين، واختلف المفسرون في أصحاب الأعراف.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٢٤٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٣٩٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٣١١٥)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٣١٣٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٣٧٢٥)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، برقم: (١١٦٦)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٣٢١٥).

فقيل: إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فما كانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، فأوقفهم الله تعالى على الأعراف؛ لكونه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته، وهذا قول حذيفة وابن عباس، وابن مسعود، وابن جبير، والضحاك، والشعبي.

أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وأبو الشيخ، والبيهقي، وهناد عن حذيفة، قال: أصحاب الأعراف قوم قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، جعلوا هناك حتى يقضى بين الناس، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربهم، فقال لهم: قوموا فادخلوا الجنة، فإني غفرت لكم.

وأخرج البيهقي، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي".

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، [٢٢٨/أ] قال: من استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله.

وأخرج البيهقي، عن مجاهد قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم على سور بين الجنة والنار، وهم على طمع من دخول الجنة وهم داخلون.

وقيل: إنهم قوم خرجوا إلى الغزو بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فحبسوا بين الجنة والنار.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ في تفاسيرهم، والطبراني، والحارث بن أسامة في مسنده، والبيهقي، عن عبد الرحمن المزني قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، فقال: "هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصيتهم آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة

معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله[١]".

وأخرج البيهقي، عن أبي هريرة، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال: "هم قوم قتلوا في سبيل الله، وهم لآبائهم عاصون، فمنعوا من الجنة بمعصيتهم آبائهم، ومنعوا من النار بقتلهم في سبيل الله[٢]".

وأخرج الطبراني، بسند ضعيف، عن أبي سعيد الخدري، قال: سئل رسول الله عن أصحاب الأعراف فقال: "هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم، فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار، ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة، وهم على سور بين الجنة والنار، حتى تذبل لحومهم وشحومهم، حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فإذا فرغ من حساب خلقه، فلم يبق غيرهم تغمدهم منه برحمة، فأدخلهم الجنة برحمته".

وقيل: هم قوم لهم ذنوب عظام من أهل الصلاة يعفو [٢٢٨/ب] الله عنهم، ويمسكهم في الأعراف. وهو قول لابن عباس.

أخرج ابن جرير، والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحابه رجال كانت لهم ذنوب عظام، وكان جسيم أمرهم لله، يقومون على الأعراف، يعرفون أهل النار بسواد الوجوه، وأهل الجنة ببياض الوجوه، فإذا نظروا إلى أهل الجنة، طمعوا أن يدخلوها، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها، فأدخلهم الله الجنة فذلك قوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩]. يعني أصحاب الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

وأخرج هناد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في تفاسيرهم من طريق عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: الأعراف: السور الذي بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان حتى إذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له: (الحياة) حافتاه قصب الذهب، مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم، وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، حتى إذا صلحت

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم: (٢٣٨).

ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى، فقال: تمنوا ما شئتم، فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال الله: لكم الذي تمنيتم، ومثله سبعون ضعفا، فيدخلون الجنة، وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة.

وقيل: أصحاب الأعراف هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أجلسهم الله على أعالي ذلك السور، تمييزا لهم على سائر أهل القيامة، وإظهارًا لشرفهم وعلو مرتبتهم ليكونوا مشرفين على أحوالهم [٢٢٩/أ] ومعاذيرهم وعقابهم، حكاه فخر الدين، وحكاه ابن عطية، عن الزجاج.

وقيل: هم العباس، وحمزة، وعلي، وجعفر ذو الجناحين، يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه، رواه الضحاك، عن ابن عباس.

وقيل: إنهم عدول القيامة، الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم من كل أمة، حكاه الزهري.

وقيل: إنهم قوم صالحون فقهاء علماء. أخرجه هناد، عن مجاهد.

وقيل: إنهم هم الشهداء، قاله المهدوي، وحكاه غير واحد من المفسرين.

وقيل: إنهم الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم. أخرجه البيهقي، عن أبي مخلد.

فقيل له: الله يقول: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]. وأنت تزعم أنهم ملائكة. فقال: الملائكة ذكور لا إناث. وفيه نظر؛ لأن الوصف بالرجولية لا بالذكورية، قاله الفخر.

قال بعضهم: ولا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وقع على الجن في قوله تعالى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

وقيل: أصحاب الأعراف قوم رضى عنهم آباءهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، لم يدخلهم الله الجنة؛ لأن آباءهم أو أمهاتهم غير راضين عنهم، ولم يدخلهم النار لرضا آبائهم، أو أمهاتهم عنهم، فيجلسون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين خلقه، ثم يدخلهم الجنة.

وقيل: هم أولاد المشركين.

وقيل: هم الذين يراؤون الناس في أعمالهم.

وقيل: هم الذين ماتوا في الفترة، ولم يبدلوا دينهم. وقيل: هم أولاد الزنا.

رواه صالح المري، عن ابن عباس.

وقيل: هم مساكين أهل الجنة، كما مر عن ابن عباس، حكاه الفخر، عن عبد الله ابن الحارث.

وقيل: هم قوم يطمعون أن يدخلوا الجنة، وما جعل الله لهم ذلك الطمع [٢٢٩/ب] فيها إلا لكرامة يريدها بهم.

قلت: فهذه ستة عشر قولا ذكرناها فيهم للمفسرين.

وفي البدور السافرة قال القرطبي: حاصل الخلاف في تفسير أصحاب الأعراف اثنا عشر قولا، أرجحها أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. انتهى.

قلت: ولم أر من العلماء من جمع بين الأقوال التي وردت فيهم، ويمكن الجمع بين جميع الأقوال المتقدمة وهو أن الجميع من أصحاب الأعراف جلسوا على السور المذكور، ومنازلهم متفاوتة فمنهم الشريف كالأنبياء والشهداء والفقهاء، ومنهم الوضيع كمن استوت حسناته وسيئاته، ومن سخط عليه آباؤه أو أمهاته، فتأمل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة الخامسة
في أطفال المسلمين والمشركين

أما أطفال المسلمين، فالجمهور على أنهم في الجنة. وحكى الإمام أحمد وغيره الإجماع على ذلك، وكذلك نص الإمام الشافعي، على أنهم في الجنة للأحاديث المصرحة بذلك، وقد مر بعضها عند الكلام على أرواح المؤمنين.

قال ابن عبد البر: إجماع العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة، ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت فجعلتهم في المشيئة، وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "الشقي من شقي في بطن أمه"[1]. فمخصوص.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٤٠٥)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٠٧٦)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٦٦٠٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: =

قال النووي: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن أطفال المسلمين في الجنة. وأما قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة حين قالت عن صبي صغير مات للأنصار: طوبى له عصفور من عصافير الجنة: "يا عائشة إن الله خلق الجنة، وجعل لها أهلا، وهم في أصلاب آبائهم، [٢٣٠/أ] وخلق النار، وجعل لها أهلا، وهم في أصلاب آبائهم".

فلعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة.

قال المازري: وهذا التوقف على ضعفه محله في غير أولاد الأنبياء.

وأما أطفال المشركين: وهو المقصود هنا، فاختلف العلماء فيهم قديما وحديثا.

فقيل: إنهم في النار للأحاديث الواردة في ذلك، واختاره جمهور الحنابلة، وعليه الفتوى عندهم. أخرج أبو يعلى، عن البراء، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين، قال صلى الله عليه وسلم: "هم مع آبائهم[(١)]".

وسئل عن أولاد المشركين، فقال: "هم مع آبائهم".

وأخرج أحمد بسند ضعيف جدا، عن عائشة، أنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين، فقال: "إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار[(٢)]".

=

(٢٦٤٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (٤٦)، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (١٤٤٧)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، برقم: (١٢٤٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦١٧٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٨٧١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٠٤٥)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة، برقم: (٨٠٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٠)، وأخرجه الشهاب في مسنده، برقم: (٧٦)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٧: ص٤٢٢)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١١٠).

(١) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٢٩٦٠)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٤٠٢٤)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٦٥٨٨)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٨٤٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٤٥١)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة، برقم: (٨٧٣).

(٢) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٢٩٦٩)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٥٢١٤).

وقال عبد الله بن قيس: سمعت عائشة تقول: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين، فقال: "هم مع آبائهم". قلت: بلا عمل. قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين[(١)]".

وسألت عن ذراري المشركين فقال: "هم مع آبائهم". قلت: بلا عمل. قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين".

قال الحفاظ: الأحاديث الواردة في هذا المعنى كلها ضعيفة، لا يقوم بها حجة، أو منسوخة، أو محمولة على من علم الله منه الكفر لو عاش، أو على من إذا امتحن لم يدخل النار. وقيل: إنهم في الجنة للأحاديث الواردة بذلك.

قال الإمام النووي، وهو المذهب الصحيح المختار، الذي صار إليه المحقق لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة، فغير العاقل أولى.

ولحديث الصحيحين: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه[(٢)]".

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٥٣٩)، وأخرجه أبو حنيفة في مسنده، برقم: (٥)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم: (٢٠٠٧٧)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٧٢٨١)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٩٥٠)، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، برقم: (٢٦٣)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (١٣٨٤)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢١٣٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٦٥٩)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٤٧١٢)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، برقم: (١٩٥٢)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (٢٠٨٧)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٧٠٧٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (١٣٣)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٨٤٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١١٩٠٦)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة، برقم: (٨٧٤)، وأخرجه ابن منده في التوحيد، برقم: (٢٩٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٢: ص٣٧٠)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (٢٣٦٤)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٦: ص٢٠٢)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم: (٣٨٣٠)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٣١).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٤٨٠)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (٩٣٨٦)، وأخرجه أبو حنيفة في مسنده، برقم: (٥)، وأخرجه معمر في الجامع، برقم:
=

أخرج البخاري، عن سمرة، في حديث المنام الطويل، [٢٣٠/ب] أنه صلى الله عليه وسلم مر على شيخ تحت شجرة وحوله ولدان، فقال له جبريل: "هذا إبراهيم، وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين". قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: "نعم، وأولاد المشركين". وأخرج ابن عبد البر بسند ضعيف، عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال: "هم مع آبائهم"، ثم سألته بعد ذلك فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"، ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فقال: "هم على الفطرة". أو قال: "في الجنة". وقيل: إنهم خدم أهل الجنة للأحاديث الواردة بذلك، ونقله النسفي في بحر الكلام عن أهل السنة والجماعة.

أخرج الطيالسي، عن أنس، أنه سئل عن أطفال المشركين فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم تكن لهم سيئات، فيعذبون بها، فيكونوا من أهل النار، ولم تكن لهم حسنات، فيجاوزون بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، هم خدم أهل الجنة[(١)]".

=

(٩٠٢٠٠)، وأخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٩٩٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٣٦٧٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٨٣٥٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (١٣٥٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢١٣٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٦٥٩)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٤٧١٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٩٤٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (١٣٣)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٣٢٩٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٠٥٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٨٣٥)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة، برقم: (٨٦٦)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٢٠٦٢)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير، برقم: (٢٣٦٤)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٦: ص٢٠٣)، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم: (٣٨٣٠)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٣١).

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (٢٢٢٥)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٤٠٩٠)، وأخرجه الروياني في مسنده، برقم: (٨٣٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٢٩٧٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٦٩٩٣).

وأخرج ابن جرير، عن سمرة، قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال: "هم خدم أهل الجنة".

وأخرج سعيد بن منصور، عن سلمان، قال: أطفال المشركين خدم أهل الجنة.

وأخرج مثله، عن ابن مسعود.

قال القرطبي: يدل على أنهم في الجنة وأنهم خدم أهل الجنة، ما ذكره جماعة من العلماء بالتأويل أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر، أقروا له بالربوبية، ثم أعادهم في صلبه، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقيا أو سعيدًا على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقيا عمر حتى يجري عليه القلم، فينقض الميثاق الأول بالشرك، [٢٣١/أ] ومن كان في الكتاب الأول سعيدا عمر حتى يجري عليه القلم، فيؤمن فيصير سعيدا، ومن مات صغيرا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم، فهم مع آبائهم في الجنة؛ ومن مات من أولاد المشركين قبل أن يجري عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم، لأنهم ماتوا على الميثاق.

وقيل: إنهم في مشيئة الله، لا يحكم عليهم بشيء، لحديث الصحيحين، وهذا ما نقل عن الحمادين، وابن المبارك، وابن راهويه، والشافعي، ونقله النسفي، عن أبي حنيفة، واختاره شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحنبلي.

أخرج الشيخان، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه سئل عن أطفال المشركين فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين".

وأخرجا مثله من حديث ابن عباس، وهذان أصح الأحاديث فيهم سندا ومعنى.

وقيل: إنهم يمتحنون في الآخرة للأحاديث الواردة بذلك، وهذا ما صححه البيهقي في كتاب الاعتقاد.

قال الحافظ السيوطي: وعندي أنه لا تنافي بين الأحاديث، بل نقول: بما دل عليه حديث الصحيحين أنهم في المشيئة، فيمتحنون في الآخرة، فمن كتبت له السعادة أطاع لدخول النار، فيرد إلى الجنة، ومن كتب له الشقاء امتنع، فيسحب إلى النار.

أخرج البزار وغيره، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الهالك في الفترة، والمعتوه، والمولود، يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب، ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود: رب لم أدرك العقل، فترفع لهم نار، فيقال لهم: ردوها فيردها من كان في

علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول الله تعالى: إياي عصيتم فكيف لو رسلي أتتكم[١]".

إلى غير ذلك [٢٣١/ب] من الأحاديث الواردة في هذا المعنى.

وقيل: إن أطفال المشركين يكونون في برزخ بين الجنة والنار.

وقيل: يصيرون ترابا، ولا دليل لذلك، فصار حاصل ما فيهم سبعة أقوال والله سبحانه وتعالى أعلم. والأحسن الوقف، وهو أنه لا يحكم عليهم بشيء، وهو ما اختاره ابن تيمية. أخرج ابن حبان في صحيحه، والبزار، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال أمر هذه الأمة مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر[٢]". قال ابن حبان: يعني أطفال المشركين.

المسألة السادسة

في أهل الفترة ونحوهم

وقد كثرت فيهم الأقاويل، واختلف العلماء فيهم قديما وحديثا، وأهل الفترة: هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الرسول الأول، ولم يدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى، ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم. والفترة بهذا التفسير، تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود، لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وذكر البخاري، عن سلمان، أنها كانت ستمائة سنة، إذا تقرر هذا فأخرج البزار، وأبو يعلى، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني، كل منهم يتكلم

(١) أخرجه ابن الجعد في مسنده، برقم: (٢٠٣٨)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٢٢٠٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٩٥٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٦٧٢٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٤٠٨٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٧٦٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ١: ص٣٣).

بحجته، فيقول الرب: لعنق من النار أبرز، ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أندخلها، ومنها كنا نفر، ومن كتبت له السعادة [٢٣٣/أ] يمضي فيقتحم فيها مسرعا، فيقول الله: أنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار".

وأخرج أحمد، وابن راهويه، في مسندهما، والبيهقي في كتاب الاعتقاد، وصححه الأسود بن سريع، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام، والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام، وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعونه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا[(١)]".

وأخرج الثلاثة أيضا، من حديث أبي هريرة، مرفوعا مثله، غير أنه قال في آخره: "فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما، ومن لم يدخلها يسحب إليها[(٢)]".

وأخرج الطبراني، عن معاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا، وبالهالك في الفترة، وبالهالك صغيرا، فيقول الممسوخ عقلا: يا رب لو أتيتني عقلا ما كان من أتيته عقلا بأسعد بعقله مني[(٣)]". وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب: "إني آمركم بأمر فتطيعون، فيقولون: نعم، فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فيخرج عليهم فرائص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء، فيرجعون سراعا، ثم يأمرهم الثانية، فيرجعون كذلك، [٢٣٣/ب] فيقول الرب: قبل أن أخلقكم علمت ما

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٥٨٦٦)، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد: (ج ١: ص١٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٥٨٦٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٩٥٥).

أنتم عاملون، وعلى علمي خلقتكم، وإلى علمي تصيرون، ضميهم، فتأخذهم[١]".

وأخرج البزار، عن ثوبان، أن النبي صلى الله عليه وسلم عظم شأن المسألة فقال: "إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم[٢]" فيقولون: ربنا لم ترسل لنا رسولا، ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: "أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعونني فيه"، فيقولون: نعم، "فيأخذ على ذلك مواثيقهم" فيقول: "اعهدوا لها فادخلوها"، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا، فرجعوا، فقالوا: ربنا فرقنا منها، ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: "ادخلوها داخرين"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما".

قلت: كذا نقل هذه الأحاديث الأئمة الحفاظ، ونقلها السيوطي عنهم في البدور السافرة، ولم يتعقبها بشيء، ولعلها ليست عامة في جميع أهل الفترة، بل مخصوصة بأقوام بأعيانهم.

قال العلامة المحقق الفقيه ابن حجر الهيتمي: اعلم أن الذي قرره العلماء، وأطبق عليه الأئمة أنه لا حكم قبل ورود الشرع، وأن تحكيم المعتزلة للعقل باطل، وكذا قول بعض: إن الإيمان وحده يجب بالعقل؛ لأن أدلته بلغت من الشهرة مبلغا لا يخفى على أحد، وليس كما زعموا، فقد قامت الأدلة المقررة في الأصول أنه لا حكم قبل الشرع. ومن جملة الأدلة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال المحققون: معناه لا عذاب على أحد في شيء فعله، إلا بعد أن بلغته دعوة نبي له، ولم يؤمن به.

وقيل في الآية غير ذلك، ولا تعويل عليه [٢٣٤/أ] عند المحققين؛ لأن ما قلناه

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٧٩٥٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم: (١٣٢٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٤٥٠).

هو ظاهرها الذي لا يتبادر ذهن من له أدنى ذوق إلا إليه، وإذا تقررت هذه القاعدة التي مهدها الأشاعرة، والآية ظاهرة أو صريحة فيها علم أن المدار في الاعتقادات ليس إلا ما عليه أهل السنة والجماعة.

واعلم أن الحق الواضح الجلي الذي لا غبار عليه أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ناجيان لا عقاب عليهما، وكذا أهل الفترة جميعهم، وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم الإيمان به، فلا يرد من كان في زمن عيسى، ومن قبله من العرب؛ لأنهم أعني أنبياء بني إسرائيل لم يرسلوا إلى العرب، فالعرب في زمن أولئك الأنبياء أهل فترة، كما أن الصحيح أنه لم يرسل أحد غير نبينا للجن، وإنما كان إيمان فرقة من الجن بموسى تبرعا منهم كما أن تنصر أو تهود بعض العرب، إنما كان تبرعا منهم فهم مع ذلك باقون على كونهم من أهل الفترة؛ لأن تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم إلى الله، وتكليفهم الإيمان، فلزم بقاؤهم على الفترة، وقد تقرر في أهلها أنه لا عذاب عليهم، نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بأنه من أهل النار، فإن أمكن تأويله فذاك، وإلا لزمنا أن نؤمن بهذا الفرد بخصوصه، وإن لم يوافق ما مهده أئمتنا؛ لأن الأدلة الجزئية لا يقضى بها على الأدلة الكلية، وقد قررنا أن الأدلة الكلية ناصة على أنه لا تعذيب إلا بعد بلوغ البعثة إليهم.

فتأمل هذا الذي قررته ووضحته، لتستريح به من اختلافات مبنية على مجرد الظواهر من غير تحقيق للمآخذ، ولا تمهيد للقواعد مما لم يحط كثير من المحدثين به، فأخذوا بظواهر رووها جامدين عليها [٢٣٤/ب] لغفلتهم عما قرره الأئمة الذين عليهم المعتمد في تحقيق العلوم النقلية والعقلية، ومن سلك في الأدلة مسلك القول بمجرد الظواهر، ولم ينظر لما قرره الأئمة ومهدوه أتعب نفسه ولم يتحصل على شيء.

ثم قال: ابن حجر فإن قلت: قال الإمام النووي في شرح حديث ما رواه مسلم أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: "في النار". فلما قفا دعاه فقال: "إن أبي وأباك في النار[١]". فيه أن من مات على الكفر فهو في النار لا تنفعه قرابة المقربين.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١١٧٨٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٠٦)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٤٧١٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: =

وفيه إن من مات في الفترة على ما كان عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء. انتهى كلام النووي.

وهذا صريح في الحكم بكفر أبيه صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل الفترة.

قلت: النووي رحمه الله تعالى مشى في ذلك على القول في أهل الفترة أن من غير منهم، وعبد الأوثان، فهم في النار، وأجابوا عن آية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

بأن المراد: الجنس أي قبل بعثة رسول لأهل الأرض بخلافهم بعد ذلك.

والأصح أن المراد حتى نبعث رسولا إليهم، يدعوهم إلى الإيمان به، والعرب أهل الفترة المذكورون لم يبعث إليهم نبي يدعوهم إلى الإيمان، فكيف يعذبون؟ ولا يكفي بعثة الأنبياء الذين لم يرسلوا إليهم؛ لأنهم لم يصدر منهم عناد ولا جحود، فلا موجب لعذابهم وعبادتهم للأوثان مع عدم من يكلفهم بتركها لا يفيدهم العذاب إلا عند من يقول بوجوب الإيمان بالعقل، وقد سبق أن هذا قول ضعيف لا يعول عليه، فاتضح أن الحق خلاف ما جرى عليه النووي إلا أن يؤول كلامه [٢٣٥/أ] بأن مراده بقوله أي على قول لبعض العلماء، ولا يلزم من ذلك أنه معتمد لهذا القول ولا جازم به.

وقد سبق النووي إلى الجري على القول الضعيف الإمام الفخر الرازي في بعض المواضع، حيث قال: من مات مشركا فهو في النار، وإن مات قبل البعثة؛ لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم، واستبدلوا بها الشرك، ولم يزل معلوما من الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في النار، ولو لم يكن إلا ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته، وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى

=

(٣٥١٦)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، برقم: (١٧٧)، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، برقم: (٢٨٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٧٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٣٥٥٢)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، برقم: (٥٠٢)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ج ٧: ص١٩٠).

التوحيد في الأرض معلومة لأهلها. انتهى كلام الفخر ملخصا.

وجوابه: أنه قرر أن الله لا يعذب بهذه الفطرة وحدها، وهذا هو حجتنا.

وأما قوله: لم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد معلومة، فجوابه أن كل رسول إنما أرسل إلى قوم مخصوصين، فمن لم يرسل إليهم بشريعتة لا يقتضي تكليفهم بها، ولا أنهم يعاقبون على خلافها.

وجواب حديث مسلم السابق: يحتمل أن أبا السائل أدرك البعثة، ولم يؤمن بها، وأما أبوه صلى الله عليه وسلم، فيحتمل أنه إنما قال فيه ذلك: لمصلحة إيمان السائل بدليل أنه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم ذلك إلا بعد ما قفا، فظهر له من حاله أنه تعرض له فتنة، فأتى له بما هو من فن البلاغة اللائقة بباهر بلاغته صلى الله عليه وسلم، وهو المشاكلة على حد: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وجواب ما صح من تعذيب أهل [٢٣٥/ب] الفترة كرؤية عمرو بن لحي في النار على ما أشار إليه بعض المالكية، من شراح صحيح مسلم، بأنها أخبار آحاد فلا تعارض القطع أو يقصر التعذيب على من صح فيه، والله أعلم بالسبب، أو يقصر على من بدل أو غير بما لا يعذب، لأن أهل الفترة منهم من أدرك التوحيد ببصيرته فبدَّل، وغيَّر، وأشرك، وحلَّل، وحرَّم.

قيل: وهم الأكثر كعمرو بن لحي وأول من سن للعرب عبادة الأصنام، وشرع الأحكام، فبحر البحيرة، وسيب السائبة، وو صل الوصيلة، وحمى الحام، فالأحاديث محمولة على هؤلاء والآيات ناطقة بكفرهم قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]. ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ١٠٣]. الآية. انتهى كلام العلامة ابن حجر، مع ما نقله عن المحققين، ملخصاً.

قلت: فهذا كله كلام في غاية التحقيق، لا ينبغي العدول عنه، وينبغي المصير إلى أن المعذبين من أهل كل فترة هم منشأ التغيير، وأصله الذين غيروا وبدلوا على بصيرة.

وأما من بعدهم ممن ليس لهم علم بأمر التوحيد فهم معذورون عند الله تعالى، وأولئك لا عذر لهم، وطبقة أهل التغيير هم الذين يمتحنون في الآخرة، فمن كان

منهم من أهل الغفلة لا مدخل له في شيء من التغيير والتبديل فمن الناجين، والمغير المبدل مع من وافقه على بصيرة فمن الهالكين، وبهذا انتظمت الأحاديث الواردة في ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة السابعة
في الجن من حديث الآخرة

وقد كثرت فيهم أقوال العلماء، وقد أسلفنا الكلام عليهم في باب خلق الإنس والجن، وها نحن نذكر نبذة هنا من أحوالهم في الآخرة، وقد مر هناك أنهم مكلفون في الجملة إجماعا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] [٢٣٦/أ]. ويدخل كافرهم النار إجماعا، ومؤمنهم الجنة عند الأئمة الثلاثة خلافا لأبي حنيفة، وهم فيها كغيرهم على قدر ثوابهم خلافا لبعضهم.

أخرج أبو الشيخ، عن ابن وهب، أنه سئل هل للجن ثواب وعقاب؟ فقال نعم. قال الله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [فصلت: ٢٥] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩](١).

وأخرج عن ضمرة بن حبيب، أنه سئل هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]. قال: للجن حسنات وللإنس حسنات.

وأخرج من طريق الضحاك، عن ابن عباس، قال: الخلق أربعة فخلق في الجنة كلهم، وهم الملائكة، وخلق في النار كلهم، وهم الشياطين، وخلقان في الجنة والنار وهم الجن والإنس، لهم الثواب وعليهم العقاب.

وأخرج من طريق جويبر، عن الضحاك، قال: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. وقال مجاهد: يدخلونها، ولكن لا يأكلون ولا يشربون.

وقال بعض العلماء: إنا نراهم في الجنة ولا يروننا عكس الدنيا.

---

(١) هكذا بالأصل، ولعله يقصد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٨-١٩].

قلت: وعلى القول بدخولهم الجنة كما هو مذهب الأئمة الثلاثة، فالظاهر أنهم يرون الله تعالى.

أخرج الآجري، عن عكرمة، قال: قيل لابن عباس: كل من دخل الجنة يرى الله؟ قال: نعم. وذهب بعضهم أنه لا ثواب للجن إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم. وهو قول أبي حنيفة، حكاه عنه ابن حزم.

وفي الثعلبي، عن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قيل لسائر الحيوانات ومؤمني الجن: كونوا ترابا فيعودون [٢٣٦/ب] ترابا. وأخرج أبو الشيخ، عن ليث بن أبي سليم، قال: مسلموا الجن لا يدخلون الجنة ولا النار. وذهب عمر بن عبد العزيز أن مؤمني الجن حول الجنة.

أخرج البيهقي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب[١]". فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيهم، فقال: "على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد"، فسألناه وما الأعراف؟ قال: "حائط الجنة تجري فيه الأنهار، وتنبت فيه الأشجار والثمار[٢]". قلت: وهذا لا ينافي دخولهم الجنة بعد ذلك؛ لأنه يقع لهم قبل، ثم يدخلونها كأصحاب الأعراف. فتأمل.

قال القرطبي: وثبت السؤال للجن كما للإنس. في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. الآية.

وقد مر الكلام على الجن مستوفى فيما يتعلق بهم في بابه فراجعه.

المسألة الثامنة
في أسماء يوم القيامة ومقداره

إنما سمي يوم القيامة؛ لأن الناس يقومون فيه من قبورهم لحسابهم ولقيامهم لرب العالمين ماشاء الله.

وقيام الروح والملائكة صفًا، وقد سمى الله يوم القيامة في كتابه العزيز بأسماء كثيرة نحو مائة اسم، منها ما هو في القرآن بلفظه، ومنها ما أخذ بطريق الاشتقاق،

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٠٨).

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (١٠٨).

وكثرة الأسماء دالة على عظم المسمى من ذلك الساعة لقربها، أو لأنها تأتي بغتة في ساعة، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون أسرع من اللمحة، ويوم النفخة، ويوم الزلزلة، ويوم الرجفة، ويوم الناقور، ويوم الانشقاق، والانفطار، والانكدار، والانتشار، والتكوير، والتفجير، والتسجير، والتعطيل، والكشط، والطي، والمد، والدين، أي الجزاء، والحساب، ويوم البعث، والنشور، والخروج، والحشر، والعرض، والتلاق، والجمع، والفرق [٢٣٧/أ] في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤]. والصدع في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. وهو بمعنى يتفرقون، ويوم الصدر، في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ [الزلزلة: ٦]. ويوم البعثرة، والفزع، والتناد، والذهاب، والحساب، والأشهاد، والدعاء، والسؤال، والقصاص، والوعد، والوعيد، والندامة، والحسرة، والتبديل، والمصير، والفصل، والقضاء، والحكم، والوزن، ويوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده، ويوم عظيم، وعسير، ومشهود، وعبوس، وقمطرير، ويوم تبلى السرائر: أي تخرج المخبئات بالوزن، وقراءة الصحف، ويوم التغابن، لتغابن الخلق في المنازل، ويوم الفرار، والفتنة، والخلود، والجدال، ويوم الواقعة، والخافضة، والرافعة، والراجفة، والرادفة، والقارعة، والحاقة، والطامة، والصاخة، والصاعقة، والزلزلة، والغاشية، والآزفة، ويوم البكاء، ويوم البلاء، ويوم لا مرد له من الله، ويوم لا بيع فيه ولا خلال، ويوم لا يكتمون الله حديثا، ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ويوم لا ينطقون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم الأذان، وله أسماء غير ما ذكرنا، والعرب تسمي الشيء بأسماء كثيرة، وتجعل له ألقابا عديدة؛ تعظيمًا لشأنه.

لطيفة:

دخل طاوس على هشام بن عبد الملك، فقال له: اتق الله، واحذر يوم الأذان، فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

تنبيه: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥].

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. فمنهم من وقف، ومنهم من أجاب.

فالواقف كابن عباس، وابن المسيب، وكل العلم إلى الله تعالى، فابن عباس [٢٣٧/ب] قال: أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم؛ حكاه عنه بعض المفسرين.

وحكى مكي عنه أنه قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. إنه يوم القيامة.

وابن المسيب سئل عنها فلم يدر ما يقول، فأخبر عن ابن عباس بالوقف فيها، وقال للسائل: هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها، وهو أعلم مني.

والمجيب عن الآيتين اختلفوا في الجواب عنها على فرقتين:

الأولى: حملوا الآيتين على أن المراد بهما يوم القيامة.

واختلفوا في الجمع بينهما على أقوال:

فقيل: إن اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، إنما أراد به على الكافر، والمؤمن عليه كقدر صلاة صلاها في دار الدنيا، حكاه الثعلبي. وورد به الحديث كما مر.

وقيل ليوم القيامة أول، وليس له آخر، وفيه أوقات شتى، بعضها ألف سنة، يعني وأكثر، وأقل، قاله الثعلبي.

وقيل: يجوز أن يكون هذا إخبار عن شدة هوله، لأن العرب تصف المكروه بالطول، وأيام السرور بالقصر، وإليه ذهب جماعة من المفسرين. وقاله الثعلبي.

وقيل: يوم القيامة خمسون موطناً، كل موطن ألف سنة.

وقال الحسن، وقتادة: هو يوم القيامة، وليس يعني أن مقدار هوله هذا ولو كان كذلك لكان له غاية، وإنما هو مقدار موقفه من الحساب، حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنين الدنيا، لأن ليوم القيامة أول وليس له آخر، لأنه يوم ممدود.

وقال ابن حزم: صح يقيناً أنه يوم القيامة، وبهذا أيضاً جاءت الأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وأما الأيام التي قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. فأيام أخر بنص القرآن.

وقال الكلبي: معنى ذلك المقدار [٢٣٨/أ] أنه لو ولي محاسبة العباد والملائكة

والجن والإنس في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. فيقول الله: وأنا أفرغ منه في ساعة واحدة.

ورد ابن حزم هذا التأويل، وقال بالضرورة: ندري أنه لو كلف جميع أهل الأرض محاسبة أهل عصر واحد فيما أضمروه، وفعلوه، ونطقوا به، وموازنة كل ذلك ما قاموا به في ألف ألف عام، فبطل هذا القول بيقين. انتهى.

والثانية: حملوا الآيتين على أن المراد بهما غير يوم القيامة، فقالوا: إن المراد بالآية التي فيها مقداره ألف سنة أن الله تعالى ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، أي يصعد جبريل بالأمر في يوم واحد من أيام الدنيا، وقدره مسيرة ألف سنة، خمسمائة نزول، وخمسمائة صعود.

يقول: لو ساره أحد من بني آدم لم يسره إلا في ألف سنة، والملائكة يسيرونه في يوم واحد.

وقالوا: في مقداره خمسين ألف سنة: المراد به من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره. فعن الثعلبي من أسفل الأرضين إلى سدرة المنتهى التي هى مقام جبريل عليه السلام.

قال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضعه لساروا خمسين ألف سنة، قبل أن يقطعوه. وقال الحكم، عن عكرمة: عمر الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، لا يدري أحدكم ما مضى، ولا كم بقي إلا الله تعالى. وقيل غير ذلك، والله سبحانه أعلم.

المسألة التاسعة
في الجمع بين أخبار وردت في المحشر

أخرج الحاكم، من طريق عكرمة، عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق [٢٣٨/ب] سأله عن قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٧]. و﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. قال: أليس قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. قال: بلى قال: فإن لكل مقدار يوم من هذه الأيام كونا من الأكوان.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رجلا سأله

فقال: أرأيت قوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]. وأخرى: ﴿عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

قال: إن يوم القيامة فيه حالات يكونون في حال زرقا، وفي حال عميا، وحيث علمت هذا فلا يشكل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]. وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] وقوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

ففي موطن يسألون، وفي أخر لا يسألون، وفي موطن يكتمون، وفي آخر لا يكتمون، وكذا قوله لهم: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. فإن الصمم والبكم يضاد كونهم يسألون ويجيبون، ويجحدون، ويلومون أعضاءهم.

والحاصل أن لهم خمسة أحوال: حال البعث من القبور، وحال السوق إلى موضع الحساب وحال المحاسبة، وحال السوق إلى دار الجزاء، وحال مقامهم فيها، ففي الثلاثة الأول يكونون كاملي الحواس والجوارح، وفي الرابعة يسلبون السمع والبصر والنطق، وأما الخامسة فلها بدء ووصال، ففي بدئها ترد الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من العذاب، وما كانوا به يكذبون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا﴾ [الأنعام: ٢٧]. الآية. ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [٢٣٩/أ] [الزخرف: ٧٧]. الآية. إلى أن يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فحينئذ يسلبون حواسهم.

ومما ظاهره التعارض ما أخرج الشيخان، والترمذي، عن ابن عباس، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وقال: "يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة مشاة عراة غرلا(١)". ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥٣٩٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٩١٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٥٢٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٢٨٦٢)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٢٣٩٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، =

[الأنبياء: ١٠٤] الآية. "وأول من يكسى من الخلائق إبراهيم عليه السلام(١)". والأحاديث في مثل هذا كثيرة.

وأخرج أبو داود، والحاكم، وصححه، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها(٢)".

وأخرج الحاكم، والبيهقي، وعبد الله بن أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن علي بن أبي طالب، أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]. فقال: والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة، لم تنظر الخلائق إلى مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة.

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]. قال: على الإبل.

والجمع بين عراة، وأن الميت يبعث في ثيابه، ما قال البيهقي بأن بعضهم يحشر عاريًا، وبعضهم بثيابه، ويخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة. والجمع بين مشاة وركبانا ما قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يمشوا وقتًا، ثم يركبوا، فيكونوا ركبانا، فإذا قاربوا المحشر، نزلوا، فمشوا. قال: وأما الكفار فإنهم مشاة على وجوههم.

وجزم [٢٣٩/ب] الحليمي، والغزالي، بأن الذين يحشرون ركبانا يركبون من قبورهم.

=

برقم: (٧٣٢٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٣٨٩١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٥٥٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (ج ٤: ص٥٦٥).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٦٩٤٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٢٤٢٣)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١١٢٧٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود: ٣/١٩٠، وصححه الألباني.

وقال بعضهم: إنهم يمشون من قبورهم إلى الموقف، ويركبون من ثم جميعا بينه، وبين حديث الصحيحين قلت: والأحسن في الجمع أن يقال: الأخبار واردة على حسب أصناف الناس ومقاماتهم، يؤيده حديث أبي داود، والبيهقي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف ركبانا، ومشاة، وعلى وجوههم". فقال رجل: يا رسول الله ويمشون على وجوههم؟ قال: "الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم[(١)]".

وأخرج النسائي، والحاكم، والبيهقي، عن أبي ذر قال: حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج، طاعمين، كاسين، راكبين، وفوج يمشون، ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم[(٢)]". وأخرج الحاكم، والطبراني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الأنبياء يوم القيامة على الدواب ليوافوا المحشر، ويبعث صالح على ناقته، وأُبعث على البراق، ويبعث أبنائي الحسن والحسين على ناقتين من نوق الجنة، فينادى بالأذان محضا، وبالشهادة حقا، حتى إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين[(٣)]". فقبلت ممن قبلت، وردت على من ردت، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة العاشرة
في النظر إلى الله تعالى، وزيارة أهل الجنة ربهم سبحانه

اعلم أن رؤية الله عز وجل ثابتة في الآخرة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة،

(١) أخرجه الترمذي، وضعفه الألباني، وأخرجه أحمد: ٣٦٤/١٤، وقال محققه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد -وهو ابن جدعان- وجهالة أوس بن خالد.

(٢) أخرجه أحمد: (١٦٤/٥، رقم ٢١٤٩٤)، والنسائي: (١١٦/٤، رقم ٢٠٨٦)، والحاكم: (٣٩٨/٢، رقم ٣٣٨٩) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة: (٨٦/٧، رقم ٣٤٣٩٦)، والطبراني في الصغير: (٢٣٣/٢، رقم ١٠٨٤).

(٣) أخرجه الطبراني: (٤٣/٣، رقم ٢٦٢٩)، والحاكم: (١٦٦/٣، رقم ٤٧٢٧)، والخطيب: (١٤٠/٣)، وابن عساكر: (٤٥٨/١٠).

جائزة بالإبصار في العقل، واجبة [٢٤٠/أ] بالنقل، وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى في الدار الآخرة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وأما السنة: فقوله صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر(١)".

وقال السعد التفتازاني(٢): وهو مشهور رواه أحمد وعشرون من أكابر الصحابة.

وأما الإجماع: فهو أن الأمة كانوا مجتمعين على وقوع الرؤية في الآخرة، وأن الآيات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها قال فضل بن غسان: سمعت يحيى ابن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح.

إذا تقرر هذا فاعلم أن الله تعالى يراه المؤمنون من أهل الموقف في الموقف، ورد بذلك أحاديث صحيحة، ويراه أهل الجنة في الجنة بلا نزاع، وأما في الدنيا فلم تثبت فيها لنبي مرسل، ولا ملك مقرب، إلا للنبي صلى الله عليه وسلم على نزاع في ذلك، والصحيح أنه رآه بعيني رأسه، وهذه من خصوصياته.

وأخرج أبو نعيم وغيره، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال، ثم قال: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا(٣)".

وأخرج أبو بكر بن أبي عاصم، والدارقطني مثله، من حديث أبي أمامة.

وأخرج أبو نعيم، عن ابن عباس، قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: "يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يراني أهل الجنة الذي لا

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٦٠/٤، رقم ١٩٢١٣)، والبخاري: (٢٠٣/١، رقم ٥٢٩)، ومسلم: (٤٣٩/١، رقم ٦٣٣)، وأبو داود: (٢٣٣/٤، رقم ٤٧٢٩)، والترمذي: (٦٨٧/٤، رقم ٢٥٥١)، وابن ماجه: (٦٣/١، رقم ١٧٧)، وابن حبان: (٤٧٣/١٦، رقم ٧٤٤٢).

(٢) وهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، صاحب شرح التلويح على التوضيح.

(٣) أخرجه أحمد: (٣٢٤/٥، رقم ٢٢٨١٦)، وأبو داود: (١١٦/٤، رقم ٤٣٢٠) ونعيم بن حماد: (٥١٩/٢، رقم ١٤٥٤)، وأبو نعيم في الحلية: (٢٢١/٥).

تموت أعينهم ولا تبلى أجسامهم[(١)]".

ولنذكر بعض أحاديث وردت في تفسير آيات في الرؤية.

أخرج [٢٤٠/ب] مسلم، والترمذي، وابن ماجه، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار. قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم[(٢)]". ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال القرطبي: قوله: "فيكشف الحجاب". معناه أنه ترفع الموانع عن الإدراك بأبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال، فذكر الحجاب إنما هو في حق الخلق، لا الخالق تعالى، وتقدس.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: يا أهل الجنة إن الله وعدكم الحسنى وزيادة الحسنى في الجنة[(٣)]".

والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن كعب بن عجرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن عز وجل. وروى ابن عمر مرفوعا في الآية، قال: الحسنى: الجنة، وزيادة قال: النظر إلى وجه الرحمن.

وروي عن أنس مرفوعا مثل ذلك، وروي عن أبي هريرة مرفوعا في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. الجنة، والنظر إلى الرب تعالى.

---

(١) ذكره الحكيم: (٤٥/٢). وأخرجه أيضا: الديلمي (٢٦٧/٢، رقم ٣٢٤٣).
ومن غريب الحديث: "تدهده" تدحرج.

(٢) أخرجه مسلم: (١٦٣/١، رقم ١٨١)، والترمذي: (٢٨٦/٥، رقم ٣١٠٥). وأخرجه أيضًا: أحمد (٣٣٢/٤، رقم ١٨٩٥٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: (١٠٥/١١). وأخرجه أيضًا: اللالكائي في اعتقاد أهل السنة: (٤٥٧/٣).

وقال أبو بكر الصديق في الآية: الحسنى: الجنة. والزيادة النظر إلى وجه الله(١).

وقال مثل ذلك في الآية علي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة.

قال البيهقي: هذا تفسير قد استفاض، واشتهر فيما بين الصحابة [١٤٢/أ] والتابعين، ومثله لا يقال إلا بتوقيف.

وأخرج الآجري، والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. قال: حسنة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. قال: نظرت إلى الخالق.

وعن عكرمة قال: ﴿نَاضِرَةٌ﴾: من النعيم. ﴿إِلى رَبِّهَا نَاظِرةٌ﴾: قال: تنظر إلى الله نظرا.

وعن محمد بن كعب القرظي في الآية قال: نضر الله تلك الوجوه، وحسنها للنظر إليه. وعن الحسن قال: (النضرة): الحسن ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: نظرت إلى ربها فنضرت لنوره.

وعن أشهب قال: سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟

فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

قيل: فإن قوما يزعمون أن الله لا يرى.

فقال مالك: السيف السيف.

وقال الشافعي في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

قال الحافظ السيوطي: فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم: (٢٠٦/١، رقم ٤٧٣)، وابن جرير: (١٠٥/١١)، واللالكائي: (٤٥٨٧٨٤/٣).

وأخرجه أيضًا: ابن راهويه (٧٩٣/٣، رقم ١٤٢٤)، وعبد الله بن أحمد: (٢٥٧/١، رقم ٤٧١)، والدارقطني في العلل: (٢٨٢/١، رقم ٧٣)، والبيهقي في الاعتقاد: (١٢٥/١) جميعا عن أبي بكر الصديق.

وسلم وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر عندنا معاشر أهل الحديث. انتهى.

ولنذكر بعض أحاديث الرؤية، أخرج الشيخان، والدارقطني، عن جرير، قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته[(١)]". الحديث.

قال البيهقي: كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي لا المرئي، والمعنى: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتنتفي معها المرية كرؤيتكم القمر لا تضامون، ولا تمترون فيه.

قال: وتضامون روي بتخفيف الميم، وضم أوله [٢٤١/ب] من الضيم: أي لا يلحقكم في رؤيته ضيم، ولا مشقة.

وبتشديدها، والفتح، على حذف إحدى التائين، والأصل: لا تضامون: أي لا يضام بعضهم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل إدراكه، فيتزاحمون عند ذلك، ينظرون إلى جهته يريد أنكم ترونه، وكل واحد في مكانه لا ينازعه في رؤيته أحد.

وأخرج الشيخان، والدارقطني، عن أبي هريرة، قال: قال الناس: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب"؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: "هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب"؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: "فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك[(٢)]". الحديث.

وأخرج الشيخان، والحاكم، والدارقطني، عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "أتضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا"؟ قلنا: لا. قال: "فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيه

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٦٠/٤، رقم ١٩٢١٣)، والبخاري: (٢٠٣/١، رقم ٥٢٩)، ومسلم: (٤٣٩/١، رقم ٦٣٣)، وأبو داود: (٢٣٣/٤، رقم ٤٧٢٩)، والترمذي: (٦٨٧/٤، رقم ٢٥٥١)، وابن ماجه: (٦٣/١، رقم ١٧٧)، وابن حبان: (٤٧٣/١٦، رقم ٧٤٤٢).

(٢) أخرجه الدارمي: (٢٨٠٤) والبخاري: (٢٠٤/١ و١٤٦/٨)، ومسلم: (١١٤/١)، وأخرجه أحمد: (٢٧٥/٢، ٧٧٠٣ و٥٣٣/٢، ١٠٩١٩).

سحاب" قلنا: لا. قال: "فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤية إحداهما[١]". الحديث.

وأخرج البزار، والطبراني، وأبو يعلى، والآجري، والبيهقي، وابن أبي الدنيا من طرق جيدة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل، وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء"، فقلت: "ما هذه يا جبريل"؟ قال: هذه الجمعة، يعرضها عليك ربك؛ لتكون لك عيدا، ولقومك من بعدك، قال: "ما لنا فيها"؟ قال: لكم فيها خير. قلت: "ما هذه النكتة السوداء فيها"؟ قال: هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، [٢٤٢/أ] قلت: "لم تدعونه يوم المزيد"؟ قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراس من ذهب، وجاء الصديقون والشهداء حتى يجلسون عليها، ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسون على الكثب، فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، حتى ينظرون إلى وجهه، وهو يقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي هذا محل كرامتي، فاسألوني فيسألوه الرضا فيقول عز وجل رضاي أحلكم داري وأنزلكم كرامتي فسلوني بيسألوه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار ينصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه، ويصعد معه الشهداء والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا وصم فيها، ولا فصم أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، منها غرفها، وأبوابها مطردة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها، وخدمها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة؛ ليزدادوا فيها كرامة، وليزدادوا فيها نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دعي يوم المزيد[٢].

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٥٨١، ومسلم: ٣٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: (٤٧٧/١، رقم ٥٥١٧) والطبراني في الأوسط: (٣١٤/٢، رقم ٢٠٨٤)، وأبو يعلى: (٢٢٨/٧، رقم ٤٢٢٨)، قال المنذري: (٣١١/٤): رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الأوسط بإسنادين، أحدهما جيد قوي، وأبو يعلى مختصرًا، ورواته رواة الصحيح، والبزار. وقال الهيثمي: =

وأخرج البزار، والأصبهاني، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل في كفه مثل المرآة في وسطها لمعة سوداء"، قلت: "يا جبريل ما هذه"؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قلت: "ما هذه اللمعة السوداء[(١)]"؟ قال: هذه يوم الجمعة. قلت: "وما يوم الجمعة"؟ قال: يوم [٢٤٢/ب] من أيام ربك عظيم، فذكر شرفه وفضله واسمه في الآخرة، وأن الله إذا صير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وليس ثم ليل، ولا نهار، قد علم الله مقدار تلك الساعات، فإذا كان يوم الجمعة في وقت الجمعة التي يخرج أهل الجمعة إلى جمعتهم، ينادي مناد: يا أهل الجمعة اخرجوا إلى دار المزيد، فيخرجون في كثبان المسك. قال حذيفة: والله لهو أشد بياضا من دقيقكم هذا، فتخرج غلمان الأنبياء عليهم السلام بمنابر من نور، وتخرج غلمان المؤمنين بكراس من ياقوت، فإذا قعدوا، وأخذ القوم مجالسهم بعث الله عليهم ريحا تدعى (المثيرة) فتثير عليهم المسك الأبيض، فتدخله في ثيابهم، وتخرجه من جيوبهم، فيقول الله: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب، وصدقوا رسلي فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: إنا قد رضينا، فارض عنا، ويرجع إليهم في قوله لهم: يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم ما أسكنتكم جنتي، فهذا اليوم المزيد، فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف الله الحجب، ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره، فلولا أن الله قضى أن لا يموتوا لاحترقوا، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فيرجعون، وقد خفوا على أزواجهم، وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فلا يزال النور يتمكن حتى يرجعوا إلى منازلهم، فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا بصور، وجئتم إلينا بغيرها. فيقولون: تجلى لنا ربنا، فنظرنا إلى ما خفينا به عليكم. قال: فهم يتقلبون في مسك

=

(٤٢١/١٠): رواه البزار، والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار، فيه خلاف. وأخرجه أيضًا: عبد الله بن أحمد في السنة: (٢٥٠/١، رقم ٤٦٠)، والضياء: (٢٧٢/٦، رقم ٢٢٩١).

(١) أخرجه أبو بكر البزار في مسنده، برقم: (٢٨٨١).

الجنة ونعيمها في كل سبعة أيام[1].

وأخرج ابن ماجه، وابن أبي الدنيا، والدارقطني، والآجري، عن جابر [٢٤٣/أ] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة". وذلك قول الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. قال: "فينظر إليهم، وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم، إشرافه سبحانه واطلاعه منزه عن المكان والحلول[2]".

وأخرج البيهقي، أبو نعيم، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع عليهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف"، فقال: "يا أهل الجنة سلوني[3]". قالوا: نسألك الزيادة. قال: "فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زبرجد أخضر وياقوت أحمر، فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوار من الحور العين"، وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله بكثبان من مسك أبيض أزفر فيثير عليهم ريحا يقال له: المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي قصبة الجنة فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم فيقول: مرحبا بالصادقين مرحبا بالطائعين، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله، فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون، وقد أبصر بعضهم بعضا، قال عليه الصلاة والسلام: فذلك قوله تعالى [٢٤٣/ب]: ﴿نُزُلًا مِنْ

---

(١) أخرجه البزار: (٢٨٩/٧، رقم ٢٨٨١)، قال الهيثمي: (٤٢٢/١٠): فيه القاسم بن مطيب، وهو متروك. ومن غريب الحديث: "لمعة سوداء": بقعة سوداء.

(٢) أخرجه ابن ماجه: (٦٥/١، رقم ١٨٤) قال البوصيري: (٢٦/١): هذا إسناد ضعيف. وأخرجه أيضا: أبو نعيم في الحلية: (٢٠٨/٦).

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٤٨).

غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢][1].

وأخرج الأصبهاني، عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله إذا أسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، بعث الروح الأمين إلى الجنة"، فقال: يا أهل الجنة، إن ربكم يقرئكم السلام، ويأمركم أن تزوروه إلى فناء الجنة، وهو أبطح الجنة، ترابه المسك، وحصباؤه الدر والياقوت، وشجره الذهب الرطب، وورقه الزبرجد، فيخرج أهل الجنة مستبشرين مسرورين غانمين سالمين من مجتمعهم، ثم تحل بهم كرامة الله، والنظر إلى وجهه تعالى، وهو موعود الله أنجزه لهم، فعند ذلك ينظرون إلى وجه رب العالمين، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. فيقول: كرامتي أمكنتكم من الجنة وأحللتكم داري.

وأخرج أبو نعيم، عن علي كرم الله وجه قال: إذا سكن أهل الجنة الجنة، أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله داود، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون، ثم يسقون، ثم يكسون، فيقولون: لم يبق إلا النظر إلي وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجدا، فيقال لهم: لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، أضربنا عنها خوف الإطالة.

لطيفة: أخرج الآجري، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة يرون ربهم في كل جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا [٢٤٤/أ] أسرعهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدوا".

وأخرج الترمذي، والدارقطني، واللالكائي، والآجري، من طرق، عن ابن عمر، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام، يرى أقصاها كما يرى أدناه، وإن أرفعهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى كل يوم مرتين غدوة وعشية"، ثم قرأ ابن عمر: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور: ٢٦٢/١.

رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. هذا لفظ الآجري[(١)].

ولفظ الترمذي: "لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِن أَكْرَمَهُمْ عَلَى اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً[(٢)]". ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ الآية [القيامة: ٢٢].

زاد الدارقطني: ﴿نَاضِرَةٌ﴾.

وأخرج البيهقي، عن الأعمش، قال: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله غدوة وعشية.

وأخرج أبو نعيم، عن أبي يزيد البسطامي، قال: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار.

وأخرج اللالكائي والآجري، والبيهقي، عن الحسن البصري، قال: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم.

وأخرج الآجري، عن الحسن، قال: إن الله ليتجلى لأهل الجنة فإذا رآوه نسوا نعيم الجنة.

تنبيه:

ذهب قوم ومنهم الحافظ عماد الدين ابن كثير، إلى أن النساء لا يرين الله في الجنة، ورد بحديث الدارقطني مرفوعا: "إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل، فأحدثهم عهدا بالنظر إليه في كل جمعة، ويرآه المؤمنات يوم الفطر ويوم الأضحى".

وذهبت قوم [٢٤٤/ب] ومنهم العز بن عبد السلام، تبعه على ذلك صاحب أكام المرجان، وابن جماعة، إلى أن الملائكة لا يرون ربهم، ورد ذلك بحديث البيهقي، وفيه عن الملائكة: "فإذا كان يوم القيامة تجلى ربهم تبارك وتعالى، ونظروا إلى وجهه".

---

(١) أخرجه الترمذي: (٥/٤٣١، رقم ٣٣٣٠) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/٦٤، رقم ٥٣١٧)، وعبد بن حميد: (ص ٢٦٠، رقم ٨١٩). قال الحافظ في الفتح: (٢/٣٤) في سنده ضعف.

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم: (٨١٩)، وأخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٣٣٣٠)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم: (٥٧٢٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، برقم: (٤٣٢).

ونص على أنهم يَرَوْنَهُ أَبُو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة، وقال بذلك من المتأخرين ابن القيم، والجلال البلقيني.

قال الحافظ السيوطي، وهو الأرجح بلا شك.

وقرر الجلال البلقيني ثبوت الرؤية للملائكة، وقال إلى ثبوتها لمؤمني الجن أيضا، وهذا هو اللائق، لكرمه سبحانه وتعالى.

وأما رؤيته سبحانه وتعالى في الموقف فذه جماعة إلى أنه تحصل حتى للمنافقين، وذه قوم وللكافرين، ثم يحجبون والله سبحانه وتعالى أعلم.

خاتمة

نسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة.

أخرج اللالكائي، عن زيد بن ثابت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله كثيرا ومن بعض دعائه صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك برد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة(١)". آمين يا رب العالمين، والحمد لله تعالى أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا.

وقد حصل الفراغ من تمام تعليق رسم هذه النسخة المباركة رحم الله جامعها رحمة واسعة نهار الاثنين المبارك السادس والعشرون من شهر جمادى الثاني الكائن من شهور سنة ١٢٧٢هـ اثنتين وسبعين ومائتين وألف من الهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، وذلك بقلم العبد الضعيف الحقير الراجي عفو خالق العباد الفقيه أحمد بن السيد بكر حماد، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين بمنه وكرمه آمين آمين [٢٤٥/أ].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١١٩/٥. وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الطَّبَرَانِيِّ رِجَالُهُ وُثِّقُوا، وَفِي بَقِيَّةِ الْأَسَانِيدِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

فهرس المصادر والمراجع

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف ناصر الدين الألباني، (ط) الثانية، المكتب الإسلامي (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا، دار الفكر ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.

- اختلاف الحديث، لمحمد بن إدريس الشافعي ت: ٢٠٤ هـ، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦.

- الأحكام الشرعية الصغرى (الصحيحة)، للحافظ أبي محمد عبد الحق الإشبيلي (ت: ٥٨١ هـ) تحقيق أم محمد بنت أحمد الهليس، مكتبة ابن تيمية، (ط) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

- الأحكام الشرعية الوسطى، لعبد الحق الأجزاء: مخطوط — الأول والثالث والرابع والثامن من خزانة ابن يوسف بمراكش بأرقام ٥٢٥، و٥٤٠، و٥٤٥، والأجزاء الثاني، والخامس والسادس والسابع من الخزانة الملكية تحت رقم: ٥٣٨٠.

- الأدب المفرد، للبخاري، خرج أحاديثه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- الأطراف بأوهام الأطراف: أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت ٨٢٦ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت نشر دار الجنان، (ط) الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، (ط) الخامسة ١٩٨٠ م.

- الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، (ط) الأول بمصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

- الأنساب، ابن سعد عبد الكريم السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، تقديم وتعليق عبد الله

عمر البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) بترتيب علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) خرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط) الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٥ هـ.

- الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي ابن أبي الشرف، القاسم بن عبد الله بن الشاط، تحقيق إسماعيل الخطيب ١٩٨٦ هـ - تطوان المغرب، (ط) ١٤٠٦ هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) مطبعة السعادة بمصر، (ط) الأولى سنة ١٣٢٨ هـ.

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق د سيد صقر، دار التراث، القاهرة، (ط) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) تحقيق د علي نويهض، دار الفكر، (ط) ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢.

- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تصنيف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق د عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة للطباعة، دمشق، بيروت.

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) بهامش الإصابة — طبع بمصر، (ط) الأولى ١٣٢٨ هـ.

- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، أبو بكر محمد بن موسى الهمداني (ت ٥٨٤ هـ)، تعليق وتصحيح راتب حاكمي حمص، (ط) الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر، (ط) الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، (ط) الخامسة ١٩٨٣ م.

- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول، أبو الطيب السحيني البخاري (ت ١٣٠٧ هـ - ١٨٩٠ م) تصحيح عبد الحكيم شرف الدين، دار اقرأ، بيروت، (ط) الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

- التاريخ الصغير، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة بيروت، (ط) الأولى ١٤٦٦ هـ ١٩٨٦ م.

- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- التبصرة والتذكرة شرح ألفية العراقي، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦ هـ) (ط دار الكتب العلمية)، بتعليق محمد بن الحسين العراقي.

- التبيين في أنساب القرشيين، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) تحقيق محمد نايف الدليمي، عالم الكتب، (ط) الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- التبيين لأسماء المدلسين، لإبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، تحقيق يحيى شفيق — دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- التحقيق في أحاديث الخلاف: ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

- التقييد لرواة السنن والمسانيد، لابن نقطة الحنبلي (ت ٦٢٩ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي، (ت ٨٠٦) بتحقيق عبد الرحيم محمد عثمان، دار الفكر بيروت.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، (ط) وزارة الأوقاف المغربية.

- الثقات: محمد بن حبان (٣٥٤ هـ) حيدر آباد المدكن الهند، (ط) الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

- الجامع الصحيح، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ ه) تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث العربي بيروت.

- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، (ت ٣٢٧ هـ) دار الكتب العلمية ١٢٧١ هـ - ١٩٧٢ م.

- الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم — ابن القيسراني (ت ٥٠٧ ه)، (ط) الثانية دار الكتب العلمية بيروت.

- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ ه)، دار المعرفة.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل.

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥ هـ)، قدم له محمد بن المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد جعفر الكتاني، (ط) الثالثة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م، دار الفكر دمشق.

- السبعة في القراءات لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق د شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (ط) الثانية.

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي، طبع الدار القومية للطباعة والنشر.

- السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في المسند المعنعن، لمحمد بن عمر بن محمد رشيد البستي (ت ٧٢١ هـ) تحقيق د ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

- السنن الصغير، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت: ٤٥٨ هـ تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي كراتشي، باكستان، (ط) الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

- السنن الكبرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د عبد الغفار سليمان البنداري. دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- السنن الكبرى أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، (ط) الأولى الهند ١٣٤٤ هـ.

- الشروح والتعليقات، لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، على كتب الأحكام: الصغرى والوسطى والكبرى للإمام أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن البجائي، الشهير بابن الخراط (ت: ٥٨١ هـ)، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، (ط) الأولى ١٤٠٣ هـ.

- الصلاة والتهجد: للحافظ أبي محمد عبد الحق الإشبيلي، المعروف بابن الخراط (٥١٠ — ٥٨١ هـ)، (ط) الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- العبر في خبر من غبر: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.

- العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، تحقيق رضي الله عباس، المكتب الإسلامي، (ط) الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨.

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: محمد بن أحمد الذهبي. دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

- الكامل في التاريخ، علي ابن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) دار الفكر، (ط) الأولى سنة ١٩٧٨ م، ترجمة كثير بن شنظير.

- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي (ت ٣٦٥ هـ)، تحقيق صبحي البدري السامرائي، بغداد.

- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي (الخطيب البغدادي) (ت ٤٦٣ هـ) المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- الكُنى والأسماء، محمد بن أحمد الدولابي (ت ٣١٠ هـ)، دار الكتب العلمية، (ط) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة والثقات، محمد بن أحمد المعروف بابن الكيال (ت ٩٢٩ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين بن الأثير الجزري — دار صادر، (ط) ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

- المؤتلف والمختلف، لأبي الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني (ت: ٥٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- المؤتلف والمختلف، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥ هـ)، تحقيق د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار المغرب الإسلامي، (ط) الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للقاضي الحسين بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، (ط) الأولى ١٣٩١ هـ - ١٧٧١ م.

- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل.

- المدخل إلى الصحيح، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، (ت٤٠٥هـ)، تحقيق د. ربيع بن هادي عمير المدخلي. مؤسسة الرسالة، (ط) الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- المراسيل مع الأسانيد، لأبي داود السجستاني، دراسة وتحقيق عبد العزيز السيروال دار القلم بيروت.

- المراسيل، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (ت٢٧٥ هـ)، حققه وعلق عليه وخرج حديثه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- المراسيل لأبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) بعناية شكر الله قوفاني مؤسسة الرسالة، (ط) ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

- المراسيل، لابن أبي حاتم الرازي بتعليق أحمد عصام الكاتب، دار الكتب العلمية بيروت، (ط) الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) دار المعرفة.

- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي، (ط) الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة.

- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (ط) الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

- المعلم بفوائد مسلم، محمد بن علي المازري (ت: ٥٣٦ هـ) تحقيق محمد الشدلي النيفر، الجزءان الأول والثاني سنة ١٩٨٨ م تونس، وكذا: مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه (١٨٢٩ د) وآخر بنفس الخزانة رقم (٩٤ ق).

- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة للنشر، القاهرة.

- المغني في الضعفاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق نور الدين عتر.

- المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، للشيخ محمد طاهر بن علي الهندي (ت: ٩٨٦ هـ) دار الكتاب العربي، (ط) ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة، محمد ابن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ) تصحيح وتعليق: عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

- المقتنى في سرد الكنى، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المجلس الأعلى لإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، (ط) ١٤٠٨ هـ.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي (ت: ٥٩٧ هـ)، (ط) حيدر آباد.

- المنهاج في شرح صحيح مسلم، لمحيي الدين بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ)، وهو المطبوع تحت عنوان: شرح صحيح مسلم — دار الفكر، (ط) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي (ت: ٥٩٧ هـ)، تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، (ط) الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

- الموطأ لمالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الثقافية، ١٤٠٨ هـ.

- النكت الظراف على الأطراف، لابن حجر العسقلاني، (بهامش تحفة الأشراف للمزي)، (ط) المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- النكت على ابن الصلاح، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ) تحقيق وتعليق ودراسة: فضيلة الدكتور زين العابدين بلافريج.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري، الشهير بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) المطبعة العثمانية بمصر، (ط) ١٣١١ هـ.

- الهداية في تخريج أحاديث البداية، لأبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، عالم الكتب، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- الوفيات، منشورات دار الآفاق الجديدة، (ط) الثانية ١٩٧٨ م.

- الوقوف على ما في صحيح مسلم من الموقوف، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم، عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين (ت: ٣٨٥ هـ)، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (ط) الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار الكتب العلمية بيروت.

- تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين، لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت٣٨٥ هـ)، تحقيق د. عبد الرحيم القشقري، (ط) الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

- تاريخ الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح للعجلي (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٨٨٤ م.

- تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، محمد بن حبان (٣٥٤ هـ)، تحقيق بوران الخناوي، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م.

- تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف السهمي، عالم الكتب، (ط) الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- تاريخ قضاة الأندلس، لعلي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي، الشهير بابن الحسن النباهي (كان حيا إلى سنة ٧٩٣ هـ)، دار الآفاق الجديدة، (ط) الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- تاريخ واسط، أسلم بن سهل الرزاز، المعروف ببحشل (ت:٢٩٢هـ) تحقيق كوركيس، عالم الكتب، (ط) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية بيروت.

- تجريد أسماء الصحابة، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت.

- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). دار الكتب العلمية.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، يوسف بن الزكي المزي (ت ٧٤٢ هـ) تحقيق عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط) الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- تدريب الراوي عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة السلفية.

- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي، (ط) السابعة.

- تسمية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، دار الجنان، الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم، وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الجنان، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

- تصحيفات المحدثين، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت: ٣٨٢ هـ)، دراسة وتحقيق: محمود أحمد ميرة، (ط) الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م. المطبعة العربية القاهرة، وكذا طبعة أخرى بضبط أحمد عبد الشافعي دار الكتب العلمية.

- تعجيل المنفعة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، دار الكتاب العربي.

- تغليق التعليق على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق حامد عبد الله المحلاوي.

- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حامد عبد الله المحلاوي.

- تقييد المهمل وتمييز المشكل - شيوخ البخاري المهملون — تأليف أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغسلاني الجياني (٤٢٧ — ٤٩٨ هـ)، دراسة وتحقيق وتوثيق الأستاذ الفاضل الدكتور محمد أبو الفضل، رسالة لنيل دكتوراة الدولة في السنة وعلومها، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

- تكلمه إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، ابن الصابوني، عالم الكتب، (ط) الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- تلقيح فهوم أهل الأثر، عبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) المطبعة النموذجية مصر.

- تمام المنة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية بالأردن، (ط) الثالثة ١٤٠٩ هـ.

- تمييز الخبيث من الطيب فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ابن الديبع. (ت ٩٤٤هـ) دار الكتب العلمية، (ط) الثانية ١٤٠٣ هـ.

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة (ت: ٩٦٣ هـ)، دار الكتب العملية، (ط) الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١.

- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي. تحقيق عامر حسن صبري، المكتبة الحديثة الإمارات العربية المتحدة، (ط) ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م.

- تهذيب الأسماء واللغات: محمد محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) المطبعة المنيرية بمصر.

- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، (ط) الأولى تحقيق حامد عبد الله المحلاوي، دار الحديث القاهرة.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي،

ت ٧٤٢ هـ، تحقيق د. بشار عواد معروف، (ط) الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م. مؤسسة الرسالة.

- توجيه النظر إلى أصول الأثر، تأليف طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي (ت١٣٣٨هـ)، (ط) دار المعرفة، بيروت.

- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الصنعاني، (ت: ١١٨٢ هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية المدينة المنورة.

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لمحمد بن عبد الله القيسي الدمشقي ت: ٨٤٢ هـ، مؤسسة الرسالة، (ط) الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، دار الفكر.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

- ذيل تذكرة الحفاظ الذهبي، للحافظ أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن ابن حمزة الدمشقي (ت٧٦٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي.

- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، تأليف جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار إحياء التراث العربي.

- رجال صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي (ت ٣٩٨ هـ) تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

- رجال صحيح مسلم أحمد بن علي بن منجويه (ت: ٤٢٨ هـ) تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

- زاد المعاد في هدي خير العباد لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن القيم، (ت٧٥١ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط) الرابع عشرة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (ط) الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، المكتب الإسلامي، (ط) الخامسة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- سنن أبي داود في الدراسات المغربية: للأستاذ الباحث إدريس خرشفي - رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا.

- سنن أبي داود، هو سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) إعداد عزت عبيد الدعاس، دار الكتب العلمية بيروت.

- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية.

- سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تصحيح عبد الله هاشم اليماني. المدينة المنورة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦ م.

- سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥ هـ) دار الكتب العلمية.

- سنن النسائي، المجتبي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار المعرفة، (ط) الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- سنن سعيد بن منصور للحافظ سعيد بن منصور بن شعبة (ت: ٢٢٧ هـ). تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط) السابعة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ) المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

- شرح السنة، للحسين بن مسعود للبغوي (ت ٥١٦ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.

- شرح علل الترمذي عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) تحقيق

صبحي السمراني، عالم الكتب، (ط) الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م — وكذلك طبعة ثانية بتحقيق: د همام عبد الرحمن سعيد الأردن، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- شرح معاني الآثار، لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١ هـ) دار الكتب العلمية، (ط) الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- شروط الأئمة الخمسة، للحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي (ت٥٨٤هـ) دار الكتب العلمية بيروت.

- شروط الأئمة الستة، للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.

- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية.

- صحيح ابن خزيمة، للحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) تحقيق د محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، (ط) الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) مع فتح الباري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (ط) الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، (ط) الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

- صحيح سنن ابن ماجة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (ط) الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، (ط) الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- صحيح مسلم بن حجاج (ت٢٦١ هـ) ضبطه وفهرسة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

- ضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (ط) الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- ضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي. ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- ضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (ط) الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- ضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (ط) الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- طبقات الحفاظ عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ) دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- طبقات الشافعية، لأبي بكر هداية الله الحسيني الشافعي، (ت١٠١٤هـ) تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، (ط) الأولى ١٩٧١ م.

- طبقات الشافعية لعبد الرحمن الأسنوي (٧٧٢ هـ)، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: عبد بن محمد بن جعفر ابن حيان أبو الشيخ، (ت٣٦٩)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق، مؤسسة الرسالة، (ط) الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- علل الترمذي الكبير بترتيب أبي طالب القاضي، تحقيق حامد عبد الله المحلاوي، دار الكتب العلمية.

- علل الحديث، لأبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، دار المعرفة، (ط) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- علم العلل في المغرب من خلال (بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام)، لأبي الحسن بن القطان الفاسي (ت: ٦٢٨ هـ) - أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في العلوم الإسلامية العليا، من إعداد فضيلة الدكتور إبراهيم بن الصديق، وقد طبعتها مؤخرا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- عمل اليوم والليلة، للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ) دراسة وتحقيق د. فاروق حمادة، الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث، المملكة العربية السعودية، (ط) الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

- غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغزباوي، (ط) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢ هـ) رقم أحاديثه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر.

- فتح العلي المالك في فتاوي على مذهب الإمام مالك، لأبي عبد الله الشيخ محمد أحمد عليش، (ت١٢٩٩هـ)، دار المعرفة.

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، (ط) الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي، (ت: ٣٥٤ هـ) تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب، (ط) الثانية ١٤٠٢ هـ.

- كتاب الوفيات أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن قنفذ القسطنطيني، (ت: ٨٠٩ هـ) دار الآفاق الجديدة، (ط) الرابعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي ت: ٨٠٧ هـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي مؤسسة الرسالة، (ط) الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي، المعروف بحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧ هـ)، مكتبة الفيصلية.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منصور (ت: ٧١١ هـ) دار صادر بيروت.

- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، (ط) الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي

(ت: ٨٠٧ هـ) بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، (ط) الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود (ت: ٢٠٤ هـ) دار المعرفة.

- مسند أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق (ت: ٣١٦ هـ) دار المعرفة بيروت.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، (ط) الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- مسند البزار، للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، تحقيق د محفوظ الرحمن زين الله، (ط) الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

- مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب.

- مسند الشاميين للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، (ط) الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

- مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد، ضبط أحاديثه وخرجها وبين درجتها وعلق عليها د علي محمد جماز، (ط) الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- مشكل الآثار، للحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، (ط) الأولى، حيدر آباد الدكن — الهند ١٣٣٣ هـ.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، للشهاب أحمد ابن أبي بكر البوصيري (ت: ٨٤٠ هـ)، تحقيق موسى محمد علي، دار الكتب الحديثة بمصر.

- معرفة السنن والآثار، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (ط) ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، (ط) الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر.

- نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت: ٧٦٢ هـ)، (ط) الثانية.

- هدي الساري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر.

- هدية العرافين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبعة بغداد.

- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دارصادر.

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق ٣

تعريف الإسلام والإيمان ٣

أصول الإيمان ٨

ترجمة المصنف ١١

نماذج من صور المخطوط ٢٠

بدايات النُّسخ ٢٩

مقدمة المصنف ٣١

مقدمة ٣٩

فائدة: في ذكر شيء من كرم الله وعفوه ٤٦

الباب الأول/ في ذكر العالم العلوي ٤٩

فصل في أَوَّلِ المَخْلُوقَاتِ ٥١

فصل في النور المحمدي ﷺ ٥٣

فصل في القلم ٥٧

فصل في اللوح المحفوظ ٥٩

فصل في العرش ٦٣

فصل في حملة العرش ٦٦

فصل في الكرسي ٦٩

فصل في الصور ٧١

فصل في الجنة ٧٣

فصل في سدرة المنتهى ٧٦

فصل في البيت المعمور ٧٩

فصل في ذكر السماوات ٨٠

فصل في مقدار ما بين كل سماء وسماء ٨٥
فصل في عدد السماوات ٨٦
فصل في أسماء السماوات وأسماء سكانها ٨٧
فصل في ذكر الشمس ٩٠
فصل في ذكر القمر ٩٥
فصل في ذكر الكواكب ٩٨
فصل في الملائكة عليهم الصلاة والسلام ١٠٠
فصل في كثرة الملائكة عليهم السلام ١٠٢
فصل في ذكر العالمين ١٠٥
فصل في ذكر أفراد من الملائكة عليهم السلام ١٠٦
فصل في ذكر المطر ١١٢
فصل في ذكر السحاب ١١٥
فصل في ذكر الرعد والبرق ١١٧
فصل في ذكر الرياح ١٢١
فصل في ذكر الليل والنهار ١٢٦
الباب الثاني/ في ذكر العالم السفلي ١٢٩
فصل في ذكر الجبال ١٣٦
فصل في ذكر جبل قاف ١٣٧
فصل في مقدار سعة الأرض ١٣٩
فصل في ذكر البحار ١٤٣
فصل في ذكر شيء من بحار الأرض المتشعبة من البحر المحيط ١٤٧
فصل في ذكر شيء من جزائر بحر الهند ١٥١
فصل في الأنهار والعيون ١٥٦
الباب الثالث/ في ذكر خلق الجن والإنس ١٦٠
فصل في أخذ الميثاق ١٧١

فصل في ذكر عمر آدم ووفاته ١٧٢
فصل في ذكر حواء عليها السلام ١٧٣
فصل في خلق ذرية آدم عليه السلام........................ ١٧٤
فصل في ذكر خلق الجن........................ ١٧٨
فصل في ذرية إبليس ١٨٠
فصل في ذكر سبب انقياد الجن للعزائم والطلاسم والرقي........................ ١٨٥
فصل في ذكر جملة من أحكام الجن ١٩١
الباب الرابع/ في ذكر الموت وما يتعلق به........................ ١٩٣
فصل في الاستعداد للموت وذم الدنيا........................ ٢٠٧
فصل في المريض ٢١١
فصل في ذكر ملك الموت وأعوانه........................ ٢١٤
فصل في ذكر ذوق الموت وسكراته........................ ٢١٧
فصل في ذكر قبض روح المؤمن ٢١٩
فصل في ذكر قبض روح الفاجر ٢٢٣
فصل في ذكر القبر ٢٢٥
فصل في ذكر سؤال الملكين وهما منكر ونكير عليهما السلام وهما فَتَّانا القبر...... ٢٢٨
فصل في ذكر عذاب القبر ونعيمه........................ ٢٣٣
فصل في ذكر الكلام على الأرواح ٢٣٦
فصل في ذكر زيارة القبور........................ ٢٤٩
الباب الخامس/ في ذكر أشراط الساعة واقترابها........................ ٢٥٤
فصل في الأشراط الصغرى........................ ٢٥٧
فصل في ذكر الأشراط الكبرى ٢٦١
العلامة الأولى: طلوع الشمس من مغربها........................ ٢٦٢
العلامة الثانية: خروج الدابة........................ ٢٦٥
العلامة الثالثة: خروج المهدي ٢٦٨

العلامة الرابعة: خروج الدجال..٢٧٤
العلامة الخامسة: نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام...................٢٨٣
العلامة السادسة: خروج يأجوج ومأجوج..................................٢٨٨
العلامة السابعة: ظهور الدخان..٢٩٤
العلامة الثامنة: خراب الكعبة..٢٩٦
العلامة التاسعة: رفع القرآن من المصاحف ثم من الصدور.........................٢٩٨
العلامة العاشرة: عود أهل الأرض كلهم كفارًا..............................٢٩٩
الباب السادس/ في قيام الساعة وخراب هذا العالم وتغيير نظامه........................٣٠٣
فصل في نفخة الفزع وما يكون من تغيير أحوال العالم........................٣٠٥
فائدة في تبديل الأرض..٣٠٩
الأمر الثالث: فيما يصيب السماء..٣١٣
الأمر الرابع: فيما يصيب الشمس والقمر....................................٣١٥
الأمر الخامس: فيما يصيب النجوم...٣١٦
الأمر السادس: فيما يصيب البحار...٣١٧
فصل في ذكر نفخة الصعق...٣١٨
فصل في ذكر نفخة البعث..٣٢١
الباب السابع/ في ذكر المحشر والموقف وما يتعلق بذلك..................................٣٢٦
فصل...٣٢٩
فصل في ذكر الوقوف بالمحشر...٣٣٤
فصل فيما يلقاه الناس في الموقف من الأهوال..............................٣٣٧
فصل في الشفاعة العظمى العامة...٣٤٣
فصل في إتيان الله تعالى إلى المحشر.....................................٣٤٧
فصل في الإتيان بالجنة وجهنم للمحشر...................................٣٥١
فصل في عرض الخلق على الله..٣٥٣
فصل في الإتيان بالصحف وأخذها باليمين والشمال...........................٣٥٦

فصل في ذكر الميزان ٣٦٠
لطيفة في حبط أعمال الكافرين ٣٦٥
فصل في ذكر الحساب ٣٦٧
فصل في ذكر حساب البهائم ٣٧٢
فصل في حساب الناس والإتيان بالشهود ٣٧٤
فصل في شهادة الأعضاء والأزمنة والأمكنة ٣٧٧
فصل في حساب المؤمنين ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه ٣٨٠
فصل في ذكر سرعة الحساب ومن نوقش فيه هلك ٣٨٣
فصل في من يدخل الجنة بغير حساب ٣٨٧
فصل في دخول الفقراء قبل الأغنياء ٣٩١
فصل في ذكر بعث النار ٣٩٤
فصل في الحوض والكوثر ٣٩٦
فصل في ذكر الصراط ٤٠٢
فصل في الخصام والقصاص بين الناس ٤٠٦
فصل في الانصراف من الموقف إلى ما أعد الله للسعداء والأشقياء ٤١٧
وأما اغتسالهم عند باب الجنة ٤١٨
وأما ازدحامهم على أبواب الجنة ٤١٨
وأما تلقي الغلمان لهم ٤١٩
وأما أهل النار ٤٢٠
فصل في ذكر الشفاعة الخاصة ٤٢٤
فصل في شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين والمؤذنين والأولاد ٤٢٨
فصل في سعة رحمة الله تعالى ٤٣٣
الباب الثامن/ في ذكر الجنة ونعيمها ٤٣٧
وأما صفة أهل الجنة ٤٣٨

فصل في ذكر صفة أهل الجنة ٤٤٤
وأما عدد الجنات ودرجاتها ٤٥٠
وأما أبواب الجنة وسعتها ٤٥٤
وأما سعة الأبواب ٤٥٧
وأما غرف الجنة ٤٥٨
وأما أنهار الجنة وعيونها ٤٦١
وأما العيون ٤٦٢
وأما شجر الجنة ٤٦٧
وأما طيور الجنة ٤٧٤
فصل في ذكر الحور العين ٤٧٦
وأما عدد الأزواج في الجنة ٤٨٢
وأما قوة جماع أهل الجنة ٤٨٤
وأما صفة جماعهم ٤٨٤
وأما فرش أهل الجنة ٤٨٦
وأما لباس أهل الجنة ٤٨٨
وأما حلية أهل الجنة ٤٩٠
وأما أواني أهل الجنة ٤٩٢
وأما غلمان أهل الجنة ٤٩٣
وأما سماع أهل الجنة ٤٩٤
وأما سوق أهل الجنة ٤٩٦
وأما زرع أهل الجنة ٤٩٨
وأما زيارة أهل الجنة إخوانهم ٤٩٩
فصل في أدنى أهل الجنة منزلة ٥٠٠
الباب التاسع/ في ذكر النار وعذابها ٥٠٦
فصل في صفة النار ٥٠٩

وأما شررها ٥١١
وأما دخانها ٥١١
وأما أبواب النار ٥١٢
وأما أودية جهنم وجبالها ونحوها ٥١٤
وأما سرادق النار ٥١٧
وأما حيات النار وعقاربها ٥١٨
وأما السلال والأغلال، والقيود، والمقامع ٥٢٠
وأما ثياب أهل النار وفرشهم ٥٢٣
وأما طعام أهل النار ٥٢٥
وأما شراب أهل النار ٥٢٧
فصل في صفة الزبانية ٥٣٠
فصل في صفة أهل النار ٥٣٢
وأما بكاء أهل النار وزفيرهم ٥٣٥
وأما أهون أهل النار عذابا ٥٣٨
وأما أشد أهل النار عذابا ٥٤٠
الباب العاشر/ في مسائل متفرقة ٥٤٣
المسألة الأولى: في خلود أهل الدارين فيهما، وذبح الموت بينهما، وأنهما باقيتان لا يفنيان، ولا يفنى أهلهما ٥٤٣
المسألة الثانية: في صفة عذاب الموحدين ٥٤٩
المسألة الثالثة: في عدم خلود العصاة من الموحدين في النار، وإن ماتوا من غير توبة ٥٥٥
المسألة الرابعة: في أصحاب الأعراف ٥٦٤
المسألة الخامسة: في أطفال المسلمين والمشركين ٥٦٨
المسألة السادسة: في أهل الفترة ونحوهم ٥٧٣
المسألة السابعة: في الجن من حديث الآخرة ٥٧٩

المسألة الثامنة: في أسماء يوم القيامة ومقداره ٥٨٠

المسألة التاسعة: في الجمع بين أخبار وردت في المحشر........................... ٥٨٣

المسألة العاشرة: في النظر إلى الله تعالى، وزيارة أهل الجنة ربهم سبحانه........... ٥٨٦

خاتمة ٥٩٧

فهرس المصادر والمراجع ٥٩٩

فهرس المحتويات.. ٦١٧